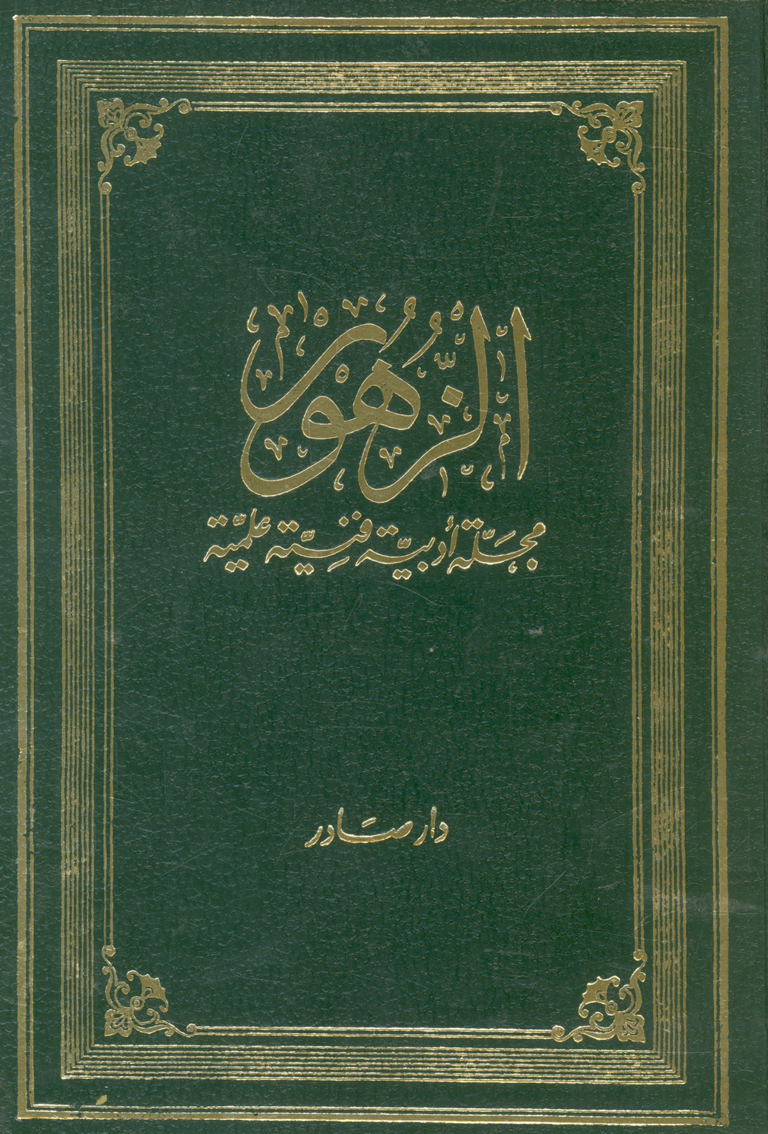

الزهور
مجلة أدبية فنية علمية
دار صادر

الزهور

مجلة ادبية فنية علمية

لأصحابها : الجميّل وتقي الدين وشركائهما

السنة الرابعة

١٩١٣

AZ-ZOUHOUR

LES FLEURS

REVUE LITTÉRAIRE, ARTISTIQUE & SCIENTIFIQUE

QUATRIÈME ANNÉE

1913

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

منشىء المجلة
انطون الجميّل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الاول مارس (اذار) ١٩١٣ السنة الرابعة

السنة الرابعة

للزّهور

يبتدىء في هذا الشهر الجميل فصل الربيع ، فتتفتّح الأزهار ، وتتزيّن الطبيعة بأبهى حلاها . وفي هذا الشهر ايضاً تبتدىء « الزهور » السنة الرابعة من حياتها ، ولزهور الأدب أسوة بأزهار الرياض

وها نحن اليومَ آخذون ، مع أنصار هذه المجلة من أفاضل الكتّاب والشعراء ، بجمع باقةٍ جديدة نقتطفها للقراء من جنان الآداب والمعارف ، لتُضمَّ الى اخواتها السابقة . ونحن على رجاء اننا قد أحسنّا في عملنا الماضي ، وعلى أمل ان نحسنَ العمل في الآتي



القسطنطينية

بناها قسطنطينُ على أنقاض بيزنطية . كانت عاصمةً لمملكة الرُّوم الشرقية ، كما كانت رومة قاعدةً للامبراطوريّة الغربية . اختان تشابهتا بالعزّ ، وعاشتا زمناً ، لكلٍّ مجدُها المؤثل ، وجلالها المهيب . وهي كرومة قائمة على سبع تلالٍ مرتفعات ، في مثل شبه جزيرة مثلَّثة الزوايا يحيطُ بها الماء من جهاتٍ ثلاث : تطلُّ على بحر مرمره من الجنوب ، وتُماشي البُسفور من الشرق ، وتلمس خليجَ قرن الذهب من الشمال . ثمَّ ينبسط اليها من الغرب سهلٌ يقف حذاءها ، متهيّباً جلالها ، فتُشرف عليهِ من مكانها العالي كالنسر باسطاً جناحيهِ

حصَّنها الرُّوم منذ القِدَم ردًّا لغارات الاعداء ، وعزَّزها الترك على أثرهم صدًّا لهجمات الطامعين . فبنى الأوَّلونَ سورها وابراجها ، وشادَ الآخرون حصونها وقلاعها . ولكن الطبيعة بزَّت أُولئك وهؤلاء في كل ما بنوهُ وشادوهُ ، فنمَّت موقعها بالهضاب المتسلسلة ، والبواغيز الضيِّقة ؛ فاذا هي كعقاب الجوّ ، لا تؤخذ ، واذا هي ، كحلقِ الليث ، لا تباح

أرادها العرب ، يوم كانوا يستطيعون ما يريدون ، ففشلوا ، وحاصروها حين لم تكن مدافع ولا قنابل ، فارتدّوا عنها عاجزين . وظلت تردُّ بمنعتها غوائل الاعداء ، وتدافع بعزّتها كوارث الأيام ؛ الملك عزيز بها ، وسلالة بانيها تتوارث مجدها وتتنعَّم بجاهها ، حتى دبَّ الضعف الى الرُّوم ، وتغلغلَ الوهَن في نفوسهم ، يوم ابطرتهم نعمة العيش ،

واسكرتهم غبطة السلطان ، فمشى عليها محمد الفاتح ، وحاصرَها من البحر والبرّ ، ثم اخذها عنوة واقتداراً في سنة ١٤٥٣

***

محمدُ ! كسرتَ جناحَ النسرِ ، فأهوى من سمائه ، واقتلعتَ ناب الليث ، فاستبحتَ حماه !

بناها قسطنطين ، واستأثرتَ بها أنت ؛ كانت للرُّوم فصيَّرتها الى الترك ؛ ما خفق عليها الصليب ، حتى رفعتَ فوقها الهلال ؛ بينا هي قاعدة الامبراطورية ، اذا بها دار الخلافة !

فتحتَها بيأسك ، وصنتها بحولك ومجدك ، ثمَّ تَوارثها ابناؤك من بعدك !

ما نمتَ عنها ولكن نامَ بنوك !

عجباً ينام الترك عنها ، وعيون الروم يقظى عليها !

أمغتصبَ الروم ملكهم ، قم انظر الى بقايا ملكك العظيم

النسرُ الذي اصطدتَهُ قد استنسرت أفراخهُ ؛

والليث الذي اقتنصتَهُ قد استأسدتْ أشباله ؛

البلغارُ على ابوابِ فروق ، والرومُ أمام الدردنيل !!

***

ليست فروقُ عروسَ الشرق وحدَه ، بل هي عروس الدنيا جميعها.

خُلقت صورة مكبَّرة للجمال ، ومثالاً مصغَّراً لجنان النعيم !

هي إنجيل الطبيعة أُنزلت فيهِ آيات الحسن ، ونمَّق الدهر صفحاتهِ

بطراز البديع ! فيهِ وحيُ الحب ، والهام الشعر ؛ وكلّ لفظةٍ يحتويها ، تحتوي ألف معنىً من معاني العظمة والجلال !

فَرُوقُ درَّة في فم البُسفور ، ولؤلؤة في عُنق الدردنيل ؛ هي عقد من الماس يصل بحر مرمره بالبحر الأسود ؛ هي تاجٌ من الجوهر على مفرقِ آسياَ وأوروبا ؛ هي كوكب وقّاد أطلعتهُ الطبيعةُ بين الشرق والغرب !

ربِّ ان سمحتَ بأن نَعْبُدَ الجمال فلِفروق السجودُ والعبادة !

* * *

وقفتُ على البوسفور حيث تمشّى من البحر الاسود ، وماشيتهُ الى حيث التقى ببحر مرمره ، فلم أجد منظراً أعظم تأثيراً في النفس ، من مشية ذلك البوغاز الضيق ، العميق ، الطويل ، المتلوّي في مسيره ، كما تتلوّى الأفعى في زحفها

أحاطت بهِ من على ضفتّيهِ : الأسيوية والأوروبية ، ربوع خضراء زاهية ، ومغانٍ مشجَّرة تعانِق سهولها الماء في ذلك الوادي ، ثم تتدرَّج في الصعود حتى تراها تلالاً عالية ، قريبة المآخذ ، متصلة الرؤوس بالكعاب كالرمح أنبوبٌ على أنبوب

وأطلَّت مآذن الجوامع على قرنهِ الذهبي فتماوجت خيالاتها سابحةً في مياههِ الرائقة ؛ وتراكضت أشعة الشمس اليهِ ، فانعكست عنهُ الى جانبيهِ ، فتلهَّى النسيم يلعبُ بها ، كما يتلهَّى وليدٌ يلعبُ بانعكاس النور عن المرآة

ورأيتهُ ، ليلةَ عيد الدستور ، في أوائل الصيف ، وقد راقَ الجوُّ

وصفا أديمُ السماء ، وتلألأت الأنوار على ضفتَّيهِ ، ومشت فيهِ البواخر مشعشعةً بالأضواء ، ونزلت اليهِ نجوم الفلك تغتسل فيهِ الى جانب الأشعة المتحدرة اليهِ من برَّي آسيا واوروبا ، في وسط الأنوار المتدفقه عليهِ من تلك البواخر السارحات الرائحات ؛ فأخذ هـذا المنظر بمجامع قلبي ، وسكتُّ مخافة ان يشغلني الـكلام بوصفهِ ، عن التمتع لحظةً بجمالهِ ؛ غير اني أسررتُ الى نفسي هذه الـكلمات :

طوبى لمن دفنهُ عبـد الحميد في البُسفور فقد ذهب الى الجنة من أقرب طريق !

* * *

أكان البسفور طريقَ الأحرار الى الجنة ، كما كان طريقَ وليِّ الدين بك يكن الى سيواس ؟؟؟ لست أدري ! غير ان وليّ الدين نفسهُ يقول في وداع فروق يوم نفيَ منها :

« . . . واذا نحن نسير بين منظرين ما تفتحت الأعين على أحسن منهما : شطيَّ آسيا وأوروبا ، يتناغيان بالمصابيح . عاشقان ضنَّت عليهما الاقدار بالتلاقي . مررنا بهما أم مرَّا بنا . لا أعلم . صحائف أجاد الحسن فيها منمقهُ . نشرت فانطوت . زلت عنها الأبصار وضاقت عنها الفهوم . فرائيها متخيّل وعارفها متوّهم . ما شكّ ناظر الى السماء واليها ان تلك المصابيح كواكب سقطت عليها . عهدي بها في حالتيها ، بينا هي عرين اذا بها كناس . يخالط فيها كل زئير ليث عندلةُ عندليب . تتجاور بهـا مسارح آرام ومصارع كرام . تسقى من ماء معين، ومن دم مهراق . تطالعها

وجوه ضاحكة، وأخرى مجهشة . تقسمتها مواسم الصبا فهي تارة مشتىً، وآونةً مصيف ، وحيناً مربع . جنة يحرسها حارس جهنم . فروق يا ظلوم. خذي روحي فما هبطت عليَّ الاَّ فيكِ . كان بكِ مهدي . وأريد أن يكون بكِ لحدي . الوداع الوداع يا فروق . وسلام الله عليكِ وعلى بنيكِ كلهم . هذا طريد جديد . مظلوم يلحق بمظلومين . يخرجوني منكِ ليلاً لأراكِ في ثوب حدادك . أمن أجلي كل هذا ؟ كلا . بل حدادكِ على اختكِ الغزالة . أنا أضْيَعُ فيك من دمعة على خد مهجور . أنا أهون على الدهر من ذرّة من ذراتك ضلّت بين ثنيات الأثير . . . . . »

ما هذهِ بلاغة الواصف ، إنْ هيَ إلاَّ حقيقة الموصوف !

*
* *

رويداً رويداً أيها الدَّهر ! ترفَّقْ بفروق ؛ أقصرْ خطوَبكَ عنها . فروقُ بنت الأجيال الطويلة ؛ مدينة الأمبراطرة ، وكرسيّ السلاطين . أفي كلّ يومٍ نكبةٌ تروعها ، وفي كلّ ساعةٍ كارثة تساق اليها ؟ بنوها يتآمرون على بنيها ؛ وشعوبها تقاتل الشعوب دفاعاً عنها . لوّثوا محاسنها بالدمِ المسفوك على مذابح المطامع والأنانية ؛ ضجّت الأرض لهول ما تلقاهُ من فظائع حربهم ، واتخمت ذئابُ الفلاةِ من اشلاء قتلاهم !

رويداً أيها الدهر ! هل أتعب مرورُ الأجيالِ كاهل بيزنطية ؟

خذ بيدها ! ان أنقاضها تحرّكُ تحت فروق ! !

مدنية المصريين الأقدمين

نقتطف الصفحات التالية من كتاب في « تاريخ مصر القديم والحديث [١] » لحضرة الكاتبة الفاضلة السيدة هند كريمة سعادة اسكندر عمون بك المحامي الشهير. وقد بحثت حضرتها بحثاً دقيقاً في مدنية مصر، في أزمنتها الأولى، فتكلمت عن الديانة والشرائع والعلوم والآداب والصنائع والكتابة كلاماً كثير الفائدة ولكننا اقتصرنا على نقل ما ورد فيه عن ديانة المصريين وشرائعهم. قالت:

سبق قدماء المصريين شعوبَ العالم قاطبةً في مضمار التمدُّن والترقي، وأدركوا من العلوم والمعارف والآداب مالم تبلغ اليهِ أُمةٌ في تلك الأعصر الخوالي، حتى انه ليصحُّ ان تُعدَّ المدَنيةُ المصرية أماً لمدَنيات شعوبٍ كثيرة أخذت عنها واقتدت بها. وقد خلّف لنا المصريون من الآثار المجيدة ما ينطق بما كانوا عليهِ من التقدُّم الأدبي والمادي والصناعي؛ ولا يزال علماء العاديات يكتشفون في أيامنا هذهِ أدلةً على ازدهار المدَنية المصرية القديمة. وفي ما يلي شيءٌ مما كانت عليهِ حالةُ مصر الدينية والأدبية والمادية:

الديانة المصرية — كان قدماء المصريين من أشدّ الأمم تمسكاً بالدّين؛ يدلُّ على ذلك المعابد والهياكل الكثيرة التي لا يزالُ معظمها قائماً حتى يومنا. وأصلُ دينهم مجهول، ولعلهم أتوا بهِ من آسيا عندما هاجروا منها الى مصر. وكانوا في بداية أمرهم موحدين يؤمنون باللهِ واحدٍ أزليّ مبدع الأرض والسماء، تعجز العقول عن إدراك جوهرهِ. ثم أخذوا

(١) يطبع اليوم في مطبعة المعارف بمصر

يعبدون ذلك الالهَ في مظاهرهِ المتعدّدة؛ فرمزوا الى كل صفة من صفاتهِ بتمثالٍ أو حيوانٍ أو نباتٍ أو غيرِ ذلك؛ فأدّى بهم هذا الى الشركِ والوثنية؛ وقسموا الآلهة الى ثلاث طوائف: آلهة الموتى، والآلهة الشمسية، وآلهة العناصر. ومن أعظم آلهة الموتى «أوزيريس» إلهُ الخير ورمزُهُ النيل، و «وإيزيس» إلاهة الخصب والحياة ورمزُها التربةُ السوداء، و «أنوبيس» حافظ الموتى ورمزُهُ ابن آوى. ومن أعظم الآلهة الشمسية «رع» الالهُ الاكبر ورمزهُ الشمس، و «تم» إلاهة الغروب ورمزها العجل منيفس. أما آلهة العناصر فأعظمها «نو» إلهُ الماء ورمزُهُ المحيط، «وتيفون» إلهُ الشر والفاقة ورمزُهُ الصحراء. وقد تختلف اسماء هذهِ الآلهة باختلاف الاعصر والأماكن التي عُبدت فيها. وكان قدماء المصريين يعتقدون أن آلهتهم تتزاوج، وتتألم، وتموت، وترعى حقوق الجوار، وتأكل وتشرب، فكانوا يقرّبون لها القرابين والضحايا من الحيوان والحبوب والأثمار. وكانوا يعتقدون أيضاً أن مقام الإلهِ بالنسبة الى سائر الالهة هو مقام البلد المعبود فيهِ بالنسبة الى سائر البلدان؛ فعندما سيطرت طيبة مثلاً على وادي النيل، جعلت إلهها أمون سيداً لجميع الآلهة. ولما دالت دولتها، أصبح أمون في المرتبة الثانية بين الآلهة. ومن أشهر الرموز التي أُلّهت وعبدت ابن آوى رمز أنوبيس، والعجل «أبيس» والجُعَل وكلاهما رمز «فتاح» وغيرها من الحيوانات كالقرد والهرّ والتمساح وفرس الماء والبازي والجعَل أي الجعران. وكانوا يعبدون العجل مدة ٢٥ سنة فاذا لم يمت بعد هذهِ المدة أخذوهُ في مهرجان عظيم

وأغرقوهُ في النيل ، ثم أخرجوهُ وحنَّطوهُ ودفنوهُ في مدفن العجول بقرب سقارة ولبسوا عليهِ شعائر الحداد الى أن ينتقوا لهم عجلاً آخر يعبدونهُ

وكانوا يحزنون حزناً شديداً عند هبوط منسوب النيل ويقدمون لهُ القرابين استرضاءً . وفي إبّان فيضانهِ كانوا يطرحون فيهِ فتاة عذراء يسمونها « عروس النيل » وقد بقيت هذهِ العادة متبعة حتى نسخها عمرو بن العاص لدُن فتح مصر . وعيد وفاء النيل من المواسم التي يحتفل بها حتى اليوم في البلاد

ولما دخل مصر اليونانيون ثم الرومانيون أخذ كل فريق عن الآخر بعض معبوداتهِ ؛ وصار المصريون يؤمنون بوحي أپولّون ومينرڤا وديانا وجوپيتر (المشتري) ومارس . ثم ظهرت النصرانية وانتشرت في العالم فاعتنقها فريق من المصريين . وظلت تنتشر في البلاد حتى أصبحت دينها الرسمي ، واضمحلت الوثنية في مصر بنهي طيودوسيوس عنها . وفي سنة ٦٤١ فتح عمرو بن العاص مصر فدخلها معهُ الاسلام

وقد اعتقد قدماء المصريين بالخلود والثواب والعقاب . وكان الإلهُ الديان اوزيريس ، وكانت مملكتهُ اولاً في بطائح الدلتا . فلما ضاقت برعاياهُ نقلهم منها الى السماء ، وسمّى مملكتهُ الجديدة « حقول الفول » إشارة الى خصبها . وكان قومهُ هناك متمتعين بالسعادة التامة والملذات على اختلاف أنواعها ، يطوفون مع الإله « الشمس » في زورقهِ ولا ينالهم أذًى . ولم يكن يتمكن من الوصول الى مملكة الاموات هذهِ الاَّ من حنّطهُ قومهُ وأقاموا له بعض الطقوس الدينية . فمن تمَّ لهُ ذلك بُعث من

قبرهِ وسافر الى حقول الفول ، فان كان عاقلاً شجاعاً تغلب على ما يلاقيهِ من المصاعب ، وبلغ سالماً مملكة الاموات حيث يمثل بحضرة الديّان أوزيريس وأعضاء مجلسهِ الاثنين والاربعين . فيسمع المجلس اعترافهُ ، ثم يزن الإلهُ « توت » قلبهُ بميزان الحق ، فان كان صالحاً أجازوا لهُ الاقامة معهم والا حكموا عليهِ بالنفي المؤبد والتعذيب الأليم . وكان الماثل بحضرة الديان ينفي عن نفسهِ اولاً ارتكاب المحرّمات ، فيقول : «لم أُعذّب الارملة ، ولم أخدع أحداً ، ولم اكذب قط ، ولم أعبث بالحق ، ولم أعرف الخيانة ولا الكسل ولا التعجرف ، ولم أُدنس الاشياء المقدسة ، ولم أسعَ الى ضرر العبد لدى مولاهُ ، ولم أُجوّع أحداً ، ولم أُبكِ أحداً ، ولم افتك بأحد غدراً أو ظلماً ، ولم أحمل أحداً على ارتكاب جريمة القتل ، ولم أحمّل العامل فوق طاقتهِ ، ولم أغتصب اللبن من فم الرضيع ، ولم أشهد زوراً ، ولم أسرق خبز المعابد ، ولم أُحرز مالاً حراماً الخ »

ثم يعدّد بعد ذلك الحسنات التي أتاها فيقول : «لقد عشت بالعدل ، وتغذيت بالحق ، ونشرتُ الافراح في كل صوب ، وأطعمتُ الجياع ، وسقيتُ العطاش ، وكسوتُ العراة ، ومددتُ للغرقى يد النجاة »

شرائع المصريين وآدابهم — من أمعن النظر في الذنوب والآثام التي تتنصل منها الموتى وفي الصالحات التي تدّعيها يوم المعاد ، أدرك ما كان عليهِ المصريون من الاخلاق الراقية والمناقب الحميدة . وقد عثر الباحثون في الآثار المصرية على كتابات عن شرائع المصريين وآدابهم نقتطف منها ما يلي :

كان يُعاقَب بالقتل كلٌّ من يحلف يميناً كاذبة أو يحنث بيمينهِ ؛ ومن يرى رجلاً يعتدي عليهِ معتدٍ ولا يغيثهُ وهو قادرٌ على ذلك ؛ فان لم يقدر ولم يرفع أمر المعتدي الى أولياء الأمر عوقب بالجلد ومنع عنهُ الطعام ثلاثة أيام . ويُعاقب بالقتل أيضاً كل من يرفع الى قاضٍ وثيقةً كاذبة ؛ ومن يقتل عمداً سواء كان المقتول عبداً أو حرّاً ؛ وكذلك من يقتل حيواناً مقدساً

وكان يعاقَب بقطع اللسان كل من يُفشي أسرار الحكومة للاعداء ؛ ومن لم يكن لهُ عملٌ او حرفة يحترفها لتحصيل رزقهِ ؛

ومن شرائعهم ايضاً ان ناكر الدَّين يُصدَّق بيمينهِ اذا لم يكن عند المدَّعي سندٌ يؤيد دعواهُ ؛ وان للدائن حقاً على ممتلكات المدين لا على شخصهِ ، فلا يجوز للدائن ان يسجن المدين او يمسَّهُ بأذى لانهُ تابع لوطنهِ يخدمهُ في الحرب والسلم

ولم يكن يجوز لاحدٍ ان يحترف حرفةً غير حرفة أبيهِ فكانوا بذلك يتوارثون الصنائع والحرف

وكانت المرأة المصرية حرة كنسائنا اليوم ، نصيبها من الارث نصيب الرجل ، وقد أباح لها شرعهم ان تتصرف بارثها بعد زواجها كيف شاءت ، ولقبوها وهي مزوجة « بسيدة البيت »

هند عمون

انتقام النسيم

من أرباب النظيم

لسعادة سليم بك عنحوري الدمشقي شهرة واسعة في الأدب . فهو شاعر قدير وكاتب مجيد ، وله من الآثار في هاتين الصناعتين ما تناقلته المجلات والصحف العربية من كل مكان . وقد أراد حضرته — وهو نزيل مصر اليوم — ألاَّ يحرم الزهور من نفثاته ، فبعث اليها بالمقال التالي ، قال :

لستُ أدري وأبيك ما سرُّ هذه الصحبة القديمة القائمة بين الشعراء والنسيم منذ عهد امرىء القيس فآتياً ، ولا ماهيـة تلك العلاقة الرابطة بين هذه النسمات الرقيقة ، وبين رصفائي امراء الكلام ، فانه لم يكفهم ، وهم أرباب الذوق ، وسادة اللطف ، بل هم وحدهم «الناس» على مذهب شاعر الامير الذي يقول :

جاذبتني ثوبي العصيَّ وقالت   أنتم الناس ايهـا الشعراء

أنهم يتنسمون النفحات الهابة من مواطن الاحبة ، فيتبردون بانفاسها التي توليهم طيباً ، وهم يكسبونها من زفراتهم المتوهجة بالوجد شرراً ولهيباً . ولم يرضهم ان يتخذوا النسيم بريداً ورسولاً يحملونه السلام ، ويستقضونه لبانات الغرام ، وهم يكلمونهُ بصيغة الأمر كانهُ بعض الخدَّام كما فعل صاحبنا ابن زيدون في قولهِ يتغزل بولاَّدة الاندلس

ويا نسيم الصبا « بلّغ » تحيتنا   من لو على البعد حيًّا كان يُحيينا

بل يعرّضونه بسبب هذه الرسائل السمجة للخزي والطرد والحجاب كما فعل ابن ماني ، بحسب اقراره عن نفسه اذ قال :

حجبوها عن الرياح لأني . قلتُ يا ريح بلّغيها السلاما
لو رضوا بالحجابِ هانَ ولكن منعوها عند الوداع الكلاما

فانهُ لولا رسالتهُ تلك ما حجب الرياح أحد عن الاستمتاع بملامسة ذلك المحيَّا الفتان ، ولم يقنعهم انهم يبثّون تلك النسمات الشكوى ، فتقاسمهم البلوى ، وتشاطرهم الكمد ، وتعتلّ لاعتلالهم ، وترثي لحالهم ، كما جرى لابن هاني القائل :

ومرَّ بيَ النسيمُ فرَقَّ حتى كأني قد شكوتُ اليه ما بي

اي نعم ، لم يكفهم ولم يغنِهم كل هذا حتى زادوا — على ما اشتهر من رقتهم — غلظةً ، وتمادوا بفضولهم حرصاً وأنانية ، فطفقوا يسومون تلكم النفحات الطيّبات حملَ ما تتقاصر دونهُ هممُ الرجال وتنوءِ ببعضهِ قلل الجبال . فقد زيّن ، للوزير مجد الدين الطغرائي ، الغرورُ بما نال من شرف الوزارة ، مضافاً الى مزية اللسن ، وحلاوة النظم ، وشدة العارضة ، أن يسخّر الريح التي يلوح من تضاعيف كلامهِ انهُ طالما استخدمها في قضاء أغراضهِ الغرامية ، وحاجات نفسهِ السرية ، بأن تقيم بين الاصداغ والطرر وتشوشها ، وتنتهز الفضلات ، وتحين الفرص لتحوم حول الثغور وتقبّلها . ثم تسلك بين الأجسام والغلائل ، وتستبضع من ذلك الحانوت الحافل بكل شائقٍ رائق ، ما يطيب بهِ خاطر الوزير ، وترفرف عليهِ أمانيهُ ، ثم تأتيهِ على مهلٍ ، مستترة بأجنحة الليل الهادي ، فتنبههُ من نومهِ اللذيذ الهنيء وتنتفض عليهِ انتفاضاً ، لعل نفحة الطيب المستمدة من ذلك البدن الخصيب الرطيب تقضي لبانات فؤادهِ المعنى الكئيب . وان كنت ،

أيهذا القارئ اللبيب ، في شكٍّ مما أقول توهماً منك أن رجلاً كالطغرائي الذي يقول

أصالة الرأي صانتني عن الخطَلِ وحلية الفضل حلّتني لدى العطلِ

لهو أعقل وأدهى وأمتن وأرصن من أن يسترسل الى مثل هذا الهذر والفضول ، فاليك أبياتهُ بحرفها الواحد تقرأها فتزداد يقيناً :

بالله يا ريح ان مُكّنتِ ثانيةً من صدغهِ فاقيمي فيهِ واستتري

وراقبي غفلةً منه لتنتهزي لي فرصةً وتعودي منه بالظفرِ

وباكري ورد عذبٍ من مقبّلهِ مقابل الطعم بين الطيب والخصرِ

ولا تمسّي عذاريهِ فتفتضحي بنفحة المسكِ بين الوردِ والصدرِ

وان قدرتِ على تشويش طرّتهِ فشوّشيها ولا تبقي ولا تذري

ثم اسلكي بين برديهِ على مهلٍ واستبضعي واثني منهُ على قدرِ

ونبهيني دون القوم وانتفضي عليّ والليل في شكٍّ من السحرِ

لعلّ نفحة طيب منكِ نائبةٌ تقضي لبانة قلب عاقر الوطرِ

ولقد صار — جنابهُ العالي — مثالاً حسناً جرى عليهِ بعدهُ كثيرون، وفي جملتهم المرحوم فرنسيس مراش الحلبي . بل زاد هذا على طنبوره نغمة اخرى اذ قال :

نسيم الصبَّا ان سرتِ بين نهودها خذي ليَ عرفَ الياسمين وعرّجي

وان ترفعي ذاك اللثامَ فتلثمي لماها فباللهِ اذكري قلبيَ الشجي

ومن العجيبِ أنّ أحد هؤلاء المتنطسين تمادى في تحامله ، وزاد في غلوائهِ ، حتى أتهم تلك النسماتِ الطيبات بارتكاب الجنايات اذ قال :

خطراتُ النسيم تجرحُ خدَّيـ ـهِ ولمسُ الحرير يُدمي بنانَهْ

كأنَّ الرياح ذات سيوفٍ ورماح ، تجرح من تحبُّ ، وتقتل من تريد بلا حساب ، وما عليها من جناح . بل أضاف بعضهم على ذلك فحسبها ممن يحبلنَ ويلدنَ فقال :

قد رقَّ حتى خلتُهُ بحشى النسيم تخلَّقا

فهل سمعت بربّك أو رأيت مثل هذه الصقاعة والرقاعة ؟ ؟ ؟

والانكى من كل هذا أن تلك الحالة على بردها وثقلها ، وانتقادنا الشديد على أصحابها ، قد لجّ بنا داعي التقليد والحرص على التحدي ، أن نتلبس بها ، ونزاولها فقلنا ، ونحن نتوب الى الله من هذه الوصمة :

يا نسيماً يأوي الغداة جِنانا حُورها العِيْن يستلبنَ الجَنانا
مازَجتْهُ أجسامنـا وهي قَتلى فاستردَّت أرواحها موتانا
وسرى في مسامّ صرعى الغواني فاغتدى الكلُّ ناشطاً جذلانا
هل تموَّجتَ فوق سوسَن خدٍّ ضمّ ورداً يجاور الاقحوانا
او لمست النسرينَ حول جبينٍ ألبستـهُ ألبابنـا التيجانا
او تسللتَ بين بُردٍ ونهـدٍ فوق صدرٍ رمَّانهُ قد رمانا
اوتطرَّقتَ الاعضاد تمشي الهوينا وحللتَ العروش والايوانا
وسرقتَ الشذا المعطّرَ منهـا وانتشقتَ الخزام والسيسبانا
وأتيتَ الرفاقَ تختـال عُجباً ثملاً من أنفاسها نشوانا
تتهادى ما بين نفحٍ وطيبٍ صيَّر العقل صاحياً سكرانا ؟
اي وربّي فعلتَ هـذا والاّ من تراه أولاك ما أحيانا ؟

ثم انظر ناشدتك الله الى التحكم البـادئ من شاعرٍ آخر يخاطب نسيماً جاءهُ من نجد :

ألا يا صبا نجدٍ متى جئتَ من نجدِ لقد زدتني والله وجداً على وجدِ

ومَن تراهُ خوَّل الشعراء هذا الحق فيسألون النسيم كيف راح ، ومتى جاء ، ثم يقترحون عليهِ أموراً ، ويتهمونهُ بأمور ، ويعنتونهُ اعناتاً طالما شكا الى الله منهُ في هذا العصر ، عصر الحرية والنور ، وهم عنهُ متغافلون ، وفي طغيانهم مستدرجون . وهل يعجب أهل مصر بعد هذا اليوم — وهي كعبة الشعراء ومنبت البلغاء — أن يأتيهم النسيم في شهر افريل (نيسان) سموماً ، لا بارداً ولا كريماً ، فيجعل جناتهم جحيماً ، وماء نيلهم حميماً ، وهو موتور من أهل النظام ، مظلوم يطلب الانتقام ؟ ؟

سليم عنحوري

أقوال في المرأة

« المرأة اكمل المخلوقات » كنفوشيوس

« المرأة تعلّمنا الظرف والأدب » ڤولتير

« ليس لروايات شكسبير أبطال بل بطلات » رسكن

« المرأة أفقدتنا الفردوس وهي وحدها قادرة ان تعيدنا اليهِ » هوتير

« تكون المرأةُ على اكملها عند ما تكون على أتمها تأنثاً » غلادستون

« المرأة آخر من بقي عند الصليب ، وأول من أسرع الى القبر » باريت

« المرأة الجميلة جوهرة . والمرأة العاقلة كنز » سندي

« تجد المرأة في بدء كل شيء » دمرتين

« أعذبُ ما في الحياةِ تحية الزوجة المحبة » ولز

« أيُّ شِعرٍ يفوق عيني المرأة في السحر » شكسبير

« ان السماء لا تعرف شيئاً أرقَّ من قلب المرأة الذي تسكنهُ الشفقة » لوثير

الأدب في العراق

﴿ السيد محمد سعيد حبّوبي العراقي ﴾

ولد في النجف ، وبها نشأ وحصل . وقضى شطراً من شبيبته في بلاد نجد حيث تشتغل أسرته بالتجارة . ثم هو اليوم في النجف يعد في صدور العلماء المجتهدين ، وعمره ستون سنة ونيف

تأثير الاقليم — للإقليم ولنوع المعيشة أثر كبير في تكوين أخلاق الانسان وملكاتهِ النفسية . واذا التفتنا الى من نترجم اليوم رأينا الشاهد على ذلك . الوسط الذي وُجد فيـهِ الرجل ، أول ما وُجد ، كان مباءة علمٍ وأدبٍ وشعور ، والسماء التي رمقها ، أول ما رمق ، وضّاءة جميلة . الحرارة شديدة الوقع ، ولون النور ناصع بياضه . فأهلّهُ ذلك ، فوق ما في فطرتهِ من الاستعداد ، لأن يكون ملك الشعر والشعور ، وربَّ الفصاحة والبلاغة ، الساحر بيانه ، الفاتن عيانهُ

ولم يكن ذلك كلّ ما جعل الرجل كذلك ؛ بل انه وُجد في مهد البساطة ، وتمكنت من نفسه آداب الفطرة الصحيحة ، فصفا ذهنهُ ، واتّقد خاطرهُ ؛ وقد انتشق نسيم بلاد العرب الجافّ المعتدلة حرارته ، وشاهد الأودية والجبال والشعاب النضرة ، فانعكست في لوح باطنهِ صوَر تلك المشاهدات الغريبة ، وطالع رياض الجزيرة وأرباضها ، فأجال طرفه هناك في بساتين الطبيعة العامرة ؛ هناك في موطن الحب والعواطف ، موطن الدموع ، وفي مهبط الشعر والعشق والحياة الخفيفة

الهنية ، وفي محطّ رحال الكَلَف والهيام ، والضلال والحيرة

في النجف وُلد ، وفي نجدٍ والحجاز وُجد ؛ فجاء آيةً في الشعراء الحقيقيين الذين لم يوجدوا الاّ ليكونوا أمثلة للروح الإلهية المقدسة ، وأشباحاً للنفس الملكوتية الطاهرة . اولئك هم أنوار العالم ، وهم متمّمو نقصان الوجود

كلمة في شعره — فسدت معاني الشعر العربيّ ، قبل فساد ألفاظه ، بزمنٍ طويلٍ عهدهُ ، فخرج بالشعر كثير من ذوي القرائح عن غايتهِ ، وانقلبوا خرّاصين قوّالين ما لا يفعلون ، غالينَ في المدح ، وتأليهِ العظماء ، واكبارِ الجبّارين . وقد اكتسبهم بالمال عشّاق الشهرة والمجد الباطلَين ، فأفسدوا فطرتهم . على انه لم تخلُ تلك الفتَرات من نبيٍّ للشعراء يرسل كأبي العلاء ابن المعرّة . وقد كانت ألفاظ ذلك الشعر عامرةً على فساد معانيه . ثم جاء دور الألفاظ فأفسدها ابن نباتة والقيراطي وابن حُجة والصفدي والحلّي صفي الدين ، بصناعتهم اللفظية ؛ فعاد الشعر العربي ، من جهة المعاني ، مدحاً ورثاءً كلهما كذب واغراق ، ومن جهة الألفاظ ، كلماتٍ مهملة أو معجمة ، يتأمل كيف يضع الشاعر بعضها الى بعض ، أو كيف يقابل بعضها ببعض ، ناسياً ان ليس الشعر الاّ لحناً جميلاً تؤلفهُ الأرواح الشاعرة ، أو أنهُ ليس الاّ روحاً تبعثها ألحان الضمائر ، وهي منقطعة الى مناجاة الله والطبيعة

ويمتاز شعرُ مَن نحن بصددهِ ، برجوعهِ الى حقيقة الشعر في الاكثر إن من جهة الألفاظ ، وإن من جهة المعاني . أما الألفاظ فانها السهلة

الجزلة ، تجمع الى الرقة المتانة ، ونظمها يحوز الى فخامة التأليف ، وجلال التركيب ، جمال الأساليب . وأما معانيه فانها في الأغلب وصفٌ وتصوير ، وتجسيمٌ للخواطر ، ونعت الطبيعة ، ولهجة شديدة في العشق ، وفي الحب والأحباب . واذا تصفحتَ مجموع شعره رأيتَ سفرَ دموعٍ وعواطف ، ووجدت ثمة ديانة الشعراء ، وأهازيج الأرواح ، وتهليلاً وتسبيحاً يتصاعد من عالم النفس ، الى عالم الحس ؛ ويشهد على سلوكه ومذهبه في المحبة الخالصة مثلُ قوله :

والحبّ من دون البريةِ كلّها   ديني الذي وشجتْ عليهِ عروقي

وقوله :

اني اتخذتُ هواهمُ حَسَباً   أُعزى اليهِ ، وحبّهم شَرعا

وقوله في موشح :

ليت دين الحبّ لما عرَفا   لم تقُم بيعتُهُ في عُنُقي

وقوله :

لستُ أنسى عهدكَ الماضي وانْ   مرَّ بالعينِ خيالاً لستُ أنسى
طفتُ سَبعاً حولَ مغناكَ كما   قمتُ أقضي الصلواتِ الخمسَ خمسا

فها أنت ترى نوعاً من عبادة السالكين الذين تجردوا عن الاتصال بالمادّة ، وأصبحوا أرواحاً محصنة حائمة حول سراج الحقيقة ، حيامَ الفراش على النار . ولماذا تودّ اللحاق بالحقيقة ؟ ؛ لأنها للحقيقة خلقت ، ومن الحقيقة بدأت ، والى الحقيقة تعود

ولست أدري ماذا كان يلمُّ بهذا الشاعر حين ينقطع الى التأمل في

جمال الطبيعة ؛ أكانت الطبيعة تنقطع الى شهوده ، فتجدهُ مظهراً من مظاهرها الجميلة ، وتكاشفهُ ، فتفيض أسرارها الغامضة على لسانه ؟ بلى ! وانهُ لسانٌ ناطق للطبيعة ، فقد كان مرأى الأزهار يؤثر فيهِ ، وخطرانُ الغصون الميس يعبث بلبّه ، فيحملهُ على أن يقول :

يا بانة الجزعِ ، لا والنازلين بهِ ، ... ما كنتِ عارفةً لولاهمُ الهيفا

ويقول :

مالتْ فقلتُ لها يا بانةُ اعتدلي ... وأن جُبلتِ على التعطافِ والميَلِ

ويقول :

وذكرت في ذي البان ميسَ قدودهم ... فطفقتُ من شغفٍ أضمّ غصونَهُ

ويظهر من لهجتهِ في شعره ، انهُ كان شديد التمسك بمبدإِ (الحب) تمسكاً يمثل له أن الهلاك والحيرة منجاة وهدًى فيهِ ، وان طغيانه عليهِ عدل وانصاف تلزم معهما الطاعة . فتراه يقول :

منَح الصبابةَ أضلُعاً وفؤادا ... وعصتهُ سلوة مُقصرٍ فتمادى
وطغى عليهِ الحبُّ وهو أميرُه ... فأطاعَ جامح قلبه وانقادا

وربما أصيب ، كدأب الحائرين من هذه الطائفة المعذبة ، بمن لا عاطفة ، بل لا قلب له ، فيطعن في سلوكهِ ، فيضطر ان يواجه هؤلاء بمثل قوله :

يا عاذليَّ في الهوى تورّعوا ... واطَّرِحوا نفسي ومَن تيّمها
قالوا الغرام مهلكٌ قلتُ لهم ... ما عيشتي ان لم اكن مغرمَا

وقوله :

يا لائميَّ اليومَ في حُبّهِ ... مهلاً فما شانكما شاني

هاموا هيامي فيكَ لو أنهم قد عرفوا مَعناكَ عُرفاني

شعره — وقد آن لنا ان نثبت شيئاً من شعره ؛ فهو الذي يقول :

لُح كوكباً ، وامشِ غصناً ، والتفتْ رِيما فإنْ عداكَ اسمُها لم تعدكَ السيما
وجهاً أغرَّ وجيداً زانهُ جيدُهُ وقامةً تخجلُ الخطّيَّ تقويما
يا مَن تجلَّ عن التمثيلِ صورتهُ لأنتَ مثَّلتَ روحَ الحسنِ تجسيما
لو أبصرتك النصارى في كنائسها مُصوَّراً رَبَّمتْ فيكَ الأقانيما
نطقتُ بالشعر سحراً فيكَ حين غدا هاروتُ طرفكَ ينشي السحرَ تعليما
اذا سفرتَ تولّى المتقي صنماً وان نظرتَ توقّى الضيغمُ الريما
من لي بألمى ، نعيمي بالعذاب بهِ ، والحبُّ أن تجد التعذيبَ تنعيما
ألقى الوشاحَ على خصرٍ توهَّمهُ وكيف وشّحَ بالمرئيِّ موهوما
أشيمُ برقَ ثناياه فيوهمني تألّق البرقِ نجديًّا اذا شيما
يا نازلي الرمل من نجدٍ أُحبكمُ وإن هجرتم ففيما هجركم فيما
هل توردونَ ظماءً عذبَ مائكمُ أم تُصدرون الأماني حُوَّماً هيما
لي بَينكم ، لا أطالَ اللهُ بينكمُ ، غضيضُ طرفٍ يردُّ الطرف مسجوما
أنا رضيعُ هواهُ منذ نشأتهِ ونشأني لن تروني عنهُ مفطوما
يا جائراً وعلى عمدٍ أحكّمهُ أعدلْ وجُرْ بالذي ولاّكَ تحكيما
حرَّمتَ وصلي كما حلَّلتَ مقتلتي صدَّقتُ شرعكَ تحليلاً وتحريما

ولهُ :

دموعي وهيَ حمرٌ مُرسَلاتٌ وشت بي عند أهلِكَ لا الوشاة
أتنكرُ يا أخا القمرين لثمي وفي شفتيكَ من شفتي سِماتُ
فلو نزعتْ لحاظُك عن قسيٍّ لما اختارتْ سواهنَّ الرماة

فسلْ كبدي في كبدي سهامٌ ... بأهدابِ الجفونِ مريّشاتُ
وسلْ عطفيكَ كم طعنا فؤادي ... اذا علمتْ بموقعها القناةُ
أتحكي السمرُ قدّكَ باعتدالٍ ... وما ثُقّفتَ وهيَ مثقّفاتُ

وله :

يا غزالَ الحِمى ، وقلتُ غزالاً ، ... حين أبصرتُ في ضلوعي كناسا
حسبوا غنجَ مقلتيكَ نعاساً ... ومن الغنج ما يكونُ نُعاسا
مَن كسا خدّكَ الشقيقَ كساني ... من بَهارِ الضنّا عليكَ لباسا
فاسقني، لاعطشتَ ، ثغراً وريقاً ... يومَ تسقي النديمَ خمراً وكاسا
وارعَ لي ذمةً لديكَ وعهدًا ... يومَ تنسى العهودَ أو تتناسى
هبْ جميع الورى أحبّتك حبي ... غير أني قاسيتُ ما لا يقاسى

وله :

خطرتْ لجدٌ وشاحُها بخفوقِ ... فكأنها اتشحتْ بقلب مشوقِ
وعلى الدلالِ تماسكتْ فتلاعبتْ ... كفُّ الصبى بقوامها الممشوقِ
شربتْ بوجنتها دمي واستخدمتْ ... لخضاب أنملها دَمَ الراووقِ
قمنَ الولائدُ اذ نهبَّ من الكرى ... من حولِ واضحةٍ كنارِ فريقِ
قرَّبنَ قضبانَ الأراكِ فجلّلتْ ... بَرَداً تُقيّدُه لثاتُ عقيقِ
وضفرنَ جثلاً من أثيثٍ عتا كلٍ ... نُضّدنَ فوق المتن نضدَ عذوقِ
الحسنُ حوزتُها ولكن غيرُها ... بالمستعار أتى أوِ المسروقِ
والحبّ من دون البريةِ كلّها ... ديني الذي وشجت عليهِ عروقي
يا أسمَ جادكم السحابُ اذا سرى ... متجلّلاً برواعدٍ وبروقِ
جون اذا احتلب المهبّ ضروعهُ ... هدرتْ رواعدُهُ هدير فنيقِ
اني وثقتُ بحبكم فتكاثرت ... عللٌ تُملّلهُ فقلّ وثوقي

وله :

شمس الحميّا تجلّت في يَدِ الساقي فشعَّ ضوءُ سناها بين آفاقِ
سترتُها بفمي كي لا تنمَّ بنا فأجّجت شعلةً ما بين آماقي
خُذْها كواكبَ اكوابٍ ويشفعُها ما يجتني الطرفُ من أقداحِ أحداقِ
وبتُّ أُسقى وباتتْ وهيَ ساقيتي نحسو الكؤوسَ ونسقي الأرض بالباقي
ضممتُها فتثنّت وهي قائلةٌ بالغنج مهلاً لقد كثّرتَ أطواقي
مسودّةُ الشعرِ لولا ضوءُ غُرّتِها لما هدتني اليها غيرُ أشواقي
يهدى اليكَ بمرآها ومبسمِها جمال يوسف في الحانِ اسحاق

وقال :

للهِ يومَ وداعِهم من عُصبةٍ وقفتْ وقد سَرتِ الجمالُ وخادا
وَقفتْ بهم أقدامُهم ان يركضوا أثرَ النياقِ فأركضوا الأكبادا
فوق الركائبِ أنجمٌ لا تجتلى ورياضُ حسنٍ تمنعُ الرُّوادا
عَربٌ ، معاطفُ غيدِهم ورماحهم سيّانِ ، كلٌّ ينثني ميّادا
بعثوا الخيالَ ، وما رقدتُ ، وليتَهم بعثوا اليَّ مع الخيالِ رُقادا
أُحيي الدُّجى أرَقاً كأنَّ نواظري خُلقتْ محاجرها قذًى وسُهادا
بذمامِ ذيّاكَ الغزالِ حشاشةٌ أُسرتْ ولم يَقبل فدًى فتُفادى
يا غارساً بالجزعِ روضةَ حسنِهِ ومخيفَ رائدِها قَناً وصعادا
كنّيتُ عنكَ بمن سواكَ مُوريًّا بهوى سعادَ وما هويتُ سُعادا
أعرضتَ عني وادَّعيتَ مودّتي أرأيتَ إعراضاً يكونُ ودادا
اني لأسترُ عِفتي بخلاعةٍ وأرومُ فيما أنتحيهِ مُرادا
والضدُّ قد يبدو بمظهرِ ضدّهِ أوَ ما ترى نورَ العيونِ سوادا
يا ربعَ لذّاتي ومربعَ جيرتي حيّا معاهدَكَ الغمامُ وجادا

لا أبتغي للوصلِ فيكَ نهـايةً أبداً ولا للعيشِ فيك نَفـادا
لا والذي سَمكَ السمواتِ العُلى وأقامهنَّ وما أقامَ عمـادا
لا أرتضي غيرَ الأكارم معشرًا يوماً ولا غيرَ العراقِ بلادا

وقال :

ومودّعٍ للركب ودَّ بأنهُ لو قد أسالَ عن الفؤادِ شؤونَهُ
لم تقطعِ الاظعان ميلاً في السُرى الاّ وكحّل بالسُهادِ جفونَهُ
قطعتْ بهم سهلَ الغميم وَحزَنهُ فسقى الغميمُ سهولَهُ وحزونَهُ
فترى الدموعَ تخالُها بحراً طمى وترى الحمولَ تخالهنَّ سفينـهُ
يا قلبُ حسبكَ بالغرامِ رهينـةً شطَّ الغريمُ وما قضاكَ ديونهُ
فلأُنهكنَّ القلبَ من حسراتهِ يوم الترحّل او يُجنَّ جنونهُ
قالوا أشابَ البينُ مفرقَ رأسهِ كلاّ ولكن قد أشابَ عيونهُ
وذكرتُ في ذي البان ميسَ قدودِهم فطفقتُ من شغفٍ أضمُّ غصونهُ

وقال :

يا ساكني الزوراءِ حسبُكمُ النَّوى فلقد وهى جلدي بكم وتجلّدي
أمرَضتموني بالبعـادِ وانما أقصى شفائي ان أراكم عُوَّدي
كثرتْ عليَّ النائحاتُ صوارخاً ان لم اكثّرْ في هَواكم حُسَّدي
موَّهتُ عنكِ بلَعلعٍ وبحـاجر ولأنتِ من تلك العبارة مقصدي
فليحلُ بالزوَراء عيشُكِ سائغـاً إني أغصُّ بكلّ عيشٍ أرغـدِ
وليهنِ أعينَكِ الرُّقادُ فانَّ لي عيناً اذا رَقد الملا لم ترقـدِ
إن أسلمتكِ يدُ الغرام فإنني مُلقىً بقبضتهِ أروحُ وأغتـدي

وله من قصيدة :

أجدّكَ علّمني لوصلِكِ حيـلةً فأنتَ الذي علَّمتني الهيَمانا

وهبْ انَّ سمعي قانعٌ بحديثكم ألِلعينِ مَعنىً أو تراكَ عيانا
الى النزوانِ العيسُ تلوي أعنَّةً وهيهاتِ ليست تملكُ النَّزوانا
وليست تشيم البرقَ من أبرقِ الحمى بلى! قد تشمُّ الشيحَ والعلَجانا
فيا أخويَّ المدلجين كليهما اذا جزتما الجرعاء فانتظرانا
ويا صاحبي لا تلوِ عنها مُعرِّجاً هلمَّ لتلقى من نحبُّ كلانا
وقمْ نجتلي النارَ التي قال خابطٌ من الناس حسبي ان رأيتُ دخانا
وان لمعتْ فاقصد لمشرقِ ضوئها وأمَّ شروقَ الضوءِ لا اللمعانا

وله :

وإن أقضي بحبكِ مستهاماً فكم قبلي قضى صبٌّ معنَّى
قضى القيسانِ قبليَ : قيسُ ليلى من الهجرِ الطويلِ وقيسُ لبنى

هذا وقد أثبتُّ كل ما مرَّ اشارة بذكر اديب دقَّ خطرُه ، وتطلَّس أثرُه ، لنبوغه بين قوم لا يحتفون بنابغة ، ولا يحتفلون بنبيل ، فحمله استخفافهم بالشعر وذويه على الاشاحة عنه بوجهه ، ودعاهُ اهتضامهم للادب وأهله ، الى الاضراب عن معاناته ، فانصرف منذ عهدٍ بعيد عن قرض الشعر ، ولولا ذلك لعُدَّ اليوم في صفّ المتفوّقين من غواة هذا الفنّ الجميل ، وقليلٌ ما هم

(النجف) محمد رضا الشبيبي

(الزهور) رأى القراء في شعر الشيخ الحبوبي وفي ما نشرته هذه المجلة سابقاً عن ادباء العراق ان في تلك الاصقاع شعراء مجيدين يذكروننا بأسلافهم فحول شعراء العرب . فنشكر لكاتب هذه المقالة انه عرّف الى ادبائنا اليوم واحداً من هؤلاء الشعراء النابغين

الزهور



المرء روح خفيٌّ لست تنظره   الاَّ بمرآته من هذه الصوَرِ
ان كان ظاهره عنوان باطنه   فهاكمُ عن فؤادي أصدقَ الخبرِ

عبد الحميد الزهراوى

للسيد عبد الحميد افندي الزهراوي شهرة في الادب لا تقلّ عن شهرته في السياسة . ولئن كانت سوريا قد عرفته سياسياً ماهراً ، ومبعوثاً غيوراً على مصلحتها ، فان مصر عرفته من قبل كاتباً مجيداً ، وصحافياً قديراً . على ان شواغل السياسة لم تصرفه عن الكتابة فقد طالما أنشأ المقالات الضافية ، وكتب الفصول الشائقة في جريدته «الحضارة» الغراء . ولقد اغتنمنا فرصة وجوده في هذه الاثناء في مصر ، فسألناه ان يزين بعض صفحات « الزهور » بفصل يكتبه خصيصاً لها ، فتفضل بالمقال التالي ، قال :

رغبتم ، أيّد الله بكم دولة العلم والأدب ، ان أضع بين زهوركم ورقة يتمثل عليها شيء من تفكراتي ، ولو اطلعتم على قلبي ، وعرفتم كم أقدر الزهور حق قدرها ، وكيف أتهيّب ان أضع بينها مثل هذه الورقات ، لما سمحت مكارمكم الأدبية ان تضعوني بين مشكلَين من تلبية هذه الرغبة الشريفة ، والاحجام عنها . أما وقد قضى حظّي ان تخفى عليكم حالي ، مع وضوحها وقوة فراستكم ، فان الاقدام رجح عندي على الاحجام ، وشجعني على ذلك انّ فوضى الأقلام قد تستطيع تعاريجها ان تخفي مثل هذه الورقات فلا تنفذ اليها اعين الحذاق

ولا أكتم عنكم ان ما شغل الأفكار هذه الايام من هبوب عواصف السياسة من الغرب على الشرق ، ومن الشرق بعضه على بعض ، قد حال بيننا وبين مجالات الكتابة ؛ لأن المجال ان كان في السياسة ، فهي قاضية ان ليس كل ما يعلم فيها يقال ، وان كان في الادب ، فمعلوم انه لا محل للموسيقى حين تكون المدافع قائمة بدورها على ابواب البلاد ، وان كان في الفلسفة ، فلها رجال لا أرى اني من طبقتهم ، ولا تسمح نفسي ان تحشر في زمرة الطبقة التي لا تستحق في نظر الناس الاّ ان توسم بالتقليد ؛ فلأجل هذا كله وقفت طويلاً امام تكليف صديقي صاحب الزهور وقفة الحائر ، ثم انطلق لساني يقول : « كيف الخلاص من الزهور »

ولما قلت هذه الكلمة وجدت ضالتي ؛ فان ذهني انتقل الى موضوع يصح ان نسميهُ جليلاً . ذلك ان لاحت لي العلاقة العظمى التي بين البشر والازهار ، ورأيت ان هذا النوع بأجمعه غير مستغنٍ عن الأزهار. فلما

رأيت الناس تربطهم بها هذه الرابطة العظمى ، بحيث لا ينفكّون كلهم عن طلابها ، والخضوع لتجلياتها — لما رأيت هذا المرأى الغريب الذي يقلّ التنبه له ، هان عليّ عدم امكان التخلص والتملص من أمر « الزهور » وسهل عليّ الدخول في موضوع قد يصح ان يأوي الى هذه الرياض لأنه متعلق بالزهور

العلاقة التي بيننا وبين الأزهار :

قلت ان العلاقة بيننا وبينها عظيمة والآن ازيد فأقول : هي عظيمة جداً . وهذا اراه يحتمل شرحاً كثيرا ، وأبدي أسفي على اني لم اجد من الوقت ، ومن تفرّغ الفكر ما استخدمه في هذا الشرح على مقدار ما يحتمل الموضوع ، فانا اكتفي باشارات قليلة فاني لا أخال ان للزهور قرّاء من غير الاذكياء ، واولئك تكفيهم الاشارة

ان العلاقة بيننا وبين الازهار هي علاقة التربية ؛ اي اننا نحن نربّيها وهي تربينا ، وهي مساعدة في حفظ نوعنا ، ونحن مساعدون في حفظ أنواعها . ولما كان من حكمة ذي العناية ان يكون طلبنا لما نحتاج اليه من الاشياء الضرورية بسوائق طبيعية ، وضع فينا سوائق جمة متنوعة بتنوع ما نحتاج اليه ؛ واعظم هذه السوائق « حبّ الجمال » . ووضع سبحانه فيما نحتاج اليه ، ويحتاج الينا ، جواذب جمة متنوعة اعظمها « الجمال »

ففي الازهار قوى تجذبنا ، وفينا قوى تسوقنا الى محبتها . ولست ادري أشاعرة تلك الحبائب بهؤلاء المحبين ، وأتربّينا لجواذب فينا تجذبها ،

وسوائق فينا تسوقهـا الى ذلك ؟ نعم لا أدرى هذا! فأتركه لسبح خيال بعض الفلاسفة . . .

كيف تربينا الأزهار

اما تربية الأزهار إيانا فعلى اساليب شتى ، بعضها شديد الظهور . فمن ذلك : تربيتها أبداننا ؛ ذلك ان قسماً عظيماً من أغذيتنا يتمثل في أهم أدواره زهراً ، ثم ينقلب حبّاً ، او فاكهـةً ، او لباً . ولا ينبغي ان ننسى ان الاعشاب هي الأساس في تربية أبدان جمهور الحيوانات ؛ لأن أوآكل اللحوم منها ، انما تتغذى بلحوم او آكل الأعشاب في الغالب ، ولأنها (أعني أوآكل اللحوم) اذا وجدت في اللحوم غذاءهـا ، لا تجد فيها شفاءها اذا أصابها مرض ، بل تلتمسه في الاعشاب كما ينقله المشاهدون . واذا كانت الاعشاب هي الأساس في التغذية ، ومن الحبوب والفواكه والألباب قسم كبير من الاغذية والادوية ، كان واضحاً معنى تربية الازهار أبداننا

أما تربيتها لأفكارنا وعواطفنا فهذا الذي يحتاج الى الشرح ؛ ولعله يكفي ان نقول : ان أعظم أسباب رقيّ الانسان انما هو « حب الجمال » وان أعظم حامل للواء الجمال هي هذه الازهار التي لا يستطيع أبلغ البلغاء ان يدخل في تفاصيل بهائها وازدهارها وتشكلها بالألوف من الالوان التي يفرق بعضها عن بعض امتيازات في غاية الدقة . فكلما ألف الانسان المزيد من التمتع بجمالها وعني بتربيتها وترتيبها ازداد ذوقه سلامة ، وطبعه لطفاً ، وروحه نشاطاً

وهناك اسلوب آخر من تربيتها ايانا يذوقه الصوفيون ، والفلاسفة الروحيون ؛ فلا نتعرض له ههنا

كيف نربّي الازهار

هذا المطلب من الموضوع نترك بعض جهاته لعلماء الزراعة ، ونأخذ نحن بجهة واحدة منه ؛ وهي أن التقليد الذي يدخل في كل شيء قد دخل ايضاً في تربية الأزهار التي اعتاد الناس ان يزينوا بها حدائق البيوت . ذلك اننا رأينا اكثر الحدائق انما تحتوي على أصناف من الازهار معهودة عند الكل في الغالب ، في حين ان الازهار التي تحتوي عليها أرض الله الواسعة تكاد لا تحصى . وهذا التقليد قد يذكّرنا بجمود اكثر الافكار على ما عرف الاولون ، من غير تأمل ، في ذلك الذي عرفوه خطأً او صواباً ؛ واذا انتقل الفكر من الجمود في تربية الازهار ، الى الجمود في تربية العقول والنفوس ، يرجف القلم ويستعفي من الخوض فيه ؛ فليعذره القارئ اذا أراد ان لا يترك لذة الوقوف مع الزهور ، وقفة الذاكر جميلها وجمالها ، المتعلم من حكمة ارشادات أوضاعها وحالها ؛ وقد تذكرت الآن هذه الحكمة التي تتجلى لي كلما رأيتها تزين الرياض والحدائق ، وهي ان تسبيح بديع الاكوان كلها يكون بالروح والجنان ، كما يكون باللسان ، « وإنْ مِنْ شيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ولكنْ لا تَفقَهُونَ تَسْبِيحَهُم »

عبد الحميد الزهراوى

أي الرجال تفضله النساء

« من كان طويل القامة ، قوي البنية ، جميل الطلعة ، ذا ذكاء لا يباهي به ، لين العريكة ، متسامحاً بالجزئيات ، غيوراً في الحب ، رؤوفاً بالضعيف ، يركن اليه في كل الاحوال ويمكن خداعه احياناً . واني وان كنت أرى صعوبة التعميم في أمور كهذه ، فلا ريب عندي ان اكثر النساء يرغبن في الرجل المتصف بمثل هذه الاخلاق ، وأخالف من قال بأن النساء يملن الى الرجل الذي يستأثر بالسلطة ، وان يكن بعضهن يفضلن الاستبداد على الاهمال ، لأن المستبد شرس الطباع ، مكروه في الغالب »

وردت هذه الجملة في آخر رواية كتبتها آدا ليفرسون ، فلفتت نظر مدير مجلة «الستراند » ، فاتخذها موضوعاً اقترحه على اديبات الانكليز فوردته الاجوبة التاليـة :

لا يصح التعميم في قضية كهذه ؛ فان لكل من الناس في الحب مذهباً ولولا ذلك لساد في الأرض الشقاء . وأنا أوافق السيدة ليفرسون على كره الرجل المستبد ، وحب الرؤوف . أما رأيي الخاص فاني أقدّم الحيطة والرعاية على باقي الصفات ، اذ لا شيء عندي أبغض من الاهمال وعدم الاكتراث . ولستُ أُعلّقَ على المنظر الشخصي كبير أهمية ؛ فاني أعشق في الرجل أخلاقهُ لا أسنانهُ البيض وشاربهُ المفتول

مود أنسلي

ان وصف آدا ليفرسون يصدق بالاجمال على النوع الذي تفضّله النساء . غير انَّ بعضهنَّ يفضّلنَ ذا النفس الكريمة ، ولو كان قبيح الصورة ، والقويَّ على الضعيف . أما المستبدُّ الشكسُ الطباع فلا يُطاق . وقد أصاب «هزلت» في قولهِ : ان المرأة تعشق الرسم الذي اعتادت تصويرهُ في مخيلتها

ادلايد أرنولد

ليس أبغضُ لديَّ من الشاب الجميل . غير اني اشترط في من أحب ان يكون منظرهُ مقبولاً ، ذا عينين لطيفتين ، وذقن تدلُّ على القوَّة ، وان لا يكون

في وجهه ما يدلُّ على الدناءة ؛ يحب الاولاد والكلاب قادراً على استمالتهم اليه . وأُفضّل من زادَ على هذا الذكاء ، وسعة الاطّلاع ، وكرم النفس ، والقوة الحقيقية . فانَّ القويَّ لا يظلِم ولا يستبد . واكرهُ الجبان الغيور . ومن الحكمة ان لا تفحص المرأة عن ماضي رجلها ، وان تثق بهِ كل الثقة

مسز اسكيو

إنّ الاستبدادَ في الرجل كثيراً ما يكون عنوان الضعف ؛ فالمرأة الحكيمة تعرف كيف تحصل على السلطة الحقيقية ، باظهارها الطاعة واللين ، ويمكنها الفوز باكثر رغائبها اذا تظاهرت بعكس ما تروم . أما الرجل الرؤوف الذكيّ ، الثقة ، فهو عطية الآلهة . واني استغرب ممن تفوز ببعلٍ كهذا كيف يخطر لها خداعه في بال

كاترين بايتس

يستحيل على امرأةٍ واحدة ان تجيب على هذا السؤال المهم ؛ فان لكلّ امرأةٍ ميلها . وبصفة كوني عضواً من الجنس اللطيف أجيب : انني أفضّل الرجل الذي ينزع للسلطة ، واكرهُ الرجل الضعيف النفس ، كما تكرهُ الكثيرات منا ضعيف البنية ، واحتقر الرجل البسيط الذي يُخدع . أما الخصال التي لها الميزة عندي فهي الشجاعة والذكاء والمؤاساة وخفّة الروح . وان أضفت اليها دماثة الخلق والكرم بلغت حدّ الكمال

مارجرى بون

ان قلنا إننا نفضّل الرجل الطويل الجميل الذكيَّ القوي ، فلا نضلّ ؛ اذ نكون قد اخترنا أفضل النوع المذكر . ومن منا لا تميل الى الرجل المتسامح في صغائر الأمور ؟ غير اني أرى اللواتي يفضّلنَ محبَّ الاثرة ، على ضلال مبين ؛ فهنَّ يستحسنَّ منهُ مظاهر القوة في زمن الخطبة ، ثم لا يلبثنَ ان يسمينها استبداداً مشيناً بعد الزواج . ومما لا يُعارض فيهِ أنَّ المرأة تحبُّ الغيرة في الرجل ، لأنها لا تريد ان تُشرك فيهِ ولا ان يُشرك فيها . واما من يمكن خداعهُ أحياناً فهذا شرط يستغنى عنهُ لأنَّ الرجل الذي لا تقدر المرأة على خداعهِ لم يولد حتى الآن .

صوفيا كول

ان الزمان الذي كانت تميل المرأة فيهِ الى ذوي السيادة والأثرة من الرجال قد مضى مع الجيل الغابر ، فاننا بنات القرن العشرين نودُّ ان نرى في الرجل العصريّ المجاملة والمروءة التي ينبغي ان تكون بين القوي والضعيف؛ أما اذا وجدت المرأة رجلاً تقدر ان تثق بهِ ثقةً دائمة ، فينبغي ان تخجل من ان تُقدِم على خداعهِ

مسز كرسبيني

ان رأي مسز ليفرسون هو رأيٌ ناضج ناشئ عن خبرةٍ وتدبر . وهذا لا يتم الاَّ لمن قضت في الزواج او العزوبة عقداً طويلاً . اما الفتيات اللواتي يهمهنَّ في الدرجة الأولى ، ما نحن في صددهِ ، فانهنَّ يملنَ مع القلب وليس مع العقل . واني أرى الصفة الفضلى في ما يسمونهُ بالسمر والغزَل ؛ فان كل بنات جنسنا مهما كنَّ متعقلات يُرضيهنَّ من أزواجهنَّ أمور في الحقيقة صغيرة كمثل نظرةٍ او قبلة عند الوداع ، او حديث رقيق ، او لمسة تحبب ، او باقة زهر . والرجل الذي يحسن هذه المجاملات البسيطة تغتفر لهُ المرأة ذنوباً كثيرة . و يسرُّها ان ترى الغيرة فيهِ ما دامت ترى فيهِ آثار الحبّ الصادق اذ لا تقدر المرأة ان تعيش بلا حبيب

ماى ارجنتون

ليس لي رأي خاص في هذه المسئلة سوى اني اعتقد ان جنسنا ينقسم الى قسمين كبيرين : قسم يميل الى التحكُّم ، وقسم يرغب في ان يكون محكوماً . ولكل منهما فئةٌ تقابلهُ من الجنس الآخر . واعتقد ايضاً بالمبدإِ القائل « شبيهُ الشكل منجذبٌ اليهِ » وان شذَّ بعض الأحيان

ألينور غلن

لو عُرض الازواج في السوق كالبرانيط الجديدة ما ترددت النساء في اختيار أجملهم صورةً ، وأطولهم قامةً ، وأقواهم بنيةً . ولكنها ترى في من تحب الكمال ولو كان على عكس ذلك . ومما يدهش أن بعضاً من الرجال الذين تفتتن بهم كثيرات من النساء ، ليسوا على شيءٍ من المواهب الطبيعية . وأنا أحتقر المرأة التي ترضى باستبداد زوجها ، ولا أحب الغيور فهو لا يطاق كرفيق العمر ؛ ومن كان هذا طبعهُ فلا يسهل عليهِ تغييرهُ . واليك ما أفضّلهُ في الرجل : ان يكون محباً

سليم الذوق ، كريم الطباع ، سريع الفهم ، خفيف الروح ، محباً للمجون . فان المجون يخفف أثقال الحياة مسز بنروز

تختلف النساء في الذوق اختلاف الرجال فيه ؛ ومما يقضي بالعجب ان صنفاً من النساء والرجال لا نرى فيه من الميزات ما يكفي بأن يجعله الفائز بالشهرة في الحب . انما السر ان هذا النوع لا يشعر بالحب الحقيقي ؛ وهو ذو العواطف الهادئة ، من اذا رأى امرأةً تعرض عنهُ يقدر ان يظهر لها وكأنهُ يقول « اني أستغني عنكِ أنتِ بكل سهولة » لأن من يهزّهُ الحبُّ الصادق لا يمكنهُ ان يعلق بأكثر من شخصٍ واحدٍ . واذا تصفحتَ التاريخ تجد انَّ الرجال الذين اشتهروا بشدةِ سلطتهم على قلوب النساء ، والنساء اللواتي كنَّ يلعبنَ بقلوب الرجال ، كانوا بلا استثناء ، فاتري العاطفة ، شديدي الأنانية مسز بايلى

أميل الى من كان يرمي الى غرضٍ معلوم في الحياة ، وهو قويٌّ ثابت ؛ من يتكلُ على نفسهِ ، ويقتصر في مظاهراتهِ الحبية على ما يكفي انهُ يُفهِمَ زوجته انهُ يحبها . وأريدهُ طويل الاناة دمثَ الاخلاق ريتا

ان مُعظم النساء يعبد القوة ، ويكرهُ في الرجل التأنُّث . ولذا فلا يهمّ الجمال هذا الفريق ؛ لأن الرجل الجميل يغلُبُ ان يكون معجباً بجمالهِ ، وهو محتقر ومرذول من النساء . ويلذُّ للمرأة ان ترى الغيرة في من تحب ، ولا تكره سلطة الرجل ، وان كانت لا تعترف بذلك جهراً حتى ولا لنفسها مسز ستانلى

كصديقٍ أفضلُ الرجل المجوني الحلو الطباع ، المتوسطَ الذكاء ، من يقدر ان يجعل المرأة تعتقد بأنها أجمل وجهاً ، وأبهج عشرةً ، وأفخر زينةً من كل امرأةٍ سواها ، فتصدّقهُ وترضى عنهُ ولو قال نفسَ الكلام لكثيراتٍ غيرها . ولكن كحبيب وزوج أشتهي المفكّر في غيرهِ الرؤوف الرقيق . مَن يحب الاولاد والحيوانات البكم ومَن يَحسُن الاتكال عليهِ دائماً مود ياردلى

ع ٠ ع

الرسميات

لم يكدْ انتخاب المسيو بوانكاره يَذيع حتى أعلن رغبتهُ في خلع نير الرسميَّات وميله الى حرية المعيشة . فهو يريد أن يؤمَّ هذا المكان ، أو يختلف الى ذلك الموضع بغير عين ولا رقيب . وهو يبتغي ان يثابر على مشاطرة المجمع العلمي الفرنساوي أعمالهُ . وان يتناولَ الطعام عند أصدقائهِ اياَنَ شاءَ دون ان يحاذر لومة لائم على مخالفتهِ لقواعد العادات المرعية في الرسميَّات

إن الرغبة التي أبداها المسيو بوانكاره على أثر انتخابهِ لرئاسة الجمهورية الفرنساوية تدلُّ على عواطف ديموقراطية حقيقية كامنة في صدر ذلك الرجل العظيم الذي أجمعت الكلمة على استحسان انتخابهِ لذلك المنصب الرفيع. وهي لعمر الحق عواطف لا يسع كلَّ ذي عقل سامٍ الاَّ اطراؤها

أجل ان الرسميات المقضي على رئيس الجمهورية الفرنساوية التقيّد بها في هذه الايام، لم تعد معدودةً شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الرسميات الكثيرة التعقيد التي كان العمل جارياً بموجبها في العصور الماضية في قصور ملوك فرنسا . ومع ذلك فان المسيو بوانكاره أنف من الخضوع لها

وهبْ سلّمنا بوجوب العمل بمقتضى قواعد الرسميات في بعض الحفلات التي تقتضي تصدُّر رئيس الجمهورية فيها ، كالأعياد العمومية واستقبال روؤساء الحكومات الاجنبية وسفرائهم ، فلا يمكننا التسليم بضرورة بقاء ذلك الرئيس مقيداً بتلك القواعد في معيشتهِ البيتية

ففي جلسة عقدت في ٢١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٧٩٢ اقترح مانويل ان يقيَّد زعيم الجمعية العمومية بقواعدَ رسمياتٍ تُعيد الى الذهن ذكرى بعض القواعد التي كانت مرعية في عهد الملكية الملغاة . فللحال ارتفعت أصوات الاعتراض على اقتراحه وأُقيم النكير عليهِ بالصوت الحيّ . وكان من جملة مقال تاليان في ذلك الصدد :

« اني ليدهشني تباحثكم في أمر الرسميات . فلا يمكن ان يوضع موضع المناقشة

استشار رئيس الجمعية بميزةٍ خاصة حين لا يكون مزاولاً لأعمال منصبهِ . وهو حين يكون خارج هذه الردهة يعتبر فرداً من جملة أفراد الأمة »

وكأننا بالمسيو بوانكاره يرغب، حين هو لا يزاول أعمال الرئاسة، في ان يكون حرًّا يتصرف في أعماله كفردٍ بسيط من أفراد الأمة . فكأن روح أجدادهِ قد تقمصت فيهِ فدعتهُ الى اجراء ذلك العمل الذي استوجب له الثناء

يرجع أصل الرسميات في فرنسا الى الملك فرنسيس الاول (١٤٩٤–١٥٤٧) وقد كان ملوك فرنسا قبله على غاية من البساطة في معيشتهم . فأراد هذا الملك ان يقتدي بُمناظرهِ العاهل شارل الخامس في الأبهة والعظمة الموروثتين عن أجدادهِ دوقات برغونيا

هذا كان بدء ادخال الرسميات الى بلاط فرنسا . وقد زادها هنري الثالث تعقيداً . وأما هنري الرابع فانهُ بذل المجهود لجعلها بسيطة . وعالج مناوأتها غير مرةٍ . غير ان ماري المديشية زوجتهُ كانت من قوم شديدي الاستمساك بأهداب الرسميات فانتصرت لها ، وزادتها تعقيداً على تعقيد

وكانت الرسميات في بلاط لويس الرابع عشر من أصعب الامور المقضي على الانسان العمل بها . فلم يكن الملك يُجري حركة أو اشارة الاّ ويبادر الى قضاءِ أمره شخص من الاشخاص المعينين لتلك المهمة بموجب قانون الرسميات

فاذا نهض الملك من السرير ، قضت الرسميات على بعض الاشخاص ان ينهضوا باعباءِ خدمتهِ . فهذا يقدّم له قميصهُ ، وذاك سراويلهُ . واذا جلس الى المائدة ، قام على خدمتهِ جمهورٌ من رجال البلاط يقدمون له بالتناوب ألوان الطعام وأنواع الشراب

فكانوا يأتونهُ بالشواءِ في حفلة منظمة ؛ فيسير في المقدمة جنديان يحمل كلٌّ منهما رمحاً على كتفهِ . ويتلوهما خادم يحمل الشواءَ يتبعهُ أربعة من الحراس يحملون البنادق على اكتافهم . وكل ذلك لأجل قطعة من اللحم المشوي . ولو كانت هذه

الحفلة تزيد في لذة الطعام لكانت مغتفرة . ولكنها كانت تذهب بلذتهِ لأن الطعام كان يبرد في اثناء ذلك

وظلت تلك الحفلات الرسمية المستهجنة معمولاً بها حتى اتقدت نيران الفتنة الكبرى فأخذت الملكة ماري انطوانت ، زوجة الملك لويس السادس عشر ، منذ قدومها الى الديار الفرنساوية، تتذمر من تلك الرسميات برسائل كانت تخطها الى والديها . ولما زُجّت في السجن بعد الثورة قالت : « اني استفدتُ شيئاً من الثورة فقد تخلصتُ من الرسميات »

فليحكم القارئ من الحادثة الآتية عما اذا كانت الملكة مصيبة او مخطئة في قولها هذا :

حدث ذات يومٍ من أيام الشتاء أن الملكة ماري انطوانت كانت تغيّر ملابسها وقد تعرّت ، واوشكت ان تلبس قميصها . وكانت عقيلة كامبان قيّمة غرفة الملكة حاملة القميص مطويًّا . فدخلت احدى نساء الشرف ، ونزعت قفازيها ، وتناولت القميص من القيّمة — ولا بدَّ من ان يعلم القارئ ان الرسميات كانت تقضي على كل شخص يقدّم شيئاً ما الى الملك او الملكة بأن يكون عاري اليدين — فأخذت سيدة الشرف القميص وهمت باعطائهِ الى الملكة . واذا بالباب يُحكُّ — وينبغي للقارئ ان يعلم ايضاً انهُ لم يكن يجوز لأحد ان يقرع باب الملك او الملكة ، بل كانت الرسميات تقتضي ان يُحكَّ الباب قبل فتحهِ — فتح الباب ودخلت دوقة اورليان — وهنا تبدو صعوبة أخرى وهي ان قواعد الرسميات كانت تقضي بأنهُ اذا دخل على الملك أميرٌ من الأسرة المالكة ، او دخلت على الملكة أميرة من بيت الملك ، حين يكون الملك او الملكة يلبسان ثيابهما ، كان من حقّ الأمير او الأميرة ان يقوما مقام السيد او السيدة المنوط بهما أمر تقديم الملابس للملك او الملكة

دخلت دوقة اورليان ونزعت قفازيها ، وهمت بأخذ القميص من سيدة الشرف . ولكن الرسميات لم تكن تجيز لهذه السيدة اعطاءها القميص فأعادتها الى

عقيلة كامبان وهذه ناولتها للأميرة . وبينما هنّ على تلك الحال حُكّ الباب مرة أخرى ، وولجت كونتة بروفانس ؛ ولما كانت هذه الأميرة سلفة الملكة كان لها الأفضلية على دوقة اورليان فسلمت القميص اليها . وفي اثناء ذلك كانت الملكة العريانة ترتجف من شدة البرد . وكل ذلك كان لئلا تتخطى حدود قواعد الرسميات . ولما رأت عقيلة كامبان ان الأمر قد طال . وانهُ يُخشى ان تصاب الملكة بزكام من ذلك البرد ، وان قواعد الرسميات لا تدفع عنها غوائله الذميمة ، تناولت القميص وبادرت الى إلباس الملكة دون ان تنزع قفازيها ، ودون ان تحترم قبّة الشعر العالية المبنية فوق رأسها . فتبسمت الملكة لعمل عقيلة كامبان ، وان يكن قد ساءها من جهةٍ خرق حرمة الرسميات

***

قال الكاتب بولس لويس كوريه : ان الرسميات تصيّر الملوك عبيداً للبلاط . ولقد أصاب وايم الحق هذا الكاتب في قوله ، لأن اولئك الملوك لم يكونوا يستطيعون ان يخطوا خطوة واحدة ، أو يبدوا أدنى اشارة ، دون ان يتدخل للحال في أمرهم انسان ليس منهُ فائدة

ومما هو أغرب من ذلك ان هذه الرسميات مع صرامتها في بعض الشؤون العادية كانت في غالب الأحيان مهملة في أمور كثيرة عظيمة الأهمية

كان للملك لويس الخامس عشر عدد كبير من الخدام القائمين على خدمته في لبس ثيابهِ وعلى المائدة وغير ذلك . ولكنهُ لم يكن لديهِ خادم يوقد النار في غرفتهِ ليدفئها . وقد قال لعقيلة دي باري انهُ كان غير مرة في فصل الشتاء يضطرّ بذاتهِ الى ايقاد النار في غرفتهِ ليصطلي عليها

أقبح ما في الرسميات ان المقرّبين من الملك كانوا يضربون حولهُ نطاقاً يحول دون وصول الحقائق اليهِ ؛ فيبقى بينهُ وبين الشعب حاجزٌ حصين ، فالرسميات التي كانت تحجب حاجات الشعب وأمانيهُ عن علم الملك ، كانت داعياً الى اضرام نيران الفتن . فقد حدث في اسبانيا من الفتن ما لم يحدث في غيرها من البلدان .

ويعزى ذلك الأمر الى الرسميات التي يُعمل بها في تلك المملكة أكثر مما يُحافظ عليها عند سواهم من الشعوب

وقد نظم ڤيكتور هوغو الشاعر الفرنساوي المشهور عقد رواية حسناء سماها « روي بلاس » أدار رحى الكلام فيها على قطب الرسميات ، وما يتخللهـا من العادات التي يمجُّها الذوق السليم ، دون ان يركب مركب المغالاة ، او يتمادى في المبالغة بهذا الموضوع

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، نورد هنا نكتتين لطيفتين تأتيان مصداقاً لمـا نحن في صددهِ : أمر ملك اسبانيا في خالي الحين أن يقدّموا للملكة جياداً من كرام الجياد الاندلسية لتختار منها فرساً كريماً . فانتقت منها جواداً مطهماً وركبتهُ . ولم تكد تمتطي صهوتهُ حتى جعل يرفس ، فهوت الى الأرض وبقيت رجلها معلقة بالركاب . فأجفل الحصان جامحاً ، وجرّ وراءه الملكة . وكان ذلك الأمر في عرصة القصر والملك ينظر من الشرفة ، والاضطراب والقنوط بالغان منهُ . وكان في العرصة عدد غير قليل من الخفراء ورجال البلاط ينظرون الى الملكة ولا يجسرون على الدنو منها لتمليص رجلها من الركاب لأنهُ كان محظوراً على أيٍّ من الناس ان يمسّ شخص الملكة ولا سيما رجلها

وكان ثمت فارسان اسبانيولیان ، فدفعتهما الحمية الى انقاذ الملكة ولو ساقهما ذلك الأمر الى اقتحام غمرات الحمام . فقبض أحدهما على لجام الحصان وأوقفهُ ، وملص الآخر رجل الملكة من الركاب . ثم انهما برحا القصر لساعتهما مسرعين الى منزلها ، وأسرجا جوادين ، وتركا المدينة هاربين من غضب الملك

وفقد في اسبانيا أيضاً أحد الملوك حياتهُ بسبب تمسكه وتمسك رجال بلاطهِ بالرسميات . وذلك انهُ كان للملك فيليب الثالث موقد في غرفتهِ اضرمت فيهِ النار وارتفع لهيبها . فاندلع لسانها اندلاعاً كاد يحرق وجه الملك . وحدث أن الشخص الموكول اليهِ أمر العناية بتلك النار كان غائباً . فلم يدر في خلد أحدٍ من الحضور في حضرة الملك ان يقوم مقامهُ . وظن الملك ان كرومة مقامهِ تمنعهُ الابتعاد عن تلك

النار او ابعادهـا عنهُ . ولذلك ظلّ قاعداً على عرشهِ حتى أثرت بهِ النار تأثيراً أحرق وجههُ ، وكان سبباً لوفاتهِ بعد بضعة أيام

اما الملكة فكتوريا الانكليزية فقد كانت أعقل من ملك اسبانيـا من هذا القبيل ؛ فان في عملها والكلمات التي فاهت بها في الحال التي سنبينها ، انتقاداً مرًّا لتلك الرسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان

كانت الملكة فكتوريا ذات ليلةٍ جالسة في ردهة من ردهات قصرها وقد التفَّت حولها عصابة من الامراء والاميرات وكبار رجال المملكة . فجعل المصباح يدخّن . فنهضت الملكة وخفضت الذبالة . وكان من وراء عملها هذا دهشٌ شديد استولى على الحاضرين . فصاحت احدى سيدات الشرف : أو مثل جلالتك تتنازل بذاتها . . . فأجابتها الملكة : نعم. فلو اني قلت ان القنديل يدخّن، لكانت سيدة من سيدات الشرف قالت للحاجب : ألا ترى يا حضرة السيد ان قنديل الملكة يدخّن؟ وحينئذٍ كان هذا الاخير ينادي خادماً لاصلاحهِ . ولا يخفى ان هذا الامر يستغرق وقتاً من الزمان يمكن ان يلتهب القنديل في خلاله . ولذا قد آثرت تولّي اصلاحهِ بذاتي . . .

وقد انتسخت الرسميات أو كادت في عصرنا من قصور الملوك في بلدان أوروبا الشمالية . ففي كوبنهاغن أو ستوكهولم أو كريستيانا لا يتعجب أحد من رؤيتهِ الملك يتنزه وحدهُ في الشوارع حاملاً عصاهِ بيده ، أو يركب الترامواي كأنهُ من سوقة الناس . وأما الرسميات في بلدان أوروبا الجنوبية فانها لا تزال مرعية كما كانت في الماضي . وهي تعتبر ارثاً اتصل بالشعوب اللاتينية من بيزنطة

وعندنا ان أفضل شيء هو ما جرى عليهِ القوم في أوروبا الشمالية من البساطة في المعيشة . والتحرز من قيود الرسميات الثقيل . ورحم الله مرمونتل القائل «فلنهزأ بالرسميات ، وبالتربة التي أنبتتها »

الياس طنوس الحويك

يوسف شكور باشا [١]



أيها السادة !

عادة الاعتذار عن التقصير أصبحت من مبتذلات العادات في مستهل كلام الخطباء . غير انكم تغتفرون لخطيب اليوم أن يجري عليها ، اذ لا يرى مندوحة عنها ، فيسألكم المعذرة اذا بقيَ دون المقام الذي يجب ان يكون فيهِ . كيف لا ويحقُّ لأيّ خطيبٍ ان يتهيَّب هذا الموقفَ أمام مثل هذا المحفل الحافل بوجوه البلاد أدباً وعلماً ومقاماً ، ويُحجمَ إزاءَ الموضوع الخطير الذي دُعيت للكلام فيهِ . بل إنني أمام

(١) ننشر التأبين الذي لفظه منشيء هذه المجلة في حفلة الاربعين التي أقامتها جمعية المساعي الخيرية المارونية في ٢١ فبراير المنصرم تذكاراً للمرحوم المغفور له يوسف باشا شكور

هذا الجمع الموقّر، وفي تكريم فقيدنا الجليل، لا أرى أجدر من ذلك الفقيد نفسهِ بالوقوف مؤبناً وخطيباً، يجول جولاته المعروفة، ويتدفق بفصاحتهِ المشهورة

على أنهُ اذا كانت يد الموت قد عقلَتْ ذاك اللسان الزلق، وأخمدت ذلك الصوت العالي، وأبلت ذيّاك الصدر الرحب، فلا أقلَّ من ان تسمعوا اليومَ صوتاً — ولو ضعيفاً — يندبُ تلك المناقبَ الغراء، ويرثي هاتيك الهممَ الشماء، فيترامى هـذا الصوت الضئيل الى مسامعكم، كما يترامى الصدى محمولاً على تموّجات الهواء

أيها السادة

عقدت الجمعية الخيرية هذه الحفلة، ودعتكم اليهـا، قياماً بالواجب عليها نحو رجل تفتخرُ بأن تعدّه من أعضائها، وإحياءً لذكر فردٍ تعتزُّ أمتهُ بأنهُ كان من أفرادها. ولستُ أدّعي الإتيان على سرد حياة فقيدنا الكبير، وحياتهُ كانت حياةً عمومية عرَفهـا القاصي والداني؛ كما انني لا ابغي تعدادَ مناقبِه وخلاله، وأنتم أعرَف بها، وما فيكم الاَّ القريب والصديق والرفيق. ولكنَّ في إعادة ذكر السلف تنشيطاً للخلف، وفي تمجيد فضائل السابقين إرشاداً وعظة للاَّحقين. وما أحوَجنا، شبيبـة اليوم، الى مثل هذه الامثال الناجعة، تستفزُّ هممنا ساعة الخَزل، وتبعث فينا روحَ الإقدام وقتَ اليأس، وتضيء طريقنـا إبَّان الظلام، وترفعُ رؤوسنا الى العلى في عصر الماديات. وما أجمل المثل الذي يتجلى لنا من هذا القبيل في حياة ابن شكور، وهي صورة الاخلاص والنزاهة، وعفة

النفس ورحابة الصدر ، والإقدام والذكاء والهمة العلياء

تالله ! إن من كانت هذه حياته ، يحق لأسرته ، بل لأمته ، ان يعظُمَ في عينها مماته ، فتقدرَهُ حقَّ قدره ، وتذرف العبرات على قبره . وهذا ما تفعله اليوم أسرته ، وطائفته ، وأمته . بل يبكيهِ وطناه : وطن سلالته ، ووطن نشأته . فيحقُّ ان يُقال فيهِ ما قال شوقي في موت احد نوابغ رجالنا :

حلَّ بالأمتين خطبٌ جليلُ رجلٌ مات والرجالُ قليلُ

* * *

أيها السادة

من الصفات الكثيرة التي عُرف بها فقيدنا ، يلذُّ لي أن اقف عند اثنتين وهما : نزاهتهُ وهمته اللتان لم يختلف فيهما اثنان . وقد ورث هذه المناقب عن النبعة الكريمة التي يتحدَّر منها ، وسهر على هذا الارث الادبي الثمين سهرَ الحريص على درهمهِ . فلم يسمح بأن تمتد اليه يدٌ ، أو أن تشوبه شائبة . فجمع بين تليد المرؤة وطارفها . وخدم مصر وأميرها خِدَماً صادقة ، كما خدمهما ذووه من قبله . فان جده الأكبر ، شكور كنعان ، هاجر من جبل لبنان — وكم انبت هذا الجبل الأشم من الفروع الكريمة ! — وجاء مصر مع أخيه يوسف كنعان شكور . فدخل هذا في خدمةِ الطيب الذكر الخالدِ الأثرِ ، محمد علي باشا الكبير . فعرف ذلك النابغة قدر ابن شكور اللبناني — ومن أعظم مزايا كبار الرجال معرفة قدر الرجال — فدرَّ عليه نعماءه ، وولاَّه ادراة دار الضرب ، ثم

عهد اليهِ تنظيم جمارك دمياط ، ولا تزال آثار همته ونزاهته مدوَّنة في تاريخ مصر . وقد توارث ابناؤه تلك الهمة والنزاهة ؛ ويا ما أجملَ ما تجلتا بهِ في شخص حفيدهِ — فقيدنا ، منذ درج من مهده ، حتى أُدرج في لحده . فكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف شكور التلميذ ؛ وكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف افندي شكور الموظف بالمالية ؛ وكان هماماً نزيهاً ، وهو يوسف بك شكور المراقب في الأموال غير المقرّرة ؛ كما عرفه الجميع هماماً نزيهاً ، وهو يوسف باشا شكور مدير بلدية الاسكندرية ؛ كما ظلَّ هماماً نزيهاً في خطبه وكتاباته : خلتان عرف بهما يافعاً وشاباً وكهلاً وشيخاً

وغنيٌّ عن البيان أنّ هاتين الخلتين لا تنتجان الاَّ عن فضائل جمة مستكنة في الصدر ؛ كما انهما تُنتجان فضائل جمة تتجلى بها النفس : فالنزاهة تفرض الاخلاص وسلامة النية وطهارة الطوية ؛ والهمة تفرض الذكاء وعزة النفس والميل الغريزي الى الأمور السامية . ومن هذه وتلك يتولد شرف المبدإ والترّفعُ عن الدنايا والرمي الى عظائم المقاصد . وقد برهن فقيدنا الكريم على ذلك في كل طورٍ من أطوار حياته وشهد له بذلك كلٌّ من عرفه من رئيس ومرؤوس

ففي مدرسة ليون الكبرى ، حيث تلقى دروسه ، كان آيةً في الذكاء والاجتهاد ، حتى بزَّ أقرانه ، ونال قصبات السبق في لغة الاجانب على أبناء تلك اللغة ؛ فعاد مكللاً باكاليل الغار ، حاملاً شهادة البكالوريا العلمية

وفي نظارة المالية ، أظهر من المقدرة على العمل والدراية في الأمور ما لفت اليهِ نظر رؤسائهِ ، ففتحوا له باب التقدم سريعاً . فولجه ، وهو

على تمام الاستعداد ، وأخذ يصعد في درجات الترقي قفزاً ، حتى صار مراقباً في الأموال غير المقررة . وعرف رياض باشا ونوبار باشا الطيبا الذكر قدر ذلك الموظف النزيه النشيط ، فولّياه أمور مالية صعيد مصر

ولما صحت العزيمة على انشاء بلدية الاسكندرية المختلطة سنة ١٨٩٠ ، رأت الحكومة ان تعهد بهذه المهمة الى رجل كفوء للقيام بها ، فوقع اختيارها على يوسف شكور بك . فنظّم تلك البلدية أحسن تنظيم ، واشتهرت مقدرته ودرايته بين الوطنيين والاجانب ، حتى رأت الحكومة ان تعين مديراً لأول بلدية مصرية دولية ذاك الذي أنشأها ورتب شؤونها . فذلل ما كان هناك من الصعاب ، وأزال ما كان من العقبات . وظلّ في تلك الوظيفة عاملاً مجتهداً ، مدة اثنتي عشرة سنة . وخرج منها طاهرَ الذيل، ناصع الجبهة ، مخلّفاً في تلك المدينة — وهي مسقط رأسه — مآثر غير دواثر تنطق الى الابد بجليل عمله وعظيم نزاهته واخلاصه

وقد يطولُ بي تعداد ما أتاه هناك من الاعمال الخطيرة والاصلاحات الجليلة ، حتى بات لا يذكر اسم الاسكندرية والاصلاح فيها الا ويُقرن باسم شكور باشا . وقد رأت تلك البلدية بعد موتهِ ان تُطلق على أحد شوارع المدينة اسم رجلها الكبير ومصلحها العظيم . ويا نعم ما فعلت !

وفي سنة ١٩٠٣ غادر خدمة الحكومة نهائياً . على ان تلك النفس الكبيرة الناهضة أبت التمتع بالراحة التي استحقتها بعد جهادٍ طويل ؛ فتولى شكور باشا ادارة شركات مالية مختلفة . أزهرت على يده وأثمرت ؛ وكانت برهاناً جديداً على علوّ همة الرجل ، ومضاء عزمه ، وثاقب فكره .

ورأى من الواجب عليهِ ان يخدم مصر ، حتى آخر رمق من حياته ؛ فعكف على خدمتها بقلمه ولسانه . فكان ذلك الكاتب البليغ الذي لا يُجارى ، وذياك الخطيبَ الفصيحَ الذي لا يبارى . فشغل ساعات فراغهِ بتحبير تلك المقالات الشائقة في مواضيع اقتصادية وعمرانية ومالية . وكم كان له في هذا الميدان من الجولات الصادقة ، والآراء الصائبة ، التي تناقلتها صحف البلاد . وكم سمعناه في المحافل العمومية قارعاً أعواد المنابر يتدفق كالسيل الجارف ، بفصاحته السلاّبة ، وبلاغتهِ الخلاّبة . فكانت شباة قلمه كنصل الرمح أو أقوى ، وحدُّ لسانهِ كحدِّ السيف أو أمضى . وقد أخلص في خدمة سموّ اميرنا العباس ، كما أخلص جدُّه من قبل في خدمة جد الأسرة الخديوية الكريمة

شهد له بما سردتُ وعددت من جليل الأعمال وباهر الصفات كل من عرفه — وما هم بالنزر اليسير من وطنيين وأجانب . وقد ذكره اللورد كرومر في تقاريره الرسمية اكثر من مرة بالخير والثناء . ومما قاله فيه — ومثل هذه الشهادة لا يستهان بها : « ان مدير عموم بلدية الاسكندرية ، يوسف شكور باشا ، رجلٌ سوري ذو نشاط كبير ودراية عظيمة . ولا شك في ان اصلاحات خطيرة قد تمت على عهده في مدينة الاسكندرية ، ويجب عليّ أن أجاهر بأن تحريات لجنة التحقيق لم تتمكن من وجود ما يشين نزاهة شكور باشا . على أن تلك النزاهة لم تكن قط موضوع الريب »

هذا قليلٌ من كثير ، أيها السادة ، مما عرف به فقيدنا الكريم .

ولكنت استوقفكم طويلاً ، لو شئت أن أدرس حياته كموظف وكرجلٍ وكمفكر . ولذلك اكتفي بأن أقولَ بالاجمال : ان تلك الحياة كانت صفحة ناصعة البياض ، لم تخط فيها الاَّ سطور الهمة والنزاهة والشهامة والمرؤة

واني لاذكر ابداً آخر مرة قابلته فيها ، وكان يُعد مقالاتٍ ضافية في بعض المواضيع الاقتصادية الوطنية ، ولا أزال أرى ذاك الذكاء اللامع ، وذلك الاخلاص المجسَّم ، وهو يشرح نظريته ورأيه في ذاك الموضوع الحيوي . كما انني لاأزال اذكر آخر مرةٍ سمعتهُ فيها خطيباً ، وقد وقف يؤبن أحد عظماء رجالنا ، فكان ينادينا بأعلى صوته « الى العلى ! الى العلى . . ! » . وكأني الآن بروحه الطاهرة تشرف علينا من الأخدار العلوية وتنادي بنا « الى العلى ! الى العلى . . ! »

الى العلى ! يا سادتي . فلتكن هذه الكلمة شعاراً لنا . . الى العلى ! يا شبيبة الشرق الناهضة . فلتكن هذه الآية السامية العظة التي نستخلصها من حياة ذلك الرجل الكبير . الى العلى ، في أقوالنا وأعمالنا ! الى العلى ، في مقاصدنا وآمالنا ! . . .

النهر

ونهرٍ حالفَ الأهواءَ حتى غدا طوعاً لها في كلّ أمرِ
اذا سرقتْ حُلى الأزهارِ ألقتْ اليهِ بهــا فيأخذُها ويجري

عبد العزيز الانصاري

ثمرات المطابع



احمد افندى الكاشف

* ديوان الكاشف[1] — أحمد افندي الكاشف شاعرٌ من شعراء

(١) طبع بمطبعة « الجريدة » عدد صفحاته ١٢٥ وثمنه ٥ غروش ويطلب من ناظمه في مصر شارع الركبية

مصر المعدودين ، يشهد له حافظ ابرهيم بانه « مستقلٌ في بيانهِ ومبدإِهِ ووجدانهِ » ويرى شوقي في شعرهِ « روح الاخلاص » كما يرى اسماعيل صبري ان في ذلك الشعر « ما يستحقُّ ان يقف له القارىءُ إِعجاباً واجلالاً » ، ويقول خليل مطران ان الكاشف « يلقي اليك أبياتاً شائقة اللفظ ، شريفة المعنى، متينة القوافي» ويرى السيد المنفلوطي ان الكاشف « الشاعر الوحيد الذي عرف الناس من أمره انه اذا نطق فانما ينطق بلغة نفسهِ ، واذا حدّث فانما يحدّث عن حسهِ » وينعته احمد محرّم بانه « صادق الاسلوب ، واضح السنن ، صافي العبارة » ويقول فيهِ صاحب المنار انه « ينظم الشعرَ للذة نفسهِ ، وإمتاع وجدانه »

وقد شهد للكاشف بذلك كل من قرأ شعره ، ودرس نظمه . ولكننا أوردنا أقوال مشاهير شعرائنا وكتّابنا لنزيد القراء معرفة بالشاعر الذي ننشر اليوم رسمه بمناسبة اهدائهِ الينا الجزء الثاني من ديوانه

وقد امتاز الكاشف على معظم الشعراء بانه يرمي في قصائده الى تأييد آراء خصوصيـة ومذاهب له في السياسة والدين ، فهو يدعو الى الجامعة الاسلامية ، وتحرير الشرق ، وتأييد الخلافة في بني عثمان ، وقد يحدو بهِ ذلك أحياناً الى الغلوّ والتشيع ، مما يجعله شاعر فئةٍ مخصوصة ، يطربُ لشعره بعض الافراد ، لا شاعراً اجتماعياً تهتزّ لأقواله أمة بأسرها لما تتضمنه من الدروس العمرانية ، والابحاث النفسية كما هي حقيقة وظيفة الشاعر . ولكن في اخلاص الكاشف لاكبر شفيع له . وهو من هذه الوجهة اكبر وأسمى في القسم الثاني من ديوانهِ منهُ في القسم الاول

وقد أهدى الكاشف ديوانهُ الى سمو عزيز مصر ، فكانت هذه الهدية من جملة الأدلة على اخلاصه المأثور للاريكة الخديوية التي طالما نظم فيها القصائد الغراء

* علم الاقتصاد [1] — الثروة ركنٌ من أهم اركان المدنية الحديثة ، بل قاعدة من أثبت القواعد التي قامت عليها أمم اليوم وعليها طبّقت قوانينها ونظاماتها . ولذلك أصبحت حياة البلاد في علم الاقتصاد الذي يبحث في تلك الثروة وكيفية استحصالها وتقسيمها وتداولها واستهلاكها . ولا يزال هذا العلم الذي وجّهت اليه اوروبا عنايتها متقهقراً بل معدوماً في بلاد الشرق ، مع ما يتعلّق عليه من الفوائد الجلّى . وقد سرّنا أن رأينا حضرة الحقوقي الفاضل رفيق افندي رزق سلوم يتناول هذا الموضوع الجليل ويدرسهُ درساً جلياً وافياً في كتابٍ وضعهُ لهذا الغرض ، أورد فيه زبدة اقوال العلماء الاقتصاديين وارائهم فيما يتعلّق بالثروة والتجارة والصناعة والزراعة ورأس المال والعمّال والاحتكار والشركات الخ . واننا نبتهج بأن نرى ناشئتنا التي تتلقى العلوم العالية في اوربا تعود الينا وهي حاملة بذور العلم الصحيح فتبذره في ربوعنا لتمدّ للغد حصاداً طيباً . فنهنيء رفيق افندي ونثني على عمله واجتهاده

والكتاب مهدى الى حضرة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي

* التربية والتعليم [2] — مهما كثرت الابحاث في هذا الموضوع

(١) طبع في حمص بمطبعة يني عدد صفحاته ١٢٨ وثمنه ربع ريال

(٢) طبع في مطبعة التقدم بمصر عدد صفحاته ١١٤ وثمنه ٥ غروش

الجليل لا تزال في حاجة الى المزيد ، ولا سيما الى ما كان منها وافياً بالمقصود قائماً على نظرية صحيحة . ومن هذا النوع كتاب «التربية والتعليم» لحضرة الباحث الفاضل محمد افندي امين ، وقد شخّص فيه علّة الأمة ووصف لها الدواء الناجع في جميع أطوارها : في البيت ، وفي المدرسة ، وفي المجتمع . والتربية البيتية هي أساس التربية . وعماد البيت المرأة . ومن أقوال المؤلف : « أرأيت بيتاً يتلألأ ضوء السعادة بين حيطانهِ ، وتحطّ السكينة والطمأنينة بين جدرانهِ ، ويبزغُ نور الهدى من خلال بنيانهِ ، وتحفُّ بهِ الملائكة صفاً صفاً ، ثمَّ لم يكن مركز دائرتهِ امرأة صالحة ! »

ونحن نشكر لمحمد افندي امين توفيقهُ في هذا البحث المفيد ، ونرجو لمؤلَّفهِ كل رواج . ومقدمة الكتاب مدبّجة بيراع حضرة الاستاذ احمد لطفي بك السيد مدير « الجريدة »

* مذكرات حي[1] — هي صفحة من حياة أحد شبان العصر المتألمين ، لصاحبها الأديب الياس افندي منسى ، وقد أملاها عليه قلب جريح يشكو من الزمان واهلهِ مرّ الشكوى ، وكتبها بقلم كثيراً ما مزج الدموع الحارة بمدادهِ ، فجاء الكتاب من أوله الى آخره زفرات متصاعدة، وأنفاساً متحرّقة ، وأنيناً مؤلماً . على انه اذا كانت القلوب قلقة في الصدور في سن الشباب ، لأنها تتغذى بالأحلام التي يصعب تحقيقها ، أو لأنها تنبض خفّاقة كلما مست يدُ المصائب أوتارها ، فلا يحسن بها ان تستسلم الى اليأس ، وتضيع في وهاد القنوط . بل يجب ان يكون للعقل سلطة

(١) طبع بمطبعة الاخبار وثمنه ٥ قروش صاغ

على العواطف فلا تجمح بصاحبها جموحاً قد يضرّ به . ونحن نأمل « لمذكرات حيّ » إقبالاً من القراء يمهد لمؤلفها السبيل الى نشر مذكرات أخرى تكون ثورة العواطف فيها قد سكنت واضطراب الفؤاد قد هدأ

* ذكرى الحبيب[١] — هي مجموعة المراثي التي قيلت في الأديب المرحوم حبيب الجمّال، وقد جمعها اخوه الآسف حضرة القانوني الفاضل ابراهيم افندي جمّال صاحب جريدة « الحقوق » وأودعها شيئاً مما نظمه وكتبه في فقيدهِ الحبيب ، فنسأل لرصيفنا العزاء ولشقيقه الرحمة

* الزّهرات[٢] — للاستاذ يوسف افندي الفاخوري مقام كبير بين حَمَلَة القلم في سوريًّا . فهو كاتب شاعر عُرِف بالاجادة في هاتين الصناعتين . والزهرات ، وهي مختارات من نظمهِ ونثرهِ تؤلف باقة جميلة جمعت من روضة أدب غضّ

ازهار واشواك

درس في الجغرافيا

قرأت الفصل الجغرافي الآتي في جريدة البيان النيويركية ، أورده كما هو ، تاركا لذكاء القارىء معرفة البلد المقصود . قال الكاتب :

. . . بلاد من بلاد الله يحدّها شمالاً بحر حب الوظائف ؛ وجنوباً مملكة الذُّل ؛ وشرقاً نهر الجهل ونهر التعصب ؛ وغرباً جزيرة الزعامة ؛ وفيها بحيرة تدعى بحيرة الاحزاب ؛ ويخترق تلك البلاد جبال شامخة تدعى

(١) طبع بمطبعة المعارف بالفجاله (٢) طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت وثمنه ١٢ قرشاً

جبال المواربة ؛ وفيها سهول اختلف الجغرافيون في تسميتها فبعضهم يسميها سهول الخبث ، والبعض الآخر يطلق عليها اسم سهول الخداع ، ومن مدن هذه البلاد مدينة الكذب والتدليس ، والخضوع للحاكم

تجارة تلك البلاد النفاق والشقاق — ولكن الاهلين وجدوا ان هذه التجارة كادت تذهب بأموالهم فتركوها ، وهم الآن يتاجرون بالحرية والمساواة والصدق — وأصبح عندهم بورصة هي بورصة الحب والسلام

أما مزروعات هذه البلاد فخصبة جداً ؛ زرعوا في الماضي الجهل فحصدوا الاختلافات ، وهم الآن يزرعون العلم لأنهم وجدوا أن غلاله أجود غلة ومبيعاته في الداخل كثيرة وللخارج اكثر

وفي هذه البلاد معادن كثيرة ، منها معادن اللطف والظرف والجمال ، ومنها معدن العفاف والكرم ، وقد بدأوا باستخراج هذه المعادن من عهد قريب

المرأة والمرآة

لي حديثٌ تجاذب وقارئاتي أطرافهُ وذيولهُ من حينٍ الى حين ، فتارةً يرضيهنَّ ، ويُغضبهنَّ تارةً ، وأنا على كل حال أجدُ فيـهِ بعض اللذَّة ، لأن مماكسة الاصدقاء ، أو مداعبة الصديقات — تحلو كما تحلو المسامرة والمجاملة . وهذا الحديث هو عن المرأة . — وحديثها أو حديثٌ عنها يطربني . حديثي عن المرأة والمرآة — ولو كنت من علماء الاشتقاق والنحت لوجدت بين اللفظتين قرابةً لغوية فوق القرابة المعنوية .

والمرأة بطبيعتها ميّالة الى المرآة ، وقد اخترعتها منذ عهدٍ بعيد . فانّ أُمنا حوّاء — عليها أشرف السلام — قد اتخذت لها من مياه النهر الصافية مرآةً تستشيرها في معاني جمالها ودلالها ، وكذلك فعلت بناتها وحفيداتها ، قبل ان يخترع علماء الكيميـاء — إرضاءً للمرأة — ذلك الطلاء الذي طلوا به الزجاج فجعلوه يعكس ما يُعرَض أمامه من الصوَر

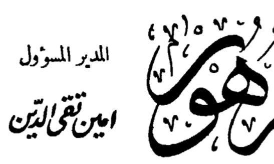
والمرأة أمينة لمرآتها ، ثابتة على صداقتها . ودليلي على ذلك الاحصاء الذي وضعهُ أحد الثقات قال ، والارقام لذلك الرجل الثقة ، والتعليق لي :

تقضي الفتاة بين السادسة والعاشرة من عمرها ٧ دقائق كل يوم أمام مرآتها ؛ وبين العاشرة والخامسة عشرة ١٥ دقيقة ؛ ثم تشتدّ روابط الصداقة بين هذه وتلك ، فتقضي الصبية بين الخامسة عشرة والعشرين ٢٢ دقيقة ، وتزداد هذه العاطفة بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، فتبقى في المرأة يومها أمام المرآة نصف ساعة ؛ ثم تأخذ هذه العلاقة بالتراخي ، فتنزل الجلسة اليومية أمام المرآة الى ٢٤ دقيقة بين الثلاثين والخامسة والثلاثين ، والى ١٨ دقيقة بين الخامسة والثلاثين والاربعين . والى ٦ دقائق فقط فيما بعد حتى الستين . فمن هذه الدقائق من حياة المرأة أمام المرآة يتألف مجموع ٣٤٩٥٧٤ دقيقة ، أي ٢٤٢ يوماً ونيف

أليس في هذا الثبات اكبر تفنيد لمن يتهم الأنثى بعدم الثبـات ، وينسب الى بنات حواء التقلب في أميالهنّ وعدم الامانة . . ؟

ماصر

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثاني | اڤريل (نيسان) ١٩١٣ | السنة الرابعة

أدرنـــه

هيَ عاصمةُ الترك الأولى في أوروبا . آخر أثرٍ في البلقان لمجد بني عثمان . أخذها «فرديناند» بالأمس كما أخذها «مرادُ الأول» من قبل . كلاهما بذل في سبيلها ثمناً غالياً من مالٍ ومن رجال

روضةٌ غنَّاء في منبسطٍ ريَّان الصدر ، مخضرّ الأديم . تترامى حولها سهول فسيحة يتسلل فيها نهر « أردَهْ » ، وينساب في غياضها نهر « تُوندجه » ، حتى اذا هما بلغاها لاقاهما أمامها نهر « ماريتزا » فماتقاهُ وتمشّى الثلاثة معاً الى خليج إينوس

هيَ بنتُ القِدَم ، وأمُّ الحوادث الجسام . بناها «أدريان» امبراطور الرُّومان ، بناءً مثلَ همَّتهِ وطيداً ، فكانت من بعدهِ معقِلَ الملوك ، وأبعد غايات الجيوش ، وأجلُّ هموم الفاتحين

هيَ راوية التاريخ : مرَّت بالأجيال الوسطى وشهدت مطامع أقوامها .

كم خميسٍ لَجَبٍ صادَمها ، وكم ملكٍ همامٍ زحف عليها . لا هيَ ناسيةٌ وقائعَ « قسطنطين » و « ليسينيوس » ، ولا مجازرَ « الغوط » وقومِ الامبراطور « ڤالانس » . ملِكان تلاقيا أمامها وتَناجزا على مرأًى منها طمعاً فيها . فلمَّا تغلَّبَ « قسطنطين » فتحت لهُ صدرَها ، ومدَّت اليهِ ذراعَيها . وشعبانِ تطاحنا عندها رغبةً في حيازتها ، فلما قهر « الغوط » « ڤالانس » نبذت هذا ، وأباحت حماهـا لقاهريه . هي تحبُّ الغالب ، وتزدري المغلوب !

ثم حاصَرَها البلغار ، ورموها بالحجارة والنار ، فدفعتهم بمنعتها وردَّتهم عنها خاسرين ؛ حتى اذا ضيَّقوا عليها الخناق ، وأرهقوها بالجوع ، تمكَّنوا منها ، فدخلوها مهلِّلين مكبِّرين . مَنِ استطاع أخْذَها عنوةً فقد استطاع شبهَ المستحيل

هيَ سبيـلُ الغربِ الى الشرق : آوتِ الصليبيين في طريقهم الى بيت المقدس ، والطريق اليهِ يومئذٍ نار ودم ، وجمعت في ذراها امبراطور الروم ، وفردريك بَربَروس ، فتعاهدا تحت ظلِّها وتحالفا ، وكانت لهما الشاهدَ العدل

ثم مشى بها الدهر أو ماشتهُ . لا صروفهُ هيِّنة ، ولا عزائمها واهنة . كلما أنشبَ فيها ظفراً أنشبت فيهِ ناباً وظفراً . لاقت بهِ طاغية عتيًّا ، ولاقى بها صبوراً حمَّالةً للخطوب . قوَّتان متكافئتان

هي الحلَقة الأولى من سلسلة الفتوحات العثمانية في اوروبَّا . فتَحها

مراد الأول واتخذها عاصمة للسلطنة . متى تغلّب فاتحٌ عليها فقد تغلّب على سائر البلقان . ربّ حلقةٍ اذا سقطت ، سقطت وراءها حلقات

حينئذٍ مدّ النصرُ لها يدهُ فصافحتهُ بيدِ بايزيد الأول ، ثم حالفتهُ بيد مراد الثاني ؛ فتمشّت هيبتها في طليعة جيوشها ، فملك قومها مقدونيا وبعضَ بلاد الروم ، واكتسحوا ألبانيا ، ودوّخوا الفلاخَ ، وفتحوا بلغراد . ثم مشى منها محمد على فروق حيث بنى عرشهُ على بقايا عرش قسطنطين ، ووطّد الخلافة على انقاض الامبراطورية

أسعدَها بنو عثمان يوم كان نجمهم زاهراً ملء دائرته في سمائه ، والهلال خفّاقاً بالنصر على رؤوس الترك ؛ فبنى فيها سليم الثاني جامعهُ الشهير رافعاً قبّتهُ على أعمدةٍ من المرمر مباهياً بها قبة « آيا صوفيا » في فروق ، وشاد غيره جملةً من الجوامع حتى أربى عددها فيها على أربعين هي وقبورُ بعض السلاطين كلٌّ ثروتها من الآثار

* * *

عزٌّ مضى ومجدٌ تولّى . لا حالٌ الاّ تحول ، ولا دولةٌ الاّ تدول

عجباً لها ! بينا هي سبيلُ السلاطين الى الغرب ، اذا هيَ طريق القياصرة الى الشرق : مرَّ بها سليمان الثاني الى فِيَنّا ، ومرَّ بها اسكندر الثالث الى فروق !

كُرَةٌ لصوالجة الفاتحين يتراماها ملوكٌ ، ويتلقّفُها ملوك . ما دخلها القائد « بوسكيه » ابانَ حرب القرم حتى خرج منها عقيبَها . تؤخذ اليوم

بالسيف ، وتنتزع غداً بالسياسة . فتحَهَـا « جورجو » قائدُ الروس ، وانتزعتها منهُ معاهدةُ سان استفانوس !

جوّادةٌ بما لا تملك . لم تحرّر قط ، ولكنها وهبت الشعوب الحرية ، ولم تنم بالاستقلال حقبةً من الدهر ، ولكنها أنعمت بهِ على جاراتها . لو استطاعت لأخذت مثل ما وهبت !

سجِلٌ يَكتبُ فيهِ القلم كما يكتبُ فيهِ السيف . لهذا صفحة تنطوي على دمٍ وعلى نار ، ولذاك صفحة تنفتحُ على عهودٍ ومواثيق . ما كانت الأولى غير اسباب ، وما كانت الأخرى سوى نتائج . كذلك وقّع فيها السلطان محمود معاهدةَ صلحهِ مع قيصر الروس ، تلك المعـاهدةَ التي وسّعت منطقة روسيا في آسيا ، وكتبتْ للسربِ ورومانيا فاتحة عهدهما بالاستقلال ، وكذلك دُوّنَـت فيها اعتراف الترك بتحرّر الرّوم ، ذلك الاعترافُ الذي أعزّ هؤلاء ، وأطلقهم من ربقة الاستعباد

مَيدانٌ للحرب ، لا ميـدانٌ للعقل . ضرَبت فآلمتْ ، وقاتلتْ فقتلتْ ، ما أنكر أحدٌ بأسَها ، ولا استخفّ ملكٌ حملها . ليتها كانت ربّةَ رأيٍ مثلما كانت ربّة حسام . للقوّةِ شأنٌ ، وللسياسةِ شأن . ما وفّقت بينهما ، ولا استفادت من جمعهما . فالبلادُ التي أغارت عليها عادت اليها مكتسحةً مغيرة ، والقومُ الذين أراقت دماءهم ، قويَ ساعدهم عليها فأراقوا دمها . وانما الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك . مَن استفاد من نِعَم الأوّل هوّن عليهِ شرورَ الثاني

أدِرْنَه أخت بلادنا . كلتاهما كانت عريناً للأسود ، ومعقلاً لأبطال التاريخ . أختان شقيقتان حمى عرضيهما أخوانِ شريفان . ما تسلّم قيصرُ الرُوس الأولى الاّ مغموسةً بدماء الألوف من عساكرهِ ، ولا بلغ قيصر البلغار الأخرى الاّ مشياً على جثثِ جنوده . ملكان اُبتليا بملكَين . ذانِكَ أعزّهما تاجاهما ، وهذان شرّفهما سيفاهما . ربَّ سيفٍ أعادهُ اسكندرُ الثالث الى عثمان إجلالاً واكباراً ، وربَّ سيفٍ ردَّهُ فردينان الى شكري احتراماً واكراماً . غازيانِ لكلٍّ حقهُ من الشرف والجاه . لتعتزّ أدرنه بفاتحيها . اسودٌ اقتنصتها من اسود !

***

أيها الفاتحون ادِرنه المغتصبون حماها . هل فتحتم مدينةً أعزَّ أمِ اُغتصبتم حمىً أجلّ . أما واللهِ لو لم تكونوا لها أهلاً ، ما ملكتم منها قيدَ شبر ، ولا تطلعتم الى اسوارها الأعن كثب . لم يبعها الترك رخيصة القدر ، ولا اشتريتموها بخسة الثمن . فاذا وقفتم بقبور السلاطين فيها ، قفوا خاشعين لذويها . الكريم مَن يعرف قدر الكريم . اولئك ملوك كبار أجلّهمُ من قبلكم ملوكُ كبار . مَن ذا يقول لهم عنّا : سلامٌ عليكم سلاطين عظاماً ، وسلامٌ عليكم فاتحين أعزّاء . هذا آخرُ عهدنا بكم . لتبقَ قبوركم مزارَ الأبطال وذكرى خالدةً لمجدكم الخالد . مباركةٌ هي تلك القبور ، ومباركةٌ حولها قبور حُماتها البواسل

في ذمّةِ البلغار ما في ادِرنه من رفات كريمة !! سلامٌ عليها وواهاً على عهدنا بها !!؟

الجريحة الابدية

قطرةُ الندى العالقة بغصن الشجرة ، عندما تنعكسُ عليها أشعةُ الشمس المشرقة تكون أشبه شيء باللؤلؤة الصافية

تلك القطرةُ اللؤلؤية ، اذا هبَّ عليها النسيم الخدَّاع فأسقطها الى الحضيض ، امتزجت بالتراب ، فتحوَّلت الى وحل

ولكن يكفي ان يُصيبها شعاعٌ من الشمس المنعشة ، حتى يُبخّرها فيطهّرها مما لحق بها من الاقذار ، ويعيدها الى صفائها الاول . . .

كذلك قل عن المرأة الطاهرة . فان قلبها هو أشبهُ شيء بتلك اللؤلوة الجميلة قبل سقوطها من على الغصن ، بل هو أبهى وأسنى

فاذا هبَّت عليهِ لوافح الشهوات والاهواء ، أسقطتهُ الى وهدة الرذائل ، فمرَّغتهُ في حمأة الدنايا

ولكن يكفيهِ شعاعٌ من الحب الطاهر حتى يخلصهُ من كل شائبة ويعيده الى ما كان عليهِ من الجمال والبهاء

***

مسكينة المرأة ، وتعِس حظّها في هذه الحيـاة . نفحتّها قريحة الشعراء بألطف الأسماء ، وجادت عليها مخيّلة العشاق بأجمل الالقاب :

سموها الشمس والقمر ، وهي المسكينة المظلمة الفؤاد

رأوا فيها الغزال الشارد ، وهي الرازحة المثقلة بتقاليد هذه الحياة

شبهوها بالزهرة النضرة ، وهي المهشمة القلب الدامعة العينين في بلائها الشديد

لقّبوها بالحمامة البيضاء السابحة في الفضاء ، وهي العصفور المقصوص الجناحين في قفص الحديد

صوَرٌ وتشابيه ، وأسماء وألقاب ، هيهات ان تنطبق على حقيقة الواقع وواقع الحال . وليس من اسم ينطبق على هذا المسمى المسكين أحسن من الاسم الذي وضعهُ « ميشله » المؤرّخ الفرنسوي الشهير لما سمى المرأة « الجريحة الابدية » . كيف لا وهي جريحة ابنةً وزوجةً وأماً . . . ؟

بل كلها جروح دامية اذا تناولها اعصار هذه الحياة فتلاعب بها كما يتلاعب باوراق الخريف ، وطرحها أخيراً في مواخير البغاء ، فتصبح ثغراً ضحوكاً باسماً ، وقلباً خفوقاً دامياً ؛ تغازل بالعين ، وتبكي بالأخرى ؛ وتداعب باليد ، وباليد الثانية تسند فؤاداً تُصدّعهُ الذكرى

***

جمع أحد مشاهير المصوّرين حياة احدى هذه التعيسات في خمسة رسوم بديعة الوضع والصنع . ففي الاول : صورة فتاة طاهرة ساذجة عند وصولها من قريتها الى المدينة ؛ وفي الثاني : وقوعها بين مخالب أحد الذئاب البشرية ؛ وفي الثالث : نزولها الى بيوت الفحشاء ؛ وفي الرابع : نزولها في السجن ، لأن الفاقة ساقتها الى السرقة ؛ وفي الخامس : امرأة ناحلة جرداء ، عليها أسمال بالية ، وهي تمدُّ يدَها الى المارّين تستعطيهم هاتفةً : « أعطوني حفظ الله ابناءكم من بناتي . . ! »

***

هذه هي صورة اكثر النساء اللواتي وُصمنَ بوصمة العار وهي صورة غنية عن الشرح والتعليق . ولكنَّ هناك فرضاً واجباً يتحتم علينا قضاؤه . فقلب هذه المرأة المسكينة كان ضحية الهيأة الاجتماعية . فعلى الهيأة الاجتماعية أن تضمد جرحه ، وهي أدمتهُ ؛ وتداوي قرحه ، وهي أحدثتهُ . فتسكب عليهِ بلسماً ، لا خلاً يزيده ألماً

قال فيكتور هوغو : « أيها الرجل — وكلنا هذا الرجل — لا تحتقر أبداً امرأة سقطت ، لأنك لا تعرف تحت أي حمل ثقيل رزحت نفسها المسكينة »

أجل لا يليق بالانسان أن يزدري تلك المخلوقة التي أعيتها أثقال هذه الحياة فسقطت الى الحضيض ، بل يجب عليهِ ان يمدَّ اليها يداً كريمة فينتشلها من سقطتها ويرفعها من كبوتها

***

في فرنسا جمعية يرئِسُها الموسيو ليون بورجوا الوزير الفرنساوي السابق ، هي أفضل من الجمعيات الخيرية ، وأسمى غاية وأنبل مقصداً من سائر الاعمال المعروفة بالأعمال الانسانية ؛ خصص أعضاؤها ذواتهم بزيارة تلك المنازل النتنة التي دُفنت فيها الانفس الحية فصارت تشبهُ القبور المكلَّسة : ظاهرها الرونق والبهاء ، وداخلها التعاسة والشقاء . يزورون تلك الخبايا المظلمة ، فيزورها معهم شعاع الحياة والرجاء فينعش الافئدة الذابلة ويحيي القلوب المائتة . يزورون تلك المنازل فيأخذون من طُرِح فيها من سفالة البشرية ، ويضعونهُ في كير التنشيط ويدنونهُ من نار الامل ، فتُطهره ويصوغون منهُ نفساً جديدة طاهرة لا عيب فيها ولا دنس

***

ونحن في حاجة ماسة الى مثل هذه الجمعية التي تخدم البلاد أجلّ خدمة فتعلّم السعيدات ما هي الشفقة والرحمة ، وتعلّم التعيسات ما هو الصبر والرجاء

﴿ أقوال مأثورة ﴾

* كن على حذر من الكريم اذا هوَّنتهُ . ومن الاحمق اذا مازحتهُ . ومن العاقل اذا أغضبتهُ . ومن الصديق اذا أفشيت بسرّه　　　(ابن عبد ربهِ)

* قال بعضهم : انظر الى المتنصح فان أتاك بما لا ينفعك ويضرُّ غيرك فانهُ شرّير . وان أتاك بما ينفعك ويضرُّ غيرك فانهُ طامع . وان أتاك بما ينفعك ولا يضرُّ غيرك . فاصغَ اليه وعوّل عليهِ　　　(الراغب الاصفهاني)

روسيا و بنو رومانوف

سبق للزهور أن نشرت صورة الشيخ يوسف الخازن صاحب « الاخبار » المحتجبة . وهو الكاتب المجيد الذي طالما طرب القراء لمقالاته الشائقة وابحاثه الدقيقة . ويسر ان تقدم اليوم لقرائنا المقالة التالية منه ، قال :

في أوائل الشهر الماضي خُتِم القرن الثالث لجلوس مخائيل رومانوف على عرش روسيا ، وهو جَدُّ الدولة المالكة فيها اليوم ، فاحتفل الروسُ بذلك احتفالاً باهراً توفّرت فيه مظاهرُ الأُبهة والعظمة على ما يليق بالدولة التي تظلّلُ رايتها سدس بلاد الله مساحةً وعُشر عباده عدداً . فحجَّ القيصر الى بيت جدهِ في موسكو ، حيث يُحفَظُ المهد الذي ضمَّهُ واللعَب التي لها بها وسائر الذخائر المتروكة عنهُ، مما يحفظهُ الابناء برًّا بالاباء وافتخاراً بهم ؛ واقيمت الصلوات الحافلة في عاصمة روسيا تذكاراً للاموات ودعاء للاحياء ، بحضرة ستة عشر مطراناً يتقدَّمهم بطريرك انطاكية ، وقد جيء به خصيصاً من الديار الشامية لهذه الغاية ؛ ووزّعت الصدقاتُ وأطلق السجناء وعفي عن كثيرين من المنفيين ، ووردت على القيصر التهانئ من الملوكِ ورؤساء الحكومات وذوي الحيثيات ، على ما فصّلت ذلك الجرائد اليومية

ولا غرابة اذا احتفلت روسيا مثل هذا الاحتفال بذكرى مخائيل رومانوف فان لابنائهِ فضلاً عظيماً عليهـا ، ومآثر عديدة تخلّدُ ذكرى كثيرين منهم في التاريخ وتسوّغ الافتخار بهم : فانهم تولّوا روسيا ، ومساحتها ثمانية ملايين كيلومتر مربع بما فيها سبيريا ؛ والبحران البلطيقي والأسود مقفلان في وجهها ، فلا منفذ لها الاّ على البحر الأبيض حيث الجليد يكاد يجعل كلَّ منفذ والهواء سواء ؛ واسوج على كتفها قوية الساعد شديدة البأس ، تضطرها الى التنازل لها عن بعض الولايات ؛ وبولندا حاجز قويٌّ بينها وبين دول الغرب تعزلها عنها ، ولا تدع لها رأياً في مجالسهن ؛

وفتوحات الترك تقصر نصيبها من ارث السلطنة الرومانية الشرقية على لقب وشعار[1]؛ والعنصر السلافي ، بوجه الاجمال ، ضعيف الشأن ، خامل الذكر لا يُعبأ بهِ ، ولا يكترث له

وها هي الآن بعد ثلاث مئة سنة من حكمهم على ما ترى : فانهم ما اكتفوا بالمحافظة على ما ورثوه واسترداد ما اضطرّتهم الأحوال الى التنازل عنهُ في بداية ملكهم ، بل زادوه كثيراً بما ضموا اليهِ من الأملاك الواسعة في اوربا وآسيا واميركا . على انهم عادوا فباعوا ولايتهم الاميركيـة للولايات المتحدة ، كما باعت فرنسا من قبل ولاية لويزيانا ، ومع ذلك فمساحة روسيا الآن تناهز ثلاثة أضعاف ما كانت عليهِ في أوائل القرن السابع عشر ، عدا الامارات المستظلة بظلها والمناطق الداخلة في نفوذهـا . ومما يزيد هذه المساحة قيمةً كونُهـا قطعةً واحدة من الغرب الى الشرق . فان روسيا ، من هذا القبيل ، لا يضارعها سوى الصين والولايات المتحدة . أما الصين فانحطاطها لم يدع لها شأناً بين الدول ولسنا نظن أن مستقبلها يكون خيراً من ماضيها اذا اقتصرت عوامل الاصلاح على تغيير هيئة الحكومة ونظاماتها فان مثل هذا التغيير ما كان يوماً دواءً شافياً لأمراض الضعف والانحطاط . وكفى بمصير البلاد العثمانية اليوم شاهداً . واما الولايات المتحدة فمساحتها تسعة ملايين كيلومتر حال كون مساحة روسيا اثنين وعشرين مليوناً . نعم ان للولايات المتحدة مزية عظيمة على روسيا بالنظر الى الموقع الجغرافي ووحدة الأمة وقابلية البلاد للعمران ولكن ما دامت دفة السياسة في يد أهل القارة القديمة فشأن روسيا أعظم وأرجح

اما البحر الأسود فقد أصبح بحيرة روسية لا ينازعها فيهِ منازع بفضل كاترين التي بسطت يدها على ساحله ، ونقولا الذي دافع عنهُ دفاع الجبابرة ، واسكندر

---

(١) لقب « قيصر » وشعار « النسر المزدوج الرأس » الذي اتصل بالروس بمصاهرتهم لبني بليولوج أصحاب القسطنطينية

الذي فك القيود وحل العقود وجدد فيهِ المعاقل والحصون رغم الانوف . وما قيل عن البحر الأسود يقال عن البحر البلطيقي وقد قامت عاصمة الروس على ساحلهِ تفاخر رصيفتها الأسوجية فتفخرها على حداثة عهدها وترسل اليهـا مع كل موجة ذكرى بطرس الاكبر قاهر كرلوس الثاني عشر ومؤسس عظمة الدولة السلافية على انقاض الدولة السكنديناقية

اما بولندا فقد امّحت من سجل الدول وكاد الانتصار لها لا يتعدّى حركات كحركة المسيو فلوكه الصائح في وجه الامبراطور اسكندر الثـاني على سبيل الاحتجاج عند زيارتهِ باريس : « لتحيَ بولندا يا مسيو ! » على ان فلوكه هذا هو نفسه الذي تغدى فيما بعد على مائدة الامبراطور نقولا الثاني في بطرس برج ناسياً بولندا والبولنديين . لكن كيف كانت الحال فالأولى بالاحتجاج أن يوجّه الى النمسا لأنهُ اذا كان اغتصاب الروس لبولندا ينم على الطمع فاغتصاب الساسة النمسويين لها لا ينم عن الطمع فقط بل عن قلة الوفاء ونكران الجميل ايضاً فانهُ لا يخفى على أحد انهُ لولا بولندا لباتت فيانا مرتعاً لخيل الترك ونالها منهم ما نال غيرها من العواصم التي فتحوها ، ولا يزال النمسويون يحفظون حتى اليوم في بعض متاحفهم جمجمة يزعمون انها جمجمة قره مصطفى وهو الوزير الذي وقف عند اسوار فيانا يتهدد النمسويين ويتوعدهم بقطع رؤوسهم والتمثيل بهم وكاد ينفذ وعيده لولا المعونة التي جاءتهم من بولندا . وقد اكبر النصارى كلهم يومئذٍ عمل البولنديين وتغنّوا بهِ في كل مكان وكلّف البابا نقّاشاً من خيرة النقاشين ان يخلد ذكراه على الرخام ويزيّن بهِ كنيسة ماري بطرس في رومية . اما الترك فقد حقدوا على بولندا من أجل ذلك فكانوا أول من فكّر في تقسيمها واقترحوه على روسيا قبل ان يخطر ذلك ببالهـا ولم تقدم عليهِ الاّ فيما بعد بالحاح النمسا وبروسيا

اما الهواجس التي جاءت من جانب الترك فما لبثت حتى زالت وتلاشت ولم

يبقَ لها أثر في الصدور . نعم ان الترك أحرجوا بطرس الاكبر يوماً فاضطر الى توقيع معاهدة بروت على شروط لا ترضيهِ ولكن خلفاءه انتقموا له أيما انتقام : وهذه معاهدة قينارجه – وقد أبت كاترين أن يوقعها الروس الاَّ في مثل اليوم الذي وقعت فيهِ معاهدة بروت – ومعاهدة ادرنة ومعاهدة سان ستفانو كلها تشهد بأن نجم بني رومانوف كان أعلى من نجم بني عثمان وتبين الاسباب التي جعلت كلمة روسيا في الاستانة فوق كل كلمة

اما العنصر السلافي فقد كان ارتقاء روسيا وصعود نجمها في العالم السياسي خير منشط لهُ فدبت فيهِ روح جديدة وأخذ أبناء السلاف في كل مكان يحولون أنظارهم اليها ويسعون الى الاستظلال بظلها وأثبتت الأيام انهُ لا تقوم لهم قائمة الاَّ بالانضمام اليها والاتحاد معها وان من خالف ذلك منهم عاد بصفقة المغبون . وما كان بنيامين السلاف[1] ليقف وقفتهُ اليوم ويخاطب النمسا ومن يشد مشدَّها بلهجة تحجم عنها الدول الكبرى لولا ان روسيا من ورائهِ تثبت عزمه وتشدّ أزره ، ويبض القطا بحضنهُ الأجدلُ

والحق ان روسيا قد فعلت في سبيل ابناء جنسها ما لم يفعلهُ غيرها في القرون الحديثة وربما كان السبب في ذلك ان ابناء جنسها اكثر حاجة من سواهم الى المساعدة والتعضيد . ولم تنحصر عناية الروس بابناء السلاف فقط بل تناولت جميع الذين على مذهب الارثوذكسية ايضاً فكان لليونان والسوريين حظ وافر منها والمشهور انهُ لولا الروس ما قُرِع جرس في سوريا ولا ارتفع صليب في جنازة مسيحية ولذلك كنت ترى المسيحيين العثمانيين بوجه الاجمال ضالعين مع روسيا في حربها مع اليابان ولم يخرج عن هذه القاعدة سوى نفر من تلاميذ المدارس الاميركية لم تبلغهم عبر الماضي او ظنوا ان الانتصار لدولة غير مسيحية على دولة مسيحية يعد دليلاً على

(١) الجبل الاسود

الارتقاء وسعة الحلم والتنزه عن التعصب

* * *

على أن الارتقاء الاجتماعي في عهد بني رومانوف لم يبلغ في روسيا شأوَ الارتقاء السياسي وربما كان السبب الاكبر في ذلك ان الارتقاء السياسي يكفي للقيام بهِ أفراد معدودون تتوفر لهم الاسباب اللازمة وجلها مادية وذلك ميسور في كل آن حال كون الارتقاء الاجتماعي لا بدَّ له من ارتقاء الأمة نفسها وهو أبعد منالاً لأنهُ موقوف على عوامل لا يمكن الاستغناء عنها وجلها معنوية ومرهون بأوقات معينة قلما يمكن تعجيلها بلا ضرر . لذلك اذا صحَّ أن ينسب فضل الارتقاء السياسي الى بني رومانوف لا يصح أن ينسب اليهم التأخر الاجتماعي . ومع ذلك فقد اخذت روسيا تخطو خطوات واسعة في ترقية الشؤون الاجتماعية نظرياً وعملياً

* * *

هذا ما صارت اليهِ روسيا في عهد اربعة عشر قيصراً وأربع قيصرات تولوها مدة ثلاث مئة سنة وقل منهم من لم يترك مأثرة يعرف بها في التاريخ : فمخائيل رومانوف منظم الشؤون الداخلية ، وألكسيس ضابط القوانين ومنقح الكتب المقدسة ، وفيودور ممهد سبل الاتفاق برفع أسباب النزاع والشحناء بين الأعيان والأمراء ، و بطرس الاكبر مؤسس روسيا الحديثة ، وكاترين الاولى منقذة زوجها وجيشه برباطة جأشها وحسن فطنتها ، واليصابات ماحية عقوبة الاعدام اجابة لنداء المروءة ، وكاترين الثانية الملقبة بسميراميس الشمال ، واسكندر الاول صديق نابليون وخصمهُ ، ونقولا الاول امين الملوك على حقوقهم الالهية ، واسكندر الثاني محرر الفلاح ، واسكندر الثالث حليف فرنسا

على اننا اذا رجعنا الى التاريخ نجد أن العائلة المالكة اليوم في روسيا ليست من بني رومانوف حقيقة ولا يربطها بها الاّ رابطة الرحم فقط فانها من سلالة بطرس

الثالث وهو امير الماني ارتقى عرش روسيا بعهد من خالته القيصرة اليصابات وقد انقرضت بها دولة رومانوف في روسيا كما انقرضت بسميتها دولة ثيودور في انكلترا ، وكاترين نفسها ليست من بني رومانوف ولا هي رومانوف ولا هي روسية مطلقاً

فالعائلة المالكة في روسيا من هذا القبيل كالعائلة المالكة في النمسا فانها تنسب الى بني هبسبورج مع انها ليست منهم الاَّ من جانب النساء فان جدها الامبراطور فرنسيس الاول من بيت لورين ولكنهُ تزوج ماريا تيريزا ابنة الامبراطور كرلوس السادس آخر بني هبسبورج وبواسطتها اتصل الملك بزوجها واولاده منها ولكنهم ظلوا ينتسبون الى عائلة امهم . فروسيا والحالة هذه من جملة الممالك التي تحكمها دولة المانية كأنكلترا وبلغاريا ورومانيا

ويتصل نسب بني رومانوف من جانب النساء ايضاً ببني روريك وهم الدولة التي تولّت روسيا منذ أواسط القرن التاسع للميلاد وقد أدركوا في عصرهم شأناً عظيماً وصاهروا بني بليولوج أصحاب الاستانة وبني كابه أصحاب فرنسا . ومن النوادر التي تذكر عن مصاهرتهم لملوك فرنسا ان بسببها سمي ابن هنري الأول ملك فرنسا فيليب : وذلك ان امرأة هنري الأول كانت من بني روريك وكانت تتصل ببني بليولوج من جانب النساء وهم يزعمون انهم من سلالة فيليب المقدوني فسمت ابنها فيليب احياء لاسم أبي الاسكندر جدها المزعوم

ومما يجدر ذكره ايضاً عن بني رومانوف في هذا الباب انهُ بينما كانت معظم الدول الاوروبية تتهافت على نابليون الأول لتزوجه بنتاً من بناتها بعد تطليقه جوزفين أبى بنو رومانوف ان يصاهروه . نعم ان نابليون لم يطلب مصاهرتهم صريحاً ولكن بدا من سفيرهِ في بطرس برج ما يدل على رغبة مولاه في اخت اسكندر الأول فبادرت والدتها وزوجتها زوجاً آخر حتى تسد السبيل في وجه نابليون . ولا يبعد إن يكون ذلك من الاسباب التي زادتهُ حنقاً على روسيا

ومن عادة بني رومانوف انهم يشترطون بقـاء بناتهم على المذهب الارثوذكسي اذا تزوجنَ بغير ارثوذكسي ويشترطون عند زواجهم بغير ارثوذكسية ان تدخل زوجتهم في المذهب الارثوذكسي اولاً وهي عادة تدل – بقطع النظر عن العقيدة – على رفعة الأخلاق وكرامة النفس فان الدين كالعرض لا يتاجر بهِ

يوسف الخازن

المرء ودنياه

عرف القراء اننا نرمي في ما ننشره لكتاب مختلفين من اصقاع مختلفة الى جعل هذه المجلة مرآة تتجلى فيها حالة اللغة والافكار في جميع الامصار العربية . وفي المقالة الآتية التي جاءتنا من دار السلام وفي ما نشرناه قبلها لكتاب الزهور في العراق ما يصح أن يكون نموذجاً للاسلوب الانشائي والحركة الفكرية في تلك الربوع التي عاشت اللغة العربية فيها عصرها الذهبي :

حيـاة المرءِ في دنياهُ ركبٌ	يجوب الارضَ في طولٍ وعرضِ
فتغويرٌ لهُ في أرض قومٍ	وتعريسٌ له في غير أرضِ
وأيام الشهور هي المطـايا	تحثُ السيرَ بعضٌ إثرَ بعضِ
وما عيشُ الفتى الاّ غرورٌ	كظل زائلٍ او خفق ومضِ

يعيش ابن آدم في الدنيا وهو مغرور بزهوها ، وزهرتها . مشبوب الفؤاد بحبها ، طائر القلب اليها ، مشغول الخاطر بقطعها ووصالها ؛ يطلب منها الوفاء وهي تغدر بهِ ويتوسل الى قربهـا بكل وسيلة وهي تخدعهُ ، وتمنّيه بالوعد . « وما مواعيدها الاّ الاباطيل » ! »

ولو علم الانسان – أن الدنيا غادة عطبول ، وعاشق ملول . ان وصلت قطعت ، وان اعطت منعت . نعيمها بؤس ، وحلوها مرّ ، وراحتها تعب ، وبقاؤها فناء ، وعمارها خراب ، واهلها في خطر منها – ما ركن اليها بكله ، وما سعى لهـا كلّ

السعي ، وما بات وليس له من شغل شاغل سواها ، ولا ذكر الاّ ذكراها . . .

أيها الانسان الذي غرّه من الدنيا زخرُفها ، واطمعته امانيُّها ، واستغوته شهواتها ، واستغوته زينتها وطلاوتها ، وانطلى عليهِ محالها . اصخ السمع ، وعِ القلب ، الى وصف حال الدنيا وسيرتها مع أهلها ولا أظنك بمصغٍ ولا بواع . !

أيها الانسان إن الدنيا كما جاء وصفها في القرآن المجيد ولا ابلغ من ذلك الوصف شيئ « كماء انزلناه من السماء ، فاختلط بهِ نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح ؛ وكان الله على كل شيئ مقتدراً . »

بينما تراها مقبلةً عليك بنضرتها ، وبهجتها ، ليس لها بعل غيرك ، ولا دار سوى منزلك ، ولا نظرة الاّ اليك ، تراها بأسرع من لمح البصر قطعتك الوداد ، ومنحتك الصد والبعاد ، فانقلب سرورك حزناً ، وحلو عيشك مراً ، وصفو شرابك رنقاً كدراً ، وتركتك وحيداً فريداً ، في مفازة من ضنك العيش ، ووحشة الفقر ، لا مؤنس لك ولا متوجّع ، ولا ناصر لك ولا معين ، كمن جاءه الموج من كل مكان ، جفاك بجفائها الاصحاب ، وانكرك الاقارب والأباعد والأهل والجيران. وصارت كل خلة كانت لك في الغنى مدحاً ذماً

فأضحى الذي يوّد أن تكون لك حاجة عنده ، فيتقرّب اليك بها ويتشرف بقضائها يتشاغل عن ردّ سلامك اذا ما سلمتَ عليهِ لا لشيئ هناك بل وفاءٌ منك بالودّ له ! فهو يترك واجباً ويفعل محرماً ، حذراً من ان تقول له قد بتُّ البارحة أنا وزوجي وأطفالي لا فراش لنا سوى التراب ، ولا غطاء لنا سوى السحاب ، ولا طعام لنا سوى الماء والهواء ، فهل لك ان تكرم عزيز قوم ذلّ ، وشريفاً حسبه الجاهلون غنياً من التعفف ؟

وأمسى الذي يوسط الواسطات الى الحضور بين يديك أكره شيئ في عينه النظر الى وجهك . ولو في ليل ادلهمّت دياجيره ، كأنما ينظر اليك بعينين غير عينيهِ الأولين

وبات الذي كان يفتخر بمجالستك ، ومنادمتك في سفرك ومحاضرتك يستنكف من جلوسك الى جنبهِ ، ولو في قفر من الأرض لا رائح فيهِ ولا غاد

وعاد الذي كان يسعى في حسن خدمتك من قبل ، أقبح شيءٍ يراه حسن خدمتك له ، فتراه يتأمر عليك ، ويتذمر منك ، ويحكم فيك حكم السادة على العبيد ، ولا يرى حقاً لنعمتك التي أسبغتها عليهِ فيما مضى كأن لم تكن شيئاً مذكوراً !

وراح الذي كان يتبرَّك بلباس ثوبك الخاق ، يفرّ منك « فرار السليم من الأجرب »

وصار الذي كان يستنجدك في الملمات ، ويلجأ اليك في المهمّات ، يتربص لك الدوائر وينصب لك المكايد ، ويؤلّب عليك اذا استنجدته في الخلاص من ورطة وقعت فيها ، فاذا الذي يستنصرك بالأمس يستصرخك

أيها الانسان الذي غرّه من الدنيا ظواهرها ، وخفيت عليهِ بواطنها ، فقام لها على قدم وساق ، وشمّر لها عن ساعد الجد والاجتهاد ، واحبَّها حباً اعشى بصره عن مساوئها ، وأعمى قلبه ، وخامر عقله ولبّه ، حتى استحوذ عليهِ شيطانها ، وأخذت بمجامع قلبه شهواتها . ويا أيها الانسان الذي يتفانى في حبّ الدنيا ولا يلهج الاَّ بذكرها ، ولا ينشد الاَّ ضالتها ، ولا يعرف الاَّ إياها ، ولا ينظر الى سواها ، هلاَّ اعتبرتَ بما عاملتْ بهِ تلك الدنيا آباءك المتقدمين ، وأجدادك السالفين ، أهل القرون الأولى والقوم الجبارين ؟ فكم أفنت من دول ، وكم أبادت من الملوك الأُول ، أرباب السطوة والسلطان ، والأسرّة والتيجان ، الذين عمروا فيها عمر نوح ، وملكوا ملك سليمان ، وبنوا بناء الاسكندر ، وطغوا طغوّ قارون ، وصالوا صولة النمرود ، وحكموا حكم القياصرة ، وعاشوا عيش الأكاسرة

أين أين الملوك أين الرعايا　　أين أين القوّاد للاجنادِ

أين أين البناةُ أين المباني　　أين من شيّدوا كذات العمادِ

أين اسكندرٌ وأين هِرَقْلٌ		أين نمرود أين ذو الأوتادِ
أين قارون أين فرعون موسى		أين كسرى وقيصر ذو الآدِ
أين من كتّبوا الكتائبَ للحر		ب وصالوا بالمرهفات الحدادِ
أين من كانوا يحرصون على الما		ل ومن كان كعبةَ القصّادِ
هـذه دورُهم تجيبك عنهم		لو يجيب الجمادُ صوت المنادي
صرعتهم كأسُ المنون ولمّا		يستفيقوا حتى ليوم التنـادي
وغدوا يُحملون من بعد عرش الـ		ـملك في موكب على الأعوادِ
وغـدا ما لهم وما جمّعوهُ		للأعادي إرثاً وللحسّادِ
وجفـاهم اخوانُهم وبنوهم		وجميـع الحجّاب والقوّادِ
وثووا في القبور من بعد ما كا		نوا بعالي القصور كالأطوادِ
واستقروا في ضيّق اللحد يا سـ		ـعدَ مقرّ السيوف في الأغمـادِ
ورضوا بالتراب بعـد فراشٍ		من حريرٍ موثّرٍ ووسادِ
جمعتهم دارُ المنونِ جميعاً		وهمُ من قبائلٍ وبلادِ
فغدا الضدّ يألف الضدّ طوعاً		وغريبٌ تآلف الاضـداد
ومليك الزمان منهم له الندو		دُ نديم بعد الحسان الخرادِ

فاذا كان هذا مسير الانسان ومصيره ، فينبغي للعاقل أن ينظر الى الدنيا نظر معتبر ، وان يجعل مقامه فيها مقام مسافر ، نزل دارها اليوم و يرحل عنها غداً . وان يحاذر منها كل الحذر ، لأنها عدوّ في ثياب صديق ، وان يبذر فيها ما طاب غرسه، وزكا أصله ، ونما فرعه ، واينع ثمره ، وحلا ذوقه ، واعذوذب طعمه . لأنها مزرعة الآخرة ، والمرء يحصد ما زرع : وان لا يحزن على شيء فاته منها ، ولا على شيء انقطع عنه بعد ما اصابه منها ، بل ينبغي له أن ينزل ما اصاب منها ، منزلة ما لم يصب . لأن جوهرُها عرض زائل ، وكسبها خسران مبين . وان لا يتزوّد من الدنيا الاّ

بقدر ما تمسّ الحاجة اليهِ . وأن يقنع بالشيء اليسير منها ، اذ لا شيء اغنى من القناعة . « ومن هضمَ دنياه وزهدَ فيها لآخرته ، لم يحرمهُ الله بذلك نصيبه من الدنيا ؛ ولم ينقصه من سروره فيها . » وان لا يبيع آخرته بدنيا غيره حتى ولا بدنياه

وينبغي للعاقل أن يستقرئ أخبار السالفين وأعمالهم ، فيأخذ بالاحسان منها عملاً ، ويترك القبيح ، ويذهب مذهب من سلك طريقاً هداه الى الحق ، والى الصراط المستقيم ، ويتجنّب منهاج قوم يجرُّ ناهجه الى الضلال ، وسوء المنقلب . وان لا يكون غير ذي دين ، فان الدين رابطةُ الانسان بحلاله وحرامهِ ، وان لا يظن الاّ حسناً ، ولا يكون سيئ الاعتقاد في الناس ، فان سوء الاعتقاد روح الفساد

وينبغي للعاقل أن لا يُبغّض الى نفسه عبادة ربه ، وان يساوي بين معاشهِ ومعاده ، وان لا يترك مجالاً لنفوذ احدهما على الآخر . وأن يعمل فيها عمل من يأمل أن يموت هرماً ، وعمل من يرجو أن يموت غداً . وان لا يفرح بالكثير من المال اذا ناله ، ولا يحزن لقلته اذا فقد الكثير منه . وان يصنع المعروف مع كل فردٍ من ابناء جنسه . وان يجود على الناس بما وسع الله عليه من الرزق ، وينتهز فرصة نعم الله عليهِ ، فيتفضل بها قبلَ زوالها . لأن الغد وراء الغيب ، والمرء لا يعلم من نفسه الاّ ماضيها وحاضرها . فهو في مستقبله كالأعمى السالك طريقاً وعراً في ليلة ليلاء ، لا يدري أينَ يضع قدمه ، في النار أم في البحر

وينبغي للعاقل ان يكون جلداً صبوراً اذا ما انتابته نوائب الزمان ، وطوارق الحدثان . وان لا يترك حاسديه يشعرون بما اصابه من المصائب . وان يكون ذا حزم واقدام ، وان لا يصدّه أدنى عائق يعيقه عما يحاوله من صعاب الامور . وان لا يتهاون بصغار الاشياء ولا يستعظم في عين كبارها . فان الصغار يلدن الكبار . ومن هاب الشيء العظيم خسر ما دونه

وينبغي للعاقل أن ينظر الى عيب نفسه ، قبل أن ينظر الى عيب غيره . وان

يغض طرفه عن عيب أخيه ولا يفاتحه بهِ مخافة أن يفاتحه بمثله . وأيّ الرجال المهذب

وينبغي للعـاقل أن يتعلم العقل من المجنون ، والحلم من رأي السفيه ، وحسن الاخلاق من سيئها ، والعلم من الجاهل ، والأدبَ من السافل، والدين من الكافر. وان يأخذ الوفاء عن غدر اللئيم ، والعبرة عن الدهر . واللبيب من اتعظ بغيره

وينبغي للعاقل تهذيب نفسه وتعويدها فعل الخير وكل ما ينفع الناس عامّة ، ورفض ما يضرُّ بهم

وينبغي للعاقل أن يكون صادق اللهجة ، حسن العشرة ، طلق المحيا في سرائه وضرائه . خفيف الطبع وقوراً وفيًّا ، تصدق اقواله وافعاله . وان يكون اميناً محبًّا للفضل وأهله ، منصفاً يتبع الحق حيث كان ، ويطلبه حيث وُجد

وينبغي للعاقل أن لا يعمل عملاً حتى يتدّبر عاقبة امره كيف تكون — فان كانت حسنة بادر اليه بلا توان ، وان كانت سيئةً وخيمة تركه بلا فشل وندم — فربّ احجام خير من اقدام

وينبغي للعاقل أن يكون سليم القلب واسع الصدر سمحاً صفوحاً ، محبًّا للسلم مبغضاً للحرب لأن الحرب داء قتال ، يفتك بالنفوس فتكاً ذريعاً . وان لا يبغي على أحد ، لأن البغي شر والشر يورث الدماء ، وان لا يعادي أحداً ، ولا يضمر سوءا لأحد ، لأن المرء قليل بنفسه كثير بأصحابه

وينبغي للعاقل أن لا يحتقر صغيراً لصغره ، ولا يوقّر كبيراً لكبره ، اذ المرء بأصغريه أو كما قال ابو الحسن علي : «المرء مخبوء تحت طيّ لسانه لا تحت طيلسانه» وأن يأخذ الحكمة ولو نطق بها مجنون ويأخذ ما يوافق رأيه من قول غيره ، ولا ينتقد ما يخالف رأيه منه كونه خالفه . فلكل فردٍ من البشر رأي والكمال لله وحده

(بغداد)　　　　　　كاظم الدجيلي

في رياض الشعر



انتَ يا مَن انتَ في عيـ ني وفي قلبي مصوَّرْ
لك اهدي صورتي فانـ ظرْ اليهـا وتذكَّرْ

نقولا رزق الله

﴿ عرس في معركة ﴾

نظمت في سنة ١٩٠٢ عقيب ثورة البكسر في الصين

وَقفَا للوداعِ ذاتَ عشيّة هُوَ يبكي كالطفل وهيَ شجيّة
وقفةً كلٌّ منهما ودَّع الآ خَرَ فيهـا مستقبلاً للمنيّة
حالَ دونَ العشـاق بينهما كتـ مانُ تلك المحبةِ السرّية
ففؤادان يخفقانِ ولحظٌ يتنـاجى ولوعـةٌ عذريّة
بينما كانـ والداهـا الى الفلـ لك يؤمّان « مركباً » حربيّة
وهيَ فيهـا مَسُوقةٌ مثلما كا نت تُساقُ الذبائح البشريّة
وهديرُ الأمواج يدوي وقلبُ الـ صبِّ عند النوى يهابُ دويّة
وصفيرُ البخـارِ يُنذرُ بالبيـ نِ وغوغاء عصبةٍ نوتيّة
رشقتْهُ بنظرةٍ ثمَّ قالت لستُ أنسى هواكَ ما دمتُ حيّة
ليَ حُبّي الذي عرفتَ ووجدي ولكَ العهـدُ والوفاء وصيّة

* * *

نشأا عاشقَين طفلَين كلٌّ منهما يحسَب الغرامَ سَجيّة
حفظا في الطريقِ والبيتِ والكُـ تّابِ سرَّ الهوى وفي البريّة
شهدَ الناسُ أنَّ بين الصغيريـ نِ آئتلافاً وصحبةً أخويّة
ثمَّ شبَّ الهوى كذاكَ رويداً وكذا للهوى تكونُ المزيّة
وقضى اللهُ بالنوى حين جدَّ الـ وَجدُ بين الفتى وبين الصبيّة
اذ قضى الدهرُ أن يكونَ أبوها كاتباً في السفارةِ الصينيّة
نازحاً عن معاهدٍ مرَّت الغبـ طةُ فيهـا بسرعةٍ برقيّة
من بلادِ الألمـان موطنِ قومٍ عُرفوا بالجهادِ في الوطنيّة

وهيَ أرضٌ يعيشُ تحتَ سماء الـ ـعلمِ فيهــا من شاءَ والمدنيَّة
سارَ عنهــا لكي يجاورَ أقوا ماً تساوَوا في الجهلِ والهمجيَّة
صحبتهُ زوجٌ لهُ وابنةٌ عــذ راءُ كانت كأنهــا مسبيَّة
نبذت داعيَ الغرامِ وقامت بفروضِ المحبَّةِ البنويَّة

* * *

قبل عهدِ التاريخ في الصين أقوا مٌ أقامت مجهولةَ الذريَّة
من بني آدمٍ اذا كانَ حقاً والداً للسُلالةِ البشريَّة
جهلوهُ وأنكروا كلَّ دينٍ غيرَ ما أشركت بهِ الوثنيَّة
كلُّ شيءٍ لديهمِ قدَّستهُ روحُ ربٍ تجول فيــهِ خفيَّة
يجدُ البــاحثُ المؤرخُ فيهم امماً ميتــةً وتُحسَبُ حيَّة
وقفتْ بين ان تموتَ وتحيي وقفةً خيل أنَّهــا أبديَّة
وأبى الغربُ أن تظلَّ كسدٍّ في سبيلِ الحضارةِ العصريَّة
فصلاَها حرباً يشبُّ لظــاها بينَ عصرِ العلوم والجــاهليَّة
وهيَ حربٌ في الصينِ قامت لأنَّ الصينَ تهوى بقاءهــا صينيَّة
وترى كلَّ دولةٍ دونهــا شأ ناً وبطشاً ونجــدةً وحميَّة
والحديثَ المصنوعَ ألعوبةَ الطفـ ـل تراهُ او بدعــةً وحشيَّة
والعدوَّ اللدودَ كلَّ غريب فهي تقضي بقتــلهِ أمنيَّة
مَن يمتْ في قتــالهِ من بنيهــا نالَ حظَّ الشهيــدِ في الأبديَّة
شنةٌ ناصبوا بهــا الشرقَ والغر بَ عِــداءً والعلمَ والحريَّة
وتداعوا فقامَ كلٌّ ينــادي اقتلوا الأجنبيَّ والأجنبيَّة
لا تظنُّوا مالاً نهبتم حراماً لا تظنُّوا نفساً قتلتم بريَّة

* * *

بينا كانت الشوارعُ في « با   كينَ » تُكسى بحلّةٍ قرمزيَّهْ
نسجتْهـا أعضاء ميتٍ قتيلٍ   او جريحٍ مستهدفٍ للمنيَّـهْ
ومرائي السماء سوداء يغشـا   ها دُخانُ القذائف الناريَّهْ
برزت للعُداةِ بكرٌ رداحٌ   تتجلَّى كأنهـا حوريَّهْ
تقذفُ النارَ من يديهـا فيرتدُّ   ونَ عنهـا بأوجه مشويَّهْ
وهي تلك التي وصفنـا جَواها   ووصفنـا شؤونها الحبيَّـهْ
كانَ في قلبهـا بقيةُ صبرٍ   ثم زالت باليأسِ تلك البقيَّـهْ
أغضبتْها الحيـاةُ كالحلمِ تمضي   وديارُ الحبيبِ عنهـا قصيَّهْ
ورأت انَّ قومَها بين حصرٍ   واسارٍ أشدَّ منـهُ أذيَّهْ
والمنـايا البهمِ تمشي   عابساتٍ لكنْ خُطاهـا بطيَّهْ
فارتمت تقحمُ العدى وتنـادي   أيُّها الموت خذْ حياتي الشقيَّهْ
ثم دمّرْ مني سفينـةَ يأسٍ   بينَ امواجِ دهرِهـا مرميَّهْ
رُبَّ صبٍّ قضى شهيدَ هواهُ   وشجاعٍ في الحربِ ماتَ ضحيَّهْ

***

قال منهم مقـدَّمٌ فتنتـهُ ،   مذ رآها ، ألحاظُها البـابليَّهْ
لا تمدُّوا يداً اليهـا بسوءٍ   بل خذوها اسيرةً او سبيَّـهْ
واذا صائحٌ يصيحُ فِراراً   يا رجالَ الديانةِ البوذيَّهْ
داهمتكم مدافعٌ مهلكاتٌ   وجنودٌ على الجنودِ قويَّهْ
نجـدة لو دفعتموها تخلَّتْ   دُورَ « باكينَ » من بنيها خليَّهْ
ثمَّ وافى من الفرنجة جنـدٌ   هو عنوانُ وحـدةٍ دوليَّـهْ
فلغـاتٌ في النُطقِ مختلفاتٌ   ونفوسٌ لم تختلفْ في النيَّهْ
فوقَهـا كلُّ رايةٍ أنزلَ المجـــدُ عليهـا آياتهِ الحربيَّـهْ

نظّمتهُ ممالكُ الأرضِ جيشاً تتباهى بمثلهِ الجندِيَّة
يتمنّى الجُنديُّ لو انّهُ الجثّةُ في بعضِ رايةٍ مطويّة
وغدا فارسٌ يشقُّ غبارَ الحربِ بين الكتائبِ البكسريّة
وقعت عينُه على غادةٍ تُستاقُ للسبيِ وهيَ غضبى عصيّة
بين قومٍ صفرٍ اذا الحربُ ثارت نفروا كالنعامِ في بريّة
سامَ فيها حبيبةً سامَهُ طولُ نواهــا والوجدُ كلَّ بليّة
هيَ كانت منــاهُ لمّا تردَّى برضاهُ الملابسَ العسكريّة
فدنَا لا يرى قيادةَ غيرِ الحبِّ بالطوعِ والخضوعِ حريّة
ونجا بالفتاةِ من ربقة السبيِ الى حفلةِ الزواجِ الهنيّة
فاستظلاً منها برحمةِ أيدٍ شأنها الرفق انها والديّة
سُرَّ ذاك الزواجُ غير العروسَيْنِ أباً صالحاً وأمّاً تقيّة
ورفاقاً في الحرب كانوا جنودا ثم صاروا من بعدِهـا جمعيّة
تسأل اللهُ ان يبارك عِرساً قامَ بين المعاركِ الدمويّة

نقولا رزق الله

﴿ بين الشريف وصبري ﴾

سمع اسماعيل صبري باشا بيتي الشريف الرضي ، وهما :

أرى بعد وردِ الماءِ في القلبِ غلّةً اليكَ ، على أني من الماءِ ناقعُ
وإني لأقوى ما اكونُ طاعةً اذا كذبتْ فيكِ المُنى والمطامعُ

فقال مجاراةً لهُ :

يا مورِداً كنتُ أغنى ما اكونُ بهِ عن كلِّ صافٍ اذا ما بات يُرويني
عندي لمائكَ، والاقداحُ طوعَ يدي ملأى من الماءِ ، شوقٌ كاد يُرديني

﴿ في سبيل الشرق ﴾

لم يبقَ لي الاّ الشبابُ ، وانهُ ديباجةٌ ضمن الأسى إخلاقَها
نزلتْ بنهلانَ الهمومُ فلم يُطقْ حتى نزلنَ بكاهلي فأطاقها
وكرهتُها ، ومن الغرائبِ أنني لشديدِ إلفنِها كرهتُ فراقها
أشتاقُ أطرحُ الهمومَ ويقتضي ظمأي الى الآلام أن أشتاقها
ولربما عرف المحبُّون التي تجني الشقاء فأصبحوا عشاقها
شأن الفراشةِ واللهيبِ فإنها تغشاهُ وهو مسببٌ احراقها
يشكو الصبابةَ كلَّ يوم مدَّعٍ وأحقُّنا دعوًى بها من ذاقها
لو أنصفتْ تلك الحمامةُ لوعتي نضتِ الخضابَ ومزَّقت اطواقها
يا هذهِ ، حتى الغصونُ لما بها نثرَتْ على وجه الثرى أوراقها
مثلَ التي لَزِمَ الخفوقُ جناحَها أصبحتُ مرتكضَ الحشا خفّاقها
داءٌ تحاماه الطبيبُ ، وعلّةٌ طلب العليلُ فلم يجد إفراقها
مرَّتْ بنا الأممُ الطليقةُ، وانثنتْ أخرى تُعالج أسرها ووثاقها
هذي الجياد ، فمن تعاطى شأوَها يا شرقُ فيك ومن اراد سباقها ؟
يا مشرقَ الشمسِ المنيرةِ ، انها وأبيكِ شمسك فارقت إشراقها
اما ليـاليكَ التي قد أقمرتْ فلقد طوت الكَ محوها ومحاقها
فاقتْ وبزَّتْ امةٌ غربيَّـةٌ من بزَّها في المشرقين وفاقها
.واذا اراد اللهُ رقدةَ امَّـةٍ حتى تضيعَ ، أضاعها اخلاقهـا
ملَكَ الضلالُ زمامها ، فاذا حبت أو أمسكت سببَ المعالي عاقها
رأت العدالةَ لا تروقُ لعينها فتلمَّستْ في الليل ظلماً راقهـا
عجلتْ على البلوى فساقت نفسها للموت ، او عجل البلاء فساقها

ما عذرُ طائفةٍ أضاعت مصرها ... ان لا تُضيعَ شآمها وعراقهـا
برزتْ وقابلهـا الزمان بسيفهِ ... فأطنَّ ساعدها وعرقبَ ساقها
أين الذين اذا اكفهرَّتْ اوجهٌ ... هبُّوا لنـا طُلُقَ الوجوه عتاقها
للهِ اطماعٌ اصابت خُلفهـا ... فيهم وآمالٌ رأتْ إخفاقَها
نظرتْ الى الحُلم الجميل فهاجها ... ورنت الى الطيفِ الملمِّ فشاقها
او ما تشوقُكَ يا خيـالُ بقيةٌ ... في أنفسٍ لك كابدتَ أشواقَها؟

(النجف) محمد رضا الشبيبي

❋ رائع الشيب ❋

دَبَّ قتيرُ الشيبِ في مفرِقي ... سبحانَ من طرَّز هذا الشعارْ
طار الغرابُ الجونُ من فرعهِ ... ما لغرابٍ فوقَ فرعٍ قرارْ
قد كنتُ من فودَيَّ في ليلةٍ ... يا ليت لم يطلع عليَّ النهـارْ
أغضبَني الشيبُ ملمًّا وقد ... اعذرُهُ لو يكتفي بالعِذارْ
سحابةُ الشعرِ اذا صرَّحت ... بالبرق فاضت بالدموع الغزارْ
مُلْكُ النجاشي في نواحي الورى ... ليس سوى بعضِ ليالٍ قصارْ
يسودُّ بختي بالبياض الذي ... بانَ على الهامةِ بعد السرارْ
جفَّ رطيبُ الجسمِ يا عاذلي ... فصرتُ أخشى فيهِ وقعَ الشرارْ
تأمل النسرين في لمتي ... قابلَ في الوجنة لونَ البَهارْ
قد ضحكَ الشيبُ برأسي وقد ... ضحكتُ لما قيل هـذا الوَقارْ

نسيب ارسلان

مصارع الادباء

بلغ من بغضيَ للشعر أن صرتُ أعرض عن سوانح معانيه في لوامع قوافيه . القاعد بالجدود عن منازل الشرف ، المتواكل بالعزمات عن بلوغ نهايات الأرب . احدى فتن الخيال . تجري بها البداءة فتتلقاها مسامعُ بالقبول ، وتتلقاهــا مسامعُ بالملل . أبعدْ به و بطلاّبه

يتهادى امراء الذّهب بين « شولر » و بين « سبلنديذبار » تُساقط اعطافهم الجنيهات ، ويطوفون حول معاهد الصبوة في عواصم الغرب من « مُنْتْ كارلو » الى « مُنْتْ كارلو » . ثم يأوون الى بيوتٍ كثرت فيها الديكة والحمائم ، ثمَّ يصبحون في لزباتهم يهبون المال في دعاوي ومخاصمات : فطلاق وزواج وميراث وشركة يتخلل ذلك كله لعب الورق واستشارة الوكيل وإدلال الكاتب ، وما ادراك ما الكاتب ، و بيع الاطيان واقتراض المال . بدرانٌ تفيض العسجدَ ، وتنفجر عن ذوب اللُّجين ، والشاعر يريد ان يبيع ديوانهُ « بقرصٍ من الطعميّة » فلا يجد مشترياً ، والكاتب يعرض دفاتره مجّاناً فلا يرى قارئاً فسبحان الله !

علَمٌ من أعلام العراق . هو أبو القصائد المحبَّرة والقوافي المحكمة . نزيلٌ بمصر ، مقيمٌ في دار حزنه يعالج أيامهُ ، و يعاني شدائدهــا وليس بمصر مَن يقول له أين أصبحتَ أيها الأديب العظيم ؟ « أحمد مفتاح » رجلُ البلاغة ، يموت ويدفن ولم تكتب خبر وفاته جريدة من الجرائد فيما علمت . و « محمد امام العبد » وهو شاعر مجيد يُوسّدُ بالأمس التراب ، ولا يتقدَّم أحد ليقيم له ليالي مأتمه . وفي بلاد الغرب يصنعون التماثيل للشعراء ، و يسمّون باسمائهم الشوارع والدوارع ، و يجعلون لميلادهم ولموتهم اياماً في كل سنة هي بمنزلة أيام الأعياد . ويقولون بمصر : الدستور والجلاء والمؤتمر ، وتكتب الجرائد ليحيَ وليسقط . من يحيى ومن يسقط ايها المساكين ؟

لكل آمريء في هذه الأمــة موضع يميّزه ؛ والناس في درجاتهم متقاربون . وليس رجلٌ ينكرهُ معارفه ، ويتجافاه أقرب أقاربه الاّ الأديب . فهو اذا برّز على أقرانه حسدوه ، وان أقصر عنهم حقّروه ، وان ولج جمعاً جالت فيه أبصار المستهزئين . ولله في خلقه اناسٌ يفخرون بملابسهم ، وليست بصنع أيديهم ، ولا انسجتها من نسجهم ، ولا اثمانها من كسبهم ، ولا زينتُها تجمل ما قبح من اشكالهم . اولئك يطاوّون الهامات ، ويذلّون الرقاب ، ويتهادون في كل مزدحمٍ ، تهاديَ الكواعب الرُّود في الوشي والبرود . طواويسُ الرجال يقضون طوال الأعوام في ديوان الحياة ، ثم يخرجون منهُ كما تخرج الأنعام من تحت السقائف ، لا متزودين ولا مستخلفين . الى حيث ألقت رحلها !

***

ننظر الى الكتاب المطبوع باحدى اللغات الأجنبية فنرى مكتوباً على جلدهِ : الطبعة العشرون والطبعة الخمسون واكثر من ذلك . وقد يكون عدد نسخ الكتاب ، في الطبعة الواحدة ، عشرة آلاف على الأقل ، وليس في الشرق كتاب طُبع مرّتين الاّ نادراً او ما كان متضمناً للمجون . وجرائدنا يأكل مشتركوها اثمان اشتراكهم فيها ، ويكتفي قرّاؤها بنسخٍ يأخذونها من المشتركين ، او يقرأونها في القهوات . وقد يبالغ في الغرابة بعضهم فيردّ الجريدة مكتوباً عليها (مرفوضة) بعد ان يكون قرأها أشهراً وأياماً . وأغرب منهم من جاءته جريدة « الجامعة العثمانية » وهي جريدة كانت تنشرها « الجامعة العثمانية » في بيروت ، وتعطيها من دون ثمن ، ويُكتب على غلافها « مجاناً » فردّ الرجل الجريدة بعد ان كتب على غلافها بالعربية والفرنساوية « مرفوضة » . رفضَ الفضل ورفض الكرامة . لا طال ذنب زمانه ! ولم يخجله كرَمُ الذين أحسنوا بها عليهِ احساناً لم يقع على مستحقّهِ . ومثل هؤلاء المخلوقات كثير بيننا ولا فخر !

يموت ادباؤنا ، وتُطفأ أنوار المعاني في عقولهم ، وتبقى بيوتهم خاليةً وأجداثهم دائرةً ، وليس فينا من تحدّثهُ نفسهُ بأن ينقّبَ عن آثارهم ، وينشرَ للأمة ما طويَ من معارفهم إقراراً بفضلهم ، وتخليداً لذكرهم ، واستفادة من آثار قرائحهم . ونحاول بعد ذلك أن نجاري الأمم او أن نُشبه عباد الله . ما اكبرَ جهلنا باقدارنا ، وما أبعدنا عن مواضع الانصاف

لا أديبُ العراق أجدتهُ فرائده ، ولا الاستاذ مفتاح هنأته بلاغته ، ولا امام العبد أغناهُ شعره . وانَّ نسخة من قصة « القاضي والحرامي » او قصة « دليلة المحتاله » لأحبُّ الى عامتنا ، وأشهى الى خاصّتنا من درر هؤلاء العظماء وجواهرهم ، وأدعى للشجون ثم أبعثُ للطرب من قصائدهم وفصولهم . سقاهم الله ! رعاهم الله ! عاشوا مظلومين وماتوا مظلومين . وأودعتْ بطون المقابر كنوزاً يتباهى بامثالها ملوكُ الأرض . يروى أنَّ بعض الانكليز يقول « لو خُيِّرنا بين أن نخسر الهند كلها أو نخسرَ شكسبير لاخترنا خسارتنا للهند ، ولأبقينا شاعرَنا عوضاً عنها » ونحن ماذا نقول ؟ نقول لتحيَ الديكة والحمائم ، أم نصيح ليحيى الدستور ؟؟

انا لنطمعُ اليوم في ان ننال ما لا يتاح لنا الاّ بعد خمسين عاماً فمَثلنا مثَل جماعة من العميان قيل إنّهم ركبوا أحدَ المعابر (القوارب) ليعبروا النيل . فقال قائلهم : هل لكم في الخروج من المركب من غير ان تدفعوا اجراً ؟ قالوا بلى . قال : اذن فاسمعوا لما أقول . اذا قارب المعبرُ الشاطىء صاح النوتي . « فلّق » . فثبُوا هنالك وثبةَ رجلٍ واحد ، وتفرّقوا هرباً ، واعلموا أنهُ لا يترك معبرَهُ ويعدو وراءكم . فقبلوا المشورة . وكان النوتيُّ يسمع المؤامرة وهم لا يشعرون . فلما توسّط النهر صاح « فلّق » . فوثبَ العميان فوقعوا في البحر وغرقوا . واني لأخشى ان ينادينا الغرورُ نداء النوتيّ فنغرق غرق العميان

الأمة في حاجة الى نوابغها ، ونوابغها غرباء بينهـا ، والصوت الأرنّ والقول

المسموع ما يهتف بهِ قوم صمتت ألبابهم ، ونطقت ألسنتهم . هم المسيطرون وهم الزعماء

حَسْبُ الأديب في الشرق نعوتاً تكال له كيلَ الحشف . فهو الأديب الفاضل ، والشاعر البليغ ، والكاتب البارع ، واللوذعيّ والالمعيّ وغير ذلك . وليت هـذهِ النعوت تُحبى لمن تصدق فيهِ ، او فيمن تكاد تصدق فيهِ . ولكنهُ مشارك فيها مشاركة الغبن . أهل البلدة كلهم ادباء فضلاء بلغاء فصحاء ، ما سلم من ذلك ملكٌ ولا سوقة . واظنُّ هذه هي المساواة التي يطلبهـا مجانين الدستور ، لا المساواة في الحقوق التي يثني عليها أهل الانصاف

ألا مَن مبلغٌ عني كلَّ أديب في الشرق أنهُ أديب وانهُ فاضل ، وانهُ لوذعيّ ، وانهُ ألمعي ، وانهُ فصيح ، وانهُ بليغ وانهُ عند الناس وجودُهُ مثل عدمهِ ، وانهُ أهون على امراءِ الذهب من ديك من ديكة الهند ، او من حمامةٍ من حمائم اليمن

كنت ذات يوم راجعاً من دار البريد وفي يدي سيكارةٌ هي أخرى اخواتها . فمرَّ بجانبي رجلٌ يسرع في مشيتهِ ، فاستطارها من يدي حتى وقعت على الأرض ! وكان اليومُ شديدَ الهاجرة لافحَ الحر . فلما توسطت الشارع رأيت عربةً نظيفة فيها رجلٌ من رعاع القوم ، وامامه اثنانِ من الأوزّ . ثلاث رفقةٍ في خير عربةٍ ، يقودها جوادانِ مطهَّمان . فرفعت طرفي الى السماء وقلت : يا ربّ تُلهمني الشعرَ ، وتُجري يراعيَ بما يستطيعُ من النثر ، وتجعلُ عبادك يدعونني بالأديب إن صدقاً وان كذباً ، ثمَّ أرى أني أحقرُ من الاوز في هذا الشرق ؟؟ ثم انصرفت صابراً

هذا ميدان واسع ، يتعب الجائل في ارجائهِ . ولولا حقوقٌ للأدب وأهله ما سطّرتها . ثلاثة اخوانٍ : مكروبٌ ودفينان . أما الرثاء فبعضُ ما يجب ولن يفوتني ما استطعت منهُ ، وأما النحيبُ فاني سوف انتحب . فَمَن لي بمَن يساجلني الدمعَ ، ويشاركني في الشكاية . اما أنّا لمظلومون ! !　　　　ولي الدين يكن

تأثير الدين في المدنية

أهمُّ المبادئ التي تسير عليها الأمم، وتُعتبر منار التاريخ وعماد الحضارة، المبادئ الدينية؛ وقد كانت على الدوام أهمَّ عنصر في حياة الأمم، وهي لذلك أهمُّ عنصر في تاريخها. فأكبر حوادث التاريخ التي أنتجت أعظمَ الآثار هو قيامُ الديانات وسقوطُها. وأوّلُ المسائل الأساسية، في الازمان الغابرة وفي الازمان الحاضرة، المسائلُ الدينية. ولو ان الانسانية رضيت بموت جميع آلهتها لكان هذا الحادث أعظمَ الحوادث التي تمّت فوق وجه الارض منذ ظهرت المدنيات الاولى

لا ينبغي لنا أن ننسى أنَّ جميع النظامات السياسية والتدبيرات الاجتماعية قامت، منذ بداية التاريخ، على معتقدات دينية، وأن الآلهة هي التي لعبت أكبر دور في الحياة الإنسانية، وأنَّ الدّين أسرع مؤثر في الاخلاق لا يدانيهِ مؤثر اللهمَّ الاَّ الحب؛ والحب دينٌ، الاّ أنهُ دِين ذاتيٌّ غير دائم. واذا أردت ان تعرف على أي حال تكون الامة التي اهتاجها خيالُها فانظرْ الى فتوحات العرب والحروب الصليبية والاضطهاد الاندلسي وحال انكلترا أيام « البوريتيين » و « سانت بارتلمي » في فرنسا وحروب الثورة الفرنساوية. الاّ أن للأوهام سحراً مستمرًّا شديدَ التأثير يتغير بهِ المزاج العقلي تغيراً كلياً. خَلَقَ الانسانُ الآلهةَ ولكنها ما لبثت ان استعبدتهُ. وانها بنتُ الأمل لا بنتُ الخوف كما وصفها «لوقريس» لذلك كان تأثيرها سرمديًّا. لقد كان من تأثيرها فيهِ أن جعلت عقله متشبعاً بفكرة السعادة فامتازت بذلك على كل مؤثر سواها، وقصرت الفلسفة عن ادراك هذه الغاية حتى الآن

نتيجةُ كل حضارةٍ ان لم نقل غايتها، وكلِّ فلسفة، وكلِّ دِين، تكوينُ حالاتٍ عقلية خاصة، بعضها يقتضي السعادة، و بعضها لايقتضيها. وترجع السعادة

الى أحوال النفس اكثر مما ترجع الى الاحوال الخارجة عنها . فلربما كانت الضحايا فوق مواقدها أسعد من قاتليها . وكم فالح ارض بيديه يقضمُ الكسرة مفروكةً بالثوم أسعدُ بكثيرٍ من موسر متدفق الثروة تكاثفت حولهُ الهموم

ومن دواعي الأسف أنَّ الحضارة في هذا الزمان خلقت للانسان جماً من الحاجات ، ولم تُعطهِ وسائلَ دَفعها ، فتولَّدَ من ذلك عدمُ الرضاء في النفوس . قالوا الحضارة بنت الرقيّ . نعم وهي أمُّ الاشتراكية وأمُّ الفوضى . وهما صوتان مريعانِ تصيح بهما جموعٌ قلَّ ايمانها فاستولى اليأس على قلوبها . أين حال الأوروبي الذي تولاه القلق ، وهاجت اعصابهُ وأصبح غير راضٍ بحظهِ ، من حال الشرقي الراضي بما قدر له . انما الفرق بينهما في حالة النفس دون سواها . وانما يُغيّر الامة مَن يُغيّر من تَصوّرها ، ويجعلها تفكّرُ وتعمل غيرَ ما عملت

يجبُ على الهيئة ان تسعى في ايجادِ حال عقلية يكون فيها الفرد سعيداً والاّ فأجَلُ الامة قصير . فما قامت الأمم حتى الساعة إلاّ متكئةً على خيالٍ فيهِ قوَّةُ اجتذاب النفوس ، وما سقطت واحدة منها الاّ بزوال سلطان هذا الخيال

من اكبرِ خطأ هذا الزمان اعتقادُ الناس انَّ النفس تجدُ السعادة في الاشياء الخارجة عنها. قل انَّ السعادة فينا ونحن الذين نوجدُها. وشدَّ ما كانت بعيدة عنا . انّا هدمنا خيال العصر الماضي فصرنا نرى انهُ لا حياة لنا من بعد هذا الخيال ، وانّا اذا لم نوفق الى الاستعاضة عنهُ فإنا هالكون

اكبرُ المحسنين لبني الانسان الذين يجب على الأمم ان تُقيمَ لهم أفخم التماثيل من الذهب الوهاج ، هم اولئك السحَرة القادرون الذين خلقوا لها الخيالات . اولئك يولدون احياناً بين البشر ، ولكنهم لا يولدون الاّ قليلاً . أقاموا امامَ سيول الآمال الفانية — وهي الحقائق التي لا قدرة للانسان على معرفة غيرها ، وفي وجه هذه الدنيا العبوس الجامدة — حجاباً من الأوهام القوية فسروا عن الانسانية ، وستروا ما في

الحياة من غضاضة ومَضض ، وخلقوا جناتِ النعيم فنيطَ بها الرجاء وتوالت الاحلام

واذا رجعنا الى الجهة السياسية علمنا أيضاً كيف كان تأثيرُ المعتقداتِ شديداً .
والسببُ في قوة الدين العظيمة كونهُ العاملَ الوحيدَ الذي تتوحَّد بهِ وقتاً ما منافع الأمة ومشاعرها وأفكارها . فيقوم المبدأ الديني بذلك دفعة واحدة مقامَ غيره من العناصر التي يتكوَّن منها روحُ الأمة والتي لا تنتج هذه النتيجة الاَّ اذا أربت وتمَّ نضجها بالوراثة . نعم لا يتغير مزاج الأمة العقلي بمجرَّد استيلاء دين على قلبها ؛ غير انَّ جميع القوى تتَّجه نحو غاية واحدة هي الانتصار للمعتقد الجديد ، وفي ذلك سرّ قوتها العظمى . لذلك تجد ان قيام الأمم بأعظم الأعمال كان في عصر هذا التطوُّر الوقتي أعني عصرَ تديّنها ، وتأسيسَ اكبر الممالك التي ادهشت العالم كان في عصر تدينها . كذا اتحدت بعض قبائل العرب بفكرة محمد (صلى الله عليهِ وسلم) فاستطاعوا قهر أمم كانت لا تعرف منهم حتى الأسماء . وشادوا تلك الدولة الكبرى

وعليهِ يتضح انهُ كان للدّين شأن كبير في سياسة الأمم لأنهُ هو العامل الوحيد سريعُ التأثير في أخلاقها . نعم ان الآلهة ليسوا خالدين ، ولكنَّ المبدأ الديني باقٍ لا يزول . يغفى زماناً ، ثم ينشط متى ظهر ربٌّ جديد . وهو الذي استطاعت بهِ فرنسا وحدَها منذ قرن ان تقاوم اوروبا كلها . فعرف البشر مرَّة اخرى درجة تأثير المعتقداتَ الدينية . لأن الافكار التي امتلكت العقول في ذلك العصر كانت في الحقيقة ديناً جديداً نفخَ في الأمة من روحهِ فأنعشها . لكنَّ الآلهة التي برزت من خلال تلك المعتقدات كانت لطيفة المادة فلم تدم الاَّ قليلاً ؛ على ان سلطانها ، مدَّة وجودها ، كان سلطاناً كبيراً

بعد ذلك نقول أن قدرة الديانات على تغيير روح الأمم قدرة فانية . فقلما تدوم المعتقدات على قوَّتها الاولى زمناً يكفي لتغيير الخلق تغييراً تاماً . سببهُ انَّ قوَّة الاحلام لا تلبثُ أن تفتر ويرجع المأخوذُ بسكرتها بعض الرجوع الى اليقظة فتظهر حقيقة الخلق العتيق

يظهر على الدوام خُلق الأمة حتى وسلطان الدين في منتهى شدته فتراه في الصبغة التي انصبغ بها الدين عند الامة التي اعتنقتهُ ، وفي المظاهر التي تنشأ عنهُ . انظرْ الى الفرق العظيم بين المعتقَد الواحد في انكلترا واسبانيا وفرنسا تجد انهُ كان من المستحيل ظهور « البروتستنتية » في اسبانيــا أو رضى انكلترا باقامة الاضطهاد (محكمة التعذيب) بين ربوعها ؛ بل تأمل حال الأمم التي دانت بالبروتستنتية تظهر لك أخلاقها الأساسية الاولى بادية عليها ، وأنها بالرغم من افتتانها بمعتقداتهــا ، لا تزال محتفظة بمميزاتِ مزاجها العقلي ، اعني الاستقلالَ ومضاء العزيمة وتدبّرَ الامور قبل الأخذ بها و إباء الخنوع والاستذلالَ لسيّد يصدر في امره عن الهوى

يتولّد تاريخ الأمم السياسي والادبي والفنّي من معتقداتها ؛ الاّ ان هذه كما تؤثر في الخُلق تتأثر ايضاً بهِ . فمفاتيح حياة الامة خلقها ودينُها . والاول دائم من حيث صفاته الاولى ، وعدمُ تغيره هو السببُ في وحدة تاريخ كل امة واطراده . أما المعتقدات فقــابلة للتغير . وتغييرُها هو السبب في انَّ التــاريخَ يحكي كثيراً من الانقلابات في الامم

اليوم تميل الامم القديمة الى السقوط . فهي تهتزّ من الوهن ، ونظاماتها تتداعى واحداً إثر واحد . وعلة ذلك فقدانها كل يوم شيئاً من ايمانها الذي قامت عليــهِ حتى الآن . فاذا فقدتهُ كله قامت حتماً مقامهُ حضارةٌ جديدة مؤسسة على معتقد جديد . لأن التاريخ يدلنا على ان الأممَ لا تحيا طويلاً بعد اختفاء معبوداتها ، وأنَّ الحضارات التي جاءت مع تلك المعبودات تذهب بذهابها . ألا لا شيء أفعل في التخريب من أثرِ معبودٍ يموت

احمد فتحي زغلول
وكيل نظارة الحقانيــة

في جنائن الغرب

أنشودة روسية

من العادات المتبعة في روسيا انه يحق للقيصر ان يطلق امرأته ويبعدها الى أحد الاديرة اذا لم تضع له ولياً للعهد . وقد عثرنا على أنشودة يتغنى بها القرويون في روسيا تصف حالة القيصرة عند تركها القصر الامبراطوري ، فأحببنا ان نترجمها لقراء « الزهور »

كلٌّ حزينٌ في موسكو ، لأنَّ القيصر غضب على القيصرة وأبعدها عن عينهِ
أرسلها الى هناك ، الى ما وراء جدران الدير
و بينما كانتِ الأميرةُ تمرُّ بالقصر ، أخذت تنوحُ وتبكي قائلةً :
« أيها القصرُ الأبيض المفروش بالمخمل والحرير ، أما من عودةٍ اليك ؟
« أما من عودةٍ اليك ، فأروّحَ النفس بين جدرانك ، وفي رياضك الغنّاء ؟
« أما من عودةٍ اليك ، فأرى سيدي القيصر ، وأسمعَ كلامهُ العذب ؟ »
كلٌّ حزينٌ في موسكو ، لأن القيصر غضِب على القيصرة ، وأبعدها عن عينيهِ
خرَجت القيصرة من القصر، وقفت في السلّم ، فتنهدت وقالت للحرس بصوت متقطّع ، والعَبَراتُ تخنقها :
« أسرجوا الخيلَ للرحيل، فقد أزفت ساعةُ الفراق ، سيروا رويداً ، واخرجوني على مهل من موسكو
عسى سيدي أن يرقَّ ، عساهُ ان يرثي لحالي »
وكان جواب الحرَس « عساه أن يرقّ ، عساه ان يرثي لحالكِ ! »
لكنَّ قلبَ القيصرِ كجدران قصرهِ صلْبٌ ، لا يرقُّ ولا يلين
في الدير ، تقرعُ الاجراس حزناً لاستقبال القيصرة الحزينة
كلٌّ في موسكو حزينٌ ، لأن القيصر غضب على القيصرة وأبعدها عن عينيهِ !

﴿ الدموع ﴾

أنِست بسمعي حنين «دمع الفتاة»[1]؛ وكئِبتُ في نفسي لذرف دمع العذراء . ورشفت بيدي كأس دمع الفؤاد . فأحزنني الاول ساعةً ذكرتها العمر؛ وسهّدني الثاني ليلةً سقمت بعدها الشهر؛ وأسكرني الثالث مدةً آلمتني الدهر

ما هاجت اشجان الروح الاَّ وسالت من الأنامل على الأوتار دموعاً؛ وما امتلأ اناء النفس الاَّ وفاض من المقل على الخدود دموعاً . وما اشتدَّت لوعةُ الفؤاد الاَّ وانسكبت في الصدر دموعاً

الدموع أنشودةُ النفس مع تسابيح الملائكة
همسُ القلب في أذن الفضاء
حديثٌ بلسان الحمام النائح
الدموع أكاليلٌ، أزهاره الكآبة الصامتة ، ينثرها اليأس على ضريح الأمل
قريض تنظمه العيون
عبير العنبر المحترق
أشواك ورد الهوى
أزهار العاطفة ، تنبتها المحبة ، ويسقيها الحنان ، فيجنيها الجوى
بنات الشعور ، يحبل بها الألم ، وتتمخض بها النفس ، فتلدها الحسرة

فديتُ بنفسي عواطف عواطف تتحرَّك في الصدر فتئنُّ لها الجوامد . تذرفها الروح دموعاً من الأنامل فتكفكفها الملائكة بأنفاسها وتجففها بحفيف أجنحتها لتصعدها الى العرش الأعلى كبخور العفاف او كبخار ذبيحة الطهر

دموعٌ ليست عبرات ڤردي[2] الاَّ أبردها ناراً ، وأخفها ألماً

---

(١) دمع الفتاة (Larmes de jeune fille) قطعة موسيقية لواضعها كوستاف لانج

(٢) العبرات (Le lagrime) قطعة من الترافياتا (La Traviata) اوبره لواضعها ڤردي (Verdi) الموسيقي الشهير

والهف قلبي على شعائر شواعر ، يثيرها الشجن فتحمرّ الخدود ، ثم تنصبُّ في المحاجر كما يصبّ الصبح الندى في أفواه الصدَف لتتحوّل الى قطرات لا تبلغ لآلئ العالم بأسرها عشر معشار ثمنها

ويح الحشا من قطرةٍ . لو سقطت على الحجر القاسي لرقّ وذاب حرقةً

اما الفؤاد الذي كان نصيبه من الجهاد لهفةً ودموعاً ، فليشرب الكأس حتى الثمالة . عساها ان تبرّد بمرارتها لهيباً أشعله الوجد ، ونفخت فيهِ الصبا . ليبكِ بدمع المداد وبمقلة الغمام ، مع الصفصاف المستحي والزهرة المائلة الى الذبول ، والنجم السائر الى الأفول . والقدّ المائل الى النحول

ليكفّرَ بدمعه عما جناه بحبهِ فكان عليـهِ عوضاً عن النعمة نقمة ، وعن العذوبة عذاباً . لعل النحيب يروي غليله و يشفي عليله

لو لم تخفف الدموع اشجان الروح ، وتسكّن احزان النفس ، وتبرّد حسرة الفؤاد . لذابت معها الحياة ، وذوت في ربيعها زهرة العمر

(حلب)　　　　　　　　**يوسف نوفل**

الصداقة

قال عليّ بن أبي طالب لابنهِ الحسين : ابذلْ لصديقك كلَّ المودّة ، ولا تطمئن اليهِ كلّ الطمأنينة ، واعطهِ كلَّ المؤاساة ، ولا تفشِ اليهِ كل الاسرار

قال المأمون : الاخوان ثلاث طبقات . طبقة كالغذاء ، لا يُستغنى عنهُ ، وطبقةٌ كالدواء يُحتاجُ اليهِ ، وطبقةٌ كالداءِ الذي لا يحتاج اليهِ

في حدائق العرب

حبُّ الوطن

قال عُمر بنُ الخطّاب : لولا حبُّ الوطن لخرب بلدُ السوء . وكان يُقال · بحب الأوطان ، عمرتِ البلدان

وقال جالينوس : يتروَّحُ العليل بنسيم أرضهِ ، كما تتروَّحُ الأرضُ الجدبة ببلّ المطر

وقال بقراط : يداوى كلُّ عليلٍ بعقاقير أرضهِ ، فان الطبيعة تنزعُ الى غذائها . ومما يؤكدُ ذلك قول اعرابي وقد مرض بالحضر ، فقيل لهُ : ما تشتهي ؟ — فقال : مخيضاً رويًّا ، وضبًّا مشويًّا

وقيل : إحفظ أرضاً أرسخك رضاعُها ، وأصلحك غذاؤهـا ، وارعَ حمى اكتنفك فناؤه

وقيل : من علامة الرشد ان تكون النفس الى اوطانها مشتاقة ، والى مولدها توَّاقة

وحدَّث بعض بني هاشم ، قال : قلت لاعرابي : من أين أقبلت ؟ — قال من هذه البادية . قلت : وأين تسكنُ منها ؟ قال : بساقط الحمى ، حمى ضريّة ، ما إن لعمر اللهِ أُريد بها بديلاً ، ولا ابتغي عنهـا حولاً ، حفّتها الفلوات ، فلا يملولحُ ماؤها ، ولا تحمى تربتها ، ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعكٌ ولا موم ؛ ونحن بأرفه عيشٍ ، وأوسع معيشة ، وأسبغ نعمة ؟ قلتُ : مما طعامكم ؟ قال : بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيّات ، وربما واللهِ أكلنا القدّ ، واشتوينا الجلد ، فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً ؛ فالحمدُ للهِ على ما رزق من السعة ، و بسط من حسن الدعة

وقيل لاعرابي : : كيف تصنع بالبادية ، اذا انتصف النهار ، وانتعل كلُّ شيء ظلَّهُ ؟ فقال : وهل العيش الاَّ ذاك ، يمشي أحدنا ميلاً ، فيرفض عرقاً كأنهُ الجمان ، ثمَّ ينصبُ عصاهُ ويلقي عليهـا كساهُ ، وتقبل الرياحُ من كل جانب فكأنهُ في ايوان كسرى

وقيل لآخر : ما الغبطة ؟ قال : الكفاية ، ولزوم الاوطان ، والجلوس مع الاخوان ، وقيل : فما الذل ؟ قال : التنقُّل في البلدان ، والتنحي عن الاوطان

وكان يُقال : الغريب عن وطنِهِ ومحل رضاعهِ كالغرس الذي زايل أرضهُ ، وفقد شربهُ ، فهو ذاوٍ لا يُثمر ، وذابل لا ينضر . . . والجالي عن مسقط رأسهِ كالعير النـاشز عن موضعهِ الذي هو لكل سبعٍ فريسة ، ولكل كلبٍ قنيصة ، ولكل رامٍ رمية

وقال الشاعر :

نقّلْ فؤادك حيث شئتَ من الهوى . ما الحبُّ الاَّ للحبيبِ الأولِ
كم منزلٍ في الأرض يألفهُ الفتى وحنينهُ أبداً لأول منزلِ

(عن الجاحظ)
المتوفى سنة ٢٥٥ هـ =٨٦٨ م

﴿ خواطر ﴾

« لكارمن سيلفا ملكة رومانيا الحالية »

* يسمّون غالباً بسليم الطويّة مَن ليس بذي عقل نبيه !

* متى وُجِـد المرء في حالة محزنة ومركز حرِج غلبت على لسانه الترّهات . ألا ترى ان الكلب يعوي متى خاف

* ذوو العقول يحجبهم ذوو العظمة كما تُحجَب النجوم امام الشمس !

اندية الادباء الحرة

نعت « الماتين » الى قرائها ، في احد اعدادها الاخيرة ، قهوة من قهوات باريس المعدودة وهي القهوة الانكليزية Café Anglais وقالت ان أعضاء « الجوكي كلوب » حضروا احتضارها واحتفلوا تحت رئاسة البرنس يواقيم مورات بتأبينها وعزى بعضهم البعض على تصرم أنفاسهـا ثم ودعوها الوداع الاخير بأن شربوا مئات من زجاجات الخمور التي طال عليها القدم منها ما يرجع عهد عصيره الى سنة ١٨٧٤ والى سنة ١٨٦٥ والى سنة ١٨٥٨

ومن غريب الاتفاق ، انني بعد مطالعـة هذا النعي ، أتاني صديق من زبائن الاسبلندد بار وقال : البقية في حياتك ! فقد عزمت شركة استين على استئجار نصف عمارة الخاصة الخديوية المشرفة على شارع كامل فتصبح الاسبلندد بار ، وهي محط رحال الأدباء ورجال القلم ، أثراً بعد عين ! ! فأخبرت صديقي بنبأ الماتين عن القهوة الانكليزية وقلت له : اذا صحَّ خبرك فليست الاسبلندد بار اول نادٍ حر للأدباء تذهب بِهِ الأيام او ينطوي ذكره ولا يخلد له خبر

وربما لا يوجد الآن في مصر عشرة يذكرون قهوة « انطون » وهي قهوة خشبية كانت مجمعاً للأدباء والمشتغلين بالسياسة والفلسفة في أواخر ايام اسماعيل. ففيها جلس جمال الدين ومحمد عبده وسليم تقلا وتحت ظلال اشجارها غرست اول بذرة لفك الشرقيين من قيود الاستعباد الفكري . وبقيت ملتقى لذوي الافكار الناضجة حتى عهد الثوره العرابية . ثم تحوَّلت ندوة للمغنى والرقص «البلدي» وأنشئت في مكانها عمارة بنك الكريدي ليونيه الحاضرة

ورغب الكثيرون من اهل الأدب ، بعد الاحتلال الانكليزي ، عن السياسة وتفرغ رجال النهضة الأدبية الى الأدب الخالص فاتخذوا قهوة « كتكوت » بشارع

المشهد الحسيني محطاً لرحالهم فكنت ترى في هذه القهوة « البلدية » الشيخ الشنقيطي الكبير ، والشيخ حسن الطويل ، وسلطان بك محمد — ايام كان شيخاً معمماً — والشيخ محمد النجار ، ومحمد افندي ابا الفضل ، والشيخ أحمد القوصي، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والشيخ سيد المرصفي وغيرهم . وكانت مجالسهم الليلية في هذه القهوة مجالس ادب راقية يتناشدون فيها الشعر وينثرون درر النثر ، ويتنقلون في رياض الأدب والتاريخ والمنطق من القديم الى الحديث . ثم فرقت بينهم أيدي الحدثان فمات البعض واشتغل البعض بشؤون الحياة وأصبحت قهوة « كتكوت » وقد خلت جوانبها من ذوي الالباب والفطن

وانشقّ اساتذة مدرسة دار العلوم وطلبتها عن اخوانهم طلبة الازهر الشريف فتألفت من اولئك حلقة جديدة في « قهوة باب الخلق » كان زعماؤها الشيخ أحمد مفتاح والشيخ الحملاوي والشيخ محمود ابو النصر والشيخ محمد المهدي يحيط بهم عدد من الانصار والمريدين من تلاميذ المدارس العالية وطلبة مدرسة المعلمين الناصرية

ثم تغلب الاشتغال بالسياسة على النظر في الادب فكانت قهوات عمارة «متاتيا» الواقعة الى جانب البوستة والمحكمة المختلطة مثابةً لرجال القلم . فكان يجلس في طرفها المدعو « القهوة العمومية » الشيخ عبد القادر المغربي وعبد الحميد افندي الزهراوي والمرحوم حسين وصفي رضا — أخو صاحب المنار — وامام العبد والشيخ محمد الشرباتلي وعهدنا بالآخر ليس بعيداً . فقد كان يحرّر في القهوة كل يوم اربع او خمس جرائد اسبوعية فيأتيه صاحب احدى هذه الجرائد ويدفع له الاجرة فيقوم بعد ساعة ومعهُ كتابة تزيد على حاجة جريدته

واحتلّ القسم الاوسط المسمى قهوة « جراسمو » المرحوم ابراهيم بك المويلحي والى جانبه احمد افندي فؤاد صاحب الصاعقة وحافظ بك ابراهيم — قبل ان يضع رواية البؤساء ومحمود افندي واصف

واستأثر بقهوة « اسطمبول » — في عمارة متاتيا ايضاً — كتّاب الترك الاحرار

الذين نفتهم الحكومة العثمانية في عهد عبد الحميد ففيها كتب محمد افندي قدري — الكاتب التركي العربي الشهير — وأحمد بك سعيد — ناظر الضربخانة العثمانية سابقاً — وصاحب « ميزان » أبلغ رسائلهم التي هزّوا بها اركان السلطنة العثمانية وفيها بدأ السيد عبد الرحمن الكواكبي يبث آراءه الحرة في اصلاح الشرق وأهله

واتخذ بعض الادباء السوريين قهوة « مصوبع » بالفجالة « محلاً مختاراً » لاجتماعهم وكان يرأس هذه الاجتماعات الاستاذ ابراهيم افندي الجمال ويحضرها المرحوم ميشيل الحكيم وابراهيم افندي النجار والمرحوم خليل الجاويش وأخوه نجيب افندي الجاويش فيقضون ساعة ظهر كل يوم الى جانب البنك فيتناولون « الابريتيف » ممزوجاً بما رقّ وراق من بدائع المنثور والمنظوم

وراقت قهوة الشانزيليزيه في عيني حضرة العالم الفاضل صاحب الهلال ولكنهُ أبى ان يختلط بزبائنها فألف له حلقة من الادباء وبعض كبار موظفي الحكومة الذين يميلون الى الادب والادباء . فكان يحضر جلستهم كل ليلة سليم بك باخوس مدير الاموال المقررة في محافظة مصر وعزيز بك ابو شعر الموظف في نظارة الاشغال وحبيب بك دبانة من كبار موظفي المالية سابقاً ونعوم بك شقير مدير قلم التاريخ في نظارة الحربية. وكان يتردَّد اليهم من حين الى آخر الشيخ يوسف الخازن ونجيب افندي مشعلاني واخوه نسيب وانطون الجميّل وامين تقي الدين وولي الدين بك يكن وسليم افندي سركيس . ومع ان القهوة عامة فان الغرف التي حجزت لهذه الفئة المباركة لم يكن يجسر على ولوجها غير اصدقائهم ومن يدعونهم لمشاركتهم في مباحثهم الادبية الرائقة

وكانت « المحروسة بار » معروفة لسنوات خلت بأنها مؤتمر عصبة شاعر الامير احمد بك شوقي . وكان شوقي نقطة الدائرة ويزين المكان بجانبه خليل المطران ويحيط بهم عشرات من ادباء المصريين ورجال القلم الفرنسويين وفي مقدمتهم كاستنر وكولورا وغيرهما فيقرعون الكاس بالكاس ثم ينصرف كلٌّ الى مكتبتهِ

ويعشق قلبه لمحاربة زميله الذي شرب معهُ المدامة سائغة ! !

وزهت دولة التمثيل والممثلين تحت زعامة المطرب المبدع الشيخ سلامه حجازي فعمدوا الى « بار بريكلي » امام مرسح اسكندر افندى فرح فلم تكن تقع العين في هذا البار الاّ على ملحن ينشد دوراً او ممثلة تراجع فصلاً او مترجماً ينقل رواية جديدة ففي ناحية فهيم وأبو العدل وعلى مائدة مريم سماط وميليا ديان . وفي منعرج الياس افندي فياض وعبد الرزاق بك عنايت وفي غرفة اللعب جماعة آخرون ممن ضايقتهم جلبة زملائهم ففضلوا عليهم كسب او خسارة بضع قروش في لعبة السبعة ونصف

وأنشأ المسيو « اندريا » في شارع عابدين قهوة خصصها لطلبة مدرسة الحقوق الخديوية وعنونها باسم مدرستهم فتهافتوا عليها وانضم اليهم جماعة من طلبة مدرسة القضاء الشرعي و بعض طلبة المدارس العالية الذين يسكنون في حي عابدين . فكان الجالس في هذه الندوة لا يسمع الاّ اسم فوستان هيلي ودالوز ومناقشات فتيان القضاء في الشؤون الادبية الحاضرة والاحوال السياسية الداخلية . ولبثت هذه القهوة زاهرة بأهلها حتى أنشيء نادي المدارس العالية وعنيت الحكومة بمراقبة التلاميذ ومنعتهم عن الاشتغال بالسياسة ثم سميت قهوتهم قهوة « الحزب الوطني » فقهوة وبار « القمر » ولا يزال الكثيرون من المحامين ورجال النيابة والقضاة الشبان يحنون الى هذه القهوة ويذكرون بها أحلى ايامهم التي قضوها فيها مشتغلين بالادب ودرس القانون

وقد اندرست هذه الاندية الحرة بتحوّل الأدباء عنها ولم يبق غير الاسبلندد بار التي يهددوننا بزوالها بعد ان رنت في ساحتها اصوات الادباء وأهل السياسة عشرين سنة متوالية ولم ينصفها احد بكلمة قبل حضرة الكاتب الفاضل اسكندر افندي شاهين رئيس المحرّرين في جريدة الوطن او بعده اذ كتب عن جمعيتها مقالة في مجلة سركيس منذ سنة هي كل ما أُرخت بهِ هذه الندوة السياسية الحرة

توفيق حبيب

ثمرات المطابع



ما كان أهنأني وأسعدني　　لو كان ينفعُ معشري قلبي

أنا لي فؤادٌ لا أُنزّهُهُ　　لكن يراقبُ ما يقول فمي

ولي الدين يكن

* التجاريب[1] — كتابٌ عني بطبعهِ ونشرهِ حضرة الفاضل فؤاد افندي مغيغب ، وهو مجموعة مقالات اجتماعية خطّها يراعُ أديبٍ من خيرة أدباء العصر ،

(١) مطبعة غرزوزي ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة وثمنه ٥ قروش صاغ

وأنزههم قلماً ، وأمضاهم بلاغةً ، عنينا به ولي الدين بك يكن الكاتب المشهور ، وصديق قرّاء « الزهور »

« التجاريب » تكاد تكون صفحةً من «الصحائف السود» ، ولم ينسَ القرّاء ما في « الصحائف السود » من تنهدات وزفرات تأخذ بمجامع الفؤاد ، وتحرّك كامن العواطف . في هــذه وفي تلك ، كما في « المعلوم والمجهول » أنةُ رجلٍ حرّ صادق ، يردّد صداها قلم شاعرٍ ملكَ أسرار البلاغة واستسلمت له عرائس المعاني . ولكنَّ الشاعر في « التجاريب » كثيراً ما يشفُّ عن الوطني الذي يتألم مما آل اليهِ وطنهُ المفدّى ، ويحاول ان ينزل الى ميدان السياسة ليناضل عن حوزتهِ . ما جرى قلم وليّ الدين قط الاَّ بما خفق بهِ قلبهُ وتحرَّك له لبُّهُ ، وهــذا سرُّ تأثير كتاباتهِ . إقرأ مقدمة مؤلفهِ الجديد تفهمَ بعض ما يخالج ذلك الصدر . وهاك المقدمة مكتوبة بخط يده

مقدمة المؤلف بخط يده

كل ما يتعلمه المرء من حوادث الأيام تجربة . وما يستفيد التجربة مستفيدها الا وقد استكمل ثمن تجربته من الآلام . ولو كنا نعنى بتقييد العظات وهي أنفع ما يبقى لفاضت عن الكتب الضخمة رسالته . ولكن ما يسلم من النسيان قليل . وفي ذلك القليل ذكرى اذا استعادها المرء وجد راحة في استعادتها . هذه آلام مصورة وشكاوى متجسمة . هذه هدية القرائح المقروحة الى الأفئدة المقروحة . الى الأفئدة متحيا تتعارف به من تآلف . واذا لم تنفع اليوم تنفع غدا

ولي الدين

فنشكر صاحب « التجاريب » على هديتهِ ، ونحن واثقون أن فيها النفع الجزيل لكلّ من يطالعها ، وان كلّ أديب يحبُّ الأدب وذويه سينافس باقتنائهـا وهي خير مقتنى

* سرّ تطوُّر الأمم[١] — اذا سألتَ عن افراد رجال القانون والقضاء والتشريع في مصر ، يُذكر لك في مقدمة من يُذكر سعادة احمد فتحي باشا زغلول المحامي فالقاضي فوكيل نظارة العدل . واذا سألت عن نخبة المؤلّفين والكتّاب الاجتماعيين الذين أفادوا بلادهم بما كتبوا وسطّروا ، يُورد لك ، في طليعة الاسماء اسم احمد فتحي زغلول ، صاحب « سرّ تقدُّم الانكليز السكسونيين » و « روح الاجتماع » و « سرّ تطوُّر الأمم » الخ . وعند ما سألنا ، في السنة الماضية ، جمهور القراء عن نوابغ مصر الاحياء ، ورد ذكر فتحي زغلول في جملة هؤلاء النوابغ . فكلُّ ذلك ينبئ عن قدر الرجل وفضله واجتهاده ، وعن تقدير الأمة والحكومة لخدماتهِ الجليلة ولصفاتهِ العالية

وآخر أثرٍ أتحف بهِ سعادتهُ عالم المطبوعات هو كتاب « سرّ تطوُّر الأمم » لواضعهِ الكاتب الاجتماعي « الدكتور جوستاف لوبون[٢] » وقد تناول فيهِ ابحاثاً خطيرة وموضوعات جليلة فبحث في مذاهب المساواة في العصر الحاضر وروح التاريخ ، وطباع الشعوب النفسية ، وظهور أخلاق الأمم في عناصر مدنيتها ، وتاريخ الأمم باعتباره مشتقاً من أخلاقها ، وتحوُّر صفات الأمم بتأثير المبادئ والمعتقدات الدينية ، وتحلُّل الخُلق وسقوط الأمم الى غير ذلك من الابحاث الاجتماعية التي باتت تشغل الخواطر وتستوقف أبصار المفكّرين . وقد نشرنا في غير هذا المكان من هذا الجزء فصلاً يدلُّ على نمط الكتاب واسلوب المترجم

(١) طبع بمطبعة المعارف عدد صفحاته ٢٢٠ وثمنه ١٠ قروش صاغ

(٢) L'Evolution des Peuples par Gustave Lebon

قال حضرة الكاتب المفكّر احمد لطفي بك السيد في فصل كتبه في « الجريدة » عن الكتاب الذي نحن بصدده انهُ عاد فتحي باشا في منزله وقد ابلَّ من انزعاج ألمَّ بهِ فوجده في مكتبهِ بين أوراقهِ ومحابره مشتغلاً بوضع شرح للقانون المدني المصري ، فسأله : « أبهذا ترتاض يا سيدي الباشا ؟ » فقال : « هـذه رياضتي » وأشار الى كتاب « سرّ تطوُّر الأمم »

فرجلٌ هذه رياضتهُ وهو على ما يعرفهُ الناس في مركزٍ يشغل معظم وقتهِ ويستغرق عمله الجهد العظيم لجديرٌ باحترام الأمة التي يخدمها بامانةٍ وعقلٍ ونشاط

* تاريخ الصحافة العربية [1] — من الأعمال الشاقة على المؤرخ كتابة تاريخ صادق عن الصحافة العربية . وقد طالما بحث الباحثون في هذا الموضوع ولكنهم لم يفوهُ حقهُ ، ولا محَّصوا اخباره ، لكثرة ما اعترضهم من المصاعب فان الصحف التي ظهرت في بدء النهضة الحالية قد أمست اليوم نسياً منسيًّا ومات اكثرهـا بموت أصحابها فلم تحفظها مكتبة ، ولا ادَّخرها أديب . لذلك حاول حضرة الوجيه الفاضل الفيكونت فيليب دي طرَّازي ان يكتب هذا التاريخ غير مكترث لتلك العقبات فنقَّب كثيراً وبحث مُجدًّا حتى توفَّق الى معرفة ما فات غيره من الحقائق فوضع التاريخ المذكور وهو يحتوي على اخبار كل جريدة وكل مجلَّة عربية ظهرت في العالم حتى يومنا الحاضر ، مع جملة حسنة من صوَر أصحابها ومنشئيها وكتَّابها ، وشفع ذلك كله ببيانات وافية عن حياة كل جريدة ونزعتها السياسية أو خطتها الأدبية فكان مؤلَّفه هذا أشبه بقاموس يُرجع اليهِ ، ويستفاد بهِ . وبين أيدينا الآن الجزء الأول منهُ وهو يقع في ١٥٠ صفحة مطبوعة طبعاً جيلاً . فنثني على الكاتب احسن الثناء ونتمنى ان يقدّر الأدباء عمله قدره فيكون لكتابه ما يستحقه من الرواج

---

(١) طبع في المطبعة الادبية في بيروت ويطلب منها ومن مؤلفه

* القواعد الجلية في علم العربية [١] — هذا الكتاب لواضعهِ المفضال حضرة الأب جبرائيل اده اليسوعي من اشهر الكتب المدرسية في علمي الصرف والنحو وقد درس فيهِ قواعدَ العربية عددٌ كبيرٌ من الناشئة وعرفوا سهولة اساوبهِ وحسن ترتيبهِ . وقد أعاد طبعهُ الآن حضرة العالم الأب خليل اده وأبرزه في حلة جديدة من حيث التقسيم والضبط فزاد في جلائهِ وضبطهِ وزفَّهُ الى تلاميذ الصفوف المختلفة في ثلاثة أجزاء جميلة الشكل ، متقنة الوضع ، مثل كلّ ما تصدره مطبعة الآباء اليسوعيين

* دمعة القلم [٢] — جمع تحت هذا العنوان حضرة الفاضل حنا افندي نقّاش ما قاله الادباء ونظمهُ الشعراء في رثاء الوجيه المحسن المرحوم جورج كرم احد اعيان السوريين في الاسكندرية وكلها تدلُّ على ما كان للفقيد الكريم من المكانة والمنزلة السامية في قلوب عارفيه على اختلاف طبقاتهم

* من امير الى سلطان — رسالة قدَّمها المغفور له البرنس مصطفى فاضل باشا الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ . وهي تتضمن آراء في اصلاح المملكة العثمانية مبنية على نظريات صادقة واختبارات شتى ترجمها الى العربية سعادة احمد فتحي باشا زغلول ونشرتها مطبعة المعارف . وهي من الرسائل التي يجدر بالقراء مطالعتها في الآونة الحاضرة

ثلاثة تُكبّر الانسان عما هو : الرزانة والكرم والعفو

وثلاثة تُبقي الانسان على ما هو : التشبث بالرأي ، والاحتفاظ بالفوائد ، والبعد عن النصيحة

وثلاثة تصغّر الانسان عما هو : البخل والأنانية واللؤم

---

(١) المطبعة الكاثوليكية في بيروت (٢) مطبعة غرزوزي بالاسكندرية

ازهار واشواك

مصائب قوم ...

قرأتُ في الجرائد أنّ فريقاً من أقارب غرقى الباخرة « تيتانيك » التي يذكر القراء خبر غرقها منذ مدة في لجج الاوقيانوس ينوون ان يقاضوا الشركة امام المحاكم ويطالبوها بالتعويض المالي . ويبلغ مجموع ما يطلبون ثمانية ملايين ريال او اكثر

وفي مقدمة المطالبين بالتعويض — بل المطالبات لأن الاكثر نساء — مسز هريس فانها تطلب ٢٠٠ الف جنيه مقابل غرق قرينها و ٥٥٠٠ جنيه قيمة الامتعة التي فقدتها هي وفي جملتها عقد من اللؤلؤ ثمنه الفا جنيه

ومنهنَّ مسز كارديزا تطالب بمبلغ ٣٥ الف جنيه ثمن ما فقدت من الملابس والحلي : بينها ناسة قرنفلية اللون قيمتها أربعة آلاف جنيه ، ودبابيس لبرنيطتها قيمتها مئة جنيه ، وجونلاً بيضاء قيمتها ١٩ جنيهاً ! !

ومنهنَّ مسز ملت تطالب بمبلغ ٢٠ الف جنيه ثمن قرينها المفقود . ومسز فوتريل تطالب بمبلغ ٦٠ الفاً ثمن قرينها ايضاً وبمبلغ ٢٠ الفاً ثمن صورة بالزيت تمثّل « جركسية في الحمام » وبمبلغ ١١ ألف جنيه ثمن ١١٠ آلاف قدم من الرقوق التي تطبع الصور المتحركة عليها

ومنهنَّ الكونتس روذس تطالب بألفي جنيه مقابل أمتعتها الشخصية منها خاتم ماس ثمنه ٢٠٠ جنيه

وبين أصحاب القضايا رجل وامرأته يطالبان بمبلغ ٣٠ ألف جنيه عن ابن فقد هو وقرينته وأولاده كلهم . صدق والله الشاعر القائل :

بذا قضتِ الأيام ما بين أهلها　　مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

من وليّ الدين

بين ولي الدين بك يكن وصاحبِ « الزهور » إلفةٌ بلا كلفة . وقد دارت بينهم مراسلة لطيفة منذ سافر ولي الدين الى الثغر الاسكندري . واعتاد صاحب « المعلوم والمجهول » في رسائلهِ ان يجعل مدير هذه المجلة ومنشئها شخصاً واحداً بأن يشتقّ لهما اسماً مركباً من شطرٍ من اسم هذا وشطرٍ من اسم ذاك

ولعلَّ في هذا الاشتقاق خير ردٍّ على الدكتور شميّل وغيرتهِ . ومن محاسن الاتفاق ان وقعت بيدي آخر رسالةٍ كتبها ولي الدين ، فأحببت ان أضمها الى أزهاري لما فيها من عرف الإخلاص وأريج المودّة الصادقة ، قال :

رمل الاسكندرية — محطة مظلوم باشا في ٧ مارس سنة ١٩١٣

أخي انطون تقي الدين

أنا أسير الفراش من منذ آخر كتاب أنفذته اليك . وهذا الكتاب أسطّره على ذلك المضجع الخشن . طال أمد السقام وأوحشتني الصحة . ويا ليتني اذ لم أفز بالصحة فزت برقدة يستريح الجسم فيها . لا هذه ولا تلك . افٍ لأحكام المقدور . قصارى الانتصاف أن اكون لديه صاغراً .

مضت لياليَّ كلها في سهادٍ مطّرد . ما عالجتُ النوم مرّة ، وقرَّبته مني قيد شعرة . أضطجعُ على سريري ، وآخذ الكتاب من الكتب أقرأهُ حتى آتي على آخرهِ . ولقد أقرأهُ وأنا لا أفهم ما فيـهِ . تلك استعانتي على أهاويلِ الدياجي ، استعانة الضعيف بأضعفِ الحيَل

ولقد صبَّحتني اليوم « زهورُك » ، وأنا على سريري قائمٌ كأنفِ عبد الحميد على وجههِ . فاذا « الزهور » تبشّرنا باستهلال سنتها الرابعة — أطال الله عمرَ الزهور

وعمرَي كاتبيها وصاحبيها . الآن وجبت التهنئة . ولكن هيهات ! لا يهبط الالهام على الشاعر الموجع

أمّا وصفك « لفروق » ونوحُك عليها ، فقد هزّا روحي هزّا . رعى الله « فروق » ما أفتنها . هي أوّلُ ثغرٍ بسم لوجهي بعد ثغرَي الوالدين . ثمَّ لم ألقَها بعد ذلك الاّ باكيةً وباكياً . إئتلفت العناصر فقامت بها الاشياء . وقامت «فروقُ» من عنصر واحدٍ لست أدري ما هو ، ولكنّهُ عنصر يُظلم عنده الراديوم . كنت أشتاق الى « فروق » وأنا فيها ، فما أنا صانع وأنا ناءٍ عنها . ان أمّةً تضيع مثل « فروق » لمضياع . غير أن « فروق » ناشز . لا تدوم على ودّ . ليتها لم تكن . وليتها اذ كانت كانت في دون هذا الجمال

عفا اللهُ عنك ! أثرتَ شجوني ، وأنا أكاد أعجز عن اجالة القلم ضعفاً . ولقد قلت

ما لهـذا السقام لازَمَ جسمي　　حلّ مني ما بينَ عظمي وجلدي
كلَّ يومٍ أذوبُ شيئاً فشيئاً　　ولقد ذابَ قبلَ ذلك كبدي
فاذا صرتُ في التراب دفيناً　　خبّروا الشعرَ أنهُ ماتَ بعدي

تعبتُ وكنت أودُّ أن لا أتعب ، لأحدّثك طويلاً ، لأُساجلك الدموع . وانَّ أمامي لثلاث قصائد كاملة هي هديتي « للزهور » ولكني لا استطيع نسخها ، وخطها مشوّش . فاصبر ، عسى ان تراجع الحياة شاعرها ، فيصدقك روايتها ، سلامٌ عليكَ وشكر لك على ما تولبني من العناية . *** ليس بشاعر . ولكنـهُ رصّاص سرّاق وهو ينسج على منوال الطبقة السافلة من أمثال ابن النبيه والصفي الحلي والشابّ الظريف وابن الفارض من الشعراء الحشّاشين او شعراء البديع . وما زال يعانق غصنَ البان والأراكِ حتى لواهُ — لواهُ الله !

اكرر سلامي وتحياتي . وافِني باخبارك سلامتك　　　　أخوك

ولي الدين يكن

خمسة جنيهات للرافعي

بيتان من الشعر أُعجب بهما الشيخ احمد آل ابرهيم أحد سراة الهند ، فأحبَّ ان يعرف شاعرهما ، فسأل عنهُ وديعاً البستاني سميرَه الأديب ، فخانتهُ الذاكرة ، فسأل صديقتهُ مجلة « الزهور » فلم توفق اكثر منهُ ، فحوّلت السؤال بدورها اليَّ ، فكان حظي من الشاعر حظ من سُئل قبلي ، فطرحتُ السؤال على قرّائي في جزء سابق ، فلم تخب آمالي ، لأنّ بين قرّائي نخبة الادباء المتضلّعين ، وجاءني الجواب الشافي من أبي السامي مصطفى صادق الرافعي وقد نشرته (ص ٤٩٤ سنة ٣) وضمنتُ له حينئذٍ جائزةً من آل ابرهيم . فُحققت آمالي للمرة الثانية ، وكان حظي من قرّائي الاغنياء حظي من قرّائي الادباء . فما لبث بريد مصر ان حمل الى الهند ذلك الجواب حتى وافاني بريد الهند بكتابٍ تضمن الجائزة المؤمَّلة ، وهي حوالة بخمسةٍ من الذهب ، أدفعها للرافعي حين الطلب . . .

بورك في آل ابرهيم الكرام ، وبورك في البستاني الصغير ، وبورك في الرافعي الأديب ، بركة شملتهم جميعاً ولم ينلني منها لا خيرٌ ولا أذى ، وانما حسبي من أبي السامي الرضى . . .　　ماصر

ثروة هائلة

تقولُ العربُ في أمثالها « أغنى من قارون » . ولكن التاريخ لم ينبئنا عن مبلغ غنى الرجل ، لنقابل بين ثروتهِ وثروة ملوك المال في عصرنا هذا : توفي في الشهر الغابر المثري الاميركي الشهير بيير بونت مورغن عن ثروةٍ قلما اجتمعت لرجلٍ ، وقد قدَّرتها الدايلي تلغراف بمبلغ يتراوح بين العشرين مليوناً والمئة مليون جنيه ، وقالت ان السبب في هذا الاختلاف الكبير في التقدير كون مورغن يملك كثيراً

من التحف القديمة التي دفع بها أموالاً طائلة كالصورة التي اشتراها بمبلغ ١٠٠ الف جنيه . فاذا أريد بيعها لم يشترها أحد بذلك المقدار . وقالت أيضاً ان ثروته الخصوصية دون ثروة المستر روكفلر والمستر كارنيجي بكثير ولكن قيمة الشركات والاعمال المالية التي كان يتولاها مورغان تفوق كل ما تولاه انسان قبله . وقد قدرتها التيمس بمبلغ الفي مليون جنيه وهو قدر يبلغ عشرة أضعاف الغرامة الهائلة التي دفعتها فرنسا الى المانيا بعد حربهما المشهورة . على ان كاتباً في الديلي تلغراف قدّر تلك القيمة بمبلغ ١٣٠٠ مليون جنيه وقال ان هذا القدر يزيد ٢٠٠ مليون جنيه على الدخل السنوي لأمم الارض الكبرى وعدتها ٤٣ امة . وهو يزيد ٤٠٠ مليون جنيه على جميع ما في الارض من الذهب المسكوك نقوداً وغير المسكوك

ولو بدأ انسان يعد هذا المال من ساعة ولادته على نسبة جنيه في الثانية وبقي يعد ويحسب الايام كلها بلياليها من غير انقطاع لانتهى من العد وهو ابن ٦٣ سنة

على ان أعظم من هذا القدر هو قيمة الاعمال المالية التي كان مورغن يتولاها والمستر روكفلر سهم كبير فيها . ففي السنة الماضية عين مجلس النواب الاميركي لجنة لتحقيق ما لهذه الشركة من التأثير في شؤون البلاد المالية والصناعية . وبعد تحقيق دام عدة أشهر وضعت اللجنة تقريراً قالت فيه إن في أيدي الرجلين ٣٦ بالمئة من ثروة أميركا المتداولة بين الأيدي ومصادرها الطبيعية وقدَّرت قيمة ما تمتلكه هذه الشركة بمبلغ ٧٩٥٠ مليون جنيه . منهُ نحو ٣٠٠٠ مليون قيمة أعمال صناعية . ونحو ٣٤٠٠ مليون قيمة سكك حديد . ونحو ٨٠٠ مليون قيمة بنوك وغيرها من المعاهد المالية . و ٢ مليون قيمة مناجم من بترول وغيره . ونحو ذلك قيمة اعمال اخرى

ولبيان عظم هذا القدر تصوَّرْ ان رجلاً شرع يعدُّه على نسبة جنيه في الثانية من عهد موت كرومويل في انكلترا ومزاران في فرنسا لانتهى من عدّهِ في هذه السنة الجارية بفرض انهُ عاش هذه المدة كلها وطولها نحو ٢٥٠ سنة . ولو شرع في عدّه من الآن لانتهى سنة ٢١٦٣

ولما توفي مورغن أوقفت بورصة نيويورك الاعمال حداداً عليهِ خمس دقائق وهذه أول مرة أوقفت البورصة أعمالها هذه المدة الطويلة ! ! منذ نشأتها اكراماً لرجل من الناس

كان مورغن قليل الكلام كثير الكلف بالايجاز . قابل امبراطور المانيا فقال : « قابلت الامبراطور فأحببتهُ » . أما الامبراطور فقال فيهِ :

« لم أجد في حديثهِ دليلاً على انهُ مدرك تمام الادراك ما في العالم التجاري من أسباب الائتلاف والاختلاف . وقد أدهشني جهله لتقدم الامم التاريخي والفلسفي . وليس في سياستهِ الاقتصادية (أو اقتصاده السياسي) محل للاهتمام بالاشتراكية التي ستصبح عن قريب أعظم المسائل حيثما كان . وقد اعترف بأنهُ لم يهتم بها الى حد ان يعرف حقيقة ماهيتها »

تزوج مرتين . ففي الاولى قصد باريز سنة ١٨٥٩ لرؤية خطيبته وكانت مريضة بل مسلولة فامتنعت عن الزواج طبعاً فأقنعها مورغن بأن تتزوجه وقال : « اني أدور بك الارض لتعود اليكِ صحتكِ » . فاقترن بها سنة ١٨٦١ وانقطع عن الاعمال وتفرَّغ لعمل كل ما يُحسّن صحتها . ولكن ذلك كله لم يجدِ نفعاً ، فتوفيت بعد زواجهما ببضعة أشهر . وعاد فأكبّ على أعماله كعادته ولم يتزوَّج ثانية الاّ بعد مضي ثلاث سنوات على زواجه الاول

كان مورغن لا يضنّ بدفع الرواتب الطائلة عند الحاجة . واكبر راتب دفعهُ هو او غيره الى مستخدم ، ما عدا رواتب الملوك ، هو مبلغ خمسين الف جنيه للستر دوكنس وكيل المالية المصرية سابقاً والسير كلنتون دوكنس فيما بعد . فانهُ لم يكد يستعفي من مصر ويعين عضواً مالياً في مجلس والي الهند حتى عرض عليهِ مورغن خدمة عنده بالراتب المذكور وضمن له الراتب . فقبل ولكن لم تطل مدة خدمته عنده لأنهُ مات بعد سنوات قليلة من فرط الجهد وتراكم العمل عليهِ

دروس

« يجب ان نأخذها من النحلة »

تعلمنا النحلة : —

١ المثابرة على العمل ، لأن النحلة لا تتخلّى عن عملها قط
٢ الاخلاص والطاعة ، لأن النحل يحب ملكتهُ و يطيعها
٣ محبة الأوطان ، لأن النحلة لا تترك بيتها الاّ للضرورة ولوقت قصير
٤ النظافة ، اذ لا أنظف من بيت النحلة وخليتها
٥ الرفق والعطف على الآخرين ، فالنحلة لا تترك رفيقة لها في ضيق
٦ وجوب الاستيقاظ باكراً
٧ وجوب التمتع بالهواء النقي
٨ المسالمة والمودّة ، فقلما تشاجر النحل

وصايا الحكماء

* أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك . ويوم أنتَ فيهِ لا يدوم عليك . ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ولا تعرف من أهلهُ　　(الابشيهي)

* اسمان متضادَّان بمعنى واحد : التواضع والشرف . وقيل اذا ارتفع الشريف تواضع واذا ارتفع الوضيع تكبَّر　　(القيرواني)

* سُئل سقراط : لماذا لا تتكلم. أجاب : خلق لي أذنان وفم واحد لكيما يسمع الانسان اكثر مما يتكلم

* قال رجلٌ : أصعبُ الاشياء ان ينال المرء ما لا يشتهيهِ . فسمع كلامهُ بعض الحكماء فقال : أصعب من ذلك ان يشتهي ما لا ينالهُ　　(العاملي)

منشىء المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثالث | مايو (ايار) ١٩١٣ | السنة الرابعة

شاعرية خليل مطران [1]

على راية الفرقة يعلّق القائدُ شارةَ المجد والشرف ، عند ما يبلي أفراد تلك الفرقة البلاء الحسن في مواقع القتال . . .

وفي ميدان النهضة الادبية الحديثة أبلى شعراؤنا بلاءً حسناً ، فكأن سموّ افندينا المعظّم قد علّق تلك الشارة على رايتهم اذ وضعها على صدر شاعرنا خليل مطران . . .

فليهنأ الخليل حامل لواء الشعر العصري ؛ وليهنأ النيشان الذي حلّ على صدر يحوي الدرّ والجوهر؛ وليُحمَد مليكُ البلاد على آلائه وليُشكر...

أما بعد . فقد رأيت أن خير ما يصاغ من التهاني في مثل هـذا الاحتفال الزاهر هو حديثٌ أُطارحكم اياه ، ايها السادة ، عن المحتفَل بهِ وعن شاعريته . فأقول :

« منشدٌ للغرامِ لم يشدُ إلاّ كانَ إنشادُهُ نواحاً شجيًّا »

(١) خطاب قدّمه منشىء هذه المجلة الى « مجلة سركيس » بمناسبة حفلة تكريم خليل افندي مطران

« شاعرٌ كان عمرُهُ بيتَ تشبيبٍ　　وكان الأنينُ فيـهِ الرويَّا »

« إنَّ في نظمِهِ لحسًّا لطيفاً　　باقياً منـهُ في السطورِ خفيًّا »

هي أبيات كتبها خليل مطران على الصفحة الأولى من ديوان الشاعر الفرنسوي « ألفرد ده موسه » . ولا يسع من ينظر فيها الا ان يقابل بين حالتَيْ الواصف والموصوف ، وشعر الأول والثاني ، فيجدها تنطبق أتمّ الانطباق على الاثنين : كأن الشاعرَ العربي وصف حاله لما وصف حال الشاعر الافرنجي . . .

من المعروف أن لحياة الكاتب ، والمحيط الذي ينشأ ويعيش فيهِ تأثيراً كبيراً في كتابته . ونرى على ذلك دليلاً واضحاً في شعر خليل :

دبَّ شاعرنا وشبَّ تحت سماء سوريا الجميلة ، بين جبالها وقممها البيضاء ، أمام بحرها الصافي وأمواجه الزرقاء ، فجاء شعره رقيقاً لطيفاً... ترعرع وكبر في وادي النيل بين آثار المدنية القديمة وصروحها العظيمة ، فكان إنشاده فخماً عظيماً . عاش تارة في القرى والجبال، فتشرَّب حب الفضيلة والطبيعة ، فأسمعنا الشعر زاهراً طاهراً ؛ وعاش طوراً في المدن ، فراعه ما فيها من التعاسة والشقاء ، فألقى علينا إنشاده مبكياً زاجراً

قال في مقدمة ديوانه ان القارئ « يدارجهُ مدارجةً تمثّلهُ لديهِ في كل حالة مرَّ بها » ولقد أصاب في ذلك ، فان شعره بالحقيقة رسمٌ تمثَّلت لنا فيهِ كل أطوار صاحبه ، وارتسمت بين أبياتهِ كل عواطف قلبـه ، وتأثرات فؤاده . وهذا سرُّ محاسن شعره العديدة

وصف لنا خليلٌ حياته في صباه ، بين آثار بعلبك ، فتمثلناه :

« نَزِقاً ينَهنّ غرًّا لعوباً لاهياً عن تبصُّرٍ واعتبارِ »
« مستقلاً عظيمَها مستخفًّا ما بها مِن مهابةٍ ووقارِ »
« نتبارى عَدْواً كأنّا فراشا روضة ما لنا من استقرارِ »

ثم بعد ان كبر وخاض معترك هذه الحياة نلقاه :

« في هجرةٍ لا انسَ فيها للغريبِ ولا صفـاء
تتقاذفُ الآفاقُ بي قَذْف العواصف للهبـاء
وتُحيطُ بي لججُ الصروف فمن بلاءٍ في بلاء »

وهكذا يمكننا ان ندرس حياة خليل شطراً شطراً ، من مطالعة ديوانه سطراً سطراً

قلنا انه عاش بين جمال الطبيعة ومظالم البشر ؛ وهذا ما قوّى فيهِ الخيال والشعور . ومعروفٌ أن هاتين القوّتين هما جناحا الشاعر يحلّق بهما الى أعلى سماء الشعر ؛ ويأمن تهشمهما اذا كان العقل رائدهُ في حياته العلوية . وقد قال في مقدّمة ديوانهِ إنّ شعرَه هو « شعر الحياة والحقيقة والخيال» أي انّ الذي أوحاهُ هو الحسّ والعقل والمخيّلة . وهذا هو التقسيم الذي نتبعه في درس شعره :

١ — الخيال :

هو أقوى قوانا العقلية لأنه وحده القوة الفاعلة الموجِدة ، وسائر القوى ، كالحس والحافظة والعقل ، ليست الا قوى مفعولة تتأثر وتعمل بما يطرأ عليها . واذا كان الشعر كما حدّه مرمونتل « صورة تتكلم او كلاماً

يصوّر » ، وهو كذلك ، يكون الخيال شرط الشاعرية الأول . وقد قيل: « الشعر هو ابنُ الخيال البكر » . وبفضل هذه القوّة يفوق الشاعرُ المصوِّرَ ، لأنه بكلمة واحدة كثيراً ما يمثّلُ لنا مشهداً يقتضي تصويره ألواناً مختلفة وتفاصيل متعددة . وكثيراً ما رأينا « خليلاً » أدقَّ تصويراً وأبلغ رسماً من أمهر المصوّرين ، فاذا وصف مثلاً الجنديَّ الجريح وقائده يقلّدُهُ وساماً ، قال :

« . . . . . فقلّده وسامـاً　　وكلُّ جراحةٍ فيهِ وسامُ »

واذا كانت نفسهُ مثقلةً بالهمّ ، يرى ذلك الهم

« . . . . كبحرٍ　　ضمَّ في جوفهِ البعيد غريقا »

واذا شكت عينهُ المسهَّدة طول الليل ، فهي :

« تحسب السرجَ في حشاهُ قروحاً　　وترى الشهبَ في سماهُ حروقا »

وهذا بيتٌ تكاد تكون كلُّ كلمةٍ فيهِ صورةً حسية

واذا تبسم أمامه عبدٌ يرى ابتسامهُ

« . . . مثل وميضٍ في حالكٍ مسودّ »

ويرى الليلة الجميلة :

« أشبهَ بالجاريةِ الغراء　　في حلةٍ شفافةٍ سوداء »

واذا تمثّل الشمسَ منيرةً في كبد السماء ، تصوّر له مخيلتهُ المتقدة هذا المنظر تصويراً يعجز عنه قلم المصوّر ، فيقول :

تبعثُ الشمسُ باهراتِ شعاعٍ　　تغتدي بانحدارِهـا شبهَ زُبدِ

فهي في الافق تارةً مسحاتٌ　　من بهارٍ وتارةً نثرُ وردِ

وهي بين الغصون نسج دقيقٌ   من نضارٍ يشفُّ عن لازوردِ

واذا خاطب الغادة الحسناء ، قال لها :

أنتِ ابتسامٌ صيغ في قطرةٍ   من الندى في قبَسٍ من صباح

واذا رأى قرطين (حلقاً) في أُذن تلك الحسناء تصوَّرها « دُرًّا جرى من صدَف »

واذا رآها مكللةً بزهر الفل أعجب « بالورد يحمل فلاً »

واذا كانت تلك الغادة مقبلةً رآها :

« .... كالغصنِ أثقلهُ الجنى   فمال قليلاً واستوى متقوّما »

واذا وصف الصبيةَ اللعوبَ الطروب ، قال فأبدع وصفاً وتشبيهاً :

« ضحّاكةٌ كالنَورِ في الزهَرِ   رقّاصةٌ كالغصنِ في الوادي »

« كرّارةٌ كنسيمة السحرِ   ثرثارةٌ كالطائرِ الشادي »

وهل تكون مثل هذه الفتاة اذا نزل بها همٌّ الاّ :

« كطائرٍ راقهُ غديرٌ   فرفّهُ جانحاً وطارْ »

واذا عبث الهواء بشعرَها قال :

« وتناثرت ضُفرُ الفتاةِ غمائماً   سترت عن الأبصار طلعة نجمها »

واذا وصف الولد الذي لا يقرُّ له قرار ، قال :

« كزهرة روض تمرُّ بها   فتقلقها النُسُمُ السائره »

واذا تكلم عن السفن الحربية المائسة على ظهر البحار وصفها كالجنّ « في جدِّ العواصف تلعب » واذا وصف سلطة الملك صاحب الشوكة والاقتدار ، قال :

« أنت الرجاء فأي شيء ترتجي والروعُ انت فأي شيء ترهبُ »
« والملكُ جسمٌ أنت فيـهِ هامةٌ ويداك مشرقُ شمسهِ والمغربُ »

أو قال ايضاً فأجاد :

« وكأنَّ درَّة سيفهِ عينٌ ترى ما تحت قائمِ سيفـهِ آجالا »

فما أبلغ هذه الاستعارات والتشابيه وما أجمل !

واذا وصف جبلاً مزحلقاً صوَّره :

« كثيرَ الثلوم كأنَّ الفتى اذا زلّ يهوي على مبردِ »

وهو بيتٌ من قصيدةٍ عصماء عنوانها « فتاة الجبل الاسود » فيها من الوصف الفتان ما شاء الخيال وشاءَ التفنن . من ذلك انه عندما يصفُ جمال الفتاة وهي بارزة الى ساحةِ القتال لا يصفهُ كما وصف جمال غيرها من الحسان ، بل يراعي مقتضى الحال ، ويستمير كل صوره من التعابير الحربية ، فيقول :

« لهيبُ الحروبِ على وجنتيهِ والنقعُ في شعرهِ الأسودِ »
« وفي عينهِ مثلُ برقِ السيوفِ وظلُّ المنيـةِ في الأثمدِ »

وعند ما تنكشف حقيقة هذا الفتى — أو بالأحرى هذه الفتاة — فتكشف عن صدرها أمام قائد الأعداء ، يُبدع خليل في وصفها أيما ابداع اذ يقول :

وأبرز نهدَي فتاةٍ كَعابٍ بطرفٍ حيّي ووجهٍ ندي
كَحُقَّيْ لُجَيْنٍ بقفلَي عقيقٍ وكنزين في رَصَدٍ مرصدِ
فكبَّر مما رآهُ الأميرُ وهلّل كلٌّ من الشُهَّدِ

وراعهمُ ذانك التوأمان   وطوقاهما من دم الأكبدِ
ووثبُهما عنـد ما أُطلقا   الى ظاهر الدرع والجسدِ
كوثبِ صغار المها الظامئاتِ   نفرْنَ خفافاً الى موردِ

ويطول بنا المقال لو جئنا على ذكر كل ما توحي المخيلة الى شاعرنا من لطائف الابتكار . وله قصيـدة شهيرة في وصف بعلبك هي مجمع الصوَر وملعب الخيال . وقد جعلتهُ بحقٍّ يسمى «شاعر بعلبك والاهرام» وبالاجمال فان خيال خليل يزين ويحسن ويحلي كل ما تقع عليهِ أبصاره ، فيحقُّ له ان يقولَ كما قال لمروس شعره :

وأبدلُ نور الشمس ما شاءتِ المنى   عقيقاً وتبراً ساكباً ونضارا
وأنظمُ من زُهر الدجى لكِ خاتماً   وتاجاً وعقداً فاخراً وسوارا
وأصنعُ نوطاً باهراً من هلالها   وأنسج من غزل الضياء دثارا

وهذا الذي وضع خليل في مقدمة شعراء الطبقة الاولى في الوصف . اما في الشعر القصصي والخطة التي اختطها للنظم العربي في هذا الباب ، فاقرأوا « عين الأم » و « نابليون الاول » و « ليمون يوسف افندي » و « حكاية شاعر » و « شهيد المروءة » و « العصفور » و « العقـاب » و « مقتل بزرجمهر » و « الطفلة البوبرية » و « حكاية عاشقين » و « الجنين الشهيد » الخ تروا المقام الفريد الذي ناله خليل في هذا النوع

على ان الخيال وحده لا يجعل المرء شاعراً . اذ يكون نظمهُ والحالة هذه بارداً جامداً ، نرتاح اليهِ ونجد فيهِ بعض البهجة ، لكنهُ لا يحرّك فينا ساكناً ، ولا يثير شعوراً كامناً ، كما نرى ذلك في شعراء الوصف ؛ فان هناك ركناً آخر يقوم عليهِ بيت الشعر وهو الحس او الشعور

٢ — الشعور

قال خليل مطران في مقدمة ديوانه : « وليس اكثر شعري هذا بين الطرس والمداد الأ مدامع ذرفتها ، وزفرات صعّدتها ، وقطع من الحياة بدّدتها ؛ ثم نظمتها فتوهمت اني استعدتها » وهكذا يتحقق لنا قوله الاول ان شعره ليس فقط « شعر خيال » . بل هو ايضاً « شعر حياة » ومن القول ما يؤثر في النفس وان خلا من كل صورة ، لانهُ صورة الحياة الحقيقية . وفي شعر خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . كقوله مثلاً في « مشاكاة » وهي من اوليات قصائده :

« أرى مثل سهديَ في الكوكبِ　　أحلَّ بهِ مثلُ ما حلَّ بي
يهيمُ هياميَ من وجدهِ　　ويهربُ من مهدهِ مهربي
ونجتازُ هـذا الفضاءَ الرحيبَ　　إلاَّ بنا فهو لم يرحبِ
فيا نجمُ ما النارُ تُفني حشاكَ　　وما سيلُ مدمعك الصيّبِ
أسِرَّ هواكَ الى صاحبٍ　　يؤاخيك في همك المنصبِ
اما كلُّ ذي كافٍ متعب　　شريكٌ لذي الكلفِ المتعبِ »

فهذه أبيات كلها رقةٌ وشعور على خلوّها من الصوَر وأساليب البديع . وان في المواضيع الشعرية المبتكرة التي طرقها خليل لبرهاناً واضحاً على شعورٍ كبير مقرون بخيالٍ حادّ . فالحادثة البسيطة تُهيج عواطفَهُ وتثير اشجانهُ . فينظمها ويجيء نظمُها محرّكاً عواطف قارئهِ مهيجاً احزانه. اسمعهُ يتكلم عن مهد الطفل تظنهُ الأم الحنون :

ويهزُّهُ خفقُ الفؤادِ　　على مناجاةِ الضمير

واذا سمع ذاك الطفل يناغي في مهده ، فضَّل مناغاته على هديل الطيور وتغريد البلابل

« . . . . فكاما　　أنشدَ علّم الطيورَ النغما »

« وجمعَ الأملاك حول المهدِ　　يُسمعها شدوَ المنى والسعدِ »

هو يشعر بالألم فيصوِّر لنا الفؤادَ المتألم :

« كشاوٍ بأنيابِ الهمومِ مبضَّعِ » .

ويدري اي تأثير يصيبُ القلبَ المجروح فيمثّل عواطفهُ المكسورة

« كجرحٍ قد ألطّفهُ بلمسي　　وإن هو مسَّهُ غيري أُضامُ »

هو يفهم قيمة الدمعة التي قال «لامرتين» انفيها من الشعر اكثر مما في دواوين جميع الشعراء ، فيمثّل لنا الدموعَ غاسلة كل إثم ، مطهرة من كل دنس

هو ذاق من الحب حلوهُ ومرَّهُ فيمثّل لنا الحب تارة غاية الحياة ، وطوراً الباعث على كل أمرٍ عظيم

والحبُّ ألزمُ للارواحِ ما عظمت　　وقد يكونُ لها أدعى الى العِظَمِ

أما تحديده للحب فهو :

الحبُّ في المعنى العميم الكامل　　معنى المراحم والفداء الشامل

يعرف أن قلب الانسان يعيش ويفنى من هذه العاطفة في وقت معاً فيقول :

اسكريني على الدوام وأفني　　مهجتي أدمعاً وعزمي حريقا

وينصح اخوانه اذ يقول :

أحبايَ اني مذ أفقتُ من الهوى شقيٌّ فكونوا الدهرَ فيهِ سكارى

اما الذي لم يُدرك هذه العاطفة فهو لم يُدرك سرَّ هذه الحياة :

مَن لم يُحبّ فما الصفاء لهُ صفوٌ وما أكدارُهُ كدرُ

ويرى الحياةَ ولا يعيشُ كما مرَّت على مرآتها الصوَرُ

ويقول عن قلبه وهو يعني كل قلب

يبغي الشفاء من الولوعِ ولا شفاء مع الولوعْ

ألف الصبابةَ فهي أمٌّ مُرضع وهو الرضيعْ

والطفلُ يشقى بالفطامِ فكيفَ يقبلُهُ مطيعْ

لا متسع لدينا ايها السادة لذكر كل ما يجول في صدر شاعرنا الرحب من العواطف ، كحنينه الى الوطن ، وعطشهِ الى ذلك المنهل الصافي الذي روى صباه ، ووفائه لأصدقائه ونزوعه الى كل أمر نبيـل . فان فؤادهُ كصحيفةٍ حساسة ينطبع عليها كل ما يمرّ بها ، بل هو الغصن الرطب يميل بهِ كل نسيم ، أو وجه البحيرة الصافي يحرّكه كل ريح . وهو القائل عن نفسه :

والذي درعهُ فؤادٌ رقيقٌ فجريحٌ إن يقتحمْ أو يقاحم

فمسكين ذو القلب الرقيق في معترك هذه الحياة اذ يبيت

« وفي الجسم نارٌ يلذعُ القلبَ وقدُها وفي القلبِ نارٌ مثلهـا تلذعُ الجسما »

واذا كان صاحب القلب الرقيق شاعراً من طبقة خليل فهو يصيح:

« أنا الألم الساجي لبعد مزافري أنا الأملُ الداجي ولم يخبُ نبراسي »

« أنا الأسدُ الباكي أنا جبلُ الأسى   أنا الرمسُ يمشي دامياً فوق أرماسِ »

رقّت حواشي مهجته وشفّت عن محرّكات نفسهِ ، فسمعنا خفوق قلبه ، ورأينا ذلك القلب كما يصوّره :

« وقلبيَ مسموعُ الخفوق معلّقٌ   بمنهدمِ الاركان أجوفَ معتلِّ »

بل ما أبلغ التصوير وما أشدّ التأثير عندما ينادي :

اللهَ في صدرٍ وهى   وتقوّست منهُ العظـامْ

خاوٍ كجوف الغـار تمـ   ـلأهُ المخـاوف والظلامْ

إلاّ سراجاً حائلاً   فيـهِ يُنير بلا ابتسامْ

روحٌ تضيءُ على ضر   يحٍ في صميم القلب قامْ

المجال واسع لكتابة درس من أبلغ الدروس النفسيـة في شعور الشاعر يُقتبَسُ من شعر الخليل . بل ان في قصيدته « المساء » التي أنشدها وهو عليلٌ في مكس الاسكندريةَ كفاية . فمن يطالعها يرى « قلباً أذابته الصبابة والجوى » ويسمع الشاعر يشكو اضطراب خواطره الى البحر وهو :

ثاوٍ على صخر أصمَّ وليت لي   قلباً كهذي الصخرة الصماء

ينتابهـا موجٌ كموجِ مكارهي   ويفتّهـا كالسقمِ في اعضائي

والبحرُ خفّاقُ الجوانب ضائقٌ   كمداً كصدري ساعةَ الامساء

تغشى البريةَ كدرةٌ وكأنهـا   صعدت الى عينيّ من احشائي

ومن كانت هذه حالته يرى في غروب الشمس دمعة تذرفها الطبيعة على موته فيخال تلك الشمس المؤذنة بالزوال :

مرَّت خلالَ غمامتين تحدُّراً　　وتقطَّرت كالدمعةِ الحمراءِ

فكأنَّ آخرَ دمعةٍ للكونِ قد　　مُزِجَتْ بآخرِ أدمعي لرثائي

فمن منا لم يشعر بمثل هذه الكآبة . ولكن قليلٌ من له مثلُ هذه المقدرة على إبراز هذه العواطف في ذلك القالب الفتان . يتمنى شاعرنا أن يكون له قلبٌ « كالصخرة الصماء » ونحن نتمنى ان يبقى قلبه رقيقاً ، ليأتي بمثل هذه الآيات البيّنات . فكما ان الشجرة لا يسيل ماؤهـا الاّ من جراحها فكذلك قلبُ الشاعر لا يسيلُ شعره الا من جراحه . أو كما أن العنقود لا يجود بعصيره الطيب ، ما لم تضغطهُ الآلة العاصرة ، كذلك قلب الشاعر ، لا يجود برقيق القول ، ما لم تضغطه يد الأحزان والشقاء... قال اسكندر دوماس بعد مطالعته ديوان فكتور هوغو ، وفيهِ ما فيهِ من توجُّع فؤاده : « فليتبارك الربُّ الذي يُرسل لنا مثل هـذه المصائب ، ليُخرج من صدرنا مثل هذا الهتاف البديع . . ! »

٣ — العقل

أيها السادة . رأينا في شعر خليـل عمل القوّتين الأساسيتين في الشعر — أي الخيال والشعور ؛ وهما قوّتان قد تشردان اذا لم يكن هناك قوة ثالثة — وهي العقل — تخفف من غلوائهمـا . وقد أصاب قدماء اليونان اذ صوَّروا الشاعر في مركبـة يقودها جوادان جامحان — هما الخيال والشعور — وجعلوا زمامهما في يد « العقل » ، لئلا يطوّحا بالشاعر الى الهاوية . وهذا ما قصده ايضاً من حدّد الشعر بأنهُ «الفلسفة

تحمل زهراً » وهذا ايضاً ما أراده خليل ، لما قال إن شعره « شعر خيال وحياة وحقيقة » . فهو الشاعر الفيلسوف الذي يمعن النظر في حوادث هذا الكون وعللها ومعلولاتها ، ويستنتج منها العبَر والحكم . وفي شعر خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . شهد الفيلسوف جول سيمون احتفالاً أُقيم اكراماً لنابليون الثالث ، فنظر الى الشعب المتجمهر الهاتف هتاف النصر نظرة غضب وازدراء ، وقال لمن حوله « هكـذا يخلقون الظُلاَّم . . ! » هـذا ما قاله الفيلسوف الافرنجي ، فاليكم ما قاله شاعرنا العربي عن كسرى وقومه :

هم حكّموهُ فاستبدَّ تحكُّماً وهمُ أرادوا أن يصولَ فصالا
والجهلُ داءٌ قد تقادمَ عهدُهُ في العالمينَ ولا يَزالُ عضالا
لولا الجهالةُ لم يكونوا كلُّهم إلاّ خلائقَ اخوةً أمثالا
لكنّ خفضَ الاكثرين جناحَهم رفعَ الملوكَ وسوَّد الأبطالا
واذا رأيتَ الموجَ يسفلُ بعضُهُ ألفيتَ تاليَهُ طغى وتعـالا
نقصٌ لفطرةِ كلّ حيٍ لازمٌ لا يرتجي معـهُ الحكيمُ كمالا

فهذه أبيات كلها حكمة وفلسفة اجتماعية . ولا يشنّ شاعرنا الغارة على السلطـة بل يريدها مبنيةً على العقـل والتروي ، ألا وهو القائل « والحكمُ أعدلُ ما يكون جدالا » ولكن هو الاستبداد يملي عليهِ مثل هذه الابيات :

نعم هي دارٌ للملوكِ عتيقةٌ ولكن غدَتْ للفحش داراً وبئسما
بنـاءٌ بمالِ الناسِ قام جبايةً ولو ذوّبوا تذهيبَهُ لجرى دما

كذلك هو يشجب الاعمال الجائرة ايما رآهـا . اسمعوه يخاطب ملوك مصر بناة الاهرام

لم يُغنِكم منهُ البنـاء عاليا　　والأرضُ نهباً والملوك أعبُدا
وكان يُغنيكم جميلُ الذكرِ لو　　خفضتمُ اللحدَ وشدتم بالهدى

وهو القائل ايضاً :

معرَّةُ الظلمِ على مَن ظلَمْ　　وحُكم مَن جارَ على مَن حكَمْ

كل هذا لأن الخليل فهم مهمة الـكاتب ، ولا سيما الشاعر ، وهي مناصرة الخير ومناهضة الشرّ ؛ فاذا رأى القويّ يعبث بحقوق الضعيف يهتف :

فيمَ احتباسك للقلمْ　　والأرضُ قد خُضبت بدمْ
سدِّدْ قويمَ سنانهِ　　في صدرِ مَنْ لم يستقمْ
اليوم يوم القسطِ قد　　قامَ الأُولى ظَلَموا فقمْ

ثم ينبه قومه للنهوض من ثبات الجهل فيقول :

نمنـا على جهلٍ وقد　　عاشَ الكرامُ ونحن لمْ
فاذا انقضت آجالنـا　　فمن الرُّقادِ الى العدَمْ
واذا بُعثنا بعدهـا　　فكأنها رُؤيا حلمْ

يرى الخليل أجيال الناس « تجيء وتنقضي » . يرى الممالك « تشيد بالصوارم » وتفنى بالمعايب . فبعد ذلك يقول :

ولم أرَ شيئاً كالفضيلة ثابتاً　　نبَتْ عنهُ آفاتُ البلى والمعاطبُ

ثم نراه ، وقد كادت المصائب تصرعه ، يصيح من قلب مكلوم :

غلبتني صروف دهري على صبـ　ـري وأفنته نارُها في الملاحم
الأمانَ الأمانَ ألقيتُ سيفي　وطويتُ اللواء تسليمَ راغم

ولكن إنْ هيَ الا نفثة مصدور، لا يلبث بعد تفريجها ان يعود فيظهر مظهر الرجل الجلد :

شأني مكافحةُ الخطوب اذا دجا　نقعُ الحوادثِ في الليالي السودِ

وفي شعر مطران قصائد كثيرة تتطلب درساً مستقلاً لما جاء فيها من المبادئ الاجتماعية يضطرنا ضيق المقام الى التنويه بذكرها فقط مثل « وفاء » و « العقاب » و « حكاية عاشقَين » و « الجنين الشهيد » و « الطفل الطاهر » الخ .

***

كل ما ذكرناه من المختارات بهي جميل — وهناك أيضاً غير ذلك محاسن عديدة . وبدائع شتى — وهي على ما رأيتم فيها من الجمال والسناء كالجواهر كانت اجمل واسنى لو رأيتموها منظومة في عقدها لا منثورة مستقلة كما أوردتها

وقد عرف شاعرنا أن يستفيد من لغات الاجانب دون تقليد، وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد؛ فاحترس بصبغة العرب في التعبير . وادخل اساليب الافرنج في التأليف والتفكير . فكانت نتيجة ذلك انه ارغم الشعر العربي على اداء الحاجات الجديدة دون ان يتخطى ما سنَّ له من القواعد القديمة . قلنا بلا تقييد ولا تقليد لأن خليلا نزوع الى الحرية في كتاباته كما هو شغف بها في حياتهِ

هذا بعض الشيء عن شاعرية خليل مطران وعبقريته . وقد رأيتم ايها السادة الخطة الجديدة التي اختطها للشعر العربي — وهي خطة المستقبل . فحق لنا بعد ذلك ان نعده استاذاً علَماً في هذا الفن . وحق لعصرنا ان يفاخر به وبأمثاله من شعرائنا النابغين ابهى عصور اللغة العربية

أجل يا سادة ، جال الشعراء في عصر العباس جولة وصلوا بها حبل النسب بين العصرَين الزاهرَين ، والعهدَين الناضرَين : عهد الرشيد والمأمون ، وعهد عباسنا الميمون . فعقدت في ذلك الالوية لابن الوليد وابن هانئ . وعقدت في هذا لشوقي وصبري وحافظ ومطران . فوضع مولانا — حرسه الله — بيده الكريمة آية رضاه على صدر علَمها الخفاق فوق رأس فارسها السباق . كما يضع القائد شارة الفخر على لواء النصر — ولفرسان البيان اسوة بفرسان الميدان

﴿ اليمين ﴾

انما يحملُ الرَّجلَ على الحلف احدى هذه الخِلال : إما مهانة يجدها في نفسه وضرَعٌ وحاجةٌ الى تصديقِ الناس ايَّاه ؛ وإما عيٌّ بالكلام حتى يجعل الأيمان لهُ حشواً ووصلاً ؛ وإما تهمةٌ قد عرَفها من الناس لحديثِهِ فهوَ يُنزل نفسهُ منزلةَ مَن لا يُقبَل منهُ قولٌ الاَّ بعد جهد اليمين ؛ واما عبثٌ في القول ، أو ارسال اللسان على غيرِ رويَّةٍ ولا تقدير

(ابن المقفّع)

خواطر

« في الخيرات والشرور »

ترك الأوّلون من البشر للأخلاف كثيراً من الخيرات ، وخلّفوا لهم وافراً من الشرور ؛ وقد مرَّ الدهرُ تلوَ الدهرِ ، وجاءت أجيالٌ خلف أجيال ، وتلك الشرور ثابتة لم تزحزحها العقول ، ولم تمتنع عليها النفوس ؛ بل كأنَّ السعيد الفائز من الاخلاف ، هو المحتفظ الضنين بذلك التراث ، فاذا ما تأملنا في أبديَّة هذه الأسواء وشبهِ ازليتها ، وجب علينا ان لا ننظر الى محافظة الأجيال على تلك التركة المباركة بنظر التهاون ، وان لا نجعل علَّتها التصادف ، بل يجب ان نحني الرأس قليلا امام ما هنالك من المجهولات التى اقتضت هذا الأمرَ ، عسى ان يُفتحَ لنا بابٌ من ابواب العلم بعد تأدية هذه السجدة سجدة الاعتراف بوفرة اسرار الكون وعظمتها ، وليس ما يخفى على اكثر البشر إلاّ من الاسرار

ولقد اختلف كثيراً نظرُ المفكرين في الموازنة بين الخير والشرّ ، ومآل الأقوال كلها الى ثلاثة : من يرى ان الشرّ اكثر ، ومن يرى ان الخير أغلب ، ومتوسط يرى ان بين الخير والشر تعادلاً مع رجحان خفيف لجانب الخير .

يقول مغلّبو الشر : ألم ترَ ايها الانسان الى كثرة الامراض ، ووفرة الأحزان ، وشدة العدوان ، وغلبة الحرمان ، وشيوع الشكوى ، وعموم البلوى ؟ . . ألم ترَ كيف يقلُّ أولو اليسار حتى يستطاعَ عدُّهم ، وكيف

يكثر المسرون حتى يفوقوا العدّ ، ويعيَ عن لحاقهم المقدار ؟ . . ألم ترَ كيف يشيع الجهل حتى يصمد كل تلعة ، ويهبط كل واد ، ويدخل كل بلدة ، ويزور كل بيت ، ويحلّ كل دماغ ، وكيف يتقاصرُ العلم ، ويتقلص ويختبئ وينطوي حتى تُشَدَّ اليـهِ الرحال ، وتُحملَ في سبيله الاثقال ، وتُبذل في التفتيش عليهِ الاموال ، وتُنفق فيهِ السنون الطوال ، حتى اذا ما اهتدى الطالبون الى جنابه ، وجدوا حوله طائفةً من الحواجز ، فيرجع بأكثرهم الملل والضجر واليأس ، وما يفوز باقتحام تلك الحواجز الا قليل من الطالبين ، وما الطالبون بكثير . . . ألم ترَ الى العقول السليمة — على قلّتها — كيف يؤذيها الجهل المُجذِر [١] بما اخترع من حكايات وتهاويل ، وكيف يسمُّها العلم الابتر بما وضع من شروح وتآويل ؛ والى النفوس الكريمة كيف يقزّزها ظهور القبيح واذاعته ، وكيف يؤلمها خفاء الجميل واضاعته ؟ . . وانظر الى الشهوات كيف تطغى ولا تقف عند حد ، وكيف قضت علينا بالاستمرار في النصب ؛ وانظر الى قلة من تألفه النفس ، والى كثرة ما يحول مع هذا بينها وبين إلفها ، والى ما يصيبها بعد هذا كله من سهام الفراق ، وما يعروها بسببه من الجوى ؛ وتأمل في قصر الآجال مع طول الآمال ، وقلة المعاضدين مع كثرة المعاندين ، وضعف الوسائل مع قوة الرغائب ، وتهجم الظلمات مع تحجب النور ؛ وارم ببصرك الى كثرة الزمنى والمبرسمين وأرباب العاهات ، ولا تتغافل عما يرافق العجز والاحتياج من المهانة ، وللاحساس بالمهانة آلام

(١) العريق ذو الجذور الراسخة

عظيمة ، وقل لي بعيشك ما اكثر العجز والاحتياج في هذه الحياة ؟ بل قل لي أي الناس يفارقه شيء من العجز وشيء من الاحتياج ؟ هبك مليكاً ، ألا ترى انك عاجز عن كثير ، ومحتاج الى كثير ؟ فماذا يخامر قلبك كلما وجد طعم العجز ، وماذا تجده نفسك كلما ذاقت الاحتياج ، وما هـذه الدنيا التي لم يسلم من آلامها صغير ولا كبير ، ولا جليل ولا حقير ، ومتى يكون خيرها اكثر من شرّها اذا كان هذا شأنهـا من ادّخار الآلام لكل ذي روح على اختلافٍ وتفاوتٍ بينهم في المقادير فقط ؟ ؟

ويقول مغلّبو الخير : لقد جعل الفاطر لنـا البصرَ لنرى بهِ كلّ محسوس ، وأكرمنا بالبصيرة لنطّلع بها على ما وراءَ المرئي ، وقد ملأ السموات والأرضَ بما لا يُعدُّ ولا يحدُّ مما يبهج النفوس ويسرُّها ، فلماذا تعمى الأبصار والبصائر عنها كلها ، ولا ترى إلاَّ الأمراض وآثارهـا ؟ أفننسى نِعَم الشمس ، أم آلاء الأرض ؟ أتسخير البحر ننسى أم استخدام البرّ ، أنغفل عما يفيضهُ التعاون البشريُّ العام من بركات العقول ، وثمرات الهمم والنفوس ، أم عما توحيه الفطرة الانسانية من تعاطف القلوب ، وما تؤتيه من لذيذ العلاقة بين المحبّ والمحبوب ؟ يا للعجب كيف تقعُ الأبصار على بعض الأقذاء ، وتعجز عن أن تمسحها بالنفاتة الى روضة فيها أطيبُ الأقوات للسمع والشم والبصر ؟ أين ذهب عن الأبصار جمال هذه القبة الزرقاء وقد طرحت عنهـا جلبابَ الغيوم ، وحسرت لثـام الدجون ، فأشرق محيَّاها ، فقابلته الأرض راقصةً ترنّح أعطافها الأغصان ، وتصفّق أكفّها النسائم ، وأين ذهب عن البصائر جمال الحيّ

القيوم الذي نفخ من روحهِ في والد هـذه الذرّية المباركة الحاملة لواء خلافته في الأرض (نعني النوع الانساني) ألا ترزق البصيرة تجلياً من تجلياتهِ تضيء بهِ الدنيا كلها لها فلا يبقى أمامها الاّ مسابح نور، ومسارح آمال ورجاء وسرور

لو صحّ أن الشرّ في هذه الدنيا هو الأغلب ، لكان سير هذا النوع الانساني الى ما هو أقبح وأنقص ، لا الى ما هو أجمل وأكمل ، مع أن المشاهد هو أنهُ كان طول دهره سائراً الى التكمّل ، وآخذاً بالتعلي والتجمّل ، فلقد كان الانسان كهذه الحيوانات السارحة في القفار ، أليفَ آجام وحليفَ أوجار ، يدور يلتمس لمأكله ورقاً وعشباً ، ويردُ الغدران والأنهار فيعبّ منها عباً ، لا يزرع ولا يصنع ، ولا يقني ولا يجمع ، لا أداة لديه ولا ماعون ، ولا عهد عنده ولا قانون ، ثم قفز من بيئتهِ تلك قفزةً إذ ألهمه الفاطر أن يتخذ شيئاً من الأداة ، فاصطنع من الحجارة قواطعَ وقواشرَ ونواحتَ ، وفصّل بهذه الأدوات الحجرية ما شاء أن يفصّل من أعواد الشجر على حسب ما هدته اليهِ الحاجة . فعمل من الأعواد مِخيَطاً ومسماراً ، ومخرزاً ومحفاراً ، ومقياساً ومعياراً ، وظلّ كذلك يتدرّج بهذه الصناعات الابتدائية حتى توصّل الى الحديد ، وهُدِيَ الى معرفة التصرّف فيهِ فيومئذٍ دخل في دور جديد فصله عن الأدوار الاولى، ومن بعد ذلك بدأ يأتي بالبدائع والطرَف من الصناعات حتى أصبح بيته وماعونه وآنيته وأكسيته وأثاثه ورياشه وسائر طُرَف زينته أشياء لا تقف عند حدّ ! وقد تحسنت عند ذلك سحنتهُ وبنيتهُ ،

وتهذّبت طباعهُ ، وانقلب شتاتهُ اجتماعاً ، وفوضاه نظاماً ، وبلغ من العلم حظاً تقصر كل مبالغة عن وصف عظمه ؛ وما الجهل الباقي بشيء يصح أن يسمى عقبةً في سبيل سلطان العلم الماضي الحكم لأن كثير الجهل قليل ، فألفُ ألف جاهل مثلاً يستطيع أحد العقلاء أن يجعلهم تابعين لكلمته كما تتبع الغنم صوت راعيها . . . هذا وما نحن بمنكرين كثرة الشرور ، ولكنَّا مع كثرتها قلما رأينا شيئاً منها الاَّ ورأينا أمامه قوىً بها يحتمل الناس شدائدها . فاذا صح أن نسمي كلَّ شيء من الشدائد مثلاً شرّاً لزم ان يصح تسمية ما يقابلها من القوى خيراً على أنه ليس من الحق أن نُطيَّر بالشدائد ، ونتبرَّم بها ، وننقم عليها في حين أن كثيراً منها مربيات ومرقيَّات للأفراد والجماعات ، ويا لله كيف يكون طعم الهناء لولا العناء ؟ وكيف كنا نستطيع أن نعرف سائر الأنواع المسماة خيرات لولا ما يقابلها من أضدادها إذ لولا المرض ، لقال قائلٌ : ما هي نعمة الصحة ، ثم ما هي الفضيلة لولا الرذيلة ، وما هو الانبساط لولا الانقباض ، وما هو الذكاء لولا البلادة ، وما هو المجد والرفعة لولا المهانة ؟ فكأن هذه الشرور انما وجدت ليكمل بها حظنا مما هي أضدادها

يشكو مغلّبو الشرّ من الامراض وبديهي ان صحة اكثر الافراد هي الأغلب فان مرض أحدهم في العمر مرة أو مرتين أو اكثر كان ذلك لتتضاعف لذته يوم يرجع اليهِ بعد الهجر حبيبه العظيم الذي هو العافية ؛ وإن كانت نهاية بعض الأمراض الموت فذلك — والموت محتوم — خير من اختطافه خطفة واحدة على حين غرة ، ولوقوع موت الفجأة في بعض

الاحيان نعرف فضل المرض الذي به يتمكن المرء من وضع بعض الوصايا ومن التهيؤ لاستقبال الأبدية بنفس مطهرة بالندم على بعض الزلات ، وبه يتمكن أهله من حسن توديعه فيزودون نفسه بأثمن شيء عند النفس وهو شذى الاخلاص ، ويتزودون من مرآه برؤية أعلى شيء وهو إباء الحبيب ان يفارق أحباءه ، فهو والحالة هذه ينشدهم بلسان الحال :

ولو نُعطى الخيارَ لما افترقنا　　ولكنْ لا خيارَ مع الزمانِ

وهم ينشدونه :

اذا ترحّلتَ عن قوم وقد قدروا　　أن لا تفارقهم فالراحلون همُ

ويشكو مغلّبو الشرّ من الجهل ، ولو فقهوا لدروا أن ليس كل جهل يُعَدُّ شرّاً ، فانه لو أصبح كل الناس فلاسفة لحلّ بالدوران البشري ما يحلُّ بهِ اذا أصبحوا كلهم أغنياء . على ان من يمعن النظر كثيراً يجد في غباوة كثير من البشر فائدةً ليست بأقلّ من الفائدة التي يجدها في ذكاء بعض الافراد ، وحسبك من فوائد الغباوة لأصحابها أنهم أقلّ تذمراً وامتعاضاً ، فهم لا يذوقون الآلام التي يذوقها النبهاء من مشاهدتهم عيوب مجتمعهم وتقصيره عن غيره مثلاً . وحسبك من فوائد تلك الغباوة للمجتمع أن أصحابها لهم مما يدورون حوله من رحى الاعمال التي عرفوها شغل شاغل عن احداث الفتن والمشاغبات التي توجع الرأس أحياناً على قلة نفع . وتلك الاعمال التي أشرنا اليها قلّ ان يصبر عليها سواهم مع انها قد تكون مما تشتدُّ اليها حاجة الجمهور

وبعد فأيّ شيء ينقمون مما يسمونه الشرور ، وهي إمّاً من اللاتي

تعمُّ فيهوّنها ذلك العموم ، واماّ من اللاتي يقلُّ وقوعها ، فتمرُّ وتنقلب الى خيرٍ أحياناً . تأمّلْ مهما تعاظم مُصابُ أهل بيت بميتهم ، تجدْ كلَّ واحدٍ يستطيع أن يهجم على نيران حزنهم برشةٍ من التسلية التي يدور محورها على كون هذا الموت أمراً محتوماً ، وشيئاً طبيعيًّا ، وأنه سبيل الأحياء أجمعين ، وأنه ما من أهل بيت الاّ وقد أصيبوا بمثل هذا على أنَّ الفوائد التي يعرفها العقلاء في الموت يمنعهم عن إدخاله في زمرة ما يسمى الشرور

ينظرون الى الحاضر ولا يتفكّرون في العواقب ، فتعظم بمثل هذا شكواهم ، تأمّلْ كم من فقير قد آلمه فقرُهُ ، فساقهُ حثيثاً الى السعي والاكتساب ، فلم يلبث غير قليلٍ حتى ذاق لذّةَ الغنى . فهل كان فقرهُ السابق شرًّا أم كان باعثاً لتحصيل لذّة الغنى المكتسب التي تفوق لذّة الغنى الموروث ... وتأمل كم من مريضٍ أزعجهُ المرضُ وأخافهُ ، فتذكَّرَ ما كان أهمله في الصحة ، فلما أتيح له عناق العافية هبَّ نشيطاً للأخذ بما كان قد أهمله ؛ فهل كان مرضه شرًّا ، أم كان باعثاً لتحصيل لذّة عمل الواجب بعد اهماله ، ومولّداً للذة عناق العافية بعد الصدود ... وتأملْ كم من عاجزٍ قد أقعده عجزهُ عن كثير مما يأتيه أُولو الأشر والبطر ، فأحدث له ذلك صيتاً حسناً ، وآتاه حسنُ الصيت قوةً أصبح قادراً بها على نيل بعض ما كان محروماً منه ؛ فهل كان عجزهُ شرًّا أم كان موجداً للذاتِ من حسن الصيت ثم القوة ثم الفوز ... لعمرك ليس الشرُّ أن لا تكون الآن قويًّا ، فانك قد تقوى وتجد لذةً عظيمة ؛ وكم من ضعيف

قوي ، وانما الشرُّ أن تكون قوياً فتفقد هذه القوة . وكم من قوي قد ضعف ، فما كثرة الضعفاء العتيدين أن يقووا سوى كثرة أبواب الأمل الذي هو روح الحياة وباعث النشاط ، والخير كل الخير في هذا ، وما قلّة الأقوياء المعرّضين لفقد القوة سوى قلة أبواب الوجل الذي هو باعث الغمّ والانقباض ، والشر كل الشر في هذا . فسبحان من هذا نظامهُ وأثر حكمته ورأفته ، والله رؤف بالعباد

ويقول المتوسطون : ان أعجب ما في الخيرات والشرور أنك تراها متقابلةً كفريقين من العسكر قد وقف أمام كل صف آخرُ مثله في الجانب المقابل كأنما قد وُكل اليها أن لا يألو كلٌّ فريق منها جهده في حفظ القلعة التي هو قائم عليها . بيد ان الجيوش التي نعهدها لا تلبث ساعة أو بعض ساعة من الدهر ، حتى يقرع أحدها الآخر ويفلّه ، وأما جيشا المِنن والمِحَن فانهما ما برحا متواقفين منذ أولية هذا النوع ، ولعلهما سيظلاّن مكانهما ما دار بنا المدار ، ولكن من سير الانسان نحو التكمل نفقه أن ثمَّةَ رجحاناً لجانب الخير على جانب الشرّ الا انه رجحانٌ خفيف جداً جداً اذ لولا ذلك لما كان الخطو الى التكمل بطيئاً بهذه الدرجة

كل هذا قاله المفكرون . وقد اكثر مغلّبو الشرّ من ترداد شواهدهم والتغني بفلسفتهم ، كأنهم وجدوا المجال واسعاً ، والنغَم مؤثراً ، اذ لا أوقع في نفس المفجّعين من اظهار التألم مثلهم ، وذمّ الدنيا التي هي مثار فجائعهم ، ومدار محَنهم ، وكثير من أهل هذا الرأي كانوا شعراء قد ضاقت عليهم مذاهب المعاش ، فأشبعوا دنياهم ذماً وهجواً وملأوا الأسفار بوصف

شرورها من مثل قول حريريهم :

ايّاكَ والدنيا الدنيَّة إنها شركُ الردى وقرارة الأكدارِ
دار اذا ما أضحكت في يومها أبكت غداً تبًّا لها من دارِ

أما مغلّبو الشر فلم نرَ لفلسفتهم كثيراً من الشروح الضافية ، وانما وقفنا على قليل منها في أخبار وآراء بعض الصوفية والفلاسفة . وقد رأينا بعضهم لا يكتفي بتغليب الخير ، بل يذهب الى أنه لا شرّ على الاطلاق ، وأن الكون كله خيرٌ محضٌ من خيرٍ محض

وما اختلاف المفكرين والفلاسفة وأصحاب الأديان بتعريف الخير والشرّ ، وتعيين أنواع كل واحد منهما بأقلّ من اختلافهم في الموازنة بينهما . كلاً ، بل هو اكثر بكثير . واذا ما نحن استطعنا أن نُرجع الى ثلاثةٍ عددَ مذاهب المختلفين في الموازنة فاننا لا نستطيع ان نُرجع الى عدد معيَّنٍ مذاهبَ المختلفين في التعريف وتعيين الأنواع . ولا يدري مقدار عذر هؤلاء في استلافهم هذا الاَّ من جال نظره طويلاً في ميادين الطبيعة البشرية وسبر كثيراً أحوال الافراد والجماعات ، وتأمل ملياً فيما يقعُ فيهِ الحسُّ والعقل من الأغلاط ، وعرف جيداً ما للعادات والتقاليد من النفوذ والتأثير ، وما لها من المنافع والمضارّ ، فرجل أوتي هذا النصيب العظيم من الخبرة يعرف أنه ليس من البديهيّ معرفة ما هو الخير ، وما هو الشرّ . فلا يهزأ حينئذٍ بكثرة اختلاف المختلفين فيهما من أهل الاديان والفلسفات ، ولا يتهكم على أقوام رأوا الخير كل الخير في تهذيب النفس وحرمانها من الشهوات الحيوانية ، ولا على آخرين ضادّوهم كل

المضادَّة فرأوا أن الخير كل الخير في اللذات وانالة النفس كل ما تشتهيه .
وكذلك لا يعجب من قد وصفنا حظه من الاطلاع لأقوام يبكون ،
لكثرة ما يضحك الناس ، وآخرين يضحكون من كثرة ما يبكون ،
فسبحان من خلق بين هؤلاء البشر جذور الائتلاف والاختلاف ،
وجعل هذا التباين في الأفكار ، آيةً خالدةً قاضيةً بمزيد التبصر والاعتبار

عبد الحميد الزهراوي

الحب

« بين شوقي وولي الدين »

تراءت له على مستشرف حجرتها صبحاً ، حين لم يلقِ عن اعطافهِ ثيابَ الكرى ، والصبحُ كبسمةِ الرضى على الثغر الالمى ، والروضُ كالأمل الغضّ في الفؤاد الفتيّ . فلماَّ اعتدلت في نظرهِ جانست محاسنُها محاسنَ الوجود ؛ فترامى اللحظانِ ، وتناجى القلبان ، وطارت رسائل الوجد بين الروحَين على أجنحة الزفرات تبعثُ حنيناً وأنيناً وهياماً شديداً ؛ فذلك حيث يقول شاعر الشرق شوقي بك :

نظرةٌ ... ...

ثم توالى كرورُ الاصباح ، وكما تكبُر الاجسادُ تكبُر الارواح ، وكما تكبُر الارواح تكبُر الصبابات ؛ واللواعجُ ثمارٌ تُسقى مغارسُها بالدموع ، والشبابُ خصبٌ تنضج به اللواعجُ ، ونسائم السَحر تُغري الاشواق ،

ووجهُ الربيع يزيد الجرأة على الفتنة . واذ طال تمارُض الوجهين ، وتقابُلُ النظرَين ، جاءت طمأنينةٌ تمسكُ الروح ساعة اضطرابها ، فتألّقَ لها على الشفتين بارقٌ افترّ عن مثل الدرّ المنظم ؛ فذلك حيث يقول شاعر الجمال :

... فابتسامٌ ... ...

ثم استمرّ الغرامُ ، وتراضى القلبان ، واذِنَ كلٌّ لصاحبهِ بما اذن ، فكانت حاجة الى الإعلان ، فارتفعت بينٌ كورَقَة الآس ، أُمرّت على جبينٍ كنفس الطفل ، واذا في الوجهةِ المقابلةِ رأسٌ يخفضُ اجلالاً وخشوعاً وكذلك يضرع المطيعُ للمطاع ؛ فذلك حيث يقول شاعر الخيال :

... ... فسلامٌ ... ...

ثم نما الهوى وارباهُ التراضي ، فاشتاقت الاذانُ الى مثل حظّ الاعين ، ولا بدّ لما يُسَرُّ من الإعلان ؛ فتَساجلَ الشكايةَ صريماها ، وقام اللسانان سفيرَين عن القلبين . هنالك حلاوةٌ تمازجُها المرارةُ ، وراحةٌ يتخلّلها التعب ، وللوجدِ بيانٌ لا تركّبهُ الفاظٌ ، ولا تؤديه عبارة . فبهما فاض ماء النفس من الثغرين المتباعدَين ؛ فذلك حيث يقول شاعر البيان :

... ... فكلامٌ ... ...

ثم تعارضت في الروحين قوّتان من السلب والايجاب ، وقعت شرارتهما على الحسّ فاضطرَم . غير ان الحكمة اطفأت ذاك الأُوار ، والصبرُ في اوائل الصبابة يغلبُ عليها ، فتعالَجَ المحبّانِ بالامانيّ وما زالا يتواصيانِ بالرأي حتى غلبا عليه ، فاستثار الشوق كمينَ النفسين ، فاتفقتا

على التداني ؛ فذلك حيث يقول شاعر الحُبّ :

. . . .　. . .　. . .　. . .　فموعدٌ　. . .

فلمّا بلغَ الامرُ اقاصيهُ ، وعصفت شرّةُ الشباب بالرأي والجلد فاستطارتهما ، ضربَ الصبّانِ على سلاسل الأسر فتساقطت حلقاتهما في صلصلةٍ تصمّ الآذان ، وانطلقَ سهيلٌ يطلب الثريا ، وضمّ الروحين عناقٌ هو خاتمة السعادة والشقاء .

للّه انت يا شوقي بك ؟ اذ تقول :

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ　　فكلامٌ فموعدٌ فلقاء

هذه رواية الغرام في بيت واحد ، لو نطق به الدهر لتاهت به صروفه .　　　ولىّ الدين يكن

الزهر

رأيتُ صباح اليوم أزهار الربيع على أكمل ما تكون ، إمّا في أكمامها، وآثار الصحة بادية عليها ؛ وامّا زاهية قد مزقت أكمامها وأسفرت من حجابها بينَ بين . لا هُنّ نواشز خالعات العذار ، ولا هنّ متخذات ستوراً من الاكمام والافنان . أسفرنَ فكانهنّ قرة للعين ولذة للشم ومبعث لحركات العواطف . لا أعرف عن طريق اليقين الوجه في جمال هذه الزهور ولكنها في الواقع جميلة . كذلك لا أعرف الصلة الخفية بين رؤية الأزهار وشمّها وبين آيات الحب . جلّت حكمة الله أن تتناولها عقولنا . ولكن الأستقراء دلّ

على أن هذا النوع الأنساني منذ نشأ الى اليوم يتعشق الزهر ، ولا يطيب له مجلس لهوٍ الا اذا كان للزهر فيه المقام الاول منثوراً ومنظوماً صحباً أو اشتاتاً . بل كلنا يود أن يكون له بستان فيه زهر . ومن لم يجد هرع وقت فراغه الى الحدائق العمومية . ومَن لم يجد من الفلاحين أعجبه كثيراً أن يقيم وقتَ أنسه على قرب من زهر الفول . ومن لم يجد اتخذ له صورة بستان أو خيال بستان من الزهر في آنية الفخّار يضع فيها القرنفل والورد في شبابيك داره . بل أصبح من القضايا البديهية أن الدلالة الوضعية على رقي أمة عنايتها بالزهر واستمتاعها به . وما هذا الاستقراء التام الا جاعل نسباً ثابتاً بين الزهر والانس ومسارح العواطف وحركات القلوب . لقد يسمج التعليل المنطقي في موضوع كهذا خفيفٍ بطبعه لا يحتمل ثقل المنطق ورصانة الدليل . ولكني أستأذن القارئ ان أستدل بهذا الاستقراء على أن الزهر من دواعي التقريب بين القلوب ، ومن عوامل الائتلاف بين الجنسين . وقد كان دائماً مفتاحاً تستفتح به هدايا الوداد . بل اتخِذت ألوانه المتنوعة وأنواعه المتعددة علامات على المشاعر المختلفة التي لها علاقة بذلك المعنى المعروف بآثاره المجهول بكنهه وهو الحب

واذا كان الزهر من دواعي الحب ، وكان الحب داعية حفظ النوع ، وكان الربيع خير الفصول في وفرة زهره وجماله ، فهل يستطاع الامل بان هذا الربيع يدعو اللواة الماطلين من أبنائنا وبناتنا الى فكّ «الاعتصاب» الذي لزمهم أو لزموه هذه السنين الاخيرة عن اكبر واجب حيوي ؟ فينزل

كل منهم عن المثل الأعلى في خياله الى ما دونه من الأمثلة . ولا يتشدَّد في التمسك بالاعتبارات الاضافية كفقر الزوج أو مركز أبيها في الحكومة .... الخ وأن يتساهلوا بعض الشيء ولو في بعض الشروط المعقولة عندهم غير المقبولة عندنا نحن الآباء لا بحجة العقل ولا الدين ولكن بحكم العادة الطويلة . هل يستطاع الأمل بأن هؤلاء المماطلين المتصبين يخففون عنا كابوس الخوف من قلة النسل في الفرقة المتعلمة من الطبقة الوسطى ؟ انهم لو ذاقوا تلك السعادة الزوجية ، وشملهم سلام العيشة العائلية، وشعروا بلذة عواطف الابوَّة لما احتاجوا الى الحافنا في المسئلة، ولندموا على ما ضيعوا من ربيع الحياة　　　احمد لطفي السيد

﴿ أقوال مأثورة ﴾

* قال لقمان لابنه : لا يكوننَّ الديك أكيسَ منك ينادي وقت السحر وأنت نائم

* عاتب أخاك بالاحسان اليه ، واردد شرَّه بالانعام عليه

* قيل لحكيم : أيُّ الملوك أفضل : ملك اليونان أم ملك الفرس ؟ فقال : من ملك غضبهُ وشهوتهُ فهو أفضل

* ما رأيت أحداً الا ظننتهُ خيراً مني ، لأني من نفسي على يقين ومنهُ على شكّ　　(العاملي)

* لا تفرح بالغنى والرخاء ، ولا تغتمّ بالفقر والبلاء ؛ فانَّ الذهب يجرَّب بالنار والمؤمن يجرَّب بالبلاء　　(الامام علي)

في رياض الشعر

ذكرت الهوى

ذكرتُ الهوى أيامَ يصفو فنحتسي ويضفو الصبى عن جانبَيهِ فنكتسي
تقضّي مُنانا من رياضٍ وأوجهٍ ونشفي صَدانا من شفاهٍ وأكؤسِ
لذاذاتُ عيشٍ صالحٍ كُنَّ أنعماً فأُعقبنَ من حدثانِ دهرٍ بأبؤسِ
طوينا بقاياهــا ففاضت من الأسى بقايا قلوبٍ جازعاتٍ وأنفسِ
خلت أربُع الأهواءِ الاّ من البلى يعفّي بهــا آثارَ ملهًى ومجلسِ
تعوّضتُ عنهــا بالياً بعد مُونقٍ وبُدّلتُ منها موحشاً بعد مؤنِسِ
ألا هل لأيامِ الشبيبةِ رجعــةٌ فأطمعَ في ماضٍ من العيشِ مونسِ
تمتعتُ من دهري بظبيٍ مربّبٍ فقــد عاد يرميني بسِيدٍ عملَّسِ
أقول لنفسي والأسى يستثيرُهــا مكانكِ ان النفسَ بالنفسِ تأتسي
ألم تعلمي أنَّ الزمانــَ بأهله يدورُ وأنَّ الصفوَ نغبةُ محتسٍ ؟
متى تطلبي ما ليسَ للدهر شيمةٌ تُعــاقي عن الأمرِ المرومِ وتُحبسي
أجدّك هل تقضين كلَّ لُبــانةٍ بطول التمّني أو بطولِ التلمُّسِ
اذا الحاجُ لم تُقدَرْ فليس بنــافعٍ تقحّمُ إصليتٍ وإقــدامُ مُدعسِ
صرفتُ رَجائي عن مطالبَ جمّةٍ وليس الذي يرجو المحــالَ بكيّسِ
وعفتُ الدنايا فاحتفظتُ بمنصبي وأبقيتُ عرضي طاهراً لم يدنّسِ
سجيّةُ حرِّ النفسِ لا متعرّضٍ لعوراءَ يبغيهــا ولا متمرّسِ
كريمٍ متى ما يَفْــدُ كفّيه منفسٌ يُدِلَّ بأغلى منــهُ قدراً وأنفَسِ
وما فاتني غُنْمٌ اذا عفَّ مطعمي وعرّيَ من سوءِ الأحاديثِ ملبسي

اذا ضرّس اللؤمُ الوجوهَ فشانَها بقيتُ ووجهي وافرٌ لم يضرَّسِ
وما راعني الاّ حسودٌ يعيبني على ما يرى من طيبِ عودي ومغرسي
لقد عجمتني الحادثاتُ فلم يلنْ مجسّي على بؤسِ الحياةِ وملمسي
أخوضُ الخطوبَ السودَ غير منكّبٍ وألقى المنـايا الحمرَ غير معبّسِ
وأسمو الى العـاني أُفرّجُ همَّهُ اذا ما عنتهُ كربةٌ لم تنفّسِ
ولم تُخزني في مشهدٍ ألمعيّتي ولا خانني رأيي وصدقُ تفرّسي
ولست كساعٍ بالأباطيلِ والرُّقى الى الناسِ يُزجيهـا بضاعةَ مفلسِ
متى ما أقلْ قولاً فلستُ بكاذبٍ أصادي بهِ نفعاً ، ولا بمدلّسِ
تعوَّدَ مني الدهرُ شيمةَ فاضلٍ وما اعتدتُ منهُ غيرَ شيمة مومسِ
كلانا على ما آستنَّ جارٍ ومن يُقِدْ الى الشيمةِ العسراءِ يُعصَ ويشمسِ
وأعلمُ أني ما حييتُ مقلّبٌ فؤادي وعيني في ضياءٍ وحندسِ

احمد محرم

﴿ فؤاد « حافظ » ﴾

يا خافقاً قُلْ لي متى تسكنُ للهِ ما تُخفي وما تُعلنُ
يا ليتَ شعري عنك في أضلعي ماذا تقاسي أيُّهـا المُثخَنُ
وما الذي أبقاهُ من مهجتي ومن حياتي داؤكَ المزمنُ
يا ثغرَهُ من ذا الذي يحتسي بَرد ثنـاياك ولا يؤمنُ
يا قدَّه هذي قلوبُ الورى معروضةً طوبى لمن تطعنُ
يا لحظهُ مُرْنا بمـا تشتهي كلّ مُحالٍ في الهوى ممكنُ

حافظ ابراهيم

﴿ زهرة ورد ﴾

أممتُ الحديقةَ عنـد السحَرْ　　أشمُّ نسيمَ الصَّبا والزهَرْ
وقد نشرَ الفجرُ أسلاكَهُ　　فدبَّ بجفنِ النيامِ الشررْ
وأنشدَتِ الطيرُ آيَ الصباحِ　　فأيقظتِ الزهرَ مثل البشرْ
ومرَّ النسيم يقظى الرُّبى　　فبثَّ بهِ كلُّ ثغرٍ عطرْ
وكانت الى جانبي زهرةٌ　　بثوبِ الكرى والندى المنهمرْ
فأيقظتُها وهي في كِمّها　　كبكرٍ ببُرد الحيا تستترْ
فهبَّت ، وفي جفنها فترةٌ　　وفي خدّها حمرةٌ ، تعتذرْ
وفي شفتيها الندى مالكٌ　　عليها الكلامَ كثغرٍ حصرْ
فمالت اليَّ كأني بها　　تسائلُ عن حالتي والخبرْ
فقلتُ : أراكِ بأسر الكرى　　كأنكِ مغرمةٌ بالسَّمرْ
فهل أنتِ مثليَ مفتونةٌ　　بما في الطبيعة يَسبي البصرْ
فقالت : وقد طار عنها الندى،　　أيُعذَلُ صبٌّ يُطيل السهرْ
فما أنتَ منا بأسمى شعوراً　　وليس الهوى فيكمُ محتكَرْ
فقلتُ : وأنّى لمثلكِ قلبٌ　　خفوقٌ بنار الجوى يستعرْ
نشدتكِ لا تدَّعي بالغرامِ　　ففاهِيمُ أسرارهِ قد ندَرْ
يضنّون في حبّهم بالقشورِ　　ولبُّ الهوى عنهمُ مستترْ
وهل يتمشى الهوى في النباتِ　　وبعضُ قلوبِ الورى كالحجرْ
فقالت : أما زنتَ صدرحبيبٍ　　فؤادكَ في باقةٍ كالزُهُرْ
أنا زهرةُ الوردِ رمزُ الغرامِ　　حياةِ النفوسِ وروحِ الفِكَرْ
عشقتُ الطبيعة روحَ الجمال　　وحسبيَ في شمسِها والقمرْ

تبثُّ الحيـاةَ بهذا الوجودِ فتقرأُ آياتُهـا في الصورْ
وأما الغرامَ فلا ندَّعي وليس لنـا منطقٌ للهذَرْ
وانّا علِمنـا من الحكماء بأنَّ السكوتَ وِعاء الدُرَرْ
فنحن سُكوتٌ وفي صمتِنا لَننطقُ في معجزات السوَرْ

* * *

واذا جاء دوري بردّ الجوابِ أتت هندُ في الموعد المنتظرْ
فعرَّفتُ بينهمـا ناشراً لِطَيِّ حديثٍ شذاهُ انتشرْ
وحكَّمتُها بيننـا بالرضى فقالت وقد بادلتني النظَرْ
هي الجـاذبيّةُ بين النفوسِ تدسُّ الغرامَ بسلكِ البصرْ
هي الجاذبيّةُ بين العنـاصرِ إنْ تَعْدُ منظومها ينتثرْ
وفي عالم الزهرِ تمشي الحيـاةُ وما من شعورٍ لها أو وطرْ
فقلتُ : وأنّى لها مثلَنـا شعورٌ نغذّيه منذُ الصِغَرْ
عشقتكِ ما فتنتني العيونُ ولا ثغركِ المتلي بالدُرَرْ
ولكن بنفسكِ لي جاذبٌ هو الكهرباء فأين المفرْ
هو الحبُّ يحيا بروحِ الجمال ولا تستبيهِ الحِلى والحِبَرْ
وأنتِ الجمالُ فمَنْ عاذري اذا لم اكن فيـهِ ممن شعَرْ
فجودي على شاعرٍ بهواكِ بآيِ السنى حليـةً للفكَرْ
فمـا الشعرُ دونكِ مهما علا بأكثر من طَلَلٍ مندثِرْ

* * *

وذي زهرة الورد رمزُ الهوى أزفُّ الى صدركِ المزدهرْ
فكلٌّ تلفَّتَ بي شاكراً وبشَّ بصاحبـهِ وافتخرْ
وجاء الضحى ناثراً عقدَنا الى الملتقى في رياضِ السحرْ

(لبنان) احمد تقي الدين

اذا ذهب الربيع . . .

أطلتِ تدلُّلاً وأطلتُ صبرًا كلانا باذلٌ ما يستطيعُ
لقد أودعتِ قلبكِ ما بقلبي فضاعَ وكنتُ أحسبُ لا يضيعُ
رددتِ تضرُّعي ورددتِ دمعي فليس يُجاب عندكِ لي شفيعُ
فيا ويلاهُ من قلبٍ عصيٍّ يذوبُ بحبهِ قلبٌ مطيعُ
ويا لهفي على املٍ مباحٍ يُدافع دونه يأسٌ منيعُ
ويا حزني على هذه الاغاني أردّدُها وليس لها سميعُ

* * *

أسيدتي الرفيعةَ إنَّ روحي يقرّبها اليكِ هوى رفيعُ
وأيام الصفاء وإن توانت يُطاردُ ركبها نأيٌ سريعُ
اذا ذهب الربيعُ ولم أُمتَّعْ بنضرتهِ فلا عاد الربيعُ

ولي الدين يكن

شاعر يسلو

مَن مبلغُ الغيدِ عني قصةً عجباً تَبكي وتَضحكُ منها الغيد في حينِ
اني سلوتُ فلا هجر فيهدمني بهِ الغرامُ ولا وصل فيبنيني
فلتلبسِ الغيد من نسج الضحى حُللاً ولتعلم اليوم اني غير مفتونِ
وليُمتعِ النفسَ غيري في خمائلها وليقطفِ الورد من تلك البساتينِ
وليَهتَصِرْها أفانيناً مُهدَّلةً وليجنِ رمَّانَ هاتيكَ الأفانينِ
تلك الغصونُ وكم لوَّيتها بيدي وبتُّ احصي جناها بالموازينِ
حين المحبةُ تحت الكرم تُرضعنا والسحبُ ترضعُ أولادَ الرياحينِ

عبد الحليم المصري

الانشاء المترهل

شرع الدكتور شميل يطبع كتابه « حوادث وخواطر » وأتيح لنا ان نقف على مقدمته فاقتطفنا منها الكلمة الآتية في انتقاد هذا النوع من الانشاء الذي ضاع فيه فريق من كتاب العصر قال :

عنيتُ في الصيف الماضي (١٩١٢) بتقييد بعض حوادث ممّا مرَّ عليَّ ، وتعليق بعض خواطر مما يعنُّ لي ، عسايَ ان أجد فيها ما أشغل بهِ أوقات الفراغ . وأفرّج كُرَب العزلة . حتى اذا كاد الصيفُ ينقضي نشبتِ الحرب البلقانية ، فوقفتُ في تلك حيث وقفت ، وعلّقت على هذه ما علّقت . — ثم ضممتُ الى ذلك بعض ما تيسر لي العثور عليهِ من مطويٍّ لم يُنشر ، ومنشورٍ مبعثر . وجمعتُ الكل في هذا الكتاب ، فجاء « من كل حرش عصا » او — من كل نبتة زهرة — على ذوق القارئ . وسمَّيتهُ « حوادث وخواطر »

حوادث هي بعض مذكّراتي في حياتي القليلة الاختلاط الكثيرة الاعتزال . ان لم تتسع للرواية فقد تستوقف بدقة التحليل ؛ وان أقفرت من القديم المأنوس فقد يكون فيها شيءٌ من الجديد الطليّ ؛ وان كثر فيها الجدُّ فقد لا تخلو من الفكاهة ؛ وان كثرت فيها المعلّقات الخصوصية فلم أُهمِل من خلالها المرامي العمومية . — حوادث لم أنقلها عن يومية مدوَّن فيها كلُّ ما كان يعرض لي كما يفعل البعض ، ولا سيما الافرنج في مذكّراتهم ، ولكنني اعتمدتُ فيها على ذاكرةٍ قلما تخونني في الوقائع ، وأن كانت تتعثر كثيراً في التاريخ

وخواطر هي بعض أفكاري أُطلقها تجول في ما حولي ، وتمرُّ بي حتى أعماق نفسي ، وتنطق عن نظري الخاصّ ولو خالفت أحكامي أحكام سواي . وان لم أدَّعِ لها العصمة فاني أربأُ بها ان تميلَ مع الهوى ولو لقيتْ ما لقيتْ من عواصف

العواطف الغالبة حتى الساعة على أفعال سائر الناس ، والمتمكنة فينا اكثر من سوانا على نوع خاص

حوادث وخواطر سردتها سرداً كما جاءت غير متّبعٍ فيها نهجاً مخصوصاً . ولم أتعمّل فيها غالباً لئلاّ يجمح بي جواد المبنى فيخرجني عن جادّة المعنى . فهجرت الوحشيّ الفحليّ ، ولم أقع في الحضريّ المترهّل ، وتقرَّبتُ كثيراً من العامة ، عسى ان تكون البلاغة في ما كان أدنى الى تبليغ المراد

قلت الحضريّ المترهّل لأني أرى اليوم مَيلاً كبيراً للتباري في نهج من الانشاء إن أجاد فيهِ البعض فقد قلّ فيهِ المفلحون . وان حلا في بعض المواقف فمن المُصاب ما يُغثي . يترقق فيهِ اللفظ حتى لا يكاد يغشى السمع . يطوف على الازهار ويناجي نفوس الكواكب ، ويستمطر دموع الملائكة ، ويثير أشجان القلوب . ولكن يحار الجنان في فهمهِ اذا تقصّاه الى لبّه . فلا هو نشيد الاناشيد ، ولا هو مراثي أرميا ، ولا هو مصابرة أيوب ، حتى ولا هو تسبيح داود على قيثارتهِ . أو هو خليط منها يتلألأ ولكن كالبرق الخلَّب . ولا يبقى من جيّده في الذهن الا أثر النسيم على صفحات الماء ، ومن رديئهِ الا أثر الكابوس في الحالم . وشأنهُ في الحالين شأن الماس الكاذب ، فلا هو حليةٌ للتنافس ، ولا هو الفحم النافع باعتبار ان الماس الحقيقي فحم متبلور . — كأننا لم نهجر التقعر الجاف الا لنقع في الرقيق المائع . وبينهما ضحايا الفكرَ مقتولة على مذبح هيكل العواطف الثائرة او الذابلة . — ولكم عرض لي وأنا أسمع هذا الشعر الجديد المنثور ، ان تذبل عيناي ، وتتدلى يداي ، ويتهادى ذراعاي ، كأنهما جناحان هبّا بي للتصفيق ولكنهما هبّا متكسرين كأني بهما الطير الواقع . — وما الناس بحاجة الى هذا التنويم المخدّر بعد ذلك المثار الجاهلي المدمّر

قلت اني تقرَّبت كثيراً من العامة ، ولا أريد بذلك اني تنزَّلت اليهم ، بل اريد اني تحديتُ الأسلوب الذي ينفتح للجميع على حد سواء ، بدون أن يُضطرَّ فيهِ الى تعمّلٍ يوجبه التأنق في الانشاء ، كثيراً ما يذهب بجهد الكاتب ، وقد يستمهل

فهم القارئ حيث يجب ان يُستحثّ ، ونحن ان لم نكن في عصر بالقياس الينا فالى عصر بالقياس الى سوانا الوقت فيه ثمين ، عسانا أن لا نبقى مقيدين في الأغلال على الاجيال . واستعملتُ كثيراً من ألفاظهم التي تعبر جيداً عن المراد ، والتي ان وجد بعد العناء في معجم اللغة ما يقوم مقامهـا ، فقد يعزُّ حتى على الأديب مغزاه حتى يتقصاه في مكانه ، والمقصود من الكتابة ليس الإغلاق . كما اني أثبتُّ كثيراً من كلامهم الجاري مجرى المثل ، لأن الأمثال حكمة الشعوب التي تعبر عن أحوالهم ومجرى أفكارهم في كل أطوارهم . ونهجت نهج الأمم الراقية من متقدمين ومتأخرين ، ونهج العرب أنفسهم في ابَّان حضارتهم في مستحدثات الصناعة ومستنبطات العلم ، فلم اتحوّل عن مسمياتها في لغاتها ، الاّ حيث أمنت اللبس ولم أخشَ التشويش ، ولا سيما في هذا العصر الكهربائي الذي يتدفق فيه المستجد كل يوم تدفق السيل ، حتى صار التحوُّل عنهُ الى أوضاع الاجتهاد خروجاً عن المأنوس المدرك الى الوحشيّ المغلَق، متبعاً في كل ذلك سنّة التحوُّل التي تتناول كل شيء في الطبيعة والانسان في العمران ، والتي لا يقوى عليها حتى ولا الجامدون المتمكنون من جمودهم مهما جمدوا

حوادث وخواطر لم أدارِ فيهـا ولم أحابِ ، وان أغضب ذلك النفوس التي لم تألف الا المدهدة . واذا كنت أُكثر فيها من الانتقاد أطلقهُ على ما حولي وأتناول بهِ حتى نفسي فلأن الانتقاد يبعث على التفكير . عسى ان يغلب علينا ما لا نحبُّ مما يُحمد « فنحسَّ بفكرنا » لا اننا « نفتكر دائماً بشعورنا » وقلما تنجح أعمال العقل اذا غلبته العواطف

ولا أخشى حملات العقلاء ، فاحترام كل فكر ضروري لحياة الفكر . والاصغاء الى كل نظرٍ واجب . — وأدفع حملات سواهم متستنصراً عليهم أبناءهم من أصلابهم فهم الذين يثأرون منهم . يثأرون الافراد المجنيّ عليهم والمجتمع الذي يسيئون اليهِ . وسرعان ما يكون هذا الاثار اليوم

الدكتور شميل

نهضة اللغتين

« العربية والتركية »

حياة الأمم في آدابها العالية ، و بيانها الخالد ، بها تنهض ، وتسمو ، وتماشي الدهر ، وبها تستعز ؛ ولكم من أمة كفل لها بيانُ لغتها بعثَها بعد أن طوى جهل حُكامها صحيفة وجودها ؛ وفي بعث هذه الأمم التي ناهضت الترك وتناهضهم اليوم في سهول تراقية والروملي خير دليل و برهان ، فلئن هبّ علماء الغرب وشعراؤه سنة ١٨٢٠ لنجدة الأمة اليونانية فهم انما أرادوا باحيائها احياء لغة اليونان . فقد ضمنت اقلام كتبة آثينا الذاهبين الخالدين هذا الوجود الحاضر لمن استخلفوهم على لغتهم في ديارهم . فهم بما كتبوه منذ ألفي سنة بعثوا أمة اليونان منذ تسعين سنة

للّغات كالأمم أدوار عزةٍ وانكسار ، ولقد زهت لغتا العرب والفرس في أعزّ أيام دولهما ؛ فكانت اللغة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة في أوج عظمتها ورقيّها ، وفي مثل ما نرى فيه اليوم لغات باريس ولندن و برلين . فكانت تغصّ اروقة حلقات الدرس في مدنها — وهي أشبه شيء بجامعات مدن الغرب الكبرى في يومنا الحاضر — بمئات الطلاب القادمين اليها انتجاعاً للعلم ، كما تكتظ مدارس عواصم الغرب في هذا العصر بطلاّب الشرق ، ولم أرَ أمة شذّت عن هذه القاعدة غير الأمة التركية لأسباب تضيع في شرحها وتعليلها آراء علماء الاجتماع

مرت الأمة التركية بدور عزّة وعظمة لم ينقصا في شيء عن عزّة وعظمة أرقى الامم التي مشت قبلها على وجه هذه البسيطة . فلقد جاءت عشائرها مئات من جبال الأورال في الشمال واجتمعت ملايين عند اسوار فينا . فكانت ككرة الثلج تزداد في تدحرجها ضخامة الى أن ضعفت فأضمحلت بفعل النواميس الطبيعية ، كما اضمحلت

الامم التي تقدمتها بفعل هذه النواميس نفسها . ولقد بلغت الامة التركية هذا المبلغ من الرقي والنهوض ، ولغتها في الحضيض ، لا شعر ، ولا بيان ، ولا آداب سامية ، فكأن تلك الحروب والفتوحات جرفت الأمة كلها في سيرها الى الموت والفناء . الا أن الباحث المدقق يجد ان الامة التركية كانت كلها منذ بدء الفتح تشغل مناصب السيادة الملكية والعسكرية فلا تعرّض مقاتل افرادها الى الهلاك الاّ على قَدَر . وما كان اولئك الذين فتحوا الديار وهاجموا الاسوار الا ابناء هؤلاء الاسرى الذين سقطوا في حروبهم مع الترك بين ايديهم فاعتنقوا الاسلام ووقفوا أجسامهم على خدمة الحرب، فسار أبناؤهم على آثارهم الى ان اضمحلت اجواق الانكشارية التي قادت أعلامها خافقة الى النصر في كل مكان ؛ فكان في استطاعة الترك في أيام عز دولتهم احياء بيان لغتها وضربها على أعناق الدهر خالدةً خلود جميع اللغات التي تقدمتها والتي جاءت وستجيء بعدها . غير أنه لم يكن شيء من ذلك . فلقد مالت شمس عظمة تلك الدولة الى الأفول والغروب وشمس نهضة لغتها لم تبزغ بعد ؛ وهذا الحادث الغريب ، الشاذّ ، من أغرب الحوادث التي يسطرها التاريخ في صحائفه لابنائه الآتين

بدأت نهضة اللغة التركية الحديثة منذ خمسين سنة مضت فأخذت ترتقي وتنمو برغم الحوائل التي حالت دون نموّها في الثلاثين سنة التي مرّت بها من حكم عبد الحميد . فكتب أدباؤها ، وترجموا جلّ مؤلفات كتّاب الغرب وعلمائهم في العلوم والفنون ، والشعر والأدب . وساعدهم على ذلك وجود حكومـةٍ لهم منهم تمدّهم بعضدها ، ومدارس في كل نوع من أنواع العلوم . في العلوم الحربية والبحرية ، وفي التاريخ والحقوق والاقتصاد وعلوم التجارة والزراعة ، فامتلأت مكاتبهم بآثارهم وأخذت لغتهم في الزهو والإشراق ، والحكومة في أحرج أدوار حياتها تنتقل من انكسار الى انكسار ، ولعلّ السبب في إقبالهم على النهوض بلغتهم في هذا الدور والعصر هو الانتفاع بها كسلاح لمقاومة الفناء . فاشتغلوا باحياء اللغة لفوائدهـا

لا لذاتها ، كما فعل غيرهم من الأمم . فقد انصرف العرب عن الاشتغال بالمُلك الى الاشتغال بالأدب ، وانصرف الترك الى الاشتغال بالأدب ، طمعاً باستبقاء المُلك

ولقد ماشيت اللغة التركية في فروق خمسة أعوام رأيتها فيها سائرة بقدم الجبّار الى الانتشار والاعتزاز ، فعمل لها ابناؤها في خمسة أعوام مثل ما عمل لها آباؤهم في خمسين سنة ان لم أقل اكثر . وكفاني دليلاً على اتساع الحركة الفكرية في الاستانة ان أقول ان عدد مطابعها بات أربعة أضعاف ما كان عليهِ منذ خمسة أعوام . وان أجرة المرتِّب التي كانت لا تتجاوز خمسة عشر غرشاً مرَّ عليها دور بلغت الستين غرشاً في اليوم .

وقد رأى ادباء الترك ان لا مفرّ لهم من انشاء نادٍ يجمع شتاتهم ، يشتغلون فيهِ بايجاد الالفاظ ونحت المعاني و بعث اللغة ، فانشأوا نادياً لهم أطلقوا عليهِ اسم (فجر . آتي) لم يَخلُ من فائدة في نهوضهم فكان غرَّة مطلع ذلك الفجر . وعملوا مجدّين في ما أرادوه فكانت هذه الأعوام الخمسة التي مرَّت بهم سنوات بركة واسعاد في اللغة (فقط) . واذا نظرنا الى كتّاب اللغتين العربية والتركية في هــذه السنوات الأخيرة نجد الآخرين أغزرَ مادة ، وأصحّ سنداً ، وأقوى بياناً .

ليس مَن ينكر نهضة الآداب العربية الكبرى منذ الربع الأخير من القرن الماضي الى هذا اليوم ؛ فلقد بلغت دولة الشعر والأدب فيها مبلغ أزمانها الراقية في أيام العرب الأولى الزاهرة ، الاّ ان الحركة العلمية وما يلحقها لا تزال ضعيفةً من كل وجه ، فكتب التاريخ والعلوم قليلة لا تروي ظمأ الوارد ، ونظام العمل على النهوض بها مفقود ، فكم من كتاب ثمين بدأ ذووه بهِ وطووه . وهذه مجلدات دائرة المعارف وكتاب آثار الأدهار لا تزال تنتظر أناساً يكملون ما بدأ بهِ السلف الصالح . ففي مصر وسوريا والعراق حركة أدبية كبرى اليوم لا نظام لها ولا رابطة تربط ذويها ، على ان حصولها سهل ، واحداثها غير بعيد المنال . وفي نظارة المعارف

رجل كحشمت باشا دلّت سوابق أياديهِ على اللغة العربية على ان يديه لا تنكمشان عن مساعدتها . ففي قليل من عناية امراء هذه النهضة يُحقق الأمل ويتم الرجاء . وأول حلقة من حلقات هذا النهوض انشاء ندوة للمشتغلين بالأدب يسنّ لها نظام يربط ابناءه في مصر وسوريا والعراق حتى والمهاجر الاميركية . فتكون هذه الندوة أشبه شيء بغرّة الفجر الآتي العربي ، ونجمة هذه اللغة التي تهدي بنيها الى أفضل السبل للنهوض بها في معارج الفلاح . واذا كانت هذه النهضة الأدبيـــة دليلاً على حياة الأمة العربيـــة ففي تنظيمها وتسييرها في سبلها خير ضامن لها بالبقاء . فالى العمل والنهوض أيها الأدباء .

(مصر)　　ابراهيم سليم نجار

عهود الغادات

صديقتي العزيزة أنيسة

اليكِ مني هذا النبأ الغريب . انه لنبأ غريب ، لأنهُ كان في اعتبارك واعتباري غير محتمل الوقوع . ولكن صدق القائل « لا مستحيل على وجه الارض » . تودّين أن تعرفي هذا النبأ في الحال . ولكني أقول لكِ احزريه . ربما تظنين اني صرت غنياً عظيماً كأني اكتشفت كنزاً ، تحسبين ان الحكومة عينتني وزيراً ، او غير ذلك من الأمور الغريبة . ولكن امثال هذه الأمور — وان تكن غير منتظرة — أقرب في اعتبارك واعتباري مما سأقوله لكِ ، لانكِ لن تحزريه . وليس ذلك لأنهُ لا يحدث مثله كلّ يوم وكلّ ساعة بل لأنهُ كان عندنا غير محتمل الوقوع

أقول لكِ بلا تطويل في المقدّمات ان امينة قاطعتني ، وكنت أود ان اراكِ وانتِ تترددين في تصديق هذا النبإِ ، بل ان ارى دهشتك وقد تحققتِ صحته لأشاهد أبلغ حالة من حالات الانذهال والتعجب . ولكن لا صبر لي على كتمان هذا

الحادث عنكِ الى حين اللقاء . نعم ان أمينة نسيت او تناست ذلك الحبَّ الشريف الشديد المتبادل الذي كان يربط روحينا برابطٍ كنتُ اظن أن ما من قوة في الوجود تقدر على قطعه حتى ولا الموت . فهل تصدقين هذا النبأ

أنتِ صديقتها الحميمة ومستودع سرّ فؤادها . أنتِ التي طالما رأت الوجد يُسيل من مآقيها العبرات ، وطالما سمعت الهوى يصعّد من صدرها الزفرات ، وطالما رنّت في آذانك أقسامها المغلظة بأن « اتوس » هو حبيبها الوحيد الدائم ، وانها انما بحبه تحيا . انتِ التي تعرفين كلّ ذلك . هل تصدقين انني صرت لديها كغريب ، كأنْ لم يكن شيء مما كان .

نعم هكذا حصل . والأدهى انها لا تريد ان تقدم سبباً لهذه المقاطعة سوى « ان هذا الحب لا حاجة اليه ولا فائدة منه »

لكَم قلت لها — وأرجوكِ عذراً وصفحاً — ان قلوب النساء متقلبة ، وانها بقدر تسرُّعها في الميل تتسرع في الانحراف ؛ فكانت تقول لي «لستُ من تلك النساء . ان حبي لكِ لهو دمي الذي يجري في عروقي ؛ فحياتي هي البرهان على دوام وجوده » . وها هي الآن تحيا وتزداد يوماً عن يوم عافية ونضارة

يقولون ان جسم الانسان مجموعٌ مؤلف من خلايا حيوية صغيرة جداً دائمة الفناء والتجدد . فهل تظنين ان هذا الناموس الطبيعي — أي الفناء والتجدد — يغيّر هوية الشخص فيصيّره اليوم غير ما كان منذ سبع سنين

ان اميال النفس المختلفة — وسيدها الحب — لا توجد في الانسان عفواً ، بل لا بدَّ لها من سبب . ولا أنكر ان هذه الأميـال تتغير أو تضمحل ، ولكنها كما وُجدت بسبب ، فزوالها يجب ان يكون لسبب ايضاً ، و بقدر ما يكون الميل شديداً ، يكون سببه عظيماً . فزوال هذا الميل الشديد يقتضي ان يكون سببهُ عظيماً ايضاً .

فهل تستطيعين ان تستخرجي لي من أعماق صدرها سبب هذا الانقلاب العظيم

انتِ تعرفين تاريخ حبنا كلهُ وتقدرينه قدره من الاعتبار لأنهُ حبٌّ روحي كنا بكل جرأة نباهي بهِ ونفاخر . ولكني لا أعلم اذا كنتِ تعرفين كيف نبت هذا الحبّ ونما ، فاعلمي يا أنيسة انني أنا الذي كنت ضحية هذا الحب بلا ذنب

كنت يوماً اتنزه مع نسيبةٍ لي ، فالتقينا اتفاقاً بأمينة تتنزه مع قريب لها ، وكان بيني وبين قريبها تعارف سابق ، و بينها و بين نسيبتي مثله ، فتبادلنا التحيات واجتمعنا نتحدث في شؤون مختلفة ، فما انتهت جلستنا حتى شعرت بأني نزلت من فؤاد امينة منزلاً حسناً . ثم تلاقينا فمدّت اليَّ يد التودّد ، فمددت لها يد الترحاب ، وكل منا يعجب بسجايا الآخر ، وهكذا نما الحب واشتد وتمكن مني

لم أتعشقها من نظرة كما يقولون ، ولا سعيت في جذب قلبها نحوي بالنصبي ، وهي خالية الذهن مني ، ولا سبقتها بيث الحب . بل لطالما عملتُ على اطفاء ما كان يتقد في نفسها من الشغف بي اتقاء لمبادلتها هذا الوجد خشية ان تنقلب عليَّ يوماً ، ويكون ولعي بهـا قد أزمن ، فلا يبقى الى الشفاء سبيل فأشقى وتسعد ، وأتألم ولا تبالي ؛ ولكنها كانت قادرةً ، فاقتحمت دمي بمكروب هواها ، وتركتني هازئة ، ولسان حالها يقول : اشفَ ان قدرت

هل أقول ان مظاهرها تلك كانت تفنناً في اختلاب الألباب واستهواء العقول . انكِ لا توافقيني على هذا القول ، وأنا لا أجسر على الجزم بهِ . انكِ تعرفين منها أنَّ حبها كان حقيقياً كحقيقة وجودها ، ولكن يمكنني الآن ان اكرر قولي لكِ — ولو ساءك — اكرره ولا أقبل فيهِ جدالاً ، ولا بضده اقتناعاً انقلب المرأة سريع الميل سريع الانحراف . ان حبّ المرأة فجائي الحدوث فجائي الزوال ولعلها في هذا الخلق أسعد حظاً من الرجل ، فلا تأسف على هناء ضاع ولا تذكر حباً كان ، في حين ان ثبات الرجل في حبٍّ لا أمل له فيه ولا عزاء ، انما هو كل الشقاء

ان الراويات الموضوعة التي تمثل وفاء المرأة وخيانة الرجل في الحب ، انمـا هي

تخيلات يُقصد بها التأثير على طبع المرأة الفطري لجعلها وفية ولو خانها الرجل ، ولكن عبثاً يتعب هولاء القصاصون

لقد اطلتُ القول وانتِ تنتظرين ان تعرفي كيف صارت هذه المقاطعة . نعم ، واليك البيان :

تعلمين أنا كنا نتقابل ونتكاتب ، فزرتها يوماً فوجدتها غائبة عن منزلها ، فكتبتُ اليها فلم آخذ جواباً ، فكتبت ثانية فجاءني منها الكتاب الآتي نصهُ :

١٠ ابريل　　حضرة الفاضل الكريم المحترم

تشرفت بكتابيك الأول والثاني ، المؤرخين في ٧ و ٩ الجاري، وها أنا اجاوب حضرتك عليهما معاً ، فأقول : لقد رأيت بعد التفكر الطويل ان علاقتنا القديمة لا حاجة اليها ولا فائدة منها ؛ ولذا أرجوك أن تعذرني على عدم تمكني في المستقبل من مكاتبتك ومقابلتك ، بيدَ اني أبقى ذاكرة على الدوام مكارم اخلاقك وحسن شمائلك ؛ ولا أزال اعتبر نفسي الصديقة المخلصة　　أمينة

دهشت من هذا الكتاب ، ولم أفهم ما اقرأ لأول وهلة ، فكررتُ القراءة على مهل ، ويداي ترتجفان ، وعيناي تحدقان في هذه الحروف المرسومة ، لعلي استنتج من أشكال رقمها حالة الانفعال النفساني التي كانت امينة عليها عند كتابتها ؛ فوجدتها متناسقة جميلة ، على أحسن ترتيب ، مما يدلُّ على ان الكاتبة كانت على اتمّ ما يكون من الرواق والارتياح ؛ وجعلت أفسر هذا الكتاب الوجيز كما يفسرون طلسماً مبهماً ، فأخذ تفسيره عندي ما لو كتب لملأ مجلداً

صرت بعد « العزيز والحبيب » حضرة الفاضل الكريم المحترم

نعم ما دام أن قلبها قد انقلب ، فقد صار حبنا لا حاجة اليه ولا فائدة منه . على أنهُ قد كان ذا فائدة ، واليه حاجة فيما مضى ، قد كان الدم الذي بهِ تحيا ..

والمرء يحب الذكرى اللذيذة ؛ فأخذت مجموعة رسائل أمينة وجعلت أقلب في

صفحاتها ، فوقع نظري للحال على كتاب سأنقل اليكِ بعضاً منهُ . قالت :

« الوقت الآن نصف الليل . الناس نيام والطبيعة هادئة ساكنة . لا صوت ، ولا حركة . لم استطع النوم فقمت الى الحديقة لأناجيك . جلست على المقعد وتخيّلتك واقفاً بجانبي ترنو اليّ بتلك النظرات وتبسم لي . نسيم لطيف يمرّ بجانب وجهي فأحمله اليك تحيتي . ليتك الآن خارج غرفتك فكنت تسمع النسيم ينقل اليك قولي « أحبك دائماً » . تنشق هذا النسيم فان روحي صائرة معه اليك »

ولا يخلو كتاب من كتبها من مثل هذا المعنى

قلت لها مرة ، بل غير مرة : يا أمينة تحدثني نفسي بأن حبك هذا لا يدوم ، و يالشد ما أخشى زواله ؛ فقالت : بل يدوم الى الأبد . قلت : اسمعي . لا ينشأ الحب عبثاً ، بل لا بد أن يكون في المحبوب مزية او مزايا راقت في نظر المحب فأحب صاحبها ، واذا كنتِ قد رأيت بي مزية تحبينها ، فلست متفرداً بها وحدي ، بل أنها توجد في غيري ، وربما بصورة أعظم وأجلّ . وقد يوجد من يتحلى بمزايا ومحاسن متعددة ، والقلب يميل الى الافضل . قالت لقد رأيت كثيراً ولم أرَ مثلك . قلت سترين في المستقبل . قالت لن يوجد مثلك أبداً

راجعت ضميري فلم أجدني أتيت سبباً يوجب هذا الانقلاب . وأنت تعلمين انها حرّة بفؤادها وسلوكها ، فالسلطة الادبية لا تؤاخذها على حبها هذا الشريف ولا سلطة شرعية عليها تحول دون استمراره واعلانهِ . فليس اذاً هنالك سبب خارجي دعا الى هذا الانقلاب والسبب منها ولا شك . فما هو ؟

لقد صح انذاري . ورأت من هو أفضل مني حاولت الجمع بين حبين ، ولكن غيرة الحبيب الجديد قطعت صلة الحبيب القديم . هي تظنني أجهل هذا السبب فدعيها مطمئنة الى ظنها . . . هنيئاً لها . . . !

انوسى

ثمرات المطابع

* دليل لبنان وسوريا [1] — صدر الجزء الأول من هذا المؤلف الذي يهتمّ بوضعهِ حضرة الكاتب الفاضل الشيخ بولس مسعد ، وقد تناول فيه البحث جغرافية سوريا الطبيعية والاقتصادية والسياسية وما يتعلق بتجارة تلك البلاد وصنائعها وفنونها وأديانها وطوائفها ولغاتها وحضارتها الى غير ذلك من الابحاث التي تدلّ على اجتهاد عظيم وتنقيب كبير لجمع المعلومات والمستندات اللازمة وإبرازها في أحسن قالب والكتاب مقدم الى دولة الامير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي الخديوي الذي عرف السوريون قاطبةً أياديه وأيادي الأسرة العلوية عليهم وعلى بلادهم . ولا نشك في أن الاقبال سيكون عظيماً على هذا الكتاب لا سيما في مطلع فصل الصيف حيث يكثر عدد مرتادي لبنان وسوريا انتجاعاً للعافية فيجدون في « دليل لبنان وسوريا » كل ما يبتغون من الفوائد عن البلاد التي يقصدونها . وقد اهتمّ الاجانب كثيراً بوضع مثل هذا الدليل لبلادهم تشويقاً للسائحين وتسهيلاً للمسافرين . فلم يكن بدٌّ من تأليف مثله عن لبنان وعدد المصطافين فيه يزداد عاماً فعاماً . فنشكر لمسعد افندي خدمته هذه ونثني على جده ونشاطهِ

* الترجمان الطلياني [2] — عنيت ادارة المكتبة العمومية المشهورة بما لها من الآثار الطيبة في عالم المطبوعات بوضع هذا الترجمان الطلياني باللفظ العربي ، فجاء شاملاً وافياً بالغرض المقصود . وهو مصدَّر بملحوظات مفيدة عن اللغة الطليانية وكيفية النطق بحروفها ، يليها معجم وافٍ في مفرداتها مرتبة حسب المعاني ، ثمّ فصول عديدة للتخاطب في مواضيع متنوّعة . وقد وُضع بعد كل كلمة أو جملة معناها العربي وكيفية التلفّظ بها بحروف عربية حتى انهُ ليسهل على الراغب في اللغة الطليانية أن يتعلّمها وحده لفظاً وفهماً بدون مساعدة استاذ

---

(١) طبع في مصر ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المعارف بالفجالة . وفي سوريا من المكتبة العمومية وثمنه ٣ فرنكات

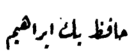
(٢) طبع في المطبعة العلمية في بيروت وثمنه فرنك ونصف مع ربع فرنك اجرة البريد



شبلي بك ملاط

مندوب أدباء سوريّا





حافظ بك ابراهيم

﴿ مثال من خط خليل مطران ﴾

مقطع من قصيدته الشهيرة « الجنين الشهيد »

الحفلة الاكرامية

« خليل افندي مطران »



حُيِّيتَ يا وطناً تصبو القلوبُ الى أرجائهِ وبهِ الأرواحُ تغتبطُ

شمسُ المعارفِ في علياهُ جامعةٌ أطرافَهُ وهي فيما بينها وَسَطُ

ففي ذرى « الأرزِ » حبلٌ من اشعَّتها يُلقى وحبلٌ على « الاهرام » منبسطُ

ابرهيم البازجي

في الحفلة التي أقامتها « مجلة سركيس » في الرابع والعشرين من الشهر الماضي ، احتفالاً بالانعام على خليل افندي مطران بالمجيدي الثالث ، تجلَّت هذه « الشمس » بأجلى مظاهرها ، والقت من قرصها الذهبي المتقد أشعة الحبّ والوئام والصفاء على مصر وسوريا اللتين كان يمثلهما في دار « الجامعة » نخبة الادباء والفضلاء والوجهاء في القطرين الشقيقين .

المحتفَل بهِ رجلٌ عرفهُ عشراؤه بالمروّة ودماثة الخلق وسعة الصدر وعفة اللسان والوفاء للصديق ، فأحبه الجميع . وكأن الشاعر عناه بقوله :

اذا كنتَ من كل الطباع مركّباً   فأنتَ الى كل القلوب حبيبُ

هذه بعض صفات الرجل ؛ اما الشاعر الذي في بُرْدَي خليل ، فقد عرَفتهُ النفوس خلاَّباً ساحراً ، والافئدة محرّكاً مستفزًّا . شهدت له بكلّ ذلك نبضات قلوب قرّائه ، كما شهد له اخوانه في الأدب بقوّة بيانه ، وذكاء جنانه ، فاسمعْ ما قالوا فيه في تلك الحفلة ، وشهادة مثل هؤلاء حجة . قال حافظ بك ابرهيم :

قد سمعنا خليلكم فسمعنا   شاعراً أقعد النهى وأقاما
وطمعنا في شأوهِ فقعدنا   وكسرنا من عجزنا الاقلاما
نظمَ الشامَ والعراقَ ومصراً   سلكُ آياتهِ فكانَ الإماما
فمشى النثر خاضعاً ومشى الشعـ   ـرُ وألقى الى الخليل الزماما
فعقدنا له اللواء علينا   واحتفلنا نزيدُهُ إكراما

وما أبلغ هذه الشهادة اذا جاءت تزكيتها من حفني بك ناصف القائل:

يا شعر مطرانٍ لعبـ   ـتَ بلبّنا ونفثتَ سحركْ
للهِ ما أحلاكَ يا   سحرَ البيانِ وما أمرّكْ
انْ ملتَ يوماً للثنا   ء نثرتَ في الاسماعِ دُرّكْ
واذا استفزّك عابثٌ   يوماً كفانا اللهُ شرّكْ
واذا هويتَ خلبتَ مَنْ   تهواهُ واستنزلتَ بدركْ

وقال نقولا افندي رزق الله :

تأمّلْ كرافائيلَ وارسمْ فهذهِ   أمامَك دنيانا وأنتَ المصوّرُ

صفِ الجوَّ والأفلاكَ والأرضَ والسما وما تُظهرِ الأيامُ منهـا وتُضمِرُ
نرنّم ببيتِ الشعرِ تُنعِشُ نفوسنا فنحنُ ومن في الشرقِ نُصغي ونكبرُ

وقال نعوم بك شقير :

ويبدو كما شاء في شعرهِ فطيرُ الأراكِ وليث الأجمْ
اذا رامَ ذمًّا فجمرُ الغضى وإن رامَ مدحاً فزهرُ الأكَمْ
فقلتُ : أشاعرُ هذا الزمانِ خليلٌ ؟ فقال الزمانُ : نعمْ !

وقال احمد افندي نسيم :

قوافٍ ، لو آنَّ الحسنَ صاغَ حروفها بعقدٍ ، لكانت لؤلؤاً وزبرجدا
ولو سمعتْهـا الطيرُ في وكناتِهـا لقالت هديل الشعرِ عاد وغرَّدا
ففي شعرهِ روحُ المهلهلِ تارةً وآونةً روحُ الوليدِ اذا شدا

وقال اسعد افندي داغر :

أمير القوافي الذي صيتُهُ كشمسِ الضحى عمَّ تسيارهُ
فرنّت قصائدُهُ في العراقِ وجابت تهامةَ أشعارُهُ
وفي مصر ديوانُهُ عامرٌ ورهط البلاغةِ نظّارُهُ

كل هذه الشهادات الثمينة سجلّها لمطران استاذُ الشعر في هذا العصر اسماعيل باشا صبري اذ قال :

قلمٌ تصدرُ الحقائقُ عنهُ حالياتٍ في أجملِ الأبرادِ
ولسانٌ يمسي يُدبّرُهٌ فكـ رٌ كبيرُ النهى كبيرُ المرادِ

وكان رئيس الحفلة وهلالها الساطع دولة الامير الخطير البرنس محمد علي باشا شقيق مليك مصر ، فجاءت شهادته لوحدها جامعةً لشهادة الادباء

والاصدقاء ، والشعراء والقرّاء فقال من خطبته النفيسة :

« ولقد سمعتُ منذ زمانٍ طويل بشهرة ذلك الشاعر الطائر الصيت ، فابتهجتُ بما وصل اليّ من أفكاره السديدة التي تنبئُ عما هو عليهِ من علوٍ في الهمة ، وثبات في الرأي ، ووفور في العلم . ولم يكن إعجابي بهِ لما أوتيهِ من المواهب الجليلة في دولة العلم فقط ، بل لما تحلّى بهِ ايضاً من الأخلاق الكريمة التي تحمله دائماً على سلوك طريق الاستقامة ، وتباعد بينه وبين التحقير للغير ، حتى صار بذلك محبوباً مرموقاً بعين الاجلال والاعتبار ، متأهباً لنيل المجد والفخار . . »

ولستُ أدَّعي ان اقدّم لقراء « الزهور » في بضع صفحات كل ما قيل في هذه الحفلة النادرة وقد كلَّف سركيس جمعُهُ مئة وستين صفحة من مجلتهِ ، ولا أن أصف في سطور قلائل ما شهدتُ ورأيت في دار الجامعة وقد تقصر عن ذلك الصفحات الطوال . غير انه لا يسعني الاَّ ان أخصَّ بالذكرِ اخواننا أُدباء لبنان وسوريا ، فانهم أحبوا اغتنام هذه الفرصة لاحكام الروابط الادبية المتينة التي تربط الامتين، فأوفدوا أديبهم الكبير وشاعرهم البليغ شبلي بك ملاّط ليمثلهم في هذه الحفلة ، فقام بمهمتهِ خير قيام ، وأنشد قصيدة عصماء اهتزَّ لها السامعون طرباً ، كما يحقُّ لموفديهِ ان يهتزُّوا لها عجباً ، وقد اكرمت مصر في شخصهِ الكريم ادباء سورية قاطبة، فاحتفى بهِ امراؤها وسراتها وأعيانها وأدباؤها ، وعن اكرام المصريين للضيوف الادباء حدّث ولا حرج . . . .

أعود الى الحفلة فأقول : وقد أراد فريقٌ من اصدقاء خليل مطران

والمعجَبين بهِ ان يقدّموا له شيئاً غير الشعر الثمين والنثر الغالي ؛ فأهدت اليهِ السيدة النبيلة مدام تقلا باشا والدة صاحب « الاهرام » ديوانه مجلداً في غلافٍ نفيس من الفضة المحلاّة بالذهب فكانت الهدية غايةً في الذوق اللطيف ، وأهدى اليهِ سعادة عبدالله باشا صفير قلماً ذهبياً ، رمزاً الى التبر الذي يسيل من قلم الشاعر ، وقدّم اليهِ عزتلو حبيب بك لطف الله النيشان المجيدي المنعم عليهِ بهِ . وحمل اليه مندوب سوريا من سعادة سليم بك ايوب ثابت ساعةً ذهبية جميلة . وأهدت اليه السيدة الفاضلة لبيبه هاشم صاحبة مجلة « فتاة الشرق » أبياتاً من الشعر في اطار جميل كتبتها بخطها الظريف

وقدّمت له الكاتبة الشهيرة الآنسة مي باقةً جميلة — في شكل خطبة غراء — جمعت ازهارها من رياض الخيال ، ورياحينها من حدائق الشعور ، فعطّر شذاها الارجاء وأنعش الارواح

هذا بعض ما جمعتُه لقرائي عن تلك الحفلة التي تحدَّثت بها أنديتنا ومجتمعاتنا الأدبية كل هذه الأيام

اما صديقي سليم سركيس فكل ثناء عليهِ يظلُّ دون همته وتفانيه وكفاه بنجاح فكرته مدحاً وتقريظاً . ولئن كان « الخليل » اهلاً لكل ثناءٍ قيل فيه فان « السليم » الذي كان « زنبلك » كل هذه الحركة يستحقّ ايضاً حظاً وافراً من الثناء . وقد بتنا نتوقع له نصيباً من انعامات أمير النيل لنعقدَ له حفلة لم ترَها عين ، ولم تسمع بها اذن ، ولا خطرت على قلب بشر

عصا حافظ وجزمة الشميّل

حافظ ابرهيم وخليل مطران يشتغلان الآن معاً بترجمة كتاب «علم الاقتصاد» للكاتب الفرنسوي « ليروى – بوليو » ؛ فتراهما يروحان ويجيئان بين المكتبة والمطبعة ، ويبحثان وينقّبان عن لفظةٍ عربية تؤدّي معنى الاصطلاحات الافرنجية . وليس ذلك دائماً بالأمر السهل ؛ وسأعود الى زيادة التفصيل عن هذه المسألة في جزء آتٍ . ولم أذكر اليوم كتاب « علم الاقتصاد » إلاّ عَرَضاً فقط ، لأنهُ جمعني في ٦ ابريل الماضي بأحد نصفي المعرّب حافظ بك ابرهيم ، فلمحتُ في يدهِ عصا عليها شارةٌ نُقِشَ فيها تاريخ إهدائها اليهِ ، فاذا هو « ٦ ابريل ١٩٠٧ » . اتفاقٌ غريب ! وأغربُ منهُ ان تلك العصا قد رافقت « حافظاً » ستةَ أعوامٍ كاملة ، سلمت فيها من البيع والرهن والسرقة

عجباً له حفظ العنانَ بأنملٍ　　ما حفظُها الاشياءَ من عاداتها

ولعلّي أدركتُ السرَّ في بقائها ، فهو يهشُّ بها على غنمهِ ولهُ بها مآرب أُخرى : فبها يضربُ القوافي فتتفجّرُ لَهُ سحراً حلالاً ، كما كان موسى يضربُ بعصاهُ الصخرَ فيتفجّرُ لهُ ماءً زلالاً . أو لعلَّ « عصا حافظ » لها منزلة من نفسهِ كمنزلة « جزمة » الدكتور شميّل ، وقد أودعها كلّ ضروب الفلسفة

وحكاية هذه « الجزمة » انني زرتُ يوماً الدكتور الحكيم برفقة رهطٍ من الادباء ، فوجدناه في غرفة عيادتهِ جالساً الى مكتبهِ ، وهو في ملابس البيت ؛ فحادَثَنا وحادثناهُ مدةً ؛ ثم اشتدَّ الجدالُ على مسألةٍ من المسائل ، فقال الحكيم هازلاً «دعوني أشدّ جزمتي ، فأكون أقوى حجةً ، وأكثر استعداداً للمناقشة» قال ، ونهض الى مخدعهِ ، وعاد على تمام الأهبة بعد أن«شدَّ جزمتهُ» ، فقلتُ له : « قد أدركتُ سرَّك يا حكيم ، وعرفتُ مواطن الضعف فيك ، فانَّ منزلة هذه «الجزمة»

منك منزلة شعر شمشون منهُ » فضحك الشميّل ضحكتهُ المعتادة ، فزدتُ جرأةً وقلت : « متى اشتدَّ تقريعك لنا في « جلسات سبلندد بار » سنعمد الى جزمتك ، وننزعها من رجليك ، فندعك أعزل بلا سلاح . . . »

أما وقد عرف القرّاء سرَّ حافظ والشميّل ، فلينزعوا من الأوّل عصاه ، وليسلخوا من الثاني جزمتهُ ، اذا أرادوا ان يستريحوا من فلسفة هذا وشعر ذاك . على انني أخشى ، وقد بحتُ بالسرّ ، ان يتحوّل القراء الى جزمجية وحطّابين ، حتى يتمتعوا طويلاً بذلك الشعر الرّيق ، والنثر الشيّق　　ناصر

من كل حديقة زهرة

* ابتدع أحد الاطباء الاميركان طريقةً لخدمة المرضى ، وهي أنه ربّى كثيراً من الحمام الزاجل وجعل أوكار هذا الحمام الى جانب صيدليته . فاذا ما دُعي لمعالجة مريض ، حمل معه بعض الحمام فيكتب الوصفة ، ويعلّقها بعنق الحمامة ، ثم يُطلقها الى الصيدلية ، فيتناول الصيدلي الوصفة ، ويركّبها ، ويرسلها الى المريض مع راكب درّاجة

* دعا مدير سجن سنت كوانتن في سان فرنسيسكو الممثلة ساره برنار لتمثل أمام ١٩٠٠ سجين في ملعبٍ أقامه في فناء السجن . وبعد التمثيل ناط المسجونون بواحدٍ منهم تلاوة خطابٍ باسمهم وجّهوه الى الممثلة الشهيرة

وحدث في سجن ريفرهرد ان سجينةً شكت مدير السجن لانه يعاملها معاملة سيئة . فاظهر التحقيق أن السجّانين يُقيمون حفلات رقص وغناء داخل السجن للنساء والرجال ، فالسجّانون ومديرهم كانوا يفضّلون الرقص مع الفتيات الاصغر عمرًا من الشاكية التي أربى عمرها على الخامسة والاربعين

* وأنشأ الاميركان في نيويورك سجناً للازواج المطلّقين الذين يأبون دفع النفقة لنسائهم جعلوه نادياً يلعب فيه المسجونون ويأكلون ويستحمون ويتعاملون كأنهم في أحد الاندية . وقد دلَّ احصاء السجون الاميركية وميزانيتها على ان هذه الحكومة تُنفق على السجين من هولاء في كل عام ١٨٥٠٠ فرنك

* يعرفُ علماء الفراسة أخلاقَ الانسانِ من أسرَّةِ وجهه وتقاطيع رأسه . ويعرفُ فريقٌ منهم هذه الاخلاق والاميال والاهواء في الانسان من خطوط يدهِ . وقد ظهر في اوروبا مذهبٌ جديدٌ ، وهو ان الانسان يُعرَفُ من تركيب رجليهِ وقدميهِ . واصحاب هذا المذهب يقولون « الرِّجْلُ هي الرَّجُلُ » واشتهرت الكونتس دي روشفو كولد في ذلك والفت في هذا الفن كتاباً

* سنَّت ولاية ايلينوا الاميركية قانوناً للصحافة يقضي بألاّ يُسمح لاحدٍ بتعاطي الحرفة الصحافية في تلك الولاية دون أن يكون حاملاً الشهادة بذلك بعد أن يقضي أربع سنين في تلقي هذا الفن . ولا يعطى الشهادة الا اذا امتُحِنَ امامَ لجنةٍ تثبّتُ قدرتهُ وأدبهُ وطيب أخلاقهِ . ومن راسل جريدةً دون أن يكون حاملاً الشهادة يغرَّم من دولار الى خمسة دولارات وتغرَّم بمثل ذلك الجريدة نفسها

* سئل كثيرون من كبار الفرنسويين رأيهما في تخويل المرأة حق الانتخاب كالرجل ؛ فكانت الغالبية من المنكرين على المرأة هذا الحق . ولكنَّ فريقاً منهم استثنى من ذلك المرأة التي لا يمثّل عائلتها أحدٌ في الانتخاب . فهذه تخوّلُ حقَّ الانتخاب . أما المتزوجة فيرى ان زوجها ينوب عنها

* في أمثال الصينيين في الزواج « ان الزواج قلعةٌ محاصَرة : من كان خارجاً عنها ، يودُّ الدخول اليها ؛ ومن كان فيها ، يودُّ الخروج منها »

منشىء المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الرابع يونيو (حزيران) ١٩١٣ السنة الرابعة

معاهد التعلم

« في مصر »

وقعت الينا نسخةٌ من كتاب « الاحصاء السنوي العام للقطر المصري » وهو الكتابُ الذي أخذتْ تنشرهُ منذ أربع سنوات ادارة الاحصاءِ الأميرية . فوقفنا فيهِ عند الفصل الذي يبحث في المدارس وما يتعلَّقُ بها ، لأنَّ الأذهان منصرفة في الآونةِ الحاضرة الى معاهدِ التعليم ؛ وأفكار التلاميذ ووالديهم حائمةٌ حولَ الامتحانات التي جرت أخيراً لنيل الشهادتين الابتدائية والثانوية ؛ والجميع يتسقَّطون أخبار النتيجة النهائية ؛ إذ ان مستقبل الفريق الكبير من الناشئة متوقفٌ على تلك النتيجة

طالعنا الفصل المذكور مرتاحينِ الى ما أظهرتهُ لنا الأرقام الموجودة فيهِ من دلائل التقدُّم والتحسين المستمرّ في معاهدنا العلمية ، من حيث ترقيها وازدياد عددها ، وتكاثر الطلاَّب المقبلين عليها . وقد طالما سمعنا في المدَّة الأخيرة إطناباً جماً في ارتقاء المعارف في ربوعنا ، وثناءً وافراً على

النهضة الأدبية في مصر ، على اننا لم نرَ ، للدلالة على هذه النهضة وذلك الارتقاء ، أبلغ برهاناً وأنصع بياناً من الأرقام التي جمعناها عن مدارسنا وعددها وعدد أساتذتها وتلاميذها ؛ وها نحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا على الصورة الآتية :

نوع المدارس	عددها	عدد اساتذتها	تلاميذها		مجموع التلاميذ
			ذكور	اناث	
مدارس الحكومة	٧٠	١٠١٤	١٤٢٢٢	٧٥١	١٤٩٧٣
« الاوقاف	١٩	٩٧٧	١٧٨٧٧	١٨٢	١٨٠٥٩
مدارس مجالس المديريات ومدارس تساعدها الحكومة	٧٤	٦٤٦	٧٥٠١	١٧٤١	٩٢٤٢
مدارس حرّة	٤٢٨	٢٥١٠	٤٥٩٩٦	١٠٥٢٧	٥٦٥٢٣
كتاتيب الحكومة	١٤٦	٥٠٧	٩٩٠١	٥٢٦٨	١٥١٦٩
كتاتيب حرّة	٣٥٥٦	٧٤١٤	١٩١٦٨٧	١٨٧٥٨	٢١٠٤٤٥
مدارس أجنبية	٤٧٩	٢٧٦٩	٣٣٥٩١	٢١٠٧٤	٥٤٦٦٥
المجموع	٤٧٧٢	١٥٨٣٧	٣٢٠٧٧٥	٥٨٣٠١	٣٧٩٠٧٦

فيؤخذ من هذا الجدول أن عدد المدارس في القطر المصري بين أميرية وحرّة ، وأهلية وأجنبية ، يبلغ ٤٧٧٢ . وفيها الكُتّابُ والمدرسة الثانوية والابتدائيــة ، والمدارس الصناعيــة ، والمدارس العالية للطب والحقوق والزراعة والتجارة الخ . ويبلغ عدد المختلفين اليها ٣٧٩,٠٧٦ تلميذاً وشاباً يردون فيها موارد العلم الصافية ، ويستقون منهــا مناهل الآداب العذبة ، حتى تنمو في صدورهم ثمار المعارف والفضيلة ، فيكونوا لبلادهم وأمتهم فخراً ومجداً

هذا عدا الذين يتلقون العلم في جامعات اوربا وكلياتها الكبرى سواء كان في ارساليات الحكومة ، أو على نفقتهم الخاصة ، وليس هؤلاء بالعدد القليل

وبمثل هذا الجيش من الطلبة والشبيبة المتعلمة يتعزّز مقام الأمم ، وترفع رايتها ، ويزداد عمرانها وفلاحها

أما عدد الاساتذة فقد بلغ ١٥٫٨٣٧ . وكفانا لبيان خطورة المهمة الملقاة على عاتقهم إيراد ما قالهُ بسمرك داهية الالمان اثر انتصارهِ على فرنسا في حرب السبعين : «اننا غلبنا جارتنا بعلم المدرسة» . فعلى الحكومة والحالة هذه ان تمهد لبلادها سبل الانتصار في معترك هذه الحياة بانتقاء اساتذة المدارس الأميرية من نخبة الرجال ادباً وفضلاً وعلماً ، وان تعني بوضع قانونٍ يضمن توفر هذه الشروط في اساتذة المدارس الحرّة

ومما يراهُ القارئ أيضاً في الجدول الذي قدّمناهُ ان للاجانب ٤٧٩ مدرسة في القطر المصري يدرس فيها ٥٤٫٦٦٥ طالباً وطالبة . وهذا العدد هو تقريباً سُبْعُ مجموع التلاميذ في مصر ، وهي مأثرةٌ تذكر للاجانب مع الشكر الوافر

أما احصاء هذه المدارس الأجنبية من حيث عددها ، فأن للاميريكان منها ١٨٨ مدرسة ، وللفرنسويين ١٥٢ ، وللايطاليين ٤٩ ، ولليونان ٤٢ ، وللانكليز ٣٠ ، وللنمسويين ٨ ، وللهولنديين ٢ ، و٣ لامم مختلفة . وأما من حيث عدد التلاميذ فان المدارس الفرنسوية تأتي في مقدّمة المدارس

الأجنبية ، اذ ان عدد تلاميذها ٢١,٠١٩ ، وتليها مدارس الاميريكان وعدد تلاميذها ١٤,٧٤٩

***

هذه حالة معاهدنا العلمية مثبتة بالأرقام المأخوذة من أوثق المصادر . وقد رأينا تكملةً للفائدة ان نقارنَ بينها وبين ما جمعنا من الأرقام عن حالة تلك المدارس منذ اربع سنوات ليتبين القارئ درجةَ الترقي والتقدُّم التي بلغتها في هذه المدّة من الزمن . واليك المقابلة بينَ الحالتين :

السنة المدرسية	عدد المدارس	عدد التلاميذ	ذكور	أناث
١٩٠٧ — ١٩٠٨	٤٠٩٤	٢٩٤,٩٣٧	٢٥٣,٩٢٣	٤١,٠١٤
١٩١١ — ١٩١٢	٤٧٧٢	٣٧٩,٠٧٦	٣٢٠,٧٧٥	٨٥,٣٠١

ومن هذا الجدول يُستدلُّ أنّ عدد المدارس زاد في اربع سنوات ٦٧٨ مدرسة ، بمعدّل ١٦٩ أو ١٧٠ مدرسة جديدة في السنة . وهذه نتيجة تبهج وتسرّ . ومن المعلوم ان من يفتح مدرسة يقفل سجناً

أما مجموع عدد التلاميذ ، فقد زاد في المدة نفسها ٨٤,١٣٩ اي بمعدّل ٢١,٠٣٥ تلميذاً في السنة وهو عددٌ لا يستهانُ بهِ ترك جيوش الجهل لينضمّ الى جيش النور والعرفان . واذا أخذنا عدد التلاميذ منذ اربع سنوات نجد ان نسبة الطالبين الى المجموع هي نسبة ٨٦,٠٩ الى ١٠٠ ونسبة الطالبات الى نفسَ ذلك المجموع هي نسبة ١٣,٩١ الى ١٠٠ . أما في السنة المدرسية ١٩١١ — ١٩١٢ فان نسبة الطالبين هي ٨٤,٦٢ الى ١٠٠ ونسبة الطالباتَ هي ١٥,٣٨ الى ١٠٠ . فيظهر من هذه المقابلة أن

نسبة التلميذات الى مجموع التلاميذ قد زادت بعض الزيادة . على انها لا تزال قليلة جدًّا ؛ فكأنهُ ليس عندنا مقابل كل ٨٥ تلميذاً على وجه التقريب الاَّ ١٥ تلميذة . وهذا نقصٌ في إدارة التعليم عندنا يجب التذرّع بأنجع الوسائل لملافاتهِ ، لأنه لا يخفى ما يترتب على هذا الفرق البيّن من الأضرار . فاننا اذا أعددنا فتياناً متعلمين ، يجب ان نهيء لهم فتياتٍ متعلمات يفهمنَ أفكارَهم ، ويُدركنَ عواطفهم ، فيشاركنهم في الحياةِ مشاركة حقيقية . وشأن المرأة في تدبير المنزل وتربية العائلة معروف لا حاجة بنا الى تفصيله في هذا المقام . ولا شكَّ في ان هذا التقصير في تعليم البنات هو السبب الاكبر لإعراض شباننا عن الزواج أو للبحث عن شريكة حياتهم بين الأجنبيات . والنساء نصف الأمة . فهل تُعَدُّ الأمة متعلمةً راقيةً اذا علّمنا نصفها ، وأهملنا — أو كدنا — النصفَ الآخر

هذا ، واذا ظلَّ التقدّم في معاهدنا مطّرداً على هذه النسبة ، أي بزيادة ١٧٠ مدرسة و ٢١,٠٣٥ تلميذاً في السنة ، فانَّهُ لا يمضي على مصر زمنٌ طويل حتى تصبحَ في مصاف البلاد الراقية في آدابها ومعارفها وعلومها ، ولاسيما اذا لاحظنا العناية بتنقيح برنامج الدروس شيئاً فشيئاً وتطبيقهِ على حاجات الزمان والمكان . وقد رأينا من وزير معارفنا المفضال احمد حشمت باشا همةً تُذكر لهُ مع الشكر الجميم في مواصلة السعي وبذل الجهد للوصول الى هذه الغاية الجليلة في هذا العصر ، عصر المنافسة في مضمار العلوم والآداب

امام مهدها ...

كتبها ولي الدين في طفلة له رآها
تحتضر وهي في الشهر الثالث من عمرها

أَقصرتْ عنكِ وسائلُ العناية ، وخابت في استبقائكِ آمال القلبين المشفقين اللذين طال خفوقهما عليكِ في الليـالي الطويلة . وها أنتِ اليوم على وشك التوديع . لم تعلمي ما يقولُ المودّعون ، لأنكِ لم تبلغي سنَّ القول . ولستِ تفهمين ما يُقال فيكِ ، لأنكِ لم تصلي الى زمن الفهم

أشفقتُ عليكِ من أَوجاع تُحسّين بها ولا تُدركينها . ثلاثةُ أشهرٍ كثلاثِ طرفاتٍ بالجفن ، مضت وكأنهـا لم تكن . ليت الشفاهَ التي لامست قبلاتها تينك الوجنتين الذابلتين جفّت قبلَ أنْ تكونَ ممرًّا للتأوّهِ . . ! وليت تلك الانفاس التي سرتْ على وجهكِ الغضّ التهبت في احشائنا قبل ان تنقلب زفرات . . !

أعددتك ذخراً ، واذا بكِ مسلوبة . ظننتكِ لي ، فاذا بكِ للثرى . لهفي عليكِ اذ تذهبين ، ولم تري من سطوري ما يكون لكِ عظةً من بعدي ! بل لهفي عليَّ إِذْ أَستندي عيونَ النيّرات بمصراعٍ ارتجلهُ ، وأنا أطلبُ اليومَ فيكِ كلامَ الرثاء ، فلا تساعفني المعاني

إن يخطئكِ الحِمام ، وهيهات ما أظنهُ فاعلاً ! فقد أبقى لي الدهرُ أملاً كاد يزمع الرحيل . وإِنْ يأخذكِ كما اخذ اجدادَكِ وجدّاتكِ من قبل ، فقد اسرعتِ في قطع طريق يتظالع في قطعها الخلائق

أتيتِ نقيةً ، وتذهبين نقية ، كقطرة الطَلّ على ورقةٍ من الورد ، تلمعُ بكرةً ، ولا تلبث ان تُستطار بخاراً

بين نوحات الثاكلات ، وترجيع الحمائم بالاسحار ، وبكاء السماء ، وابتسام الارض تضادٌّ يغيظ الموجَع . لا أشكو بثي فيكِ ؛ ولكني استبقيه لأعتصرَ منـهُ ذوبَ الشجون ، ولأخاطبَ بهِ نفسي ناصحاً كلما غلبت عليها غفلات هذه الدار ، وكادت تكون لها فتنة . لا استطيع دفعاً لشيءٍ يسوقهُ المقدور ، ولكني وفيٌّ اضمن لكِ ألاَّ يلتام جرح يومك هذا

تزولين أنتِ وتبقى ذكراكِ . كذلك الحياة ، تزول الهيولى وتبقى الصوَر . . .   ولي الدين يكن

الاغاني في الحروب

ذهب فريق من العلماء الى أنَّ منشأ اللغات الغناء . لأن الغناء في عرفهم هو صورة الخيال الواقعة تحت الحس ، أو استفاضة مما في النفس عند امتلائها . وفي تاريخ الاقدمين ان امفيون باني اسوار طيبة كان يدفع العمال الى العمل بجد ونشاط بالغناء والاناشيد ، ألا تراهم في مصر يفعلون ذلك حتى الآن ؟ وفي اساطير اليونان ان الشعب انتصر في معركة سلامين باغاني سولون ، فنجى البلاد بعد سقوطها . وفي التوراة ان الاسرائيليين كانوا اذا خرجوا لحربٍ يسير مغنوهم أمامهم . وفي التاريخ الحديث ان الفرنساويين لما سمعوا انشودة «المرسيليز» سنة ١٧٩٢ ، وقد

اجتاح العدوُّ بلادهم ، وقبض على ناصية أرضهم ، تولتهم الحماسة ، وهزّتهم النخوة ، فألفوا صفوفهم الممزَّقة ، وقوّتهم الضائعة ؛ فبرز ضعافهم أشداء ، وجبناؤهم شجعاناً ، ومتطوعتهم منتظمة ، فانتصروا

وفي وصايا بولس رسول النصرانية « رتلوا وغنوا » الصلاة . وفي الآيات القرآنية : « ورتلِ القرآن ترتيلاً » ، وفي التوراة نشيد الاناشيد ، وفي اخبار داود انه ما كان يزيل كربته اذا ذكر أمرُ شاوول الاّ الغناء

وفي اخبار السحرة والعرّافين انهُ ما استأثروا الالباب ولعبوا بالعقول إلا بعد ترويضها بالغناء . ويؤكد هوراس أنّ مصر تقدَّمت غيرها من أُمم الأرض بالمدنية والحضارة ، لانها تقدَّمت غيرها بالغناء . وفي اقوال أحد شعراء الفرنساويين :

(اذا تآخت الأَصوات ، دنت القلوب من الوئام)

واذا اجتمع الناس لامرٍ ، لا تتفق عواطفهم ولا تتحد أميالهم الاّ اذا اتّحدت اصواتهم بانشودةٍ واحدة

وكان الاطباء يداوون المرضى بالاغاني . وروى هوميروس وبلوتارك أن القدماء كانوا اذا جلسوا بعد الاكل والقصف يغنون فيفثأون من ثمولهم

ومن أقوال لوبز في الغناء انهُ في الكلام كاللون في الصور .

ومن الاغاني ما يبكي ويرقق ، وهو لما كان من الشعر في الغزل والشوق الى الوطن والبكاء على الشباب والمراثي والزهد . ومنها ما يطرب ، وهو لما كان في نعت الشراب ، وذكر الندماء والمجالس والصبوح والدساكر . ومنها ما يشوقُ وترتاح اليهِ النفس كصفة الازهار والاشجار

والمتنزهات والصيد ؛ ومنها ما يسرّ ويُفرح ويحث على الكرم والجود ، وهو لما كان في المديح والفخر وصفة الملوك

ومنها ما يشجع وهو لما كان في الحرب وذكر الوقائع والغارات والاسرى والنصر والفوز والفخر

ولكل امة أغانيها وأناشيدها ، ومن هذه الاناشيد والاغاني تعرف عاداتها وأخلاقها وتاريخها وأطوارها . وتتوارث السلالات ذلك جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، حتى ان نوتية المراكب في نيل مصر يغنون اليوم رعمسيس توارثاً وتقليداً بقولهم وهم يجذّفون « يا رمسو يا رمسو » وفي سوريا يلقبون أغاني الحرب والقتال بالحوربة ، ويشقون منها فعل « حورب » كما انهم يلقبون أغاني الفرح بالهوبرة ويشقون منها فعل « هوبر » ولربما ورثوا هذه اللفظة من « هورا » الرومانية والأغريقية ، فضلاً عن « الحدو » الذي ينشدونهُ عند السير والمشي لا وراءَ القوافل والظعن فقط ، بل في كل سير سريع يتطلّب الحماسة والنشاط

وكان غزاة العرب الذين دوّخوا المشارق والمغارب اذا خرجوا لغزوةٍ أو لقتالٍ أو لحرب ، تغنوا باشعارهم الحماسية ، فيفور الدم في عروقهم وتهيج أعصابهم وتحمى نفوسهم ، ويدفعهم الفخر الى اتيان العجائب . وكانوا اذا اشتبك الأبطال بالقتال ، وكفوا عن التغني بالاشعار يوقفون نساءهم يغنينهم ، وفي يد الواحدة منهن مقرعة تضرب بها الفارين ، وفي يدها الاخرى قارورة ماء تسقي منها الجرحى . وهذه العادة لا تزال عادتهم في حروبهم وهي أيضاً من عادات الأرناؤوط وشعوب البلقان ، حتى قال

أحد الضباط الاوروبيين الذين شهدوا المعارك البلقانية ان الأناشيد والتغني بحكايات الأبطال كانت من أقوى العوامل في فوز البلقانيين . والشعوب السلافية تلقت هذهِ العادة عن الشعوب الشرقية الحربية كالعرب منذ أربعة قرون . والأغاني والأناشيد هي التي صانت قومية البلقانيين من الضياع وصانت لغاتهم من النسيان ؛ فهم منها حفظوا تاريخ اسلافهم ومجد اجدادهم واسماء أبطالهم

وقد تفرَّد في نظمها العميان اذ كانوا يطوفون القرى والدساكر ، وينشدون هذهِ الأناشيد على توقيع الرباب والقزلة . واذا ذكرنا نحن أشعار عنترة والمهلهل ، عرفنا كيف يكون تأثير هذه الأناشيد في نفوس الأمم وعصابات الشبان وطوائف الجند . وتاريخ الافرنج طافح بمثل ذلك بما رووهُ عن غيليوم تل والسيد ورولان

وفي حكايات الصربيين والبلغاريين حكاية بطلٍ من أبطالهم في القرن الخامس عشر يسمونهُ ماركو قره لجيفيتش ، كان يلبس جلد الذئب ، ويتسلَّح بخنجرٍ مرصع بالذهب والفضة ، ويركب جواداً يسمّى شاراتز ؛ ولهم فيهِ القصائد والأناشيد التي يحفظها كبارهم وصغارهم ، ويتغنون بها في البيوت والمنازل والأفراح والمآتم والحقول والمتنزهات ، حتى انهُ لا يوجد طفلٌ واحدٌ بلقاني لا يتمنى ان يكون ماركو . واليك ما يقولون عنه :

« اذا ضرب ماركو بسيفهِ ترك خصمهُ شفعاً بعد أن كان وتراً

« اذا طعن ماركو برمحهِ أطار خصمهُ الى ما فوق رأسهِ

« واذا دار ماركو دورتين فلَّ الجيش بدورانه »

ومن قولهم فيه ، في تخليصه الاسرى :

« يا غابتي الخضراء ، ما أذبلكِ ،

ويا مروجي الزهراء ، ما أيبسكِ ،

اصابك الزمهرير فأيبسك ،

أم اتقد فيك السعير فأحرقك ؟ »

فردت الغابة على ماركو بصوت خافت :

« يا بطلي المفدّى ، وأشجع بطل !

مرَّ بي عربيٌّ أسود ،

وبيده سلاسل الاسر الثلاث :

في واحدة الفتيات ،

وفي الاخرى العرائس ،

وفي الثالثة الزوجات »

وفي قصيدة أُخرى تخاطب ماركو جدّته بهجر القتال الى الحرث والزرع ، فيصغي الى نصيحتها ويأخذ بزرع الحقل الى جانب الطريق ، الى ان يهبط محصلو الاعشار على الفلاحين فيسلبوهم أموالهم ومزارعهم فيترك ماركو المحراث الى السيف ويخلّص المال من سالبيه ، ثم يحمله الى اصحابهِ وهو يخاطب جدتهُ بقولهِ :

« انظري اني لحارث ،

لا الحقول ولا المزارع ،

بل طريق الملك والسلطان »

وروت احدى صحف بلغراد أنه أثناء معركة بريليب ضعف الصربيون وجبنوا وأخذوا بالتقهقر ، فصاح ضابطٌ من ضباط الفرقة :
« هناك مقام ماركو وهنا وطنه فاهربوا ، اهربوا الى جدار منزله »
وبالقرب من محل القتال كان موطن ماركو على ما جاء في حكاياتهم .
فارتدّت الفرقة الى الهجوم وقاتلت حتى انتصرت

ومن اناشيد الاروام :

« لن تصير تركية تلك الهضاب التي ينزلها الارناؤوط ،
فاتناريوس حيٌّ يهزأ من الباشاوات ،
فما دام الثلجُ يكسو الاكام ،
وما دام زهرُ الربيع يكسو المروج ،
وما دامت الاودية تغصُّ بالماء ،
لا نخضع ولا نستكين ،
ولنجعل مغاور الذئب مساكننا ،
ولنترك العبيد يسكنون الدور محنيي الظهور »

وفي أغاني البلغاريين ان يوجانا الفتاة البلغارية رأت موكباً لكريمة الفتاة التركية ؛ فهجمت على خفر الموكب فمزّقته ، وقالت لكريمة شعراً :

لم يبقَ الآكِ يا كريمة
في المركبة المذهبة
فاخرجي رأسك الابيض

لأقطعه بحد الحسام »

ومنذ عشرين سنة ألّف ملك الجبل الاسود روايةً سماها « امبراطورة البلقان » ومن اشعاره فيها :

« فلتبقَ أرض البلقان ، أرضاً لشعبنا !

ولتخرج أرض البلقان ، حرّةً من قيد الغريب !

والاَّ فالموت للبلقان ، خيرٌ من الاستعباد ! »

وقس على مانذكر ما لم نذكر من قصائدهم وأشعارهم وأناشيدهم التي أثارت الحمية في رؤوسهم اثناء القتال ، وحفظت تاريخهم وجنسيتهم وأمانيهم وشجاعتهم قبل الحرب ، بل أعدّت نفوسهم للثورات كما أعدّتها للنصر

ونحن العرب الشرقيين عندنا كثير من هذه الأناشيد والأشعار الملأى بهـا الأسفار . ولكنّ الأغاني في مجالسنا تُثبّط اليوم هممنا ، وتضعف نفوسنا . فهي عبارة عن ندبٍ وبكاء ونواح للوصال ، وذلٍّ في الليل وصَغار في النهار . فهل يريد المغنون والمنشدون والناظمون والسامعون ان يخرجوا من الذلة وضعف النفس الى الفخر والحماسة والمجد ؟

لقد آن لنا ان نعرف أنَّا شعبٌ حيٌّ موجودٌ ذو تاريخ وأبطال وأقوال بل أفعال

***

وهذه الأغاني التي درج عليها المغنون العرب نُقلت عن مغني الخلفاء في بغداد ، بعد ان أخذهم الترف وتولاّهم النعيم ، وانصرفت نفوسهم

الى اللهو والزهو والخلاعة ، كالرومان في آخر عهدهم . فنقلها عنهم الحضر وسكان المدن . ولكنّ أَهلَ البادية والجبال ظلُّوا على ما كان عليهِ آباؤهم ، ولا يزالون على ذلك حتى الآن في غنائهم وعيشتهم وتقاليدهم ونخارهم وشجاعتهم . فاذا أردنا العود الى مجدنا فلنعد الى صلب الشعب في بواديهِ وقفاره ، حيث نجد الكرَم والجود والشجاعة والحماسة والنبل والشرف والعزّة والانفة　　داود بركات

الجامعة المصرية

« في خمس سنوات »

في اليوم الاخير من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٦ نشر مصطفى بك كامل الغمراوي ، احد اعيان مديرية بني سويف ، دعوة على صفحات الجرائد المصرية سأل فيها سراة المصريين وأفاضلهم التعاون على انشاء مدرسة جامعة . وختم دعوته بقوله « انني اكتتب لهذا العمل الخطير بمبلغ ٥٠٠ جنيه »

ثم حضر الى العاصمة وخاطب بعض الافاضل وذوي الرأي في المسئلة فلقي منهم كل رعاية وانعطاف . وكان في طليعة منشطيه سعادة سعد باشا زغلول — وكان يومئذ مستشاراً في محكمة الاستئناف — فدعا الى منزله في حي المنيرة الراغبين في اتمام أمنية الغمراوي بك فاجتمعوا لأول مرة في الاسبوع الاول من شهر اكتوبر سنة ١٩٠٦

وكان أول عمل فكروا فيهِ هو ابعاد المشتغلين بالصحافة عن المشروع وانتخبوا سعادة سعد باشا زغلول وكيلاً للرئيس — الذي يكونون قد اتفقوا عليه فيما بعد — وقاسم بك امين سكرتيراً ، وأصدروا أول منشور باسم الجامعة جاء فيـهِ : « ان المقصود هو انشاء مدرسة علوم وآداب لـكل طالب مهما كان جنسه ودينه بدون مداخلة في السياسة . ويقتصر فيها على إلقاء دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنوّر عقول الطالبين وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم الـكمال في أنواع ما يتلقونه بها من العلوم »

***

مضى على هذه الجلسة شهران ولا شاغل للاقلام الاّ الجامعة وتنشيطها؛ ونهض لما كستهم نفر قالوا انه لا يجب الاقدام على العمل ولا التشجيع عليهِ الاّ اذا صبغت الجامعة بالصبغة الدينية . ولكن هذا الرأي لم يصادف هوى من قلوب المشتغلين بالمسئلة

ثم عقدت الجلسة الثانية وأعلن فيها سعادة سعد باشا زغلول تخليه عن المشاركة العملية في لجنة الجامعة لتعيينه ناظراً للمعارف العمومية وا كد انه لا يفتر عن تعضيد المشروع . وألقى المرحوم قاسم بك امين خطبة ضمنها خلاصة ما تم للمشروع في شهرين وهو :

اولاً — اهتم كثيراً في البحث عمن يرئس اللجنة من الأمراء فلم يفلح ولذلك وقفت حركة الا كتتاب

ثانياً — خاطب احد امراء البيت الخديوي في ان يكون رئيساً للجامعة فلم يقبل ولم يرفض

ثالثاً — طلب مساعدة الحكومة فلم تقبل لأنها تعتقد ان مشروعاً كبيراً كمشروع الجامعة لم يأتِ الوقت المناسب لأن تقوم بهِ الأمة

رابعاً — ان سمو الخديوي أظهر ارتياحاً الى المشروع والقائمين بهِ

وانتخب قاسم بك امين رئيساً ، وانتدب حضرة محمد بك فريد لأعمال السكرتارية . ثم عهد فيها الى حفني بك ناصف فعبد العزيز بك فهمي . وسارت اللجنة في أعمالها بهمة ونشاط ولم يعترها كلل ولا ملل مع وفرة ما صادفتهُ من العقبات وتثبيط العزائم ، فاكتتب له الكثيرون — وفي مقدمتهم سمو الخديوي — بمبالغ طائلة من المال . ووقف له بعضهم مساحات واسعة من الاراضي . وكان في مقدمة الواقفين المرحوم حسن باشا زايد احد اعيان مديرية المنوفية حيث وقف لها مئة فدان ، ثم عوض بك عريان المهدي من اعيان بني سويف وقد وقف لها ٨٣ فداناً . ويقدر ثمن أطيان الجامعة كلها بمبلغ ١٧٠ ألف جنيه وبلغ ريعها في السنة الماضية ٨٦١ جنيهاً و ٦١٥ مليماً

وقبل صاحب الدولة البرنس أحمد فؤاد باشا ان يكون رئيساً للجامعة . وكان أول عمل أتاهُ ارسال عشرة من الشبان المصريين الحاصلين على الشهادة الثانوية وبعض ديبلومات المدارس العالية الى اوربا لدرس العلوم العالية حتى اذا أتموا دروسهم عادوا الى مصر للتدريس في الجامعة المصرية

وفي اول مايو سنة ١٩٠٨ سمي سعادة احمد باشا زكي مدرّساً لتاريخ التمدن الاسلامي واحمد بك كمال لتدريس تاريخ الشرق القديم . وتقرر ان

يلقي اساتذة ثلاثة : فرنساوي وانكليزي وايطالي محاضرات في آداب لغاتهم ثم تترجم الى العربية بعد القائها

واستؤجر معمل سجاير المسيو جنا كليس بائع الدخان اليوناني الشهير، في قصر النيل للجامعة فمحي اسمه من على واجهتها المبنية على الطراز العربي الأنيق، وأُبدل باسم الجامعة المصرية وتاريخ انشائها مكتوباً باللغتين العربية والفرنسوية . وفتحت أبوابها لالقاء المحاضرات في اول اكتوبر سنة ١٩٠٨ ثم أُعلن افتتاحها رسمياً بعد ذلك بشهر واحد تحت رئاسة سمو الخديوي المعظم

***

وانعقدت الجمعية العمومية للجامعة يوم ٢٩ ابريل الماضي وقدَّم مجلس الادارة تقريراً للأعضاء عن حالة الجامعة جاء فيهِ انهُ «لم يمضِ سوى أربع سنوات منذ حظيت الجامعة برعاية سمو الأمير مولانا الخديوي المعظم (عباس حلمي الثاني) وهي فترة لا تعد شيئاً في عمر الجامعات اذ لو راجعنا تاريخها وما لزم لتكوينها من الوقت الطويل لوجدنا ان الجامعة المصرية خطت خطوات واسعة في هذا الزمن القصير»

ولا جدال في ان القائمين بأمر الجامعة وفي مقدمتهم دولة الرئيس لم يفتروا ساعة واحدة عن ترقية هذا المعهد الكبير . وفي خلال السنوات الأربع الماضية كان دولة الرئيس يقضي فصل الشتاء في مشاركة الاعضاء في الإشراف على جميع أعمال الادارة، فاذا حل الصيف يمضي معظم أوقاتهِ وهو بعواصم اوربا في مفاوضة بعض العلماء في الحضور الى مصر

للتدريس في الجامعة ، ويخاطب وزراء المعارف ورؤساء الجامعات بفرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا في مساعدة تلاميذ الجامعة المصرية باوربا على تلقّي العلوم في المعاهد العلمية الكبرى ، ويحث هؤلاء التلاميذ على الجدّ والاجتهاد في التحصيل حتى يشرّفوا أمتهم بعلمهم

ولكن هذه المجهودات لم تمر الثمرة المنتظرة منها فان « المتأخّر من الاكتتابات لم يُدفع منهُ شيء للجامعة » . ولم يكتتب لها أحد بشيء في السنة الماضية ، وامتنع احمد بك الشريف عن ان يدفع للجامعة دخل المئة الفدان التي حبسها عليها « فاضطر مجلس الادارة الى النظر في أمر مقاضاته »

ورأت الادارة ان الإقبال قليل على حضور محاضرات التاريخ القديم والاقتصاد الزراعي فألغتهما . وكذلك ألغت الفرع النسائي « ريثما توفَّق لوضع برنامج الخطة التي تتبعها فيهِ بحيث يكون موافقاً لحاجات السيدات المصريات » وكان عدد اللائي يحضرن هذه الدروس ٤١ سيدة

واصبحت العلوم التى تلقى في الجامعة قاصرة على الاداب وتاريخها والفلسفة وتقويم البلدان والتاريخ الاسلامي . ويدرّس آداب اللغة العربية الاستاذ الشيخ محمد الخضري . ويدرس آداب تاريخ هـذه اللغة المسيو جاستون فيت . ويدرّس تاريخ الأمم الاسلامية الاستاذ الشيخ محمد الخضري . ويدرّس علم تقويم البلدان ووصف الشعوب الاستاذ اسماعيل بك رأفت. ويدرّس الفلسفة العربية وعلم الأخلاق الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري . ويدرّس تاريخ المذاهب الفلسفيـة الاستاذ لويز ماسنيون .

ويدرّس تاريخ آداب اللغـة الانكليزية الاستاذ المستر برسي وايت .
ويدرّس تاريخ آداب اللغة الفرنسوية الاستاذ المسيو لويس كلمان

وقد عني اثنان من طلبة الجامعة منذ أربع سنوات بجمع المحاضرات وطبعها في مجلة خاصة . ولكنهما لم يجدا شيئاً من الاقبال عليها فعطلاها . وأخذ مجلس الادارة على عاتقه طبع هذه المحاضرات في كتب مستقلة فبلغ ما أنفقهُ على طبعها في السنة الماضية ٢٣٦ جنيهاً و ٩٦١ ملياً

وكان عدد الطلبة الذين قيدوا أسماءهم في السنـة الاولى نحو ٣٠٠ طالب منهم عدد كبير من طلبة المدارس العالية والازهر ، ثم أخذ عددهم يتناقص شيئاً فشيئاً ، فكان في السنـة الماضية ١٢٣ طالباً ، وفي هذه السنة ٧٥ طالباً فقط

وتدل الانباء الواردة من اوربا عن حالة ارسالية الجامعة انأعضاءها « قد برهنوا بما أبدوه من مثابرتهم وجدّهم في تحصيل المعارف على انهم أهل لأن تعتمد عليهم الجامعة في خدمتها خدمة خالصة »

وعهد مجلس الادارة الى سكرتير الجامعة في ترتيب المكتبـة على النسق المتبع في مكاتب اوربا العمومية ، وينتظر اتمام هذا الترتيب بعـد سنة ، ثم تُفتح أبواب المكتبة للجمهور

* * *

وفي جلسة الجمعية العموميـة الأخيرة طلب دولة الامير فؤاد باشا اقالته من رئاسة الجامعة . فقبلهـا الاعضاء آسفين وقرروا اسناد رئاسة الشرف اليه، ودوّنوا هذا القرار في خطاب حمله اليه وفد مؤلف من أصحاب

السعادة حسين رشدي باشا واحمد شفيق باشا وعبد الخالق ثروت باشا . ثم قرروا باتفاق الآراء ان يعهدوا في الرئاسة الى البرنس يوسف كمال باشا

والرئيس الجديد خير خلف لخير سلف . فهو منشئ مدرسة الفنون الجميلة ، وصاحب الايادي البيضاء على الجامعة ونادي المدارس العاليـة . فقد وهب الجامعة مئة فدان ، وأعطى النادي قطعة أرض مساحتها ١٢٠٠ متر في الجيزة ، وتبرع بمبلغ ألفي جنيه لبناء دار للنادي في هذه الأرض ، وتعهد بانشاء مكتبة للنادي عهد في ترتيبها لحضرة حيدر بك فاضل شناسي . وقد اعلن خبر هذه المنحة السنيـة سعادة احمد باشا زكي على ملإ من الادباء والافاضل في جلسة عقدت بنزل الكونتيننتـال ، وختم خطبته بقوله ان الامير يوسف كمال أصبح بعطيته خليقاً بان يلقب « بحامي المعارف والآداب ، ونصير الأساتذة والطلاّب »

ولا تزال الحكومة ثابتة على رأيها الذي أبدته منذ سبع سنوات ، وصرّح بهِ فخامة اللورد كرومر في أحد تقاريره وهو انه « لم يحن الوقت الذي يكون فيهِ للمصريين مدرسة جامعة » وقد تناقلت الألسنة اشاعة فحواها ان فخامة اللورد كتشنر خاطب دولة البرنس فؤاد في ضم الجامعة الى الحكومة او جعلها تحت اشراف نظارة المعارف . فلم يوافقهُ الامير على هذا الطلب . ولكن الكثيرين يؤكدون انه لا بد من ضم هـذا المعهد العلمي الكبير الى الحكومة آجلاً او عاجلاً ، فيصبح الى جانب مدارس الطب والحقوق والهندسة والزراعة مدرسة للعلوم الادبية يتخرّج منها ادباء بديلومات ! !

توفيق حبيب

في رياض الشعر

بين شاعرين

في الشهر الماضي انتخب اهالي دير القمر حضرة الفاضل داود بك عمون مندوباً عنهم في مجلس ادارة جبل لبنان ، وقد برح مصر لهذا الغرض ، فاذكرتنا هذه المناسبة مراسلة شعرية كانت قد جرت بينه وبين صديقه حافظ بك ابرهيم في سنة ١٩٠٢ ، وكان داود بك مصطافاً في لبنان ، فرأينا ان ننشرها لقراء الزهور وهي من خير ما قاله شعراء العصر

كتب حافظ الى عمون :

شَجَتنا مطالعُ أقمارِها ... فسالت نفوسٌ لتذكارِها
وبتنا نحنُّ لتلك القصورِ ... وأهلِ القصورِ وزوّارِها
قصورٌ كأنَّ بروجَ السماءِ ... خدورُ الغواني بأدوارِها
ذكرنا حماها وبين الضلوعِ ... قلوبٌ تلظّى على نارِها
فمرَّت بأرواحِنا هِزَّةٌ ... هيَ الكهرباءُ بتيّارِها
وأرضٍ كستها كِرام الشهورِ ... حرائرَ من نسج آذارِها
اذا نقّطتها أكفُّ الغمامِ ... أرتكَ الدراري بأزهارِها
وان طالعتها ذُكاءُ الصباحِ ... أرتك اللّجينَ بأنهارِها
وان دبَّ فيها نسيم الأصيلِ ... أتاك النسيمُ بأخبارِها

* * *

وخلٍّ أقامَ بأرض الشآمِ ... فباتت تدلُّ على جارِها
وأضحت تتيهُ بربِّ القريضِ ... كتيهِ البوادي بأشعارِها
وللنيلُ أولى بذاك الدلالِ ... ومصر أحقُّ بيشّارِها
فشمِّرْ وعجِّل اليها المآبَ ... وخلِّ الشآمَ لأقدارِها

فكيف لعمري أطقتَ المقامَ ... بأرضٍ تضيق بأحرارِها
وأنتَ المشمّرُ إثرَ المطا ... لم تسعى الى محوِ آثارِها
ثأرتَ الليالي وأقعدتها ... بمصقولِ عزمِك عن ثارِها
اذا ثُرتَ ماجت هضاب الشآم ... وباتت ترامى بثوّارِها
ألستَ فتاها ومختارَها ... وشبلَ فتاها ومختارِها
اذا قلتَ أصغت ملوكُ الكلام ... ومالت اليكَ بأبصارِها
أداودُ حسبك أن المعاليَ ... تحسبُ دارك في دارِها
وأنّ ضمائرَ هذا الوجود ... تبوحُ اليك بأسرارِها
وأنك إمّا حللت الشآمَ ... رأيناك جذوةَ أفكارِها
وان كنتَ في مصر نعم النصير ... اذا ما أهابت بأنصارها

حافظ ابراهيم

فكتب اليهِ عمّون :

أمِنْ ذكرِ سلمى وتذكارِها ... نثرتَ الدموعَ على دارِها
وعفتَ القصورَ لأجلِ الطلولِ ... تطالعُ طامسَ آثارِها
وقفتُ بها ليلتي ناشداً ... عساها تبوحُ بأسرارِها
وللدارُ أنطقُ آياتها ... من الراويات وأخبارِها
تعيدُ عليكَ ليالي الحمى ... بأنجمها وبأقمارِها
سلامٌ عليكَ زمانَ الشبابِ ... ربيعَ الحياةِ بآذارِها
لأنتَ مخففُ أحزانِها ... وأنتَ مسوّغُ أكدارِها
ولولا الشبابُ وذكرى الشبابِ ... لعاشَ الفتى عمرَهُ كارِهَا
قطفنا الحياةَ بهِ حلوةً ... وقد جاء إبّانُ إمرارِها

***

أطوّفُ في الشرقِ علّي أرى بلاداً تطيبُ لأحرارِها
فلم أرَ الاّ أموراً تسوءُ وتصدَعُ أكبادَ نظّارِها
فظلمٌ بتلك وذلٌّ بهذي وجهلٌ مُغشٍّ لأبصارِها
تعوقُ مراحمَ رُعيانها وترعى الولاءَ لجزّارِها
اذا شاء « قاسمُ » رفعَ الحجابِ تسمَّيهِ هاتِكَ أستارِها
فلا قولَ الاّ لجهّالها ولا رأيَ الاّ لأغرارِها
يدبُّ التراخي على تربها ويجري الخمولُ بأنهارِها
منالُ الترقّي بإرغامِها ومرجى الفلاحِ بإجبارِها
أهذا الذي أورثتْ أهلَها بلادُ العلومِ وأنوارِها

***

عدمتُ حياتي اذا لم أقِفْ حياتي على نفعِ أقطارِها
« أحافظُ » هذا مجالُ العلى فشمّرْ لسبقٍ بمضمارِها
« أشوقي أحافظُ » طالَ السكوتُ وتركُ الأمورِ لأقدارِها
فصوغا القوافيَ مصقولةً وشقّا الجلودَ بيتّارِها
عساها تحرّكُ اوطاننا وتنشرُ ميّتَ أفكارِها
اقولُ واعلمُ أني سأُرمى بأني محرّكُ ثوّارِها
وأني الدخيلُ وأني الغريبُ وأني النصيرُ لفُجّارِها
أحبُّ بلادي على رُغمِها وإنْ لم ينلني سوى عارِها
ولست باوّلِ ذي همّةٍ تصدّى الزمانُ لإنكارِها

داوُد عمّون

﴿ الأنفة في الحب ﴾

من جيد الشعر وأطيبه القصيدة التي ننشرها هنا وقد رأيناها في بعض الجرائد على اشكال مختلفة : فالبعض اغفل اسم شاعرها جهلاً به ، والبعض اقتضب اياتاً منها ، وغيره أبدل او حذف في ألفاظها . وهي لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد بن قائد الملقب بموفق الدين ، الاربلي اصلاً ومنشأ ، البحراني مولداً ، المتوفى في سنة ٥٨٥ للهجرة وقد مدح بها بعض الامراء فاقتصرنا منها على النسيب لرقته ، قال :

رُبَّ دارٍ بالغضى طالَ بِلاَها   عكف الرَّكبُ عليها فبكاها
درسَتْ الاَّ بَقــايا أسطرٍ   سمح الدَّهرُ بها ثمَّ محاهــا
كان لي فيها زمانٌ وانقضى   فسقى اللهُ زماني وسقاها
وَقفتْ فيهــا الغوَادي وقفةً   ألصقتْ حرَّ حياها بثراها
وَبكتْ اطلالهَــا نائبةً   عن جفوني أحسنَ اللهُ جزَاها
قلْ لجيرانٍ مواثيقهمُ   كلَّما أحكمتُها رثَّت قواهــا
كنتُ مشغوفاً بكم إذْ كنتمُ   شجَراً لا تبلغُ الطيرُ ذُراهــا
لا تبيتُ الليلَ الاَّ حولهــا   حرسٌ ترشحُ بالموتِ ظباها
وإذا مُدَّتْ الى أغصانهــا   كفُّ جانٍ قُطعتْ دون جناها
فتراخى الأمرُ حتى أصبحتْ   هملاً يطمعُ فيهــا من يراها
تُخصبُ الأرضُ فلا أطرقُهــا   رائداً الاَّ إذا عزَّ حِماها
لا يَراني اللهُ أرعى روضةً   سَهلةَ الأكنافِ مَن شاء رعاها
واذا ما طمعٌ أغرى بكم   عرَضَ اليأسُ لنفسي فثناهــا
فصباباتُ الهوى اوَّلُها   طمعُ النفسِ وهذا مُنتهاها
لا تظنُّوا لي اليكم رجعةً   كشفَ التجريبُ عن عيني عماها

***

انَّ زينَ الدين اولاني يداً   لم تدع لي رغبةً فيما سواهــا

﴿ ذكرى الشباب ﴾

عُمسي تذكّرنا الشبابَ وعهدَهُ حسناء مرهفةُ القوام فنذكرُ
هيفاء أسكرَها الجمالُ وبعضُ ما أوفى على قدرِ الكفايةِ يُسكرُ
تثبُ القلوبُ الى الرؤوس اذا بدت وتُطلُّ من حَدَقِ العيونِ وتنظرُ
وتبيتُ تكفرُ بالنحور قلائدٌ فاذا دنت من نحرها تستغفرُ
ويزيدُ في فمها اللآلئُ قيمةً حتى يسودَ كبيرَهنَّ الأصغرُ

اسماعيل صبري

﴿ سكر الصبابة ﴾

أبَتِ الصَّبابةَ مورداً الاّ شؤونك وهي شكرى
يا ساقيَ الدمع الذي من مقلتيهِ يسيلُ خمرا
لا غروَ ان بدت الصبا بة وهي في عينيكَ سكرى

خليل مطران

﴿ دمعة على الشباب ﴾

ضحكاتُ الشيبِ في الشَعَرِ لم تدع في العيش من وطرِ
هنَّ رسلُ الموتِ سانحةً قبلَهُ والموت في الأثرِ
يا بياضَ الشيبِ ما صنعت يدُكَ العسراءُ في الطررِ
انت ليلُ الحادثاتِ وان كنتَ نورَ الصبح في النظرِ
ليت سوداء الشبابِ مضتْ بسوادِ القلبِ والبصرِ
فالصبى كلُّ الحياة، فان مرَّ، مرَّتهُ غبطةُ العمرِ

مصطفى لطفي المنفلوطي

مجدلية اخرى

لم تكن أوّلَ مَن اساءَ اليها الرجلُ فانَّ أمثالها كثيراتٌ ممن دفعهنَّ الجهلُ الى ارتكاب ما ارتكبنهُ ، والقاء تحيَّة الوداع على الفضيلة والعفاف . أليست أزقتنا مزدحمة بأقدام هولاء البائسات ؟ أليست المدن الكبرى قائمة على أطلال بابل ، والرذيلة تمثّلُ أفظعَ أدوارها في زواياها المظلمة ؟ أَليس السين والتاميز وارثَين لماء التيبر الذي شربته رومية الفاجرة ، وماء الفرات الذي ارتوت بهِ نينوى الزانية ؟ أليست شوارعنا مسارح لتمثيل تلك الأدوار التي تقشعرُّ لها الأبدان ، وتتململ لها العظام التي في القبور ؟ أَهذهِ مدنيتّك أيها العالم ، وهذهِ فضيلتك أيها الانسان ؟ مستبدٌّ أنت ؟

ان كنت ملكاً فكن عادلاً ؛ وان كنت بشراً فكن عاطفاً ؛ وان كنت غنياً فانفق ثروتك في غيرِ الزوايا المظلمة . لماذا تحفر هاويةً لسقوط المرأة ؟ كفى ما أوصلتها اليهِ من البؤس والشقاء

***

تائهة في باريس !

في تلك المدينـة العظيمة ؛ في ذلك الاوقيانوس المتلاطم ؛ وحيدة لا بيتَ لها فتأوي اليهِ ، ولا سقف فتبيت تحته . للطيور أوكار ، وللبهائم زرائب . واما هي فليس لها أين تسند رأسها

الرواية القديمة : باعت نفسها لرجل سامها في عرضها . أعطتهُ قلباً

مملوءا اخلاصاً . فنقدَها ثمنهُ خزياً وعاراً . فتحت لهُ صدراً رحيباً ، فحفر لها مهواةً أرحب . تركت العالم من أجله فترك لها كل مذلة وهوان

رحماكِ ! الى أين تقذف بي أيها الانسان ؟

* * *

اصرخي ما شئتِ أيتها البائسة ؛ أَغضبتِ أَبويكِ فطرداكِ ؛ أَغضبتِ العالم فنبذكِ ؛ أَغضبتِ اللهَ فأدار وجههُ عنكِ

أُصرخي ما شئتِ . قولي لذلك الجالس على كرسي العدل ، الرابض على عرش الرحمة : « الهي الهي لماذا تركتني ؟ » أَلستِ مرفوعةً على صليب الهوان ، وتحت قدميكِ هاوية الأبدية اللاقرارَ لها

علامَ تلومين البشر ؟ هلاَّ بعتِ عفافكِ الاَّ للوحوش الضارية ؟ هلاَّ ساومتِ في عرضكِ الاَّ على قوارع الطرق ؟ ألم تعلمي ان الازهار التي يفترشها لكِ الانسان الوحش ، وأنتِ في ثوب العفاف ، تنقلب اشواكاً متى خلعتِ ذلك الثوب ؟ هوذا الأحلام التي كنتِ تمللين بها نفسكِ قد انقلبت الى خيالات مرعبة فهي تصوّر لكِ الآن ظلمات الأبدية وتمثّل لعينيكِ هاوية الشقاء اللاقرار لها

* * *

الدير ؟ . . .

وهل تمادى بكِ الغرورُ حتى زعمتِ ان الدير مأوى الساقطات ؟

هل توهمّتِ ان السقف الذي يظلل بنات الله الطاهرات يظلل أمثالكِ من الفتيات اللواتي لسنَ عذارى ولا أُمهات ؟ ..

أَيكون الدير مأوًى لراحاب وهيروديا ومرغريت وفرناند ؟

الدير ؟ . . .

هل يكون الدير ملجأً للواتي كسرنَ وصية الله القائل لا تزنِ ؟

هل يكون الدير مأوًى لمن هجرنَ العفاف واسأنَ الى المجتمع العمراني وآثرنَ منعطفات الطرق على الهياكل والمعابد ؟

هل الدير ملجأ لكل امرأةٍ يطاردها العالم لينزل بها العقاب على ما أتتهُ من الشرور والمآثم ؟

* * *

أجل ! ان لم يكن الدير ذلك فيجب ان يكون كذلك ؛ يجب ان يكون أوّل محطة على الطريق الى السماء

* * *

تائهة في باريس ! . . .

بيت أبيها موصدٌ في وجهها ؛ وباب الدير موصد في وجهها ؛ وباب السماء موصد في وجهها ! فالى أين تأوي ؟

هنيئاً لكِ يا خالعة ثوب العفاف . ألم تتنعمي بالسعادة التي كنتِ تحلمين بها ؟ فماذا تطلبين بعد ؟

مبيتاً ؟ . . .

هوذا قوارع السبيل !

هوذا مهاوي الشقاء !

هوذا القبر !

ووراء ذلك القبر وحشة الأبدية اللانهاية لهـا ، وحجاب الظلمة يكتنف النفس فيزيد في عذابها ، وكلّ لحظة قرون واحقاب مملة

***

رحماك اللهم ! ان عرشك ليس عرشَ العدل فقط بل عرش الرحمة ايضاً . فانظر اليَّ من فوق عرشك هذا دون عرشك ذاك . واذكر انك جبلت المرأة على الضعف ، وقذفت بها بين براثن الرجل المستبد

رحماك اللهمَّ ! انك تؤدِّب ولكنك انزه من أن تنتقم . فقاصص ولكن اجعل مع القصاص متَّسعاً من الرحمة . عاقب ، ولكن اجعل مع الشدة منفذاً . انك ارحم من أن تبخل على شقية مثلي بنظرة شفقـة واحسان

الى أين اذهب يا الله ؟ ألم تجعل للطيور اعشاشاً ، وللثعالب أوكاراً ، وللبهائم زرائب ؟ فأين أسند رأسي في هذا الليل الحالك — في هذه المدينة المظلمة — في هذا الاوقيانوس المتلاطم ؟ الم تعفُ عن راحاب وتغفر للمجدلية ؟ ألم تقل لتلك البائسة التي شكوها اليك : « ولا أنا ادينكِ . اذهبي ولا تخطئي بعـد ؟ » ألم تقل ان الأعلاّء هم الذين يحتاجون الى طبيب ؟

يا لك من عصرٍ شديد النحسِ ضاعت بهِ الرحمة تحتَ الشمسِ
لم تلقَ مأوىً فيهِ غيرَ الرمسِ وغيرُهـا ممتَّعٌ بالأنس
في عالم أحلامُـهُ غرورٌ

سليم عبد الاحد

اسباب الحرب البلقانية

من الكتب الماثلة للطبع في الآونة الحاضرة كتاب « الحرب في البلقان » لحضرة الكاتب البليغ يوسف افندي البستاني وهو جامع لجميع أسباب الحرب وحوادثها ونتائجها ، ولنحو اربعين رسماً من رسوم رجالها ، ولأهم آراء الكتاب الحربيين والمؤلفين في هذا الموضوع . وقد اقتطفنا من كلامه عن أسباب الحرب الفصل التالي . قال :

من رام أن يقف على حقيقة تلك الحرب الهائلة ويدرك أثرها العظيم فى الشرق والغرب يلزمه أن يعرف أسبابها وحوادثها ونتائجها. وانّا بادئون بذكر تلك الأسباب واحداً فواحداً مع الايجاز ، ومعتمدون على نخبة من أقطاب السياسة وصفوة المؤرخين والباحثين في المسألة الشرقية . فان الحرب البلقانيـة ليست الاّ مشهداً كبيراً فاجعاً من رواية تلك المسألة التي تعددت فيها الفصول وأدمت مشاهدها العيون

يخلق بنا أن نحسب رأس الأسباب ما انطوت عليه الضلوع ، وغلت به الصدور من الحقد القديم والضغينة الكامنة بين الأتراك والامم الاربع المتحالفة فان كل أمّة منها جعلت تربيةَ الحقد في صدور أبنائها على دولة آل عثمان فرضاً مقدَّساً وآيةً من آيات الوطنية . فاذا ورد ذكر التركي على أحد أساتذتها جعلهُ عنواناً للظلم ، ومثلاً للقسوة ، وعدواً ابدياً يجب على كل فرد أن يرضع بغضه مع حليب أمهِ

أنظر الى اليونان تجد الاساتذة والوالدين والوالدات وكلّ عجوز باليةٍ يردّدون ذكرَ مجدهم القديم ، ويعدّون التركي مغتصباً لأرضهم هدَّاماً لدولتهم ، هضَّاماً لحقوقهم ، ويمزجون ما يحويهِ تاريخهم من الحقائق الجارحة بخرافات وحكايات نظمها لهم أساتذتهم وشعراؤهم ليربّوا فيهم كراهة التركي ، ويحملوهم على التفكير المستمرّ في استرجاع ما وقع في قبضته من ملكهم القديم ، ويجعلوا طلب الثأر نصب

أعينهم الى أن يأتي وقته . ثم تراهم يهتمون اهتماماً خاصاً بأخبار أبطالهم والمنظومات الحماسية لشعرائهم القدماء وفي طليعتهم هوميروس صاحب الالياذة الخالدة ، ويردّدون على الاخصّ ، من الحوادث الغابرة ، قصة يسمونها «حكاية علي باشا في يانيا» فيعزون اليهِ من الفظائع والاهوال ما يشيب الطفل في مهده ، ويزعج الميت في لحده . وهم يجعلون فيها القطرة بحراً والصفر سفراً ويرتبونها كما يشاء الخيال ، اذ لا يهمم منها الاّ أن تجيء في شكل يُبكي النساء والاطفال ، ويُثير قلوب الرجال . قال كاتب فرنساوي كبير « يمكننا ان نقول ولا نخشى الخطأ انّ حكاية يانيا حضّت الامة اليونانية على الجهد الذي بذلتهُ في الحرب الاخيرة حضّاً كبيراً وأثرت فيها تأثيراً شديداً . فانك تجد كل قرية وكل دسكرة في الجزر اليونانية تأخذها الرعدة من تذكار يانيا . وترى النساء ينقلنَ تلك الحكاية الى اولادهنّ ويذكرنَ ما أتته بعض اليونانيات من الأعمال في مجال القتال . وما من أثر أبقى في النفوس وأقوى في القلوب من حكايات وطنية تعيدها الأم وهي جاثية أمام سرير ولدها »

واضفْ الى حوادث التاريخ القديم والمتوسط حادث الفشل الكبير الذي حلَّ بهم في حرب سنة ١٨٩٧ . فانهم لبثوا بعدها يتطلعون الى الثأر واستقدموا جماعةً من الضباط الفرنساويين فنظّموا لهم جيشهم ، وجددوا مدافعهم . وكان يزيدهم حقداً على حقد أنّ الحكومة العثمانيــة ظلّت واقفة لدى الحكومة اليونانية ويدُها على مقبض السيف لتوقع الرُعب في قلبها وتمنعها من ضمّ جزيرة كريت الى أملاكها . وكانت جرائد الاستانة تنذر اليونان في كل يوم بالزحف على اثينا اذا قبلوا المندوبين الكريتيين في البرلمان اليوناني كما طلب اهل تلك الجزيرة

***

واذا رجعنا الى تاريخ البلغاريين وجدنا أنّ الحقدَ ينمو في قلوبهم منذ سنة ١٣٩٣ أي السنة التي سقطت فيهـــا الدولة البلغارية في قبضة تركيا . واذا اراد

القاري أن يعرف مبلغ بغضهم للتركي — وكلّ موظفٍ عثماني هو تركي عندهم — فحسبهُ ان يقرأ شيئاً مما يلقونهُ على أولادهم أو يسمع ما يقوله الشيوخ والعجائز منهم . ذكر لي صديقي حقي بك العظم انهُ زار صوفيا ، عاصمة البلغار ، منذ بضعة أعوام ، وذهب يوماً مع نسيبٍ له كان معتمداً عثمانياً سامياً في مركبة الوكالة العثمانيـة الى بعض أحياء المدينة ؛ وبينما كانا مارّين أمام بيت احدى العجائز ، خرجت هذه وبيدها قدرٌ من الأقذار المختلفة وقذفت بهِ على طربوشيهما وملابسهما العثمانية

وليس يدلنا على اعتنائهم الشديد بتربية الحقد على الأتراك وزيادة النفور منهم مثل أمر مأثور . وهو أنهم تركوا محلةً صغيرة في عاصمتهم على أسوإ حال لتكون عبرةً لكلّ بلغاري فيتذكر على الدوام ما كانت عليهِ بلادهم في عهد الحكم التركي . والواقع ان تاريخ البلغار (منذ سقوط دولتهم سنة ١٣٩٣ الى سنة ١٨٧٧) كان تاريخ ذُلٍّ وهوانٍ فانهم كانوا أرقاء تلعب الاكفُّ التركية في رقابهم ، واذا شكوا حكمت السيوف في هاماتهم . ولبثوا سنواتٍ عديدة على أثر سقوط ملكهم يحسبون الأتراك من محتدٍ أشرف من محتدهم حتى صحّت فيهم حكمة القـائل « ان الاستعباد يُفقدَ الشعوبَ نصف فضيلة الرجولية »

على انهم كانوا مثل كل شعب مغلوبٍ على أمره وله تاريخ قديم ، يذكرون استقلالهم الذي تغلغل في طياتِ الزمان ويحنّون اليهِ وهم في زوايا بيوتهم ، ويشكون بصوتٍ خافتٍ من حكامهم . ولبثوا على تلك الحال من الجبن والمسكنةِ حتى سنحت الفرصة لانفجار حقدهم الكامل قُبيلَ معـاهدة برلين . وكانت عوامل ايقاظهم ثلاثة : أولهـا انّ ولاة أمورهم غلوا أشدَّ غلوٍّ في الضغط عليهم فكانت نتيجة هذا الضغط انفجار ذاك الحقد ؛ والثاني أن روسيا العدوَّة القديمة لتركيا كانت تحضنهم وتمدهم بالعون والمدد ؛ والثالث ان تحريرهم من قيد الكنيسة اليونانية أنشأ فيهم روح الاستقلال

بقيت تلك العوامل الثلاثة تعدّ نفوسهم للثورة وتزيد حقدهم المتأجج حتى هبوا ينفضون عنهم غبار الذُل العتيق . ولما ثارت البوسنه والهرسك سنة ١٨٧٥ رأى ذوو الإقدام منهم أنَّ الفرصة كانت موافقة للثورة وشفاء النفوس من الضغينة

على انهم لم يكتفوا بالخروج على الحكومة بل ارتكبوا جناية ذبح المسلمين في بعض القرى . ولم تكن ثورتهم وقتئذٍ عامةً لان قسماً كبيراً منهم كان لا يزال خائفاً من سادته الاتراك . وما ترامى خبر فتنتهم الى الباب العالي حتى عقد العزيمة على تأديبهم وكان التأديب واجباً . الاَّ انهُ أخطأ الطريقة المثلى فاطلق عليهم ألوفاً من الجنود غير المنظمة بدلاً من أن يسير اليهم جنوداً نظامية تحت أمرة قائد عاقل يضع اللينَ في محلهِ والشدة في موضعها . وروى قنصلا فرنسا وانكلترا في تقاريرهما الرسمية « ان عدد الذين ذبحتهم تلك الجنود من رجال ونساء وأطفال يبلغ ما بين ١٥ و٢٠ الف نفس »

فكان لذلك الحادث صدى عظيم في أوروبا ، وهبّ غلادستون فالقى خطبةُ الشهيرة عن تركيا والأتراك وانسى الاوربيين ان البلغاريين فتكوا هم أيضاً بالمسلمين الآمنين . ولا غرو فان الحادث الاكبر ينسي الحادث الاصغر ؛ وهناك سبب آخر وهو ان شعور كل فئة بنكبات أهل دينها أشد من شعورها بارزاء الآخرين ، وهذا طبيعي تجده عند جميع الامم والملل ولا يتغير ما دام الانسان انساناً . وقليل هم لسوء طالع الانسانية أولئك الذين يضعون الحق فوق كل شيء

على ان هذا كلهُ بعضُ ما جرى بين العدوّين وهو يكفي للدلالة على ان الجيش البلغاري لم يزحف وحدَهُ من صوفيا بل زحف هو وحِقدُ خمسماية سنة ! . .

* * *

وليس حقدُ الصربيين وأهل الجبل الاسود على الاتراك باخفّ من حقد اليونانيين والبلغاريين . فانهم مثل حلفائهم يربّون في ابنائهم محبة الثأر من تركيا ،

ولا ينسون انتصار الاتراك عليهم وفتكهم الذريع بهم . ذكر الموسيو « البير مالي » الاستاذ الكبير في التاريخ السياسي ان المؤرخ الصربي « ليوبا كوانشفيتش » وقف يرثي ابنه الذي قتل في احدى معارك الحرب البلقانية فقال :

(يا بنيَّ نم بسلام فقد اوفيتَ دينك للوطن . وقل لدوشان ولازار بل قل لجميع شهداء قوصوه ان أمتهم ثأرت لقوصوه ...) . ولقد دلت الحرب على ان الثأر الذي اشار اليهِ هذا المؤرخ الصربي هو امنية كل فرد من امته ، وانَّ الحقد على الأتراك شامل لطبقاتها . قال ايضاً الموسيو « البير مالي » ان معارك قوصوه – التي حدثت من نحو ٥٠٠ سنة – ما زالت تذكر عندهم كما تذكر حوادث حرب السبعين عند الفرنساويين ، وما برحوا يرددون تذكار القيصر دوشان والقيصر لازار حتى الآن

ثم روى الاستاذ نفسه دليلاً على احتفاظ الصربيين بما يُضرم الضغينة في قلوبهم على الأتراك قال : ان الفاً من الصربيين كانوا سنة ١٨٠٩ محصورين في احد المعاقل على مقربة من مدينة نيش ، فرأوا ان الأتراك أوشكوا ان يستولوا على موقعهم عنوةً ؛ فاختاروا ان ينسفوا معقلهم بما كان عندهم من البارود على ان يقعوا احياء في ايدي اعدائهم ؛ ثم جاء الاتراك بعد نسفه وفصلوا رؤوسهم عن الجثث وجعلوا منها شبه برج . ولما دخل الصربيون مدينة نيش سنة ١٨٧٨ كان ذاك البرج محفوظاً على شكله ؛ فرفعوا الجماجم ودفنوها في مقبرةٍ وابقوا البرج ليراه الابناء والاحفاد ، ولقبوهُ ببرج الجماجم ، واصبح امره موضوع قصص العجائز والوالدات في البيوت والاساتذة في المدارس

وليس من غرض هذا الكتاب أن نفيض في شرح الوقائع التاريخية التي اشعلت نار ذاك الحقد . فانا نختم الكلام عن هذا السبب الاول من أسباب الحرب بما تضمنهُ قانون أصدرتهُ حكومة الجبل الاسود سنة ١٤٨٤ ليكون دليلاً آخر على

الحقد القديم في صدور أهل ذاك الجبل أيضاً وهو :

« اذا نشبت الحرب بيننا و بين الأتراك فلا يجوز لاحد من أهل الجبل ان يترك ساحة القتال الا بامر رئيسه . وكلّ من يفرّ أمام الترك يفقدُ شرفه الى الابد ويُصبح محتقراً منبوذاً من آلهِ ، ثمَّ يُلبس ثوب امرأة ويُعطى مغزلاً ليشتغل بهِ مع النساء ، وتعمد النسوة أنفسهنَّ الى طرده كما يطرد الجبان الذي يخون وطنه »

وهنا ندع القارئ يفكر في الحالة النفسية التي كان فيها أعداء تركيا يوم ساروا الى الحرب وهم يؤملون النصر　　　　**يوسف البستاني**

سفراء الدول

يلعب السفراء في الآونة الحاضرة دوراً خطيراً في الحوادث التي تشغل الآن العالم قاطبة . وبهذه المناسبة ننشر للقراء المقالة الآتية التي كتبها خصيصاً « للزهور » حضرة الكاتب المجيد اسكندر افندي شاهين « صاحب الرأي العام » ورئيس تحرير « الوطن » . قال :

اذا كان لك على الزمان قضية وفي صدرك الكريم من أهل الزمان غلة لأنهم لم ينصفوك او لأن عامتهم نسبت فضلك الى سواك فاعلم ان لك في هذا الظلم شركاء يقومون بكبير الأعمال ويُمدح غيرهم من سراة الرجال . هم السفراء ينوبون عن ملوك الأرض وشعوبها .وينجزون المهام العسيرة على مهلٍ ، ويحلّون المعضلات من وراء الحجاب فلا يدري الجمهور بما فعلوا ويزعم الأفراد ان الفضل في الحل لمعاشر الملوك والوزراء . ولطالما تغنَّت الأقوام بمدح ملك وردّدت ذكر ذكائهِ الشديد ورأيهِ السديد مع ان الملك لم يكن الاَّ عاملاً برأيَ سفيرهِ ، ولو ترك الأمر لهُ لبقيت الحالة كما كانت او ساءت وتغيَّر تاريخ بني الانسان . وربما وقع الوزير في

خطإٍ يحمله على الخروج من منصبهِ وتحمُّل مرارة الذموسخط المواطنين ، أو رأى الناس يكتبون التاريخ مقلوباً على عادتهم من قدم، وينسبون اليهِ الغلط في السياسة والتدبير وهو مع ذلك بلا ذنب يوجب الملام غير انهُ وثق بأحد السفراء ، وعمل برأيهِ أو تحمَّل تبعة غلطهِ الكبير

فالسفير في هذه الممالك هو القوَّة الكامنة وراءَ العرش وهو المحرّك خفيَ عن الأَبصار يدير المسائل ، ويقضي في الأُمور بالنيابة عن الملوك والوزراء ولكن عامة الخلق لا تفطن الى وجودهِ في كثير من الأَحوال ولا تنصفه حين توزّع مدائحها على جليل الأَعمال . ما سمعت بسفير نال حقّه من ثناء الجمهور الاَّ حين عُقد مؤتمر السفراء في لندن وعهدت الدول الى اعضائهِ الحاليين تسوية المشاكل والبتّ في معظم ما يتعلق بحرب البلقان ومستقبل الشرق القريب

قلت ان السفير نائب الملك او للدولة في البلاد التي يندب لانتيابها فهو اكبر من الوزير مقاماً يتقدَّمهُ في المحافل الرسمية وقد يتقدَّم بعضَ الأُمراءِ ايضاً فما يعلوهُ في موضع عملهِ غير ملك البلاد او الرئيس . وراتب الوزير على الجملة أقل من راتب السفير لأَن وزراءَ الغرب يقتضون حوالي خمسة آلاف جنيه في السنة وأما السفراء فرواتبهم من ستة آلاف الى عشرة في العام . وربما كان سفير الجمهورية الفرنسية في لندن أعظم الاقران راتباً لأنهُ ينال من مال بلادهِ ٢٦٠ ألف فرنك او اكثر من عشرة آلاف جنيه ؛ ولهُ في عاصمة الانكليز قصر منيف ومقام عظيم . ولا يقلّ السفراء في العواصم الكبرى مقاماً عمن ذكرت ولو ان الراتب

أقل ألفاً أو ألفين فان السفير واحد في الكرامة سواء كان في لندن أو في غيرها من العواصم التي يُعرف فيها وكلاء الدول العظمى باسم السفراء وهي باريز وبطرسبرج وبرلين وڤينا ورومية والاستانة وواشنطون وتوكيو وبكين . وأما الدول الثانية مثل اسبانيا والبلجيك وبقية هذه الممالك والجمهوريات فان مندوبي الدول فيها يعدّون وكلاء سياسيين ورواتبهم تختلف ما بين ألف جنيه في السنة وسبعة آلاف وهو راتب وكيل الدولة الانكليزية في مصر ومدريد وريودي جانيرو عاصمة جمهورية البرازيل . وليس يعدّ هذا الراتب كبيراً على السفير أو وكيل الدولة لأنهُ ينبغي لهُ ان يعيش عيشة الملوك وأن يحيي الليالي الراقصة ويولم الولائم ويكون في مقدمة أهل البذل والعطاء . وقد كان السفراء قبل هذه الأيام يأخذون معهم من بلادهم جيشاً جرّاراً من العمّال والصنّاع والخدَمة والأطباء وسواهم حتى يكون كل ذي علاقة بقصر السفير من أهل بلادهِ وتعد سفارتهُ مملكة ثانية للملكِ في عاصمة الدولة الأخرى ولكنهم قللوا من هذا الاسراف في الزمان الأخير

وما زالت السفارة في كل بلاد تعدّ جزءاً من أرض المملكة التي جاء منها السفير : فسفارة الروس في باريز قطعة من أرض روسيا تسري فيها الاحكام الروسية ولا سلطة لفرنسا وقانونها على من دخل أرض هذه السفارة وقس على هذا ما جرى مجراه . يذكرني ذلك بما كان من أمر ملك الانكليز وامبراطور النمسا في احدى السنين الماضية فان الامبراطور كان قد وعد بزيارة الملك في لندن ثم رأى أنّ الكبر أقعد همتهُ وصيّر

السفر خطراً عليهِ فعدل عن تلك الزيارة ولما ذهب ملك الانكليز بعد ذلك الى ڤينا قام الامبراطور لاستقباله وذهب للسلام عليهِ في السفارة الانكليزية وتمشى فيها معهُ ليقال أنهُ زار قرينهُ في أرض انكليزية وهي سفارة انكلترا في عاصمة النمسا . ويذكر من هذا القبيل ايضاً أن رئيس جمهورية الولايات المتحدة لا يدخل سفارة أجنبية لان قانون الجمهورية يحظر عليهِ السياحة في الاقطار الخارجية مدة الرئاسة ، والسفارة عندهم أرض أجنبية كما تقدم البيان . فمقام السفير مقام ملك ولهذا تراهم يهتمون غاية الاهتمام لانتقاء السفراء وقد يتنازل رئيس الوزارة عن كرسيه حتى يذهب سفيراً الى عاصمة من العواصم الكبيرة وتعرض الوزارة من حين الى حين على بعض السفراء فيأبونها. مثل المسيو وادنتون سفير فرنسا السابق في لندن كان رئيس الوزارة الفرنسية ومثل اللورد دفرن سفير انكلترا السابق في باريز عرضت عليهِ الوزارة مراراً فلم يقبلها. ولقد قال اللورد بامرستون يوماً وهو أحد وزراء الانكليز المشهورين انه ليس في كل عشرة ملايين رجل اكثر من واحد يصلح للسفارة . وقوله صحيح لما أن السفير يدير سياسة الدولة التي ترسله والدولة التي تقبله على السواء فهو في يده السلم والحرب اذا كان قليل الميل الى السلام كان اضرام الحرب على يده من أسهل الأمور

ولما كان هذا مقام السفير وهذا شأنه فهم قد خصوه بامتيازات شتى حتى جعلوه مساوياً لملك البلاد التي يقيم فيها واذا شاء السفير أن يخاطب القيصر أو الملك رأساً في كل أمر فلا سبيل الى ارجاعهِ عما يريد . ولكن

السفراء وهم دهاة الامم وجبابرة العقول يؤثرون الوصول الى غايتهم بطرق اللطف والمجاملة فلا يصرّون على حق لهم يولد الجفاء أو يدعو الى النفور. وقد بدأوا بأعطاء السفير حقوق الملك من نحو ١٨٥ سنة. وكان منشأ هذا الامتياز في لندن اذ حدث فيها ان بعض المتآمرين واصحاب الدسائس قبضوا على سفير روسيا في لندن وخطفوهُ من وسط المدينة ، وأودوا به لاسباب تتعلق بسياسته في داخلية روسيا. فكبر الأمر على حكومة الانكليز وأصدرت أمراً باعتبار سفراء الدول الكبيرة مثل ملك انكلترا في الامتيازات والحقوق حتى لا يبقى سبيل الى الاعتداء عليهم كما حدث لسفير الروس. واجتمع بعد ذلك مؤتمر للدول في باريز رأى أعضاؤه أن انكلترا أصابت في منح هذه الامتيازات للسفراء، فاجمعوا على تعميم هذا المبداء في جميع العواصم على السواء

وعلى هذا فان السفير مثل الملك فوق القانون يمكنهُ أن يأتي ما شاء من المنكرات ولا حرج عليهِ ولا سلطة تقوى على رده ؛ فكل ما يمكن فعله في هذه الحالة أن الدولة ترجو دولة السفير المذكور اقالته أو نقله من بلادها. ولكن هذا لا يحدث من السفراء وهم رجال الأدب الباهر واللطف المشهور والعقول الكبرى في كل زمان. كذلك عمَّال السفارات وأقاربهم يعدون من اصحاب الامتيازات لا سلطة للحكومة المحلية عليهم. فاذا اقترف احد كتَّاب السفارة اثماً نجا من سلطة الحكومة المحلية بقوة هذا الامتياز وقد تجري محاكمته داخل السفارة حسب قانون بلاده الاصلية. ولكن هذا لا يحدث أيضاً الا فيما قلّ. واكثر السفراء يتنازلون عن حق

سفارتهم فيما لو حدث أمر يخالف قانون البلاد من أحد عمالهم ويسلمون ذلك العامل للحكومة المحلية احتراماً لها ولقانونها . حدث مثل هذا من عهدٍ غير بعيد في لندن اذ اعتدى روسي على احد الاهالي وصفعه على وجهه في قارعة الطريق فلما علم السفير الروسي بما جرى أمر عامله في الحال أن يذهب الى المخفر ويسلم نفسه للبوليس الأنكليزي أو يخرج من خدمة السفارة فآثر الرجل عدل انكلترا على ضياع المركز وحكم عليه بغرامة مع انه كان يمكن انقاذه من العقاب . ومن هذا القبيل أن سفير الاميركاني في باريز صدمت عربته عاجلة صغيرة لأحد الاهالي فحطمتها ولما رأى السفير ذلك عرض على الرجل ان يعوض عليه ما فقد في الحال ولكن الرجل كان ذا نزق فلم يكلم السفير واقام عليه قضية وكان كاتب المحكمة جاهلا مثل صاحب القضية فقبلها وأرسل انذاراً الى السفير كأنما السفير تحت سلطة القانون . فاعرض السفير الاميركي عن الانذار وأرسله الى وزارة الخارجية وكانت النتيجة ان الانذار الغي في الحال والكاتب عزل وحقوق الرجل ضاعت بقوة الامتياز الذي خص بمعاشر السفراء.

ويحق لنساء السفراء ما يحق للملكات لان السفير يتقدم وزراء الامة التي يقيم في ارضها ولزوجته حق التقدم ايضاً على كل نساء المملكة ما خلا الاميرات. وقد حدث أشكال بسبب امتياز النساء هذا في روميه من بضعة اعوام لان احدى الاميرات دعت علية القوم الى ليلة راقصة فلما انتهى الرقص دعت الاميرة بعض صاحباتها وقريباتها للطعام ولم تدعُ زوجة السفير الفرنسي ولا زوجة السفير الانكليزي الى المائدة فخرجت

السيدتان من قصر الاميرة مغضبتين. وانكر السفيران فعل الاميرة وطلبا من حكومة ايطاليا أن تحملها على الاعتذار وكانت حكومة الطليان في أول الامر مستخفة بالحكاية فلما كثرت عليها المسائل والرسائل من لندن وباريز اضطرت الى العدول عن رأيها وارضت السفيرين

ويعفى السفراء من الضرائب المحلية والعوائد ورسوم الجمارك حتى ان الاشياء الواردة باسم السفير أو أحد عماله من الخارج ترسل بلا تفتيش ولا تنقيب. وربما ذكر القراء ما حدث في الاسكندرية من زمان قريب بشأن هذا الامتياز فان قنصل روسيا وقع في مشكلة ورأى عمال الجمرك ان الصناديق التي ترد باسمهِ أو بأسماء مختلفة لترسل على يده الى من يشاء كثرت فيها المهربات فافضى الامر الى ان الحكومة الروسية عزلت قنصلها أو نقلتهُ من الاسكندرية ولكن حكومة مصر لم يكن لها سلطة عليه مع انهُ أهانها وهرَّب الممنوع الى بلادها على طريقة كان لها دوي كبير

على ان السفير لا يجوز له شيء واحد لقاء كل هذه الامتيازات هو التدخل في السياسة الداخلية المتعلقة بالبلاد التي يقيم فيها فاذا عرف عنهُ تداخل من هذا القبيل ولو كان صغيراً سقط من مقامهِ العالي واضطرَّ الى الرحيل. وقد يحدث من هذا القبيل ما يوقع السفير في حيرة وعقدة لا حلَّ لها مثل ان يكون حزب الاحرار في انكلترا مخالفاً لحزب المحافظين في عقد المحالفة مع روسيا فاذا سئل سفير الروس رأيهُ يوماً وهو يعلم ان عقد المحالفة يفيد بلاده لم يجز له ان يمدح حزباً ويذم حزباً

في البلاد ولا ان يعضد فريقاً بقول له أو رأي لان أقل اشارة بهذا المعنى تعدّ تدخلاً في السياسة الداخلية لا يجوز . وهذا ايضاً قليل حدوثه . اعلمُ من قبيله حادثة واحدة قديمة جرت في لندن حين تدخل سفير النمسا في سياسة الاحزاب الداخلية تدخلاً لو تمّ المراد منـهُ لأدى الى سقوط وزارة الانكليز . وقد كان صنيع هـذا السفير يومئذٍ شاذاً الى الغاية القصوى وموجباً للغضب حتى ان حكومة الانكليز اعرضت عن المجاملة وامتياز السفراء وقبضت على هذا السفير وأمرت بمحاكمته فحكم عليهِ القاضي بالحبس . ولما علمت النمسا بيان ما فعل سفيرهـا في لندن تبرأت منهُ ورضيت بمحاكمتهِ ومعاقبته فلم ينشأ اشكال ولا حرب

واذكر حادثة اخرى قريبة العهد من هذا النوع هي ان رجلاً من الاميركيين أرسل الى سفير انكلترا في واشنطون كتاباً يسأله فيـهِ رأيه عن اي الرجال اصلحهم لرئاسة الجمهورية الاميركية وكان الرئيس يومئذٍ المستر كليفلاند وهم يسعون في اعادة انتخابه فكتب السفير — واسمه اللورد ساكفيل — رداً الى صاحبه الاميركي يقول ان كل اميركي يحب الخير لبلاده يجب ان يسعى في بقاء المستر كليفلاند رئيساً لجمهوريتها . ونشرت بعض الصحف الاميركية هذا الكتاب فهاج الجمهور ولا سيما الحزب المخالف لكليفلاند وعدوا تدخل السفير الانكليزي في امورهم الداخلية اثماً لا يغتفر حتى ان المستر كليفلاند اضطر الى طلب اقالته وأعاد اليهِ أوراق تعيينه فكان لتلك الحادثة صدى ودوي من نحو عشرين سنة وكادت تؤدي الى وقوع الحرب بين الانكليز والاميركان

لان اللورد سولسبري وهو يومئذٍ وزير الانكليز عدَّ فعل الرئيس اهانة لسفيره فلم يعيّن سفيراً بدله حتى انتهت الانتخابات الاميركية وخرج كليفلاند من منصب الرئاسة

هذا الذي لا يجوز للسفراء واما الذي يجوز فاكثر منهُ كما رأيت وليس في الارض فئة اخرى تتنعم بكل هـذه النعمة وهذا الامتياز في ديار المتمدنين

اسكندر شاهين

الاندلس الجديدة

تنشر لقراء « الزهور » في الصفحات التالية قصيدة عصماء في رثاء مقدونيا وخروجها من يد الدوله العثمانية بعد عقد الصلح في مؤتمر لندرا . وهذه القصيدة من أبدع ما جاءت به قريحة شاعر عربي ، فقد جمعت من جزالة اللفظ ومتانة السبك وسموّ الخيال وبلاغة الارشاد ما يستفز القارىء طرباً عند كل بيت من أبياتها ، ويستوقفه معجباً بكل معنى من معانيها . اما ناظم دررها الغوالي فيحق له ان يجلس على عرش دولة البيان ويلقب بأمير الشعر في هذا العصر ، كما يسلم بذلك كل من يطالع هذه القصيدة النفيسة ، وان كان يؤاخذ شاعرها بانه مزج الدين بالسياسة – ولا دين للسياسة . فها هي الدول التي كانت معادية لتركيا بالامس تكاد اليوم تشهر بعضها على بعض حرباً طاحنة وهي على دين واحد ومعتقد واحد :

يا أختَ أندَلُسٍ عليكِ سلامُ ... هوَتِ الخلافةُ عنكِ والإسلامُ
نزلَ الهلالُ عن السماءِ فليتَها ... طُويت وعمَّ العالمينَ ظلامُ
أزرى بهِ وأزالَهُ عن أوجهِ ... قَدَرٌ يحطُّ البدرَ وهو تمامُ
جرحانِ تمضي الأمَّتانِ عليهما ... هذا يسيلُ وذاكَ لا يَلتامُ
بكما أُصيبَ المسلمونَ وفيكما ... دُفنَ اليراعُ وغيِّبَ الصمصامُ
لم يُطوَ مأتمُها وهذا مأتمٌ ... لبسوا السوادَ عليكِ فيهِ وقاموا
ما بين مصرعِها ومصرعكِ انقضت ... فيما نحبُّ ونكرهُ الأيَّامُ

خلَتِ القرونُ كلَيلةٍ وتصرَّمت　　دولُ الفتوحِ كأنها أحلامُ
والدهرُ لا يألو الممالكَ منذراً　　فاذا غفلنَ فما عليهِ مَلامُ

* * *

مقدونيا ، والمسلمونَ عشيرةٌ ،　　كيف الخؤولةُ فيكِ والأعمامُ ؟
أتراهمو هانوا وكانَ بعزّهم　　وعلوّهم يتخايلُ الاسلامُ ؟
اذ أنتِ نابُ الليثِ ، كلُّ كتيبةٍ　　طلعت عليكِ فريسةٌ وطعامُ
ما زالتِ الأيامُ حتى بُدِّلت　　وتغيَّر الساقي وحالَ الجامُ
أرأيتِ كيف أُديلَ من أُسْدِ الشرى　　وشهدتِ كيف أُبيحتِ الآجامُ
زعموكِ همًّا للخلافة ناصباً　　وهلِ الممالكُ راحةٌ ومنامُ
ويقولُ قومٌ كنتِ أشأمَ موردٍ　　وأراكِ سائغةً عليكِ زحامُ
ويراكِ داءَ المُلْكِ ناسُ جهالةٍ　　بالمُلكِ منهم علّةٌ وسقامُ
لو آثروا الاصلاحَ كنتِ لعرشِهم　　ركناً على هامِ النجومِ يقامُ
وهمُ يقيّدُ بعضُهم بعضاً بهِ　　وقيودُ هذا العالمِ الأوهامُ
صُوَرُ العمى شتّى وأقبحُها اذا　　نظرتْ بغير عيونهنَّ الهامُ
ولقد يقامُ من السيوفِ وليسَ من　　عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيامُ

* * *

ومبشّرٍ بالصلحِ قلتُ لعلّهُ　　خيرٌ عسى أن تصدقَ الأحلامُ
تركَ الفريقانِ القتالَ وهذهِ　　سِلْمٌ أمرُّ من القتالِ عقامُ
ينعى الينا المُلكَ ناعٍ لم يطأْ　　أرضاً ولا انتقلتْ بهِ أقدامُ
برقٌ جوائبُهُ صواعقُ كلُّها　　ومن البروقِ صواعقٌ وغمامُ
ان كانَ شرٌّ ، زارَ غيرَ مفارقٍ ،　　أو كانَ خيرٌ ، فالمزارُ لمامُ
بالأمس أفريقا تولّت وانقضى　　مُلكٌ على جيدِ الخضمِّ جسامُ

نظم الهلالُ بهِ ممالكَ أربعاً أصبحنَ ليس لعقدهنَّ نظامُ
من فتحِ هاشمَ أو أميَّةَ لم يضعْ آساسَها تترٌ ولا أعجامُ
واليوم حُكمُ اللهِ في مقدونيا لا نقضَ فيهِ لنا ولا ابرامُ
كانت من الغربِ البقيةُ فانقضت فعلى بني عثمانَ فيهِ سلامُ

* * *

أخذَ المدائنَ والقرى بخناقها جيشٌ من المتحالفينَ لهامُ
غطَّت بهِ الأرضُ الفضاءُ وجوهَها وكست مناكبَها بهِ الآكامُ
تمشي المناكرُ بين أيدي خيلهِ أنَّى مشى والبغيُ والإجرامُ
ويحثُّهُ باسم الكتابِ أقسَّةٌ نشطوا لما هو في الكتاب حرامُ
ومسيطرون على الممالكِ سُخّرت لهم الشعوبُ كأنها أنعامُ
من كلِّ جزّارٍ يرومُ الصدرَ في نادي الملوكِ وجَدُّهُ غنّامُ
سكّينهُ ويمينهُ وحزامهُ والصولجانُ جميعُها آثامُ

* * *

عيسى سبيلُك رحمةٌ ومحبةٌ في العالمينَ وعصمةٌ وسلامُ
ما كنتَ سفَّاكَ الدماءِ ولا امرأً هانَ الضعافُ عليهِ والأيتامُ
يا حاملَ الآلامِ عن هذا الورى كثُرت عليهِ باسمكَ الآلامُ
أنت الذي جعلَ العبادَ جميعَهم رَحِماً وباسمك تُقطعُ الأرحامُ
أتتِ القيامةُ في ولاية يوسفٍ[1] واليومَ باسمكَ مرتين تقامُ
كم هاجَهُ صِيدُ الملوكِ وهاجَهم وتكافأ الفرسانُ والأعلامُ
البغيُ في دينِ الجميعِ دنيّةٌ والسلم عهدٌ والقتالُ ذمامُ
واليومَ يهتفُ بالصليبِ عصائبٌ هم للاله وروحهِ ظُلّامُ

(١) يوسف صلاح الدين الايوبي

خنطوا صليبَك والخناجرَ والمُدى　　　كلٌّ اداةٌ للأذى وحِمامُ
أوَ ما تراهم ذبَّحوا جيرانَهم　　　بين البيوتِ كأنهم أغنامُ
كم مُرضَعٍ في حجر نعمتهِ غدا　　　ولهُ على حدِّ السيوفِ فطامُ
وصبيةٍ هُتكت خميلةُ طهرِهـا　　　وتناثرت عن نَورهِ الاكمامُ
وأخي ثمانينَ آستبيح وقارُهُ　　　لم يغنِ عنهُ الضعفُ والأعوامُ
وجريحِ حربٍ ظامئٍ وأدُوهُ لم　　　يعطفهمو جرحُ دمٍ وأوامُ
ومهاجرينَ تنكَّرت أوطانُهم　　　ضلّوا السبيلَ من الذهولِ وهاموا
السيفُ ان ركبوا الفرارَ سبيلُهم　　　والنطعُ ان طلبوا القرارَ مقامُ
يتلفّتونَ مودّعينَ ديارَهم　　　واللحظُ ماءٌ والديارُ ضرامُ

***

يا أمةً بفروقَ فرّقَ بينهم　　　قَدَرٌ تطيشُ اذا أتى الأحلامُ
فيما التخاذلُ بينكم ووراءكم　　　أممٌ تُضاعُ حقوقُها وتضامُ
الله يشهد لم أكن متحزّباً　　　في الرزءِ لا شيَعٌ ولا أحزامُ (١)
واذا دعوتُ الى الوئام فشاعرٌ　　　أقصى منـاه محبـةٌ ووئامُ
من تُضجرُ البلوى فغايةُ جهدهِ　　　رُجعَى الى الأقدار واستسلامُ
لا يأخذنَّ على العواقب بعضكم　　　بعضاً فقِدْماً جارتِ الأحكامُ
تقضي على المرءِ الليـالي أو لهُ　　　فالحمد من سلطانها والذامُ
من عادةِ التأريخ ملءُ قضائهِ　　　عدلٌ وملءُ كنانتيهِ سهـامُ
ما ليس يدفعـهُ المهنَّدُ مصلَتاً　　　لا الكتْبُ تدفعـهُ ولا الأقلامُ
انَّ الألى فتحوا الفتوح جلائلاً　　　دخلوا على الأسُدِ الغياضَ وناموا
هذا جنـاه عليكمو آباؤكم　　　صبراً وصفحاً فالجناة كرامُ

(١) الاحزاب وزناً ومعنى

رفعوا على السيف البنــاء فلم يَدُمْ　　　ما للبنــاء على السيوف دوامُ
أبقى الممالكِ ما المعــارف أسُّهُ　　　والعدل فيــهِ حائطٌ ودعامُ
فاذا جرى رشداً ويمناً أمرُكم　　　فامشوا بنورِ العـلم فهو زمامُ
ودعوا التفاخرَ بالتُراث وان غلا　　　فالمجد كسبٌ والزمان عصامُ
ان الغرور اذا تملَّك أمةً　　　كالزهر يُخفي الموت وهو زؤامُ
لا يعدلنَّ المُلك في شهواتكم　　　عَرَضٌ من الدنيـا بدا وحُطامُ
ومناصبٌ في غير موضعها كما　　　حلَّت محلَّ القدرة الأصنـامُ
الملكُ مرتبة الشعوبِ فان يفتْ　　　عزَّ السيــادة فالشعوب سوامُ
ومن البهائم مُشبَعٌ ومدلَّلٌ　　　ومن الحرير شكيمةٌ ولجامُ
وقف الزمانُ بكم كموقف «طارقٍ»　　　اليأس خلفٌ والرجاء أمامُ
الصبر والإقدام فيهِ اذا همـا　　　قَتلاَ فأقتلُ منهمـا الإحجامُ
يُحصي الذليلُ مدى مطالبهِ ولا　　　يُحصي مدى المستقبَلِ المقدامُ
هذي البقية لو حرصتم دولةٌ　　　صال الرشيد بهـا وطال هشامُ
قِسمُ الأئمةِ والخلائف قبلكم　　　في الأرض لم تُعدَل بهِ الأقسامُ
سرَت النبوَّة في طهورِ فضائهِ　　　ومشى عليهِ الوحيُ والإلهـامُ
وتدفَّقَ النهرانِ فيــهِ وأزهرت　　　بَغداد تحت ظلالهِ والشامُ
أثرتْ سواحله وطابت أرضــهُ　　　فالدرّ لجٌ والنُضار رغامُ

***

شرَفاً أدِرْنَةُ هكذا يقف الحمى　　　للغاصبين وتثبت الأقــدامُ
وتَردُّ بالدم بقعــةٌ أُخذت بهِ　　　ويموت دون عرينــهِ الضرغامُ
والمُلك يؤخذُ أو يُرَدُّ ولم يزل　　　يرث الحسامَ على البلاد حُسامُ
عِرضُ الخلافةِ ذاد عنهُ مجاهدٌ　　　في الله غازٍ فـي الرسول همامُ

تستعصِمُ الاوطانُ خلف ظباتهِ　　وتعزُّ حول قناتهِ الأعلامُ
عثمانُ في بردَيه يمنع جيشهُ　　وابن الوليـد على الحمى قوَّامُ
علم الزمان مكان «شكري» وانتهى　　شكر الزمانِ اليهِ والإعظامُ

* * *

صبراً أدِرْنَةُ كل مُلكٍ زائلٌ　　يوماً ويبقى المالك العلاَّمُ
خفَتَ الإذانُ فما عليكِ موحّدٌ　　يسعى ولا الجُمَع الحسانُ تقامُ
وخبت مساجدُ كنّ نوراً جامعاً　　تمشي اليـهِ الأسد والآرامُ
يدرجنَ في حرم الصلاة قوانتاً　　بيضَ الازار كأنهنَّ حَمامُ
وعفَت قبور الفاتحين وفُضَّ عن　　حُفَرِ الخلائف جنـدل ورجامُ
نُبشت على قعساءِ عزّتهـا كما　　نُبشت على آستعلائها الاهرامُ
في ذمة التـاريخ خمسةُ أشهرٍ　　طالت عليكِ فكل يوم عامُ
السيف عار والوباءُ مسلطٌ　　والسبـل خوفٌ والثلوج ركامُ
والجوع فتّاكٌ وفيكِ صحابةٌ　　لو لم يجوعوا في الجهاد لصاموا
ضنُّوا بعرضِكِ أن يباعَ ويُشترى　　عِرضُ الحرائر ليس فيهِ سوامُ
ضاقَ الحصارُ كأنما حلقاتهُ　　فلكٌ ومقذوفاتهـا أجرامُ
ورمى العدى ورميتِهم بجهنّمٍ　　ممـا يصبُّ الله لا الأقوامُ
بعتِ العدوَّ بكل شبرٍ مهجةً　　وكذا يباع المُلك حين يرامُ
ما زال بينكِ في الحصار وبينهُ　　شُمُّ الحصون ومثلهنَّ عظامُ
حتى حواكِ مقابراً وحويتـهِ　　جثثاً فلا غبنٌ ولا استذمامُ

ازهار واشواك

نقل رفات اليازجي



أمضي وتبقى صورتي فتعجَّبوا | تمضي الحقائقُ والرسومُ تقيمُ
والموت تجليةُ الحيـاةُ فلو حوى | روحاً لمات الهيكلُ المرسومُ

الشيخ ناصيف اليازجي

لا يحقُّ لنا بعد الآن ان نقولَ ان الشرق لا يزال يجهل قدر أُدبائهِ ونوابغهِ . فان الحركة التي رأيناها في هذه السنة لاكرام الاحياء من ادبائنا وكتَّابنا ، وتخليد ذكر الدارجين منهم تدلُّ على نهضةٍ مباركةٍ في

النفوس وترقٍّ محمود في الأخلاق

أقول ذلك بمناسبة الحفلة المؤثّرة التي أُقيمت على أحد أرصفة



أنت في الدنيا كضيف نازلٍ　　حلَّ في الاحياء حيناً وانصرفْ

فاحيَ بالذكرِ اذا العمرُ انقضى　　واجعلِ الرسمَ من الجسمِ خَلَفْ

الشيخ ابرهيم اليازجي

محطة مصر في الرابع من الشهر الجاري وداعاً لعظامٍ بالية كانت تحييها بالأمس روح نابغةٍ من نوابغ كتّابنا ، وقد أتى جمهورٌ من الادباء والوجهاء

والفضلاء في مصر يشيعون تلك العظام بتجلة واكرام كما يُشيّع الامراء والملوك ، واحتشدوا يبكون سليل الأسرة اليازجية ويعددون فضلهُ ومناقبهُ

افتتح التآبين والمراثي سعادة احمد باشا زكي سكرتير مجلس النظار فأطنب في مدح الفقيد وغيرتهِ على لسان العرب ورثاهُ باسم مصر بكلام فصيح بليغ، ونحا نحوهُ حضرة رفيق بك العظم ، فأتى في خطاب جامعٍ على لمحةٍ من تاريخ اللغة العربيــة ونهضتها منذ نصف قرن على يد أمثال البستاني والنقاش واليازجي والأسير والشدياق . وتكلم على الأثر الدكتور خليل بك سعاده موجهاً الخطاب الى الفقيد الكريم وقد أخذ التأثر منهُ ومن الحاضرين مبلغه . ثمَّ ألقى خليل مطران قصيدةً من شعرهِ المعروف بسموّ الافكار وابتكار المعاني ، قال في مطلعها :

أحننتَ من شوقٍ الى لبنانِ   وا رحمتا لكَ من رهينٍ عانِ
شوقٌ تكابدُهُ ويثوي منكَ في   مثوى الرُّؤى من مهجةِ الوسنانِ
جسُّوا مظنَّةَ حسّهِ ، أفنــابضٌ   فيها فؤادُ متيّمٍ ولهانِ
واستطلعوا الرسمَ المحيلَ فهل بهِ   يومَ المآب لقرّةٍ عينانِ

وقال في ختامها مخاطباً نعش الفقيد :

ابلغْ وديعتَنا الى أحبابنــا   واحمل تحيّتنا الى الأوطانِ
كنا نودُّ بك المصيرَ الى الحمى   وتأسّيَ الإخوانِ بالإخوانِ
لكن عدانا البينُ دون عناقِهم   فتولَّ وليتعانقِ الدمعانِ

وأنشد أسعد افندي داغر أبياتاً جميلة استنهض بها سوريا لتستقبل الوديعة الثمينة التي تردّها اليها مصر اليوم

ثمَّ صفر البخار مؤذناً في الرحيل وقطر العجلة الخصوصية التي تقلُّ رفات فقيد اللغة وقد كُسيت باكاليل الزهر والريحان . وسارت وراءها الأبصار والقلوب تشيعها من القطار الى الباخرة ومن الباخرة الى ثغر بيروت حيث يستقبلها ادباء سوريا كما ودَّعها ادباء مصر لتُضمَّ هناك عظام ابرهيم الى عظام أبيهِ ناصيف ، وشقيقهِ ، خليل في مدفنٍ واحد وقد كُتبت عليهِ تلك الأبيات التي تصدق في الوالد والولد وهي من نظم الفقيد :

هذا مقامُ اليازجيِّ فقفْ بهِ ... وقُل السلامُ عليكَ يا علَمَ الهدى
حَرَمٌ تحجُّ اليهِ أربابُ الحجى ... أبداً وتدعو بالمراحمِ سَرمدا
هو مغربُ الشمسِ التي كم اطلعت ... في شرقِ آفاقِ البلاغة فرقَدا
فخرُ النصارى صاحبُ الغُرر التي ... ضرَبتْ على ذكرِ « البديع » و « احمدا »
هذا عمادُ العلم مال بهِ القضا ... وأمال ركناً للعلوم مشيَّدا
أمسى تجاهَ البحر جانبَ تربةٍ ... هي « مجمع البحرين » أشرف محتدا
فعليك يا ناصيفُ خيرُ تحيةٍ ... طابت بذكرك حيثُ فاح مردّدا
لو أنصفتك النائبات لغيَّرت ... عاداتها ووقتكَ حادثة الرَّدى
تتنزلُ الأملاكُ حولك بالرضى ... ويجودُ فوقك باكراً قطرُ الندى
وجميلُ حظّك في المماتِ برحمةٍ ... أرّخ وفضلكَ في الصحائفِ خُلّدا

هذا بعض ما يسمح لي المقام بذكرهِ عن حفلة مساء يوم الاربعاء على محطة مصر . وقد زاد الموقف وقاراً وخشوعاً وجود أخت الفقيد السيدة وردة اليازجي الشاعرة المجيدة وهي متشحة بالسواد ، مكسورة الفؤاد . نظرتُ اليها عن بعدٍ محترماً حزنها ، وراثياً لمصابها ، ولم اتمالك من سكب دمعة عند منظر هذه « الخنساء الجديدة » ماصر

ثمرات المطابع



فتحي باشا زغلول

* شرح القانون المدني[1] — هذا كتاب لم يوجد في مصر باللغة العربية من قبل اليوم ؛ ورُبَّ كتابٍ واحدٍ يعدل جملة كتب . وضعهُ سعادة المفضال احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقّانية ؛ وكفى بذكر اسم

(١) يطلب من مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة بمصر وثمنه مئة قرش صاغ

ذلك الرجل دليلاً على فضله . وقد رمى سعادته بنشر هذا المؤلّف النفيس الى ثلاثة أغراض : «اولها تقريب قواعد القانون المدني من أذهان الكافة تسهيلاً لمعرفة أحكام المعاملات ؛ وثانيها افادة طلبة الحقوق في درسهم بما يجدونه فيهِ من المرشد الى المعلومات التي يحتاجون لمراجعتها فيكون لهم منهُ متنٌ يذكّرهم بما تلقّوه ؛ وثالثها استنهاض همة القانونيين الى الاشتغال بالقانون المدني ووضع ما يحتاجه من الشروح باللغة العربية ليكون لنا من وراء عملهم مؤلفات تغنينا عن التماس علم القانون من غيرنا على الدوام » . فالكتاب ، على ما ترى ، مفيد من ثلاث جهات ، ولازم لكل جهة على حدة . وليس يعرف ما عاناه المؤلف الفاضل من التعب في وضع هذا الكتاب سوى المشتغلين بعلم الحقوق من طلبةٍ ومحامين وقضاة . فان القانون المدني المصري انما أُخذ في معظمهِ عن القانون المدني الفرنساوي أخذاً انتقده المتشرّعون ، وعابهُ القانونيون من وجوه شتى ، فلا جرَم ان يكون قد لقي فتحي باشا في وضع الشرح المذكور عقبات كؤوداً ، وكابد مشقّات جلّى ، حتى تسنّى له ان يُخرج للناس هذا المؤلَّف المفيد . والى هذا أشار سعادتهُ بقوله : «أتعبني النصُّ الفرنساوي بايجازه المخلّ وتشويش ترتيبه الذي يشتت الذهن ويضيع الوقت ؛ ولكنّ النصّ العربي أعياني اعياء » . وقد قسم الكتاب الى أربعة أقسام هي : قسم الاشخاص والاموال وما يترتب عليها من الحقوق ؛ وقسم التعهدات والالتزامات ؛ وقسم العقود المعينة والتأمينات ؛ وقسم الأدلة . واعتمد في ذلك جميعه الرجوع الى أشهر المؤلفين باللغتين العربية

والفرنساوية فجاء الكتاب الذي نحن بصدده مرجعاً يُرجع اليه ، وموردًا سائغًا يُستقى منه

« فشرحُ القانون المدني » حلقة جديدة أُضيفت الى سلسلة ذهبية مما ألَّفهُ وترجمهُ احمد فتحي زغلول تلك السلسلة التي تعلّق اسم هذا الرجل المفضال الى جانب أسماء الرجال الذين عملوا حقيقةً على افادة الأمة المصرية ، وخدموها اجلَّ الخدمات ، فحفظ لهم التاريخ الذكر الطيّب والجميل المظيم

* محاسن الطبيعة [١] — للمرحوم اللورد افبري شهرة واسعة بين أهل العلم والأدب لا يجهلها أحد ممن وقف على مؤلفاتهِ الكثيرة وآرائهِ الشهيرة . وقد نُقلت مؤلفاته الى معظم اللغات الاوروبية وغيرها وكان للغة العربية حظ باربعة منهـا عني بنقلها اليها حضرة الكاتب الأديب وديع افندي البستاني وهي : « معنى الحياة » و « مسرات الحيـاة » و « السعادة والسلام » و « محاسن الطبيعة » . وقد ظهر الكتاب الأخير حديثاً فاذا بهِ كسائر مؤلفات ذلك الرجل العظيم آية من آيات السحر الحلال اذ بحث فيهِ المؤلف في عالَمي الحيوان والنبات ثمَّ تناول وصف المناظر التي يتألف منها عالم الشهادة كالبحور والانهار والبراكين والجبال والأودية والافلاك على اختلاف أنواعها . فوصف محاسن كلٍ منها بما لم يبقَ معهُ مطمعٌ لمستزيد ، ونسَّق كلامهُ احسن تنسيق بحيث يأخذ بمجامع الفؤاد فلا يكاد القارئ يفرغ من قراءة وصف حتى يتشوّق الى

(١) طُبع بمطبعة المعارف ويطلب منها وثمنه ٦ قروش صاغ

غيره، وهذه احدى مميزات هذا الكتاب

ولا شك ان اللغة العربية في افتقار شديد الى أمثال هذه المؤلفات الأدبية مع أنها غنية بالكتب التي كان يجب ان تكون غنيةً عنها . ويسرنا أن نرى اليوم في الشرق يقظةً لمطالعة المؤلفات الأدبية مما يبشرنا بنهضة جديدة يكون للّغة من ورائها حياة جديدة . ولا يخفى ان مقياس ارتقاء كل امة هو مؤلفاتها الأدبية فبقدر انتشار هذهِ المؤلفات تكون رفعة شأنها ومبلغ عظمتها

والمجال أضيق من أن يتناول اسهاباً في وصف كتاب « محاسن الطبيعة » المشار اليهِ فهو حافل بفوائد تضيق هذه السطور عن تعدادها ويكفي القول بانهُ من الكتب التي قد اهتمت مطبعة المعارف بنقلها ونشرها مع ما هو معروف عن هذه المطبعة من الحرص في نشر الكتب الجزيلة النفع بين ابناء اللغة العربية

ومما يزيد في قدر الكتاب الذي نحن بصدده انهُ صدر بيننا على أثر وفاة مؤلفهِ اللورد افبري ؛ فقد نعاه الينا البرق منذ نحو اسبوع بعد ان ناهز الثمانين من عمره . فذهب مبكياً عليهِ وترك وراءهُ ذكراً يبقى ما بقي العلم والأدب

س .

* لسان العرب — مجلة « تاريخية اجتماعية علمية أدبية » يصدرها في الاستانة مرَّة في كلّ شهر حضرة الفاضل احمد عزت افندي الاعظمي. وقد تصفحنا ما ورد علينا منها فراقنا ما احتوتهُ من المواضيع ورجونا لها سعة الانتشار

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الخامس يوليو (تموز) ١٩١٣ السنة الرابعة

الرئيس بوانكاره

« في بلاد الانكليز »

ثلاثةٌ من رؤساء الجمهورية الفرنسوية زاروا عاصمة بريطانيا العظمى في السنوات العشر المنقضية :

زارها مسيو اميل لوبه سنة ١٩٠٣ ، وكانت الدولتان لا تزالان في مناظرةٍ شديدة ، فأُبرم في السنة التي تلت الاتفاقُ الانكليزي الفرنسوي الذي قلب سياسة العالم ، وغيّر موقف دول اوروبا تجاه بعضها بعض

وزارها مسيو أَرمان فاليير سنة ١٩٠٨ ، وكانت الدولتان العظيمتان قد ادركتا فوائد اتفاقهما ، وشعر العالم بنتيجة اتحادهما ؛ وجاء المعرض الانكليزي الفرنسوي الذي أُقيم في لندرا محكماً تلك الروابط الجديدة بين ابناء « السين » وأبناء « التاميز » .

وزارها مسيو ريمون بوانكاره في الشهر الفائت ، فبالغ الشعب

البريطاني في إكرامهِ والاحتفاء بهِ . وتجلّى اتفاق فرنسا وانكلترا بابهى مجاليه ، وأسنى مظاهره

قال أحد كبار الساسة الانكليز منذ نصف قرن « ما اتفقت فرنسا وانكلترا على أمرٍ ، إلاَّ وكان ذلك الأمر لخير الانسانية وتأييد العدل »

والآن نسمع شعوباً كثيرة تئنُّ ، وأُمماً عديدة تشكو . ونرى من جهةٍ ثانية فرنسا وانكلترا متصالحتين متفقتين . فهل يكون هذا الاتفاق لخير تلك الأمم الشاكية ، وإنصاف هاتيك الشعوب المظلومة . . ؟

هذا ما يرجوهُ المتعطشون الى العدل ، الراغبون في الحرية ، التائقون الى الحياة

***

اكرمت بريطانيا العظمى في شخص زائرها الكريم دولة الحرية والمساواة والاخاء ، تلك الكلمات الثلاث التي ستعيّد لها الأمة الفرنسوية في الرابع عشر من هذا الشهر ، والتي تحاول كلُّ أُمةٍ من الأمم المتمدينة ان تجعلها شعاراً لها

اكرم الانكليز في شخص رئيس الجمهورية ممثّل صديقة اليوم ، وحليفة الغد ، ونصيرة النور والعرفان

واكرموا فيهِ فوق ذلك الرجل الممتاز بصفاته العالية واخلاقهِ السامية ، الخطيب المفوّه ، والكاتب النحرير ، والسياسي القدير الذي أجمع الجميع على احترام شخصيته

فقال لهُ ملك بريطانيا وامبراطور الهند في خطبة الترحيب ، ما لم

نسمعه في الخطب التي يتبادلها رؤساء الحكومات واصحاب التيجان ، قال :

« أنا سعيدٌ بان أرى في ضيافتي رجلاً ممتـازاً بخدمهِ الجليلة ، ذا شهرةٍ بعيدة ، ليس فقط في عالم السياسية ، بل أيضاً في تلك الجمعية الاكاذمية التي هي موضوع مجدٍ لفرنسا منذ ثلاثة قرون تحسدها عليـهِ أوروبا جمعاء »

هذا ما قالهُ جورج الخامس الذي لا تغيبُ الشمس عن أملاكهِ لابن الشعب الذي توصّل بجده واجتهاده الى أعلى مقامٍ يحلمُ بهِ الانسان

أماَّ الأمة الانكليزية فقد عبّرت عن إعجابهـا وابتهاجها ، كما يُعبّر الشعب ، بلا تصنّعٍ ولا تكلُّفٍ . فكان هتاف التحية والنصر يتصاعدُ من كل الصدور ، لفرنسا ولرئيسها وللحرية ؛ ولم ينسوا في هتافهم اللورين ، أم الرئيس ، وابنة فرنسا المفقودة !

وكان الرجالُ والنساء حاملين الازهـار الزرقاء والبيضاء والحمراء : ألوان الراية الفرنسوية . وفي أحد الشوارع سُمع صوت الفونوغراف يحيي الرئيس وينشد المرسليز ، كما سمع صوت الببغاء يحيي اغسطوس قيصر عند دخوله رومه . . .

***

ثلاثة أيامٍ قضاها بوانكاره في عاصمة الانكليز بين مجالي الابتهاج ومظاهر الحفاوة : عند وصوله حيّاهُ الاسطول الانكليزي باطلاق المدافع ؛ وعند سفره شيّعتهُ ست طياراتٍ محلقةً فوق البارجة التي تقلّه . وهكذا ارادت انكلترا ان تحيي فرنسا وطن فنّ الطيران

وقد كان للطيارين شأن يذكر في هذه الزيارة . فان جريدة «الماتن» سألت كبار رجال السياسة والادب رأيهم في زيارة الرئيس لانكلترا وطبعت من العدد الذي نشرت فيه الاجوبة ثلاث نسخ على الحرير ، ولم ترسلها في البريد بل سلمتها الى أحد الطيارين الفرنسويين ، فحملها طائراً من باريس الى لوندرا ، ودفع نسخةً منها الى الملك جورج ، ونسخةً الى الرئيس ، ونسخةً الى محافظ لوندرا

***

ولم تنقضِ هذه الزيارة دون ان نسمع صوتاً للشعراء — صوتاً واحداً — ولو كان ذلك عندنا لسمعنا ألف صوت . . !

شاعر انكلترا الكبير روديرد كيبلنغ (Rudyard Kipling) حيًّا الرئيس بقصيدة وجهها الى فرنسا ، قال :

« انتِ التي عرفت كلّ شقاء معروف وتغلبت عليه
لانكِ تحملين في صدرك حب الحياة السليم : وهو درع بلاد غاليا[1]
ففي مغامر النعمة لا تعرفين حداً . وفي مواطن الجهد لا تعرفين ضعفاً
انت الرهيبة بقوةٍ تستمدينها من تربةٍ لا ينفد غناها
تحكمين أشدّ الاحكام على قدرك وشانك . وانتِ الأمة الرؤوفة بالغير
انتِ الأولى في اتباع الحقيقة الجديدة ، والاخيرة في ترك الحقائق القديمة
انتِ فرنسا التي تحبها كل نفس عطوفة الى حب الناس

***

أتذكرين انا قبل مولدنا كنا جنباً الى جنب نضطرب ، كنا معاً في حجر رومة متحرجين لنبدأ بالعراك ،

(١) اسم بلاد فرنسا القديمة

قبل ان يعرفوا تباين لغاتنا كانوا يعرفون مستقبل مهمتنا
كل واحد من هذين الشعبين كان في آن واحد يهيئ مستقبله ، ويرتّب مصير أخيه
فلهذا هززنا نحن الاثنين الانسانية الى أن صارت الارض كلها أرضنا !
ومن أقصى العالم الى أقصاه أثارت منازعاتنـــا السلطات وشيدت عروشاً وقوضت عروشاً
وذلك لكي يسد الواحد منا الطريق في وجهِ الآخر
تلك شعوب اتخذناها مقدَّماتٍ لنا . فكانت اجيرات سخطنا وغضبنا
لهذا ملأنا البحار عواصف ، واجتزنا أبواب العالمين الجديدة دون ان نعرف من منا نحن الاثنين كان السابق
أتذكرين ؟ ويد كل واحد منا على قائم سيفه . وكلنا مستعد ليضرب . وكلنا واثق بأن الملتقى ، مهما كان ، آئل الى المعركة . كنا شاكي السلاح ، لا يخطو احدنا خطوة الاَّ اوقفته قوة الآخر ، أو دفعته الى الأمام .
لقد اجتزنا طول العصور والاحقاب وقطعنا عرض البحار كلها

٭٭٭

فأين تقهقرتِ أمامنا ؟ ؟ ومتى تقهقرنا أمامكِ ؟ ؟
سلي أمواج البحار : كل موجة منها قد عرفت احدى معاركنا
أجل حالت بيننا احياناً شعوب اخرى . لكننا كنا نتركها لنعاود الكرة على بعضنا بعض ، لأننا كنا نلذ جميعاً بتعادلنا في الجلاد
كان كل واحد منا للآخر سراً وجزعاً وحباً ، كنا نتقابل بشعارنا
فأية معركة كانت تشرّف احدنا بالعراك كمعاركنا ونحن الخصمان الباسلان
كان أحدنا ينتزع من حلق الآخر شهادة له ببسالته ، وهتاف اعجاب به
وكلانا صب في جام أخيه دمه ممزوجاً بدمعه : افراح البأس ، والآمال بلا حد ، والاشجان الشديدة .

وكل ما لوّث الحياة ، وكل ما رفعها وأعلاها منذ ألف عام ، أعمال تنوء بها القوى ، ومعارك تحت كل شمس وسماء : هذه هي افعالنا المشتركة يا فرنسا الصديقة !

* * *

متعانقين الآن تحت عبء واحد من الذكرى والندم أصبحنا نتوق الى الراحة ، ضاحكين من الخدع القديمة التي صرنا الآن نراها ألاعيب

وننظر الى اقبال سنين جديدة متسائلين هل يمكن أن تثور عواصف أشد من التي أثرناها . والآن نسمع أصواتاً جديدة تتعالى وتتساءل وتتفاخر وتنادي كما كنا ننادي صاخبين ، عند ما تتدفق جماهيرنا : أتذكرين ؟ ؟

حباً بالحياة ذاتها كان أحدنا يتفحّص حسام الآخر ، فأي دم وأي حسام يفعلان اكثر مما فعلنا ؟ ؟

فيا لها من مدرسة صارمة تعلمنا فيها أن يعرف الواحدُ منا الثاني

نحن الذين تغازينا سواحلنا وتناهبنا منازلنا

من يوم رنّ سيفُ برنوس[1] وهو واقع في ميزان رومه !

ونحن اليوم نتماسك ثانية جسماً لجسم لصون سلام الأرض بالسهر عليه نقياً من كل دم »

فكان لهذه القصيدة أعظم وقع في النفوس ، وتناقلتها صحف الأمتين معلقة عليها الكلمات الطيبة لما تضمنتهُ من الشعور الصحيح والخيال الراقي . وانبرى لردّ التحية الشاعر الفرنسوي فرنان غريك ، ونحن نقتطف من قصيدته بعض مقاطعها :

« أجل أيها الرفاق ! كلانا أبلى في القتال بلاء حسناً .

(١) Brennus احد القواد الغالبين غلب رومة وفرض عليها جزية باهظة . وبينما كان الرومان يزنون الذهب شكوا من تلاعب الوزّانين ، فرمى برنوس بسيفه في كفة الميزان ليزنوا ايضاً ثقله ذهباً وقال : ويل للمغلوبين!

كان اسطولانا يجوبان البحار ، ويطرقان المواني ، يبحث الواحد عن الثاني

كان اسطولكم ضخماً قوياً متغلباً على ثبَج البحر

وكان اسطولنا رشيقاً فتاً كاً مزيناً بالاعلام وكلاهما ملك البحر والهواء

رآهما العالم من بريطانيا العظمى الى اميركا يتقاتلان في أماكن لا اسم لها ولا ذكر وقد أصبحت مشهورة بعد معاركنا . . .

والآن ، وقد اطرحنا الحقد ، يمكننا ان نقص على بعضنا بعض تاريخ مواقعنا الهائلة دون ان نخجل من الماضي

أما جان درك ونابوليون فان احترامكم وتمجيدكم لهما الآن يمحو كلَّ ذكرٍ سيء . . .

بلى يقال عنا معشر الفرنسويين اننا نملأ الأرضَ ضجيجاً ، ونصمّ الآذان بنداداتنا بالحرية والمساواة والاخاء

بلى ولكننا كثيراً ما نجتزّ رؤوس بعضنا بعض من أجل هذه الكلمات ، وذلك ليستفيد العالم !

فلنأتلف يا انكلترا ذات العقل الشريف واليد القوية

فنقوى حينئذٍ على تسكين آلام العالم وسدّ ينابيع الدمّ . »

عطلة الصيف

هذا هو الجزء الأخير الذي يصدر من مجلة الزهور قبل عطلة الصيف . وموعدنا والقراء الكرام اوّل اكتوبر القادم

***

أصدرت ادارة هذه المجلة في سنتها الأولى ، بعنوان مصر وسوريا عدداً كبيراً ممتازاً جمعت فيه اقوال الكتّاب والشعراء قديماً وحديثاً في القطرين الشقيقين ، كان لهُ احسن وقع في عالم الأدب

وقد عزمت في هذه السنة أيضاً على اصدار عددٍ ممتازٍ في موضوع خاص شأن المجلات الكبرى في اوروبا . ولما كانت الزهور لم تفتأ منذ نشأتها تواصل السعي في ايجاد صلة تعارفٍ بين ادباء الأقطار العربية ، رأت — اتماماً للفائدة ، وإجابة لرغبة الكثيرين من القرّاء — ان تجعل موضوع ذلك العدد الخصوصي

مراكش والجزائر وتونس وطرابلس

وستجمع فيه خلاصة ما يهم القرّاء معرفتهُ عن تلك البلاد العربية ، وحالتها الأدبية والاجتماعية ، ومشاهير كتّابها وشعرائها ، ومدارسها وصحافتها وانديتها ، الى غير ذلك من الشؤون المتعلقة بها . وسنسعى الى الحصول على الصور والرسوم اللازمة زيادة في التفكهة والفائدة

ونحن نرغبُ الى قرائنا ان يمدّونا بآرائهم ، ويوافونا بما لديهم من من المعلومات عن هذا الموضوع ، لتكون هذه الهدية التي نمدُّها لهم اكثر فائدة ، وأتمّ رونقاً

زواج ابنة غليوم الثاني

او مصالحة أُسرتي هانوفر وهوهنزُلرن ٢٤ ايار ١٩١٣

كثر عدد الذين خافوا على الامبراطورية الالمانية من سنة ١٩١٣ . وذهب القوم في تأويل هـذا الخوف وتعليله مذاهب شتى . وقد رووا لنـا — وكانت مجلة « الزهور » في جملة الراوين — ما تنبأ بهِ بعضهم للامبراطور غليوم الاول من ان سنة ١٩١٣ ستكون سنة شؤم وبؤسٍ على أُسرة هوهنزلرن ، وانهُ يخشى فيهـا على الامبراطورية الالمانية من الانقراض . وها قد مضى من هذه السنة نصفها ، ولم نرَ فيها ما يُنذر بتحقيق تلك النبوة ، بل إنَّ عامنا هذا لم يحمل حتى الآن في طيات أيامهِ ولياليهِ إلاَّ ما سرَّ له الالمان وابتهجوا . فقد وقع فيهِ تذكاران مجيدان كانا داعيةً لاقامة الافراح والاعياد في المانيا عامةً وفي بروسيا خاصةً : أولهما تذكار مرور مئة سنة على قيام الشعوب الالمانية ونهضتهـا في وجه الفاتح الكبير نابوليون الاوَّل ، وثانيهما تذكار مرور خمس وعشرين سنة لجلوس الامبراطور غليوم الثاني على عرش مملكة بروسيا وامبراطورية المانيـا ، فاحتفل في الشهر الفائت بالعرس الفضي لملكـهِ ، كما احتفل بالعرس الفضي لزواجه . وقد شاءت الأقدار ان تزداد افراحُ الامبراطورية الالمانية والسلالة المالكة بحادثٍ لم يكن منتظراً ، لا بل كان بعيد الامكان ، ألا وهو مصالحـة سلالة هوهنزُلرن المالكة مع سلالة ملوك

هانوفر المعروفة باسم سلالة برنزويك . فرأينا بهذه المناسبة ذكر لمحة تاريخية عن هذا الحادث الذي علقت عليه الصحف أهمية كبرى فنقول :

لا يخفى أنَّ امبراطورية المانيا الحالية حديثة العهد ، نادى بها المتحالفون الالمان وقت سكرهم بخمرة الانتصار على فرنسا ، وهم مجتمعون في قصر « فرسايل » في بداية سنة ١٨٧١ وحيّوا كبيرهم وعميدهم ملك بروسيا بلقب امبراطور المانيا ، وذلك انتقاماً لشعوبهم من الفرنسويين اذ كان نابوليون الاوّل قد ألغى بمعاهدة برسبورغ لقب امبراطور المانيا وذلك في أواخر سنة ١٨٠٥ . وكانت امبراطورية المانيا الاولى التي ألغاها نابوليون قد تأسَّست سنة ٩٦٢ ميلادية وقد أكملت ترتيب نظامها الأساسي والاداري في أواسط القرن الرابع عشر فكان يرئسها امبراطورٌ كاثوليكي المذهب تعترف له الشعوب المسيحية الغربية بميراث ملوك الغرب الرومانيين . وكان ينتخبهُ سبعة أمراء ألمان : أربعة من العلمانيين ، وثلاثة من علية الاكليروس . وكان يطلق على كل من هؤلاء الامراء السبعة لقب « المنتخِب » . ولكن لما ظهرت الانقسامات الدينية منذ بداية القرن السادس عشر ، وكثرت الاضطرابات والحروب والمداخلات الأجنبية ، أصبحت سلطة الامبراطور وهمية وشرفية أكثر مما هي فعلية ؛ وصار كلُّ واحدٍ من الامراء يعتبر ذاته مستقلاً ، حتى انه لما حدثت الثورة الفرنسوية ، كان في الاراضي المعروفة باسم الامبراطورية الالمانية ما لا يقلُّ عن ٣٥٠ مملكة وامارة ودوقية ومدينة حرّة تدّعي كل منها الاستقلال التامّ . وكانت تقسم الى ثلاث طبقات

١ً – طبقة المنتخِبين وهي فوق سائر الطبقات ، وكانت مؤلفة من رئيس اساقفة مايانس ، ورئيس اساقفة كولونيا ، ورئيس اساقفة تريف ومن الكونت بالاتين وملك بوهيميا والدوق دي ساكس وامير برندبورج. وكان قد أُضيف اليهم منتخِبان وهما الدوق دي باڤاريا في سنة ١٦٢٤ ، والدوق دي هانوڤر في سنة ١٦٩٢ . فصار الأمراء المنتخبون تسعة . ثمَّ ان الامبراطور ضمَّ لقب بوهيميا الى القابه ، وصار أمير برندبورج ملكاً على بروسيا في سنة ١٧٠١ ، والدوق دي هانوڤر ملكاً على انكلترا سنة ١٧١٤ وانقرض فرع باڤاريا سنة ١٧٧٩ . فأصبح لقب منتخِب محصوراً في الواقع بخمسة امراء يعترفون بتابعيتهم للامبراطور . وبعد حروب الثورة الاولى منح الامبراطور لقب منتخِب لكلٍّ من دوق ورتمبرغ ، وأمير هس كاسيل تعويضاً لهما عما خسراه من الاراضي التي أخذتها فرنسا

٢ً – طبقة الامراء وفيها اكثر من ٢٩٠ اميراً من الاكليروس والعلمانيين ، واول هؤلاء الامراء حامل لقب ارشيدوق دوتريش وقد ارتقى صاحب هذا اللقب اريكة الامبراطورية منذ سنة ١٢٧٤ ، وحصر المنتخبون الملكَ في سلالتهِ فعلياً منذ سنة ١٤٣٩

٣ً – طبقة المدن الحرّة ، وعددها ٥١ مدينة ، اشهرها «فرنكفورت» حيث كان يصير انتخاب الامبراطور

هذه هي الامبراطورية الالمانية التي ألغاها نابوليون سنة ١٨٠٥

ولما سقط هذا العاهل واتت الدول المنتصرة ترتب هيئة اوروبا في مؤتمر ڤينا سنة ١٨١٥ ، أصبحت ألمانيا أو البلدان الجرمانية تؤلف تحالفاً

أو اتحاداً يُدعى « الاتحاد الجرماني » يحتوي على ٣٩ دولة ودويلة ، في مقدمتهـا امبراطورية النمسا وممالك بروسيا وباڤاريا وهانوفر وورتمبرج وساكس . وكانت النمسا تفضّل بقاء هذا الترتيب لأن امبراطورها كان حاصلاً على رآسة هذا الاتحاد ، وسلطتها كانت ممتدّةً على شعوب غير المانية كالمجر وشمالي ايطاليا وبوهيميا وبولونيا . أما بروسيا فانهـا كانت متضايقة من هذا النظام أولاً لبقائها تابعة للنمسا وبنوع ما تحت سيادتها، وثانياً لان أملاكها وولاياتها كانت منفصلةً عن بعضها بعض ، ومتفرقة الى أقسام متباعدة الأطراف ، وكان فريدريك الثـاني اكبر ملوكها قد قضى مدّة ملكه الطويلة بالحروب رغبةً في الحصول على توحيد حدود مملكتهِ ، فلم يدرك إلاَّ بعض غايتهِ . وعليهِ كان جلّ همّها تغيير الحـالة الموجودة في سنة ١٨١٥ والتوثب على جيرانها الالمانيين لتسوية حدودها بضمّ ما هو موافق لاملاكها . وكانت مملكة هانوفر أهمّ العقبات في سبيل تلك الغاية وكانت مساحتها نحواً من ٣٩ الف كيلومتر وسكانها اكثر من ثلاثة ملايين . وكان دوقها قد نال لقب منتخب منذ سنة ١٦٩٢ ، وهو المنتخب ارنست اغوستوس ؛ وتوفي ١٦٩٨ ، وفي سنة ١٧١٤ صعد ابنه المنتخب جورج على عرش انكلترا فعرف بالملك جورج الأوّل ، ذلك لأن جدّته لأمهِ كانت ابنة الملك « جاك » أو « جمس » الانكليزي . فكان أقرب نسيب بروتستاني للملكة حنـة ستوارت المتوفاة بدون عقب . فجمع بشخصه السلطة على انكلترا وعلى هانوفر . وجعل مؤتمر ڤينـا هانوفر مملكةً سنة ١٨١٥ . ولكن لما كانت هـذه المملكة تحت سلطة ملوك

انكلترا لم يكن ملوك بروسيا ليتجاسروا على التحرش بها . فلما توفي وليم الرابع الانكليزي سنة ١٨٣٧ آلت نوبة الملك في انكلترا الى ڤيكتوريا ابنة أخيه . وأما في هانوڤر فلما كانت الشريعة تحرّم جلوس النساء على العرش آل الملك الى اخيهِ ارنست اغوست، وهو اصغر من والد ڤيكتوريا ، فصار ملكاً باسم ارنست الأوّل حتى سنة ١٨٥١ حيث توفي وورثه ابنه جورج الخامس . وفي عهده حدثت حروب فرنسا وسردينيا ضد النمسا ففشلت هذه وخسرت اكثر املاكها في ايطاليا ، كما ان حرب القرم كانت قد افقدتها ثقة روسيا . فاغتنمت بروسيا هذه الحوادث وعملت بتدابير بسمارك الداهية الدهياء فاضطرت النمسا الى اتباع سياستها في الوثوب على مملكة الدنمرك وافتتاح ولايتي سلسڤيك وهولستين ودوقية لوينبورغ . ولكنَّ اتفاقها لم يطل فوقع الاختلاف بين المنتصرين وحاول كلٌّ منها اتخاذ مجلس الاتحاد آلة بين يديه . ولكنَّ الاكثرية انضمت الى النمسا وفي مقدمتها ملك هانوفر ، ودوق ناسو ومنتخب هسّ كاسل . فشهرت بروسيا الحرب عليهم ، وما لبثت جنودها ان اقتحمت حدود خصومها . وفي أقل من ثلاثة اشهر انتهت الحرب بانتصار بروسيا التام على النمسا وجميع محالفيها ؛ واشهر مواقع هذه الحرب موقعة سادوفا (تموز سنة ١٨٦٦) . وعقد الصلح بين بروسيا والنمسا ، فقبلت هذه بخروجها من التحالف وبكل ما تجريه بروسيا في جرمانيا . فاعلنت بروسيا ضمَّ مملكة هانوڤر ودوقية ناسو وامارة هسّ كاسّل ومدينة فرنكفورت الى اراضيها، فاصبحت جميعها ولايات بروسية عاديّة ثم ارغمت

بروسيا سائر امراء وملوك الاراضي الواقعة شمالي نهر المين (Mein) على الانضمام اليها بتحالف دعي تحالف المانيا الشمالية . وهكذا اصبحت اراضي مملكة بروسيا كلها متصلة بعضها ببعض لا يتخللها ارض مملكة غريبة . فاحتج جورج الخامس على سلب مملكته وضمها لبروسيا بمنشور ارسله من ڤينا الى جميع ملوك اوروبا . لكن احتجاجه لم يجدهِ نفعاً اذ ان نسيبتهُ وابنة عمهِ فيكتوريا ملكة انكلترا كانت حماةً لولي عهد بروسيا فلم تحرّك ساكناً . وكان احتجاجه سبباً لغيظ ملك بروسيا الذي ضبط حينئذٍ املاك جورج الخامس الخصوصية وحجز على دخلها ووضعت هذه الاموال في صندوق دُعي « بمال اسرة كولف » Fonds Guelfe ولما انتصرت بروسيا على فرنسا وتألف من البلدان المنتصرة امبراطورية جامعة لخمس وعشرين مملكة وامارة ومدينة حرّة ولولاية الالزاس واللورين احتج ايضاً جورج الخامس على هذا الانضمام

وفي سنة ١٨٧٨ توفي جورج الخامس فخلفهُ ابنهُ الوحيد ارنست اغوست المولود سنة ١٨٤٥ ، فأعلن الملوك والحكام وفاة والدهِ وجلوسهُ بعدهُ معيداً ومكرّراً احتجاجه على كل ما أجري في المانيا منذ سنة ١٨٦٦ وانه يكتفي (مع حفظ حقوقه بمملكة هانوفر) بأن يدعى دوق دي كمبرلند (وهو لقب جده في انكلترا قبل أن يكون ملكا على هانوفر) ودوق دي برنزويك ولونبرج . وفي السنة نفسها اقترن بثالثة بنات خريستان التاسع ملك الدنمرك فصار عديلاً لولي عهد انكلترا (ادوار السابع) وولي عهد روسيا (اسكندر الثالث) . ولما انقرض فرع أسرتهِ

المالك على برنزويك بوفاة الدوق غليوم بدون عقب سنة ١٨٨٤ ، كان يجب ان يصير هو دوقاً على برنزويك التي هي احدى ممالك واماراتا المانيا المتحدة ولكن الامبراطور ومجلس التحالف رفضا إعطاءه هذه الدوقية ما لم يقبل بضم الهانوفر ويستعيد منشورات اعتراضه السابقة ، فرفض ؛ وبقيت دوقية برنزويك تحت ولاية وصيٍّ الى اليوم . وفي العام الماضي ١٩١٢ ، لما توفي فردريك الثامن ملك الدنمرك فجأةً في همبرغ وتعين ميعاد دفنهِ في ٢٤ ايار في كوبنهاغ ، توجه ابنُ اختهِ وهو بكر الدوق ارنست المذكور في اتوموبيل مجتازاً المانيا ذاهباً الى الدنمرك لحضور المأتم . فحدث اصطدامُ الاتوموبيل ، وسقط الامير الشاب قتيلاً وهو في الثانية والثلاثين من عمره ونقلت جثته الى كوبنهاغ فاحتفل بدفنه مع خاله بوقتٍ واحد فكان لهذا الحادث المكدر تأثير سيء في كل العالم لا سيما وانه كان قد جرت مفاوضات سرية ليتنازل الدوق ارنست عن حقوقهِ لابنه هذا وهو يخضع لما جرى في المانيا فيصير دوقاً مالكاً على برنزويك . فسعى الأقارب والأمراء بين الامبراطور وهذا الدوق التمس الحظّ حتى نجحت مساعيهم بواسطة الحب لأن الابن الوحيد للدوق ارنست ، واسمهُ كابيه ، ارنست اغوست ، رأى ابنة الامبراطور وعلق بحبها فتصالحت الاسرتان وخطبت الاميرة للأمير . وفي ٢٤ أيار احتفل بزواجها في برلين في حفلةٍ شائقة سار فيها الامبراطور مع الدوقة ثم الدوق مع الامبراطورة ، ثم سائر الملوك والامراء الالمان المتحالفين وامراء من كل الأسر المالكة . وبلغت التحف والهدايا المقدمة الى العروسين ١٢

مليون فرنك . وهكذا عاد الصفاء بين السلالتين المتعاديتين منـذ نحو ٥٠ سنة ، وعادت دوقية برنزويك الى امرائهـا الاصليين ؛ ولم يبقَ في انكلترا امراء من الدم الملكي القديم . بل عادوا الى المانيا ، وهي مسقط رأسهم الأوَّل . ولم يعد باقياً اثر للعداوات والمناوآت القديمة التي كانت بين بروسيا ومخاصميها في المانيا لان الامبراطور الالماني اضحى على وفاق تام مع جميع الذين غلبهم جدُّه ووزيرهُ بسمارك　　سليم عطار الدمراح

❋ حكمة قاضٍ ❋

من اغرب الاحكام الصينية ان اربعةً من تجار القطن خافوا أن يسطوا الفأر على قطنهم فابتاعوا هرًّا بان دفع كل واحد منهم ثمن فخذ . فحدث ان الهرّ جرح بفخذٍ من افخاذه فربط جرحه بالقطن وبلَّ بالغـاز . فقضت الصدفة التعسة بالتهاب الضماد وفرار الهرّ الى اكداس القطن فاحرقها . فاقام أصحاب الافخاذ الثلاث السليمة الدعوى على صاحب الفخذ الجريح . فاصدر القاضي حكمهُ بان الفخذ الجريح لم يحمل الهرّ الى القطن ولكن الافخاذ السليمة هي التي حملته . فعلى أصحابها أن يدفعوا ثمن قطن صاحب الفخذ الجريح

---

* ثلاثة لا يعرفون الاَّ في ثلاثة مواضع . لا يعرف الشجاع الاَّ عند الحرب . ولا الحكيم الاَّ عنـد الغضب . ولا الصديق الاَّ عند الحاجة اليه　　(للمستعصمي)

الحركة الصهيونية

الحركة الصهيونية حركة ملية اجتماعية ذات قواعد مقرَّرة يرمي بها فريقٌ من بني اسرائيل الى ايجاد وطنٍ خاص لشعبهم تحقيقاً لما ورد في نبؤات ارميا و يوئيل من انهُ « تأتي ايام يردُّ الله (فيها) سبي شعبه اسرائيل فيقيمون مدنهم الخربة ، و يسكنون بها ، و يغرسون كروماً ، و يشربون خمورهم » وقوله بلسان عاموس النبي : « واغرسهم في ارضهم ، ولن يقلعوا بعد من ارضهم التي اعطيتهم » وقوله بلسان اشعيا وميخا : « ان الخلاص يأتي من صهيون ؛ والقدس تكون المركز الذي تصدر منه الشريعة » ثم ما جاء في التلمود وغيره مشيراً الى ان المسيا بن يوسف يجمع بني اسرائيل حوله ويزحف على القدس ، ويتغلب على قوة الاعداء ويعيد العبادة الى الهيكل ، ويقيم ملكه

وقد طفق القوم يفكرون في هذا الموضوع ، ويحاولون تنفيذه بعد ان خرَّب طيطس هيكل سليمان في سنة ٧٠ للمسيح . ولكن لم يتجاوز تفكيرهم حد الكتابة شعراً ونثراً حتى دعاهم الى العمل شبتاي زيبي في القرن السابع عشر ، فلبّاه بعضهم ؛ الاَّ انه لم يفلح في ما أراد . ثم حاول غيره الاقتداء بهِ فتألفت العصابات وأُنشئت الجميات ، ورمى القوم بابصارهم الى اميريكا تارة والى فلسطين طوراً . وجدَّ الكتَّابُ في التذكير والحض وتكوين رأي اسرائيلي عام . وكتب سلفادور المؤرخ اليهودي رسالة في سنة ١٨٣٠ قال فيها : ان مجرَّد عقد مؤتمر في اوروبا يعيد فلسطين

الى اليهود . فتألفت جمعية الاليانس (الاتحاد) الاسرائيلي وبدأ القوم باستعمار فلسطين فأنشأوا مدرسة « مكوى اسرائيل » على مقربة من يافا

ثم ظهرت كتب ورسائل مختلفة في الموضوع اهمها كتاب «واجبات الأمم في ان يُعيدوا الى الشعب اليهودي قوميته » ورسالة « اعادة القومية اليهودية » وفي هذه الرسالة التي نشرت سنة ١٨٦٨ صرّح فرنكل لأوّل مرة « بأعادة تشييد حكومة يهودية في فلسطين وذلك بشراء البلاد من تركيا » وقال — من باب الاحتياط الكلي — : « انه اذا لم يكن ابتياع فلسطين ميسوراً فلنطلب وطناً معيناً في جهة اخرى من الكرة الارضية لأن الغاية الوحيدة هي ان يكون لليهود وطنٌ وان يكونوا احراراً فيه »

والّف المسيو موريتس ستينشنيدر حوالي سنة ١٨٤٠ جمعية من طلبة المدارس الاسرائيلية لنشر فكرة استعمار فلسطين. ثم أُلِّفت سنة ١٨٦٦ الجمعية الفلسطينية العمومية وجمعية الاستعمار السوري الفلسطيني . وخاطب المستر « لورانس الفانت » الحكومةَ العثمانية في مدّ خطٍّ حديدي في وادي الفرات لاسكان مهاجري اليهود على جانبيه وانشاء مهجر لليهود في نواحي السلط فلم يُجَبْ له طلب . ولكن القوم لم ينثنوا عن سعيهم في جمع المال وتأليف الجمعيات هنا وهناك حتى تمكنوا في سنة ١٨٧٤ من انشاء اول مستعمرة اسرائيلية في فلسطين

وبينما هم في جدٍّ واجتهاد ظهرت في اوربا حركة الانتيسيميتزم اي مضادة اليهود فصرفت فريقاً كبيراً منهم عن التفكير في مسئلة الاستعمار وطفقوا يحاربون اعداءهم بقوة القلم حيناً وبقوة المال حيناً اخر . ولكن

هذه الحركة اتسع نطاقها وأخذت حكومات عديدة ترغم اليهود على الجلاء عن بلادها فزاد تشبثهم بايجاد ذيالك الوطن المنتظر لجمع شملهم وتحريرهم من عبودية الحكومات المتفننة في ايذائهم

ونشر المسيو هرتسل العالم الاسرائيلي النمسوي في سنة ١٨٩٥ كتابه اليودنستات (الوطن اليهودي) وقال فيه : « ان الانتيسيمتزم خطر لا يهدد اليهود فقط بل العالمَ باسره ، ولا يمكن اجتنابه لأن اليهود شعب يتعذّر امتزاجه بمن حواليه في الحياة الاجتماعية ؛ فلا بدّ من تملكهم متسعاً من الكرة الأرضية يكفيهم لأن يجتمعوا فيه ويقيموا لهم وطناً خاصاً بهم» ثم اقترح تشكيل لجنة تقوم بالاعمال الاولية العلمية والسياسية وشركة للاستعمار يكون رأس مالها خمسين مليون جنيه انكليزي لامتلاك الارجنتين او فلسطين وادخال اليهود اليها بطريقة منظمة

فتقبَّل اليهود وجمعياتهم رأيه بالرضى والارتياح وعينوه رئيساً للجمعيات التي اشتركت في تنفيذ اقتراحه فدعاها الى مؤتمر عام عقدوه في مدينة باسّل وحضره ٢٠٤ اعضاء يمثل بعضهم جمعيات مختلفة وقرروا فيه ترويج تعليم اللغة العبرانيــة وانشاء لجنة خصوصية للاداب اليهودية وتأسيس صندوق مالي للاعانة وتأليف جمعية عاملة تنفذ اقتراحات المؤتمر فالِّفتْ هذه الجمعيــة واشتغلت بطبع خطب هرتسل وماكس نوردو واعدّت ما يلزم لتأليف نقابة استعمارية اسرائيلية

وانعقد المؤتمر الثاني في اغسطس سنة ١٨٩٨ بمدينــة باسل وقرر تأليف النقابة وجعل اللسان العبراني لغة قوم موسى وتربية الاسرائيليين

بحسب قواعد التهذيب الحديثة

ثم انعقد المؤتمر الثالث في ١٨ اغسطس سنة ١٨٩٩ بمدينة باسل وقرئت فيه عدة تقارير دلت على نجاح الجمعيات الصهيونية وتكاثر عدد المنتظمين في سلكها ، واقترح بعضهم استعمار قبرص فرفض طلبه بدون مناقشة فيه

وانعقد المؤتمر الرابع في ١٦ اغسطس سنة ١٩٠٠ بمدينة لندن . وتمكن هرتسل من مقابلة السلطان عبد الحميد مرتين فانعم جلالته عليه بالنيشان المجيدي

ثم انعقد المؤتمر الخامس في مدينة باسل في يوم ٢٦ دسمبر سنة ١٩٠١ وتقرر فيه عقد المؤتمر مرة كل سنتين وان تنعقد في الفترات الواقعة بين المؤتمرات اجتماعات يحضرها اعضاء الجمعية الكبرى

ولاحظ زعماء الاسرائيليين أنهم غير ناجحين في استعمار فلسطين فخاطبوا فخامة اللورد كرومر في استعمار العريش فلم تجبهم الحكومة المصرية جواباً يحسن الوقوف عنده . ثم خاطبوا الحكومة الانكليزية في استعمار أفريقيا الشرقية . ولكن فريقاً كبيراً من ذوي الرأي لم يوافقوا على استعمار احدى الجهتين وقال المسيو هرتسل : « ان شرقي أفريقيا ليست صهيون ولا يمكن أن تكون كذلك » وقال الاستاذ ماكس نوردو : « لو أمكن احداث مثل هذا المقر — يعني أفريقيا الشرقية — فهو لا يكون الا دار عزلة مظلمة »

وتوفي هرتسل في ٣ يوليو سنة ١٩٠٣ فوصفته دائرة المعارف

الاسرائيلية بقولها : « انه السياسي اليهودي الوحيد الذي كرَّس حياتهُ لخدمة قومه واستطاع ان يقوم بما لم يستطعهُ فرد ولا جماعة في سبيل اعلاء شأن الصهيونية وتثبيتها ؛ فقد كانت هـذه المسئلة في بدئها مسئلة خيرية زراعية ، فصيرها هرتسل اقتصادية سياسية »

وانتخب الاستاذ ماكس نوردو الفيلسوف الألماني المعروف خلفاً لهرتسل في رياسة المؤتمرات والجمعية العاملة ؛ فرأس المؤتمر السابع الذي عقد في ٢٧ يوليو سنة ١٩٠٥ وصدق على قرار خلاصته ان الهيئة الصهيونية تبقى ثابتة لا تحول عن اعداد وطن لليهود في فلسطين

ولا تزال المؤتمرات الاسرائيلية تعقـد مرة كل سنتين في عاصمة من عواصم أوربا والجمعيات الصهيونية تنتشر في جميع الاقطار الشرقية والغربية ويتسع نطاقها فبلغت ألوفاً واشترك فيها مئات الالوف من الاسرائيليين على اختلاف طبقاتهم يمدونها بالآراء ويساعدونها بالمال كلٌّ على قدر طاقته ؛ فتمكنوا من انشاء « المصرف اليهوي الاستعماري » ثمَّ صندوق « الذخيرة الوطنية الاسرائيلية »

والمقصود بهذه الذخيرة المال الذي يجمعهُ اليهود لاسترداد أرض فلسطين وجعلها مقراً لليهود المتشتتين في انحاء المعمورة المعرضين لاضطهادات الحكومات المختلفة وازدرائها بهم . ومركز رياسة اللجنة العاملة لصندوق الذخيرة في مدنية كولونيا الالمانية . وقد بلغ رأس ماله ١٢٠ الف جنيه انكليزي في سنة ١٩٠١

وللقوم في جمع المال طرق مختلفة أبانوها في منشوراتهم المطبوعة



بالفرنسوية والانكليزية والألمانية ؛ وأهمها طريقة الصناديق الخصوصية وهي صناديق مقفلة ذات ثقب ترمى منهُ النقود ، ويرسل منها صندوق لكل من اراد فيضع فيه ما يفيض عن نفقاته او ما يقرّره على ذاته اسبوعياً او شهرياً ثم يأتي مندوب الجمعية في وقتٍ معيّن ويفتح هذا الصندوق ويأخذ ما فيه ويقفله . وتقول الجمعية في نشراتها ان الادّخار في الصندوق الخاص هو خير وسيلة لتدريب الصغار على معرفة الواجب عليهم نحو شعبهم

ومنها طوابع البريد والتلغراف وتذاكر التهنئة والتعزية : وهي اوراق خاصة يبتاعها الصهيونيون ويستخدمونها في مكاتباتهم الخاصة

ومنها الكتاب الذهبي : وهو سفر مطبوع على ورقٍ صقيل ومجلد تجليداً مزخرفاً فخماً يشتمل على اسم مَنْ يدفع للجمعية ١٠ جنيهات

ومنها دفاتر المذكرات : وهي تحتوي على قلم رصاص وتقويم وكمية من ورق الكتابة تخصص لتدوين ما يتبرع الصهيونيون بهِ في الاحتفالات العامة والخاصة لتنفيذ فكرة الصهيونية

ومنها أشجار الزيتون . فكل من يدفع ٣٠ غرشاً تُغرَس باسمه شجرة زيتون في احدى مزارع الاستعمار الصهيوني

ومنها تسجيل الاراضي باسم اهل الخير . فكل من يدفع جنيهين يشترى باسمهِ — لحساب الجمعية — دونم وترسل اليه حجة تملكه

ولا تفتر جمعية الذخيرة يوماً عن ايجاد طرق جديدة لحث الاسرائيليين على البذل . وقد تمكنت بان تأتي بما جمعته باعمال خطيرة جليلة اهمّها شراء

ستة الاف دونم من الاراضي على مقربة من بحيرة طبريا ، وانشاء مزرعتين كبيرتين للزيتون في حولدا وبن شامن وعدة حدائق لزراعة البرتقال والليمون والاترنج في شدراح وجنينة صامويل

أما المدارس الصناعية والزراعية والعالية التي انشئت بمال الذخيرة في حيفا ويافا والقدس لتربية النشء الاسرائيلي وتعليمه فحدّث عنها ولا حرج . وهكذا قل عن المستعمرات الزراعية وبيوت العمّال التي انشئت في انحاء فلسطين فتحوّل بها القفر البلقع الى روض ازهر

وقد اتاحت لي الظروف التعرف الى جماعة من المشتغلين بهذا الموضوع في القاهرة والاختلاط بهم فعلمت ان لهم مندوباً خاصاً يتردّد على بعض المدارس الابتدائية ويلقي على تلاميذها دروساً يبين فيها حقيقة الصهيونية وما يجب على كل اسرائيلي عمله لتنشيطها ومساعدتها ولهم مجلة فرنساوية شهرية اسمها «النهضة الاسرائيلية» يوافيها أئمة الكتاب الصهيونيين بمباحثهم العلمية النافعة ، وتنشر فيها شهرياً اخبارُ الحركة الصهيونية وانصارها. وقيمة اشتراكها السنوي ثلاثة فرنكات . ولهم نادٍ خاص كبير في حيّ الاسماعيلية . ونحو عشر جمعيات تشتغل بجمع المال وارساله الى اللجنة الرئيسية في كولونيا . ويعني صهيونيو مصر بمطالعة كل ما يردُ عنهم في الجرائد المحلية ويعقبون عليه

وقد انعقدت الجمعية العاملة للصهيونيين في مدينة ڤينا يوم ١٠ يونيو مقدمة للمؤتمر الذي سينعقد في شهر سبتمبر القادم وينظر المسائل المعروضة عليه ثم يأخذ في تنفيذها بقوة مالهِ ورجالهِ　　نوفيق حبيب

أثر عربي ثمين

« في مبحث الصوت ، وأسباب حدوث الحروف »

مما يقولهُ بعضهم في الموازنة بين علم الشرق في الزمن الغابر ، وعلم الغرب في الوقت الحاضر ، أنَّ تقدُّمَ العلم الغربيّ مسيَّرٌ في الغالب بيد الصناعة ، وأن للغاية الاقتصادية تأثيراً على مبدئه . فهو مثلُ الحضارة الغربية عمليٌّ اكثر منهُ نظريّ ، والى الماديّ أقربُ منهُ الى الأدبيّ . أمَّا العلم الشرقيّ فانّ مدنية الشرق لم تنحُ بهِ نحواً خاصاً . ولذلك كان ينمو مع المدارك البشرية على قدرها . ولو أتيح له الاستمرار في طريقهِ حتى يُدرك عصرَ الطباعة فالبخارِ والكهرباء ، لكان لهُ في المستقبل شأنٌ غيرُ شأنهِ في الماضي

هذا ما يقولهُ بعضهم في الموازنة بين العلمين ؛ ويقولون زيادة على ذلك إنَّ العلمَ النظريَّ لم يبلغْ في أوربا اليومَ المنزلة التى بلغها في آسيا من قبل . ولعلّ الخاطرَ الأوّل الذي خطر لي عند اطّلاعي على رسالةِ الرئيس أبي عليّ الحسين بن سينا في أسباب حدوث الصوت والحروف كان من هذا القبيل ، فقد قلتُ في نفسي ساعتئذٍ : « لماذا تفيضُ الفلسفةُ الطبيعية الحديثة في بيان أشكالِ النور وألوانهِ وتحلُّله وتركّبهِ عند مرورهِ بالمنشور البلّوري ، مثلاً ، ولا تفيض هي أو الفنون المتفرّعة عنها في بيان أشكال الصوتِ وأوصافهِ عند مرورهِ بالحنجرة وعبث اللسان بهِ في أطراف الفم ، كما فعل ابن سينا قبل تسعمائة سنة في الكتاب الذي هو موضوعُ بحثنا الآن » ؟

نبّهني الى كتاب ابن سينا عالمٌ جليلٌ محقّق، فرأيتهُ من أنفس مدّخرات خزانة العالمِ الفاضلِ أحمد تيمور بك ، ولكنهُ ، وا أسفاه ! قد تناولتهُ يدُ التحريف والتصحيف حتى لا يكاد الانسانُ يثقُ بيقاء جملةٍ منهُ على أصلها . فزادني هذا الأمرُ شوقاً الى نشره وإحيائهِ تعريفاً للخلفِ بمآثر السلَف ، وإعلاماً بما للعرب

من فضيلة السبق في تحقيق أسباب حدوث الصوت ، وخدمةً للغة بلفت الانظار الى مبحثٍ آخر من مباحثها ، وهو أسباب حدوث الحروف وكيفية حدوثها

واصلنا البحث عن نسخة ثانية من هذا الأثر العربيّ الثمين ، واستعنا بكثير من الاخوان ، الى أن عثر صديقي المسيو لويس ماسينيون أستاذ تاريخ مذاهب الفلسفة العربية في الجامعة المصرية على اسم هذا الكتاب في فهرس المكتبة البريطانية في لوندرة ثمَّ أراد أن يكون عمله أكملَ فكتب الى من أخذ لنا نسخةً فطوغرافية منهُ ؛ فاذا هي لا تقلُّ عن النسخة الأولى تحريفاً ، إلا أنَّ معارضة النسختين ومراجعة الكتب التي نقل أصحابها عن رسالة الحروف لابن سينا مثل كتابي المواقف والمقاصد ، وكتاب التفسير الكبير للفخر الرازي ، ومبحث تشريح الحنجرة واللسان من قانون ابن سينا ، قد صححت لنا الأغلاط التي يظهر أنها هي التي حالت دون عناية المستشرقين بنشر الكتاب : فظهرت لنا من كلتيهما نسخة تغلب الصحة عليها ، ويطمئنُّ القلب اليها

* * *

الرسالة اسمها « أسباب حدوث الحروف » وهي في ستة فصول هذا بيانها :

الفصل الأول — في سبب حدوث الصوت ،

الفصل الثاني — في سبب حدوث الحروف ،

الفصل الثالث — في تشريح الحنجرة واللسان ،

الفصل الرابع — في الأسباب الجزئية لحرفٍ حرفٍ من حروف العرب ،

الفصل الخامس — في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب ،

الفصل السادس — في أن هذه الحروف من أي الحركات غير النطقية قد تُسمع

* * *

يقول ابن سينا في سبب حدوث الصوت :

أظنُّ أنَّ الصوتَ سببهُ القريب تموُّجُ الهواءِ دفعة وبقوة وبسرعة من أيّ

سبب كان . ثم ذلك الموج يتأدّى الى الهواء الراكد في الصماخ فيموّجه فتحسّ به العصبة المفروشة في سطحه

والذي يُشترط فيهِ من أمر القرع عساه أن لا يكون سبباً كليًّا للصوت ، بل كأنهُ سببٌ اكثريّ ؛ ثم إن كان سبباً كليًّا فهو سببٌ بعيدٌ ، ليس السببَ الملاحق لوجود الصوت ، والدليل على أن القرع ليس سبباً كليًّا للصوت أن الصوت قد يحدث أيضاً عن مقابل القرع وهو القلع

فاذن العلة القريبة — كما أظن — هو التموّج

فالتموّج نفسهُ — كما يقول ابن سينا — هو الذي يفعل الصوت

وأما حال التموّج من جهة الهيئات التي تستفيــدها من المخارج والمحابس في مسالكه فتفعل الحروف

وتعريف الحرف في كتاب ابن سينا « هو هيئة للصوت عارضة لهُ يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميزاً في المسموع »

والحروف بعضها — من حيث الصوت — مفردة ؛ وبعضها مركبة . فالمفردة تحدث عن حبسات تامة للصوت — أو للهواء الفاعل للصوت — تتبعها اطلاقات دفعة ، والمركبة تحدث عن حبسات غير تامة لكن تتبعها إطلاقات

والمفردة تشترك في أن وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس وزمان الاطلاق ، وذلك أن زمان الحبس التام لا يمكن أن يحس فيه بصوتٍ حادث عن الهواء وهو مستكن بالحبس ، وزمان الاطلاق لا يحس فيه بشيء من هذه الحروف لأنها لا تمتد البتة انما هي مع ازالة الحبس فقط

وأما الحروف الأخرى فانها تمتد زماناً ، وتفنى مع زمان الاطلاق التام ، وانما تمتد في الزمان الذي لا يجتمع فيه الحبس مع الاطلاق

* * *

ويقول ابن سينا في تشريح الحنجرة انها مركبة من غضاريف ثلاثة :

١ — الغضروف الدرقي ، وهو موضوع الى قدّام وينا له الحبس في المهازيل

عند أعلى العنق تحت الذقن . وشكله شكل القصعة ، حدبته الى خارج والى قدام وتقعيره الى الداخل والى خلف ،

٢ — عديم الاسم ، وهو خلف الدرقي مقابل سطحه ،

٣ — الغضروف الطهرجاري ، وهو كقصعة مكبوبة على الغضروفين السابقين

ويقول في تشريح اللسان انه مركب من ثماني عضل : اثنتان تأتيان من الزوائد السهمية التي عند الأذن يمنةً ويسرة ، وتتصلان بجانبي اللسان ، فاذا تشنجتا عرضتاه . واثنتان تأتيان من أعالي العظم اللامي وتنفذان وسط اللسان ، فاذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان الى قدام فتبعها جزء منه وامتد وطال . واثنتان من العضلين السافلين من أضلاع هذا العظم تنفذان بين المعرضين والمطولين ويحدث عنهما توريب اللسان . واثنتان موضوعتان تحت هاتين واذا تشنجتا بطحتا اللسان

***

هذا ملخص الفصول الثلاثة الأولى ؛ وكلها مقدمات لبيان كيفية حدوث كل حرف من الحروف العربية والحروف الأخرى التي توجد فيما عرفه ابن سينا من لغات آسيا المنتشرة يومئذٍ في فارس وما يليها

وهو يقول مثلاً في بيان كيفية لفظ حرف الخاء انهُ يحدث من ضغط الهواء الى الحدّ المشترك بين اللهاة والحنك ضغطاً قويًّا مع اطلاق ، تهتزّ فيما بين ذلك رطوبات يعنف عليها التحريك الى قدّام ، فكلما كادت تحبس الهواء زوحمت ، وقسرت الى خارج في ذلك الموضع بقوّةٍ

والقاف يحدث حيث تحدث الخاء ولكن بحبس تامّ . وأما الهواء فمقداره ومواضعه فذلك بعينه

ويقول في كيفية لفظ الجيم انهُ يحدث من حبس تام بطرف اللسان وبتقريب للجزء المقدّم من اللسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء في النتوء والانخفاض مع سعةٍ من ذات اليمين واليسار واعداد الرطوبة ، حتى اذا أطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق نفوذاً يصفر لضيق المسلك ، إلا انهُ يتشذب لاستعراضهِ ويتم صفيرهُ خللُ

الأسنان وتنقص من صفيره وترده الى الفرقعة الرطوبةُ المندفعة فيما بين ذلك متفقعة ، ثم تتفقأ ، الا أنها لا يمتد بها التفقّع الى بعيـد ولا تتسع ، بل تفوقها في المكان الذي يطلق فيه الحبس

والشين تحدث كما يحدث الجيم بعينه ولكن بلا حبس البتة ، فكأنما الشين جيم لم يحبس وكأن الجيم شين ابتدأت بحبس ثم أطلقت

ويقول في كيفية لفظ الصاد ان الذي يفعله هو حبس غير تامّ أضيق من حبس السين وأيبس وأكثر أجزاء حابس طولاً الى داخل مخرج السين والى خارجه حتى يطبق اللسان أو يكاد يطبق على ثلثي السطح المفروش تحت الحنك والمنخر ويتسرَّب الهواء عن ذلك المضيق بعد حصر شيء فيه من وراء ويخرج من خلل الأسنان

وأما السين فتحدث عن مثل حدوث الصاد الا أن الحابس من اللسان فيه أقلّ طولاً وعرضاً فكأنها تحبس العضلات التي في طرف اللسان ، لا بكليتهـا بل بأطرافهـا

ويقول في وصف الفاء التي تكاد تشبه الباء (ڤ — V) انها تقع في لغة الفرس عند قولهم (ڤرندي) [1] تفارق الباء لانهُ ليس فيها حبس تام . وتفارق الفاء بأن تضييق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر وضغط الهواء أشد حتى يكاد يحدث بسببه في السطح الذي في باطن الشفة اهتزاز

ومن ذلك البـاء المشدّدة (پ — P) الواقعة في لغة الفرس عند قولهم (پيروزي) [2] وتحدث بشد قوي للشفتين عنـد الحبس وقلع بعنف وضغط الهواء بعنف

* * *

وأما الفصل الأخير فهو من أغرب المباحث وألطفها واكثرها حاجة الى الدرس

(١) فارسية بمعنى جوهر السيف وقد عربت . والفرس يلفظونها الآن « پرند » . وقد زال من لغة الفرس حرف (ڤ) بعد ابن سينا ولم يبق الاّ في لغة قبائل الكرد

(٢) بمعنى الانتصار والظفر

والبحث والتدقيق لأن ابن سينا حاول أن يأتي فيهـا لكل واحد من الحروف العربية بما يشبهه من الحركات الغير النطقية ، مثل صدور صوت يشبه حرف القاف عن شق الأجسام وقلعها . والغين عن غليان الرطوبة في أجزاء كبار تندفع الى جهة واحدة . والكاف عن قرع كل جسم صلب كبير على بسيط آخر صلب مثله . والشين عن نشيش الرطوبات وعن نفوذها في خلل أجسام يابسة نفوذاً بقوة . والطاء عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هنالك هواءٌ له دويٌّ . والتاء عن قرع الكف بأصبع قرعاً بقوة . والفاء عن حفيف الأشجار

***

وبعد فان الذي يطالع الرسالة كلها يظهر له أن ابن سينا كان جديراً بأن يقول في آخرها : « اني قد بلغت الكفاية ، وعبرّت عن المقدار الذي تبلغه مني المعرفة » . وقد أهداها الى الاستاذ أبي منصور محمد بن علي بن عمر الخيَّام وهو الذي اقترح عليه تصنيفها ، ولا يعقل أن يكون أبو منصور هذا حفيد الخيام الخراساني صاحب الرباعيات لأن الخراساني كان معاصراً للرئيس ابن سينا وتلميذاً له

وعلى كل حال فهذا الكتـاب الصغير نموذج للعلم الشرقي الذي لو أتيح له الاستمرار في طريقه حتى يدرك عصر الطباعة فالبخار والكهرباء لكان له شأن غير شأنهِ

(القاهرة)　　　　محب الدين الخطيب

---

* لا يتعادل الحبُّ بين اثنين ؛ بل يكون قويًّا في احدهما ، وهذا الذي يتألَّم ، وضعيفاً في الآخر ، وهو الذي يضجر

* إربأ بنفسكَ أن تكون الحبيبَ الذي يلي حبيباً جار أو ظلم ؛ لان الثأر يؤخذ منكَ وأنت بريء من الذنب

في رياض الشعر

وعشنا على بؤسٍ ...

لياليَّ ، أبلي من همومي وجدّدي لك الأمرُ ، لا تقوى على ردّه يدي
فما أرتجي والأربعون تصرَّمت ولا عيشَ إلاَّ ينتهي حيثُ يبتدي
سكتُّ سكوتاً لا يَرِيبكِ آمتــدادُهُ فلا خاطري باقٍ ولا الشعر مُسعــدي
ولا فيَّ من روح الشبابِ بقيةٌ ولستُ بمشتاقٍ ولستُ بموجدِ
حزنتُ على الماضي ضلالاً ومن يَعشْ كما عشتُ لم يحزنْ ولم يتجلَّدِ
وماليَ منــهُ خاطرٌ غير أنني عدلتُ فلم أفتكْ ولم أتعبَّدِ

* * *

سقى الله داراتِ القرافةِ ديمةً ترفُّ على قوم هنــالك هُجَّدِ
تعوَّدَ كلٌّ بؤسهــا ونعيمهَا وعشنا على بؤسٍ ولم نتعوَّدِ
أحنُّ الى تلك المراقدِ في الثرى ولو آستطيعُ اليومَ لأخترتُ مرقدي
فأنزلتُ جسمي منزلاً لا يملّهُ يكونُ بعيداً عن أعادٍ وحُسَّدِ
وما يتمنّى الحرُّ في ظلّ عيشةٍ تمرُّ لأحرارٍ وتحلو لأعبُدِ
كأنَّ بها وقراً على كلّ كاهلٍ فمن يتكبَّدْ حملَهُ يتكبَّدِ

* * *

لقد أتعبتني ، والمتــاعبُ جمةٌ ، مسيرةُ يومي بين أمسيَ والغدِ
ألما يئنْ أن يستريح مجاهدٌ ألما يئنْ أن يبلغَ المنهلَ الصَّدي
تزهدتُ في وصل المعــالي جميعها ومن يَطَّلِبْها كالطِّلابيَ يزهدِ
وبتُّ تســاوت في فؤادي مناهجٌ تُؤدّي لخفضٍ أو تؤدي لسؤددِ

وإنيَ في بيتٍ صغيرٍ مهدَّمٍ كأنيَ في قصرٍ كبيرٍ مشيَّدِ
عنا اللهُ عن قومٍ أتانيَ غدرُهم فربَّ مسيءٍ لم يُسِئْ عن تعمُّدِ
وكم من نفوسٍ يستطيلُ ضلالُها ولكن متى ما تُبصرِ النورَ تهتدِ
فزعتُ من الآمالِ باليأسِ عائذاً فإن تُدْنني منها اللُباناتُ أبعدِ
فلا ترتعي مني بقلبٍ معذَّبٍ ولا تنجلي مني لطرفٍ مسهَّدِ
فيا ريحُ إن يعصفْ بيَ الشجوُ سكّني ويا غيثُ إن يُضرِمْنيَ الوجدُ أخمدِ
ويا ساكناتِ الطيرِ في دولة الدُّجى أرى، إن دعاكِ الصبحُ، أن لا تغرّدي
لديَّ شكاياتٌ وأنتِ شجيّةٌ فإن تستطيبيها لشجوكِ أنشدي
ولا تحسبي التقليدَ يُذهبُ حسنَها فكم حسناتٍ قد أتت من مقلّدِ

* * *

تركتُ الغنى لا عاجزاً عن طلابِهِ وأنزلتُ نفسي من منازلِ محتدي
وهذي بحمدِ اللهِ مني براءةٌ فيا أفقُ سجِّلْها ويا أنجمُ اشهدي

ولي الدين يكن

الى الله ..!

يا ربِّ اين تُرى تقامُ جهنّمُ للظالمين غداً وللأشرارِ
لم يُبقِ عفوُكَ في السماواتِ العلى والأرضِ شبراً خالياً للنار
يا ربِّ أهِّلْني لفضلك واكفِني شَطَطَ العقولِ وفتنةَ الأفكارِ
ومرِ الوجود يشفَّ عنك لكي أرى غضبَ اللطيف ورحمةَ الجبَّارِ
يا عالِمَ الاسرارِ حسبيَ محنةً علمي بأنك عالِمُ الاسرارِ
أخلقْ برحمتك التي تسعُ الورى ألاَّ تضيقَ بأعظمِ الاوزارِ

اسماعيل صبري

لكنَّ مصراً . .

ناظم هذه القصيدة شاعر مطبوع ، عرفته مصر يوم كان ينشر في صحفها باكورة ثمار قريحته . ثم نشر هنا ديوانه ، فتوسمنا فيه سليقة شعرية ما زالت تنجلي في كل ما نظمه بعدئذ . وقد أرسل الينا من الولايات المتحدة – حيث هو يقيم الآن – القصيدة الآتية يحيي بها مصر ويحن الى وادي النيل :

أشقى البرية نفساً صاحب الهمم ... وأتعسُ الخلق حظاً صاحبُ القلمِ
عافَ الزمانُ بني الدنيا وقيّدَهُ ... والطيرُ يُحبَسُ منها جيّدُ النغَمِ
وحكّمت يدُه الاقلامَ في دمهِ ... فلم تصنهُ ولم يعدل الى حكمِ
لكلّ ذي همةٍ في دهرهِ أملٌ ... وكلُّ ذي أملٍ في الدهرِ ذو ألمِ
ويلُ الليالي لقد قلّدنني ذرباً ... أدنى الى مهجتي من مهجةِ الخصمِ
ما حدّثتنيَ نفسي أن احطّمَهُ ... إلاَّ خشيتُ على نفسي من الندمِ
فكلما قلتُ زهدي طاردٌ كلَفي ... رجعتُ والوجدُ فيهِ طاردٌ سأمي
يأبى الشقاء الذي يدعونهُ أدباً ... أن يضحكَ الطرسُ الا إن سفكتُ دمي
لقد صحبتُ شبابي واليراع معاً ... أودى شبابي . . . فهل أبقي على قلمي ؟
كأنما الشعراتُ البيضُ طالعةً ... في مفرقي أنجمٌ اشرقنَ في الظُلَمِ
تضاحكَ الشيبُ في رأسي فعرّضَ بي ... ذو الشيب عند الغواني موضِعُ التُهمِ
فكلُّ بيضاء عند الغيدِ فاحمةٌ ... وكل بيضاء عندي ثغرُ مبتسمِ
قلْ للتي ضحكت من لمّتي عجباً ... هل كان ثمَّ شبابٌ غير منصرمِ
قد صرتُ أنحلَ من طيفٍ وأحيرَ من ... ضيفٍ واسهرَ من راعٍ على غنمِ

* * *

وليلةٍ بتُّ أجني من كواكبها ... عقداً كأني أنالُ الشهبَ من أممِ
لا ذاقَ طرفي الكرى حتى تنالَ يدي ... ما لا يفوزُ به غيري من الحلُمِ

ليس الوقوفُ على الأطلال من خُلُقي ولا البكاء على ما فاتَ من شيَمي

لكنّ مصراً وما نفسي بناسيةٍ مليكة الشرق ذات النيلِ والهرمِ

صرفت شطرَ الصبى فيها فما خشيت رجلي العثارَ ولا نفسي من الوصَمِ

في فتيةٍ كالنجومِ الزُهر أوجههم ما فيهم غير مطبوعٍ على الكرمِ

لا يقبضونَ مع اللأواء أيديَهم وقلما جادَ ذو وَفرٍ مع الأزمِ

في ذمةِ الغربِ مشتاقٌ ينازعهُ شوقٌ الى مهبطِ الآياتِ والحِكَمِ

ما تغربُ الشمسُ الا أدمعي شفقٌ تنسى العيونُ لديهِ حمرةَ العَنمِ

وما سرت نسماتٌ نحوها سحراً ألا وددتُ لو آني كنت في النسمِ

ما حالُ تلك المغاني بعد عاشقها فإنني بعدها للسُهد والسقمِ

بين الجوانحِ همٌّ ما يخامرُني الا وأشرقني بالباردِ الشبمِ

جادَ الكنانةَ عني وابلٌ غَدِقٌ وان يكُ النيل يغنيها عن الديَمِ

الشرقُ تاجٌ ومصرٌ منه درّتهُ والشرقُ جيشٌ ومصر حاملُ العلَمِ

هيهات تطرفُ فيها عينُ زائرها بغير ذي أدبٍ أو غير ذي شمم

أحنى على الحرّ من أمٍّ على ولدٍ فالحرُّ في مصرَ كالورقاء في الحَرمِ

ما زلتُ والدهرُ تنبو عن يدي يدُهُ حتى نبتْ ضلةً عن أرضها قدمي

(الولايات المتحدة) ايليا ابو ماضي

﴿ مكارم الأخلاق ﴾

سلوتُ بحمدِ الله عنها وأصبحتْ دواعي الهوى من نحوها لا أجيبها

على أنني لا شامتٌ إن أصابها بلاءٌ ولا راضٍ بوجهٍ يعيبها

شيخ النحاة

عشرون عاما

في عالم التحرير



اسكندر شاهين

في أواسط الشهر الجاري يغادر مصر حضرة الكاتب المعروف اسكندر افندى شاهين رئيس تحرير جريدة « الوطن » قاصداً الديار البرازيلية—وحضرته من الكتّاب المجيدين في اللغتين العربية والانجليزية فأحببنا بهذه المناسبة ان ننشر للقرّاء صورة هذا الصحافي القديم ، وان نُشيّعهُ بكلمة وداع باسم الصحافة التي خدمها زهاء ربع قرن ، سائلين له في غربته كلّ توفيق ونجاح . وقد نشرنا في الصفحات التالية كلمته في وداع مصر ، قال :

في مثل هذا اليوم من عشرين سنة مضت — في اليوم الأوّل من شهر يوليو سنة ١٨٩٣ — رأيتُ ان أبتاع من بعضهم جريدةً أسبوعية اسمُها « الرأي العام» كنت أطبعُها لشابّين سوريّين لم يتفقا على تحريرها، ولكنهما اتفقا على تركها لي ؛ فاشتغلتُ بها من ذلك اليوم ، وجعلتُ أغيّر ما بها على مهلٍ ، وأحرّرها من رقّ الرياء ، لأنها نشأت على عبادة السلطان عبدالحميد ومدح أبي الهدى ، وما بقيَ من أساليب الوطنية التي كانت شائعةً في ذلك الزمان ، حتى جعلتها « الرأيَ العام » المعروف في أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضي . وتدرَّجتُ منها الى الإشتغال بتحرير الجرائد اليومية ، وبغير هذا من فنون القلم الى ان بلغتُ هذا النهارَ من عمريَ الصحافي ، وذكرتُ ذيَّاكَ العمرَ الطويلَ وهاتيك الحوادث الكثيرة والعبر المتوالية ؛ فقلت إني آنَ لي أن أستريحَ قليلاً من عناء حرفةٍ لم تفارقني ولم أخنْ عهدَها في كلّ هذه السنين ؛ لعلّ الراحةَ تجدّد القوى وتنسي بعض الذي مرَّ من متاعب التحرير والتحبير

وماذا أقول وما الذي أسطّر هنا من خزانةٍ وعت أموراً تضيق بها المجلدات ، وذاكرةٍ طالما أغنتني عن بعيد الكتب وعزيز المؤلفات ؛ لعمركَ لو انني أسطرُ عشرَ الذي يجول الان في ذهني بينا أنا أخطّ هذه السطور لاغنيتك عن مطالعات أسبوعٍ أو شهرٍ من الزمان . أقول ذلك لانني ذاهبٌ الى ابعد القارّاتِ عن هذا القطر لاقضي فيها اشهراً ، وليس يدري غيرُ الله كيف يكون الختام . ان النفسَ ألفت بلاداً قضيت فيها زهرةَ العمر وجئتها من نحو ٢٩ عاماً ؛ فعسيرٌ عليها أن تحنّ الى وادٍ

غير وادي النيل ، أو ان تطلبَ اللقاء بخلاَّنٍ غير الذين عاشرتهم كل هذا العمر الطويل . فسواءٌ جرت سفينة الارزاق بما تشتهي نفسي وتمنى جوارحي ، أو سارت الاقدار بي في سبيلٍ آخر ، فلأذكرنَّ عهد الولاء الى آخرِ العمر . واللهُ يفعل بعباده ما يشاء

ولقد ساءني اناسٌ مدةَ هذه السنين وساءَ ظنهم بي فكانوا يتهمونني في أوَّل الأمر بخيانة الدولةِ وعداءِ السلطان ؛ ثم رجعوا الى رأيي بعد ان طال عهد الجفاء . واتهموني بعد ذلك بمصانعة الدولة الانكليزية لانتفعَ باموالها ؛ ثم ظهر ان التهمةَ أبعد عن الصدق مما بين القطبين . وقالوا اني كنتُ مفرِّقاً بين طوائفِ المصريين ، فثبت نقيضُ الذي قالوا بعد ان تغيرت بعضُ الخواطر الى حين . وقد مضى الآن زمان هذه المزاعم ومضى تأثيرها ، فكان على الجملة كما اتمنى ، وبقيَ في الاذهان عامةً حقيقة اعدُّها اثمنَ من المال المكنوز ؛ الا وهي انني خدمت الحقَّ في كل حياتي الصحافية خدمةَ الذي يقدِّمُ الحقَّ على كل مصلحة أو شأن . وعرفتُ بالصدق لا يختلفُ ضميري عن لساني ، ولا تخون نفسي الحقَّ في حال من الاحوال . هذا هو فخري وهذا جزائي من الناس بعد الاشتغالِ عشرين سنة بالكتابة والتحرير ؛ ونعم الجزاءُ ونعم الاجرُ الكبير

وليس يؤخذُ مما تقدَّم أنني ادَّعي العصمةَ والكمال ؛ بل إن خطتي كانت خطةَ الصراحة والصدق . فسواء صدقت آرائي في هذه المسائل العديدة التي كتبتُ فيها أو أخطأت ، فانَّ القولَ كان صادراً عن اعتقاد بصحته ، وعن عزمٍ على ايراد الحقيقة واهمال كل مصلحة يفيد فيها

الكذب والرياء . فاذا قدّر لي أن أعودَ الى هذا القلم رجعتُ اليهِ ولم ارجع عن المبدإ الذي أفخر بهِ وقد رأيته انفعَ من مبادئ الذين يتقلبون مع الاهواء ، ويبدون في كل يوم بشكل جديد

واسأتُ في ما مضى الى كثيرين ايضاً ربما كان معظمهم من الزملاء الذين يقضي اختلافُ الرأي بمجادلتهم من حين الى حين . والله يشهدُ أنني ما جرحتُ نفساً بقصد ايلامها ولا تهجمت على رجل بالطعن ، وأنني كنتُ أحزنُ لما يصيبُ الخصمَ الصحافي ولا حزنَ اصحابه والاخصاء الاقربين . على ان المطاعنَ الصحافية كلها خطأ قبيح ، ولا بدَّ أن يكون قلمي قد زلَّ مراراً وأغضبَ بعض الرفاق فاسألهم الصفحَ والمعذرة ، وأرجو ان يكون عامنا الحالي اخرَ أعوامِ التجريح والمشاتمة في عالم التحرير

قلتُ انَّ الذي تعي ذاكرتي من حوادث هذا العمر الصحافي والذي يعنُّ لي ايرادهُ شيء كثير . فاذا شاء قراء الوطن ان اوافيهم بشيء من هذا ومما يفيدني الاختبار القادم في قارة اميركا الجنوبية فعلتُ بعد ان اذوق الراحة أياماً . واماً اليوم فا كتفي بشكرٍ عام ارسلهُ الى كل صديق كريم وذي وداد طلب لي الخير فيما مضى ؛ وأسأل الله ان يوفق كلاًّ منا الى الغرض الذي يطلبه ، وان يديمَ ايامَ الصفاء والهناء لجميع الاخوان الذين عرفتهم في وادي النيل

اسكندر شاهين

صاحب البرق



عشتُ شقيًّا ولم أبالِ ولم يمرَّ الهنـا ببالي
اعلّلُ النفسَ في نهاري والزمُ الدرسَ في الليالي
رقَّ شعوري فرقَّ جسمي ورقَّ ديني ورقَّ مالي

بشاره خوري

اذا قلتَ في تعريف « البرق » : إنها « جريدة اجتماعية ادبيـة انتقادية» — كما هو مكتوب في صدرها — فانك لم تخصصها بهذا القول؛ ولكنك اذا قلتَ فيها : إنها جريدة يحبها النشء السوري المتأدب ، وإنها

في سوريا جريدة السوريين المهاجرين في الأقطار الأميركية فقد ميزتها حينئذٍ بصفتين خصيصتين بها

نشأت في بيروت على أثر اعلان الدستور في تركيا ، ولم يكن لها رأس مالٍ ماديّ قط ، ولا معنويّ سوى أدب منشئها ونشاطهِ ، وسوى تلك الفوضى الهائلة التي انتشرت في البلاد يومئذٍ . على أنها ما برحت سائرة في طريقها يدفعها نشاط الشباب الى الأمام ، وتحببها حرية القلم الى القرّاء حتى بلغت اليوم السنة الخامسة من حياتها وقد بلغت معها شأواً كبيراً من النجاح

هذه هيَ جريدة البرق التي اثنى عليها حضرة الكاتب الشهير سليم افندي سركيس ذلك الثناء الطيّب في حفلة اكرام خليل افندي مطران الشاعر المحبوب ؛ فانّ البرق دعت انصار الأدب في سوريا الى الاشتراك في تكريم شاعر القطرين وارسلت اليهِ باسم اولئك الأدباء هدية جميلة اعترافاً بفضله ونبوغهِ

أما صاحب البرق ، بشاره افندي الخوري ، ففي ما دون الثلاثين من العمر . وهو ذكيُّ الفؤاد ، عصبي المزاج ، سريع التأثر . اذا كتب راضياً سالت كلماتهُ رضىً وصفاءً ، واذا كتب غاضباً قطرقلمهُ سمّاً زعافاً . وهو شاعر مجيد ليس للصناعة أثرٌ ما في شعره وان كان أثرها يظهر على الغالب في نثره ؛ ذلك لأنهُ يقول الشعر عفوَ الخاطر غير مغصوبٍ عليهِ ، ويكتب على الأكثر محمولاً على الكتابة إما بحكم السياسة وإما بحكم الأحوال . ولقد أُتيح « للزُّهور » أن تنشر شيئاً من شعره في بعض

أجزائها السابقة — والزهور كما يعهدها القرّاء لا تنشر من الشعر الا الجيّد المختار — فكان في الذي رويناه له، على قلّته، دليل على الإجادة والمقدرة . على انّ ذلك القليل لم يكن كافياً لاظهار الشاعر بمظهره الحقيقي من الشاعرية فرأينا أن نختار اليوم مما وقع الينا من شعره ما لعلّه ان يكون ادلّ على فضلهِ، وافصح عن بيانهِ وادبهِ

قال من قصيدة :

يا هندُ قد ألِفَ الخميلةَ بلبلٌ ... يشدو فتصطفقُ الغصونُ وتطربُ
هوَ شاعرُ الأطيارِ لا متكبّرٌ ... صَلِفٌ ولا هو بالإِمارةِ معجَبُ
تتعشّقُ الأزهارُ عذْبَ غنــائهِ ... فاذا شدا فبكلّ ثغرٍ كوكبُ
والغصنُ – والاوراقُ آذانٌ لهُ – ... ماذا تُرى فيها النسيم يتبتّبُ ؟
واذا الضُحى لمعت بوارقُ ثغرهِ ... نادى باجنــاد الطيورِ تأهبوا
فسمعتَ للأطيــار موسيقى على ... نغماتها يأتي النهارُ ويذهبُ
والصوتُ موهبــةُ السماءِ فطائرٌ ... يشدو على غصنٍ وآخرُ ينعبُ
هي للهزارِ مكانةٌ من أجلهــا ... دبَّت بافئدةِ الحواسدِ عقرَبُ
فتألبوا من حولِ أشمطَ أشيبٍ ... يحدو بهِ للشرّ أشمطُ أشيبُ
فاذا همُ حولَ الغرابِ عصابة ... باحطَّ من أخلاقها تتعصَّبُ
فشكوا لبعضهمِ الهزارَ وجذوةً ... بفؤادِ كلٍّ منهمُ تتلهبُ
وتشاوروا فاذا الوشايةُ خيرُ ما ... شَرَكٍ به يقعُ الهزارُ فيُعطبُ
فسعوا بهِ فاذا الهزارُ مقفَّصٌ ... والبومُ منطلِقُ الجوانحِ يلعبُ

* * *

يا هندُ إني كالهزارِ فان يكنْ ... هو مذنباً فانا كذلك مذنبُ

وقال من قصيدة :

ايهِ لبنــانُ والجداولُ تجري　　فيك برداً فتنعش الظمآنــا
ايهِ لبنانُ والنسيمُ عليلاً　　يتهــادى فيعطف الأغصانا
حبذا السفح معبداً لصغارالـ　　ـطير تشدو لربهــا الألحانا
خافقات الجنــاح للشمس آناً　　خافقــات الفؤاد للحب آنا
آمنات فى السفح كاسرة الجـ　　ـوِّ فــلا تأتلي بهِ طَيَرانا
فترفّ الاديمَ تخلس الحـ　　ـبَّ وتظمى فتقصدُ الغدرانــا
واذا الشمس ودَّعت ودَّعت تلـ　　ـك السواقي والزهرَ والافنــانا
واستقرَّت في وكرها آمناتٍ　　كلٌّ قلبين يخفقان حنانــا
مطبقات الجفون يحفظهــا الأمـ　　ـن كما الجفن يحفظ الانسانــا

* * *

ايّهاذي الطيور مَن قسم الحـ　　ـظَّ ومَن قال للشقا كن فكانا
ايّهاذي الطيور حسبكِ في السفـ　　ـح انطلاقــاً جوانحاً ولسانا
اتجيدينهُ البيان على الأفنــا　　ن والنــاس لا تجيد البيانا
وتعيشين والرجال بلبنــا　　ن يموتون شقوةً وهوانــا
ان كفاً تفصّل الثوب للعر　　س لكفٌّ تفصّل الاكفانــا

ولهُ في بكاء والده :

وقفتُ حيالَ القبر ما انا نابسٌ　　بشعرٍ ولكن مقلتي تنبس الشعرا
وهل كنتُ عند القبر غيرَ قصيدةٍ　　بواكي قوافيها تُرى دون ان تُقرا
فتىً دامع العينين مضطرب الحشا　　يكفكف باليمنى ويسند باليسرى
وفي عينه ما يعجز الوصفَ بعضهُ　　وفي صدره ما بعضهُ يُحرج الصدرا

وله من قصيدة ضمّنها حكاية قال :

فتىً يتعثّرُ في لؤمهِ 　 كما يتعثرُ في جهلهِ
نواظرُهُ تحت أقدامهِ 　 كباحثةٍ ثَمّ عن اصلهِ
لتسقِطُ امُّ الجنين آبنَها 　 اذا حلمت بفتىً مثلهِ
ولو ابصرت عينهُ وجهَه 　 لقلتُ العفاء على نسلهِ

ولهُ وقد طالما جلس الى الكأس حزيناً فما زال بها حتى سُرّيَ عنه وفارقها يتهادى انبساطاً :

تبسمْ وشعشعْ لي السلافة في الكاسِ 　 فثغرك في ليل الحوادث نبراسي
ولا تلمَسِ الكأسَ التي قد رشفتها 　 أخاف على كفّيك من حرّ انفاسي
يقول ليَ الآسي فوآدك موجعٌ 　 فمَن انبأ الآسي بفعلك يا قاسي
وينصحني الاخوانُ بالخمر انهـا 　 على زعمهم تشفي من الألم الراسي
فها انا استشفي بهـا كلَّ ليلةٍ 　 الم ترَني استتبعُ الكأسَ بالكاسِ
واعجبُ من نفسي ودائي بمهجتي 　 أعالجهُ بالخمر ترقى الى رأسي

وله من قصيدة في وصف ارز لبنان الشهير :

جبالٌ على شكل الهلال محيطةٌ 　 بمفرق قاديشا تناجي الغواديا
قوائمُ حول الأرز منّاعـةٌ له 　 اذا صادمتـه الحادثات عواديا
وما الارز الا آية اللهِ في الورى 　 فبوركَ ضخمَ الجزع ريّانَ ناميا

أ وليس في هذه المختارات القليلة ما ينمُّ عن شاعرية فطرية تُحلّ صاحبها منزلةً عاليـة بين الشعراء المجيدين ؟ انّ المستقبل بسّام لصاحب البرق والوسائل متوافرة لديه من ذكاء عزم وتوقّد فكرة ونشاط شباب

ثمرات المطابع

* خواطر في الحقوق والادب — هذه مجموعة تلك المقالات الغراء التي كان ينشرها في جريدة الاخبار حضرة الكاتب الفاضل سامي افندي الجريديني المحامي المشهور. وانَّ الادباء ليذكرون مقدار التأثير الذي كانت تؤثرهُ مباحثهُ الطليّة في النفوس، وصدى الاستحسان الذي كانت تجده كل مقالة منها. جمعها حضرتهُ ضناً بفائدتها وحرصاً عليها فجاءت كتاباً شاملا ابحاثاً دقيقة في مواضيع شتىً كالربا والطلاق وحقوق الملاّك وحقوق الحياة ونظريات صادقة في اداب اللغة العربية مفرغة جميعها في قالب لطيف رشيق العبارة سهل المأخذ لا يبعد عن الافهام، مؤيدة دائماً بالدليل تلو الدليل والحجة اثر الحجة مع ظرف وكياسة في التعبير وذوق سليم في الانتقاد. وقد عرف قراء الزهور مقدرة سامي افندي في الكتابة، واجادته في التعبير من ترجمته لرواية يوليوس قيصر التي نشرت متسلسلة في هذه المجلة فكان لها وقع حسن جداً في النفوس واتخذها تلاميذ المدارس معواناً لهم على تفهّم شكسبير واستيعاب اغراضه ومعانيه. فنثني على حضرته كل الثناء

* الإسعاف الاوّلي[1] — لم يعجب أحدٌ من عارفي فضل الدكتور محمد عبدالحميد ونشاطهِ في خدمة العلم من وجود اسمهِ في الشهر الفائت مدرجاً بين اسماء الذين أنعمت عليهم الحضرة الفخيمة الخديوية بلقب

(١) يُطلب من مؤلفهِ في قليوب ومن مكتبة المعارف في مصر وثمنهُ ١٠ قروش

البكوية ، بل قابل الجميعُ هذا الانعام بالاستحسان التـامّ بالنظر الى ما لحضرة هذا الطبيب المجتهد من الخدم الجليلة في سبيل العلم . فان كتبهُ الطبية التي يتابع نشرها باللغة العربية أصبحت تؤلف مكتبة قائمة بنفسها وآخر كتاب اتحفنا بهِ هو كتاب « الاسعاف الاولي » الذي يتضمن ما يجب عملهُ حين حدوث اصابة أو وقوع طارئ ريثما يحضر الطبيب ، مما يجب أن يعرفهُ الجميع . ولا يخفى ما في هذا الموضوع من الفـائدة . فنثني على همة الدكتور عبدالحميد بك ونرجو لمؤلفاتهِ النفيسة كل رواج

* تاريخ الحرب البلقانية [1] — يحملُ الينا البريد اكداساً من الكتب الافرنجية الموضوعة في تاريخ الحرب التي تأججت نيرانها هذه السنة في شبه جزيرة البلقان . وقد رأينا فريقاً من كتاب العربية طرقوا أيضاً هذا الموضوع ، مما دلَّنـا ان المؤلفين عندنا اخذوا ايضاً يضعون الكتب في الحوادث الجارية لفائدة القراء ، ومن هذا النوع «تاريخ الحرب البلقانية» لـكاتبـه المنشيء المتفنن سليم افندي المقاد الصحافي البيروتي المعروف . وقد تناول فيه لمحةً من تاريخ الدول البلقانية وجغرافية بلادها ومقدمات تلك الحرب الطاحنة وما جرى فيها من المواقع ، وما دار من المفاوضات كلّ ذلك بعبارة طلية منسجمة تمّ عن عهدٍ مكين بين الكاتب والقلم . والكتاب مزين باربعة عشر رسماً وخريطتين حربيتين

* رجال المعلّقات العشر [2] — كتـابٌ نفيس وسفرٌ جليل اهدتهُ

(١) مطبعة الهلال — ثمنهُ ٤ قروش ويطلب من المكاتب ومن مؤلفه في شارع المهراني بالفجالة (٢) طبع بالمطبعة الأهلية في بيروت . ويُطلب في مصر من مكتبة المنار

الينا مكتبة المنار الشهيرة في مصر . وقد وضعهُ حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى الغلاييني مدرّس اللغة العربية في المكتب السلطاني والكلية العثمانية في بيروت ، وضمّنهُ تاريخ شعراء المعلقات العشر وانسابهم ونفيس اشعارهم وما اتفق لهم من الحوادث مما يجدُ القارئ فيه لذةً وفائدة كبيرتين . وقد ضبط الشعر بالشكل الكامل وشرحهُ شرحاً وافياً لمساعدة المطالع على تفهّم المفردات والمعاني . وصدّر الكتاب بمقدمتين جليلتي النفع ضافيتي الذيول : الاولى تتضمن خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام ، والثانية تشتمل خلاصة تاريخ ادب اللغة العربية من لدن العصر الجاهلي حتى الزمن الحاضر . ولم يدّخر المؤلف وسعاً في مراجعة الدواوين وكتب الأدب القديمة والحديثة ، حتى جاء عمله متقناً وافياً بالغرض . ولا نشك في ان الاقبال سيكون عظيما على هذا الكتاب الجميل في ابان النهضة العربية الحاضرة

* منتخبات الشيخ أمين الحدّاد — قلنا في « الزهور » (سنة ٣ صفحة ٣٠٧) كلمةً في المرحوم الشيخ امين الحداد من حيث هو كاتبٌ وشاعر ، فلا حاجة بنا اليوم الى زيادة القراء تعريفاً بهِ . انما يسرّنا ان نعلن محبي النظم الرائق والنثر الطلي انهُ صدر في عالم المطبوعات كتابٌ نفيس جمع بين دفّتيهِ مئتين وثلاثين موضوعاً من المواضيع التي جال فيها قلم الفقيد . والفضل في نشر هذا الكتاب عائد لحضرة الأديب المشهور الشيخ سلامه حجازي الذي اراد ان يطبعه على نفقتهِ الخاصة تخليداً لمآثر ابناء الحداد وتذكاراً لاشتغاله مع المرحوم الشيخ نجيب بفن التمثيل

العربي الذي بلغ على يدهما مبلغاً بعيداً من الاتقان

* صحيفة طفل [1] — الانسة اوليفيا عبد الشهيد الأقصرية كاتبة يحقّ ان يقال فيها انها تغمس قلمها عندما تكتب في دموع عينيها او دم فؤادها لأن كتابها النفيس العائلة المصرية (زهور سنة ٣ صفحة ٣٢٥) كله حسّ وشعور اما كتيبها الجديد فهو « صحيفة طفلٍ » كتبها « شقيقها الوديع » وعلقت هي عليها « ابتسامة فتاةٍ » ، ابتسامة جميلة تترقرق في خلالها دمعة مؤثرة

* آداب المراسلة [2] — كتابٌ وضعهُ حضرة العالم الفاضل الخوري بطرس البستاني ، وضمّنه كلّ ما يجب على الطالب معرفته من اصول المراسلة وقواعدها وانواعها المتعددة ، وشفعهُ بامثلةٍ كثيرة تمرّن التلميذ على تطبيق تلك القواعد . وفي ذيل الكتاب مواضيع شتى ليتوسع فيها الطالب فتتقوّى فيهِ ملكة الانشاء . كل ذلك باسلوبٍ جليّ واضح ، مما يجعل لهذا الكتاب فائدةً كبرى

* حديث القلوب [3] — عرّفنا القراء بالكاتب الشهير لامينه في الزهور (سنة ٢ صفحة ٢٩٣) يومَ نشرنا فصلاً له ترجمه لهذه المجلة الاديب حنا افندي صاود . وقد اكمل حضرتهُ ترجمة الكتاب برمتهِ ونشره لقراء العربية فجاءت الترجمة سلسة العبارة فصيحة الاسلوب

---

(١) مطبعة التوفيق في مصر

(٢) طبع في المطبعة العلمية ويطلب من المكتبة العمومية الشهيرة في بيروت وثمنه فرنك ونصف　(٣) مطبعة جرجي افندي غرزوزي في الاسكندرية

* التصريف الملوكي[1] — هذا كتيّب في التصريف من صنعة أبي الفتح عثمان بن عبدالله ابن جنّي النحوي المشهور عنيَ بتصحيحهِ وشرحهِ السيد محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي وطبعته شركة التمدن الصناعية. وهو كتاب حريّ بطلبة قواعد اللغة وأصولها ان يطالعوه بامعان وتدقيق لما فيه من الفوائد

* زهرة الشباب في لغة الأعراب[2] — جاءنا الجزء الاوّل من هذا الكتاب لمؤلفهِ الأديب السيد عثمان افندي لطفي من المدرسين بمدرسة سعيد الأوّل، وهو يشتمل على قواعد النحو على طريقة السؤال والجواب ، ويلي كلّ درس تمرين على القواعد التي مرّ شرحها . فنشكر للمؤلف غيرته على لسان العرب

* تربية الطفل[3] — للدكتور سروبيان طبيب مستشفى لادي كرومر وطبيب ملجإ الاطفال اللقطاء في مصر عناية خصوصية بنشر الكتب الطبيّة المفيدة التي لا غنى عن الرجوع اليها . ومن هذه الكتب كتاب تربية الطفل وهو على صغر حجمه جامع لفوائد جلّى اذا نشّئ الطفل بحسبها نشأ قويّ البنية جيد الصحة . فنوجه انظار الامهات خصوصاً الى هذا المؤلَف المفيد ونتمنى له الرواج

---

(١) يُطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر وثمنهُ قرشان صاغ
(٢) مطبعة جرجي افندي غرزوزي بالاسكندرية وثمنه قرشان
(٣) طبع في مطبعة المعارف ويطلب منها وثمنه ٤ غروش صاغ

جناية شبرا

مررت مُبكّراً في الصباح بدار بوليس الازبكية في ميدان باب الحديد ، ودخلت على حضرة المأمور أروم محادثتهُ لعلّي أن استفيد منهُ خبراً ما لجريدتي « الأيام » التي أنشرها في مصر منذ عهدٍ بعيــد . وكانت بيني وبين هذا الموظّف النشيط صداقة قديمة العهد لم يكن يمنعني من أجلها شيئاً يجيزهُ لهُ القانون . وفيما نحن نتحدّث سمعنا ضجيجاً عالياً في باحة الدائرة ، وصارخاً يصرخ ملء فيه : أين المأمور ؟ أين المأمور ؟ فالتفتَ اليَّ صاحبي وقال : انَّ خلف هذا الصباح أمراً جللاً . فتبسمت وقلت : ذلك ما جئت اليك من أجله . ولم أكد ألفظ الكلمة الأخيرة حتى دخل علينا رجل فوق الخمسين من العمر تدلُّ ملامحهُ على القلق والخوف . ولم يتمهَّل ريثما يسألهُ صاحبي عما يريد من مفاجأتهِ لنــا على تلك الصورة بل قال : تفضَّل يا حضرة المأمور الى منزلي نمرة ١٣ بشارع سلامه في شبرا ، فقد ارتُـكبَت الليلةَ فيهِ جناية فظيعة . انَّ يداً اثيمةً امتدَّت الى ابنتي في سريرها فقتلتها شرَّ قتلة . . مسكينة ادماء ! واهاً عليكِ يا ادماء !

فقال المأمور وقد مدَّ يدهُ الى التلفون : ومَن القاتل ؟

فأجاب الرجل : لا أعرفهُ يا سيدي . اننا أطلنا السهرَ الليلة البارحة اذ كنَّا نعدُّ المعدَّات لحفلات هذا النهار ، فقد كان اليوم موعداً لزواج ادماء بابن عمّها ووارثي الوحيد بعدها ، ونمنا على أن نبكّر الى العرس فبكّرَ الينا المأتم

وفيما كان الرجل يتكلم ، كان المأمور قد أخذ يخاطب بالتليفون وكيل النيابة العمومية

ولم تمضِ الاَّ دقائق قليلة حتى وقفت بنا العربات أمام المنزل المعيّن . وكنتُ

قد استأذنتُ صديقي في مرافقتهِ فركبت الى جانب والد ادماء ، وفاتحتهُ الحديث قائلاً : ألا تشرّفني بمعرفتك يا سيّدي ؟ أما انا فاسمي : وسيم الريّان صاحب جريدة « الايام » ورئيس تحريرها فقال : وانا فرج الله خوري تاجر مصوغات وجواهر في الخان الخليلي

وكانت باحة المنزل حين وصولنا قد كادت تغصّ بالناس وهم يتهامسون بينهم ؛ فامر المأمور رجالهُ بتفريقهم ، ثمَّ دخل ودخلنا وراءه فلقينا الخادمة تبكي بمرارة وتتأوّه على سيدتهـا . وكان هنالك أيضاً شابٌ في نحو الثلاثين من العمر يروح ويجيء قلقاً مضطرباً ، ولم يكن في عينيهِ اثر للبكاء قط ؛ غير انَّ بياض المقلتين كان قد تحوّل الى احمرار قرمزيّ كأن الدم جال فيهما بدلَ الدمع

ثمَّ سأل المأمور صاحب الدار عن مكان وجود الجثة ، فمشى امامنا الى غرفة في أقصى المنزل وقال : هنا . . هنا غرفة أدماء . ودخلنا فابصرنا على سرير في احدى الزوايا فتاةً شاحبة اللون ، واحدى يديها ملقاة على جانبها الأيسر حيث تدفّق الدمُ فضرَّج ملابس نومها البيضاء واغطية فراشها . وهي ما تزال في السرير كأنها نائمة نومةً طبيعية ، ممّا دلّ على أن قاتلها فتك بها في خلال رقادها . وكانت على الارض ، حذاء السرير ، سكّين حادّة من السكاكين التي تُستعمل في مطابخ البيوت ؛ وهي ملوّثة بالدم أيضاً . أما الجاني فلم يكن أحد يعرف شيئاً عنهُ ؛ غير انّ خفير الحيّ شهد بعدئذٍ بأنهُ أبصر في المنزل المقابل غرفةً بقيت مُنارةً معظمَ الليل ، وخيالَ شابٍ كان يروح ويجيء فيها حيناً بعد حين . ثمَّ انطفأ نورها في نحو الساعة الثالثة صباحاً

وأثَّر فينا جميعنا منظر الجثة وعلى مقربة منها الآلة القاتلة فارتعشنا واقشعرّت ابداننا . وكان الطبيب قد دخل الغرفة حينئذٍ ؛ فجسَّ نبض الفتاة ، ثمَّ انحنى باذنه على صدرها يتسمّع خفقان قلبها . وكأنما خامرهُ شكٌ في موتها فأخذ مرآة وادناها من فمها برهة ، ثم تأملها فأبصر عليها شبه غشاوة مما دلهُ على انهُ لم تزل في ذلك

الجسم بقية من الحياة . فالتفت الينا وقال : هي حية لم تمت بعد ! وكأن لفظة الحياة نبّهت خطيب الفتاة فأجفل وتقدّم خطوة الى السرير محملقاً في الطبيب كمن فوجىء بما لم يكن يتوقع . أمّا الأب فترامى على أقدام الطبيب وهو يقول لهُ : أحيها . . . بربّك أحيها . ثمّ جثا يصلّي

ورأيت في تلك الساعة ما لم أرهُ من قبل : أباً جاثياً يدعو الله وملء نفسه خشوع ورجاء وملء ناظرَيه ذلّة وحزن ؛ وعاشقاً تتنقّل نظراته من السرير الى الطبيب الى السكّين ؛ ورجالَ حكومة واجمين ينظرون بلهفة وأمل ؛ وطبيباً أحدقت به القلوب كأنّ كهربائية انتقلت منها الى يديه فحركتهما على ذلك الجسم المسجّى بدون حراك . ورأيتني وحدي في ذلك الموقف ثابت الجأش أرى وألاحظ ، وأعي غير ذاهل ، حتى لقد ظننتني اسمع خفقة كلّ قلبٍ في كلّ صدر ، واحسّ دبيب كلّ خاطرٍ في كلّ ضمير

حينئذ أشار الطبيب فخرج الجميع من الغرفة ، واقام هو وحده يعالج الفتاة . وبثّ المأمور رجاله في المنزل وحواليه ، ثمّ أخذ في التحقيق الأوّليّ فعرف أنّ ربَّ البيت يسمّى فرج الله خوري وأنّه يتّجر في الخان الخليلي بالمصوغات والحجارة الكريمة ، وأن ابنته وحيدة لهُ واسمها أدماء وقد توفيت والدتها وهي في نحو الخامسة من عمرها فربّاها ابوها وأدّبها في المدارس ولم يشأ أن يتزوج ثانية حبًّا بها وغيرة عليها . امّا الشاب خطيب ادماء فاسمـــه سليم خوري وهو ابن أخٍ للخواجا فرج الله ؛ هاجر بعد وفاة ابيه الى الترانسفال واقام فيهـــا نحواً من عشر سنوات ، ثمّ جاء القاهرة للتزوّج بأدماء والاقامة في هذا القطر

وفي نحو الساعة التاسعة جاء وكيل النيابة العمومية وشرع في التحقيق الدقيق فلم يلبث أن توصّل الى معرفة الجاني ؛ فان الخادمة اطلعتهُ على علاقات أدماء بفتىً يدعى «فؤاد اليافي» يسكن منزلاً مجاوراً . وكان كثيراً ما يحادث أدماء من النافذة

متى خيّم الليل ونام الخواجا فرج الله . وكانت الخادمة تنقل رسائله الى سيدتها وتحمل أجوبتها اليه ؛ قالت وأن آخر رسالة جاءت بها منه كانت في نفس الليلة التي ارتكبت فيها الجناية وقد ناولها اياها بيدٍ مرتجفة وفي نظراتهِ معنى الاضطراب والغضب . . .

وعثر وكيل النيابة على تلك الرسالة تحت وسادة ادماء فاذا هي هذه :

« وعدتِ ثم أخلفتِ . ويلٌ لكِ يا ظالمة ! أعقبى حبنا أن تكوني زوجةً لسواي ؟ ؟ تالله لن يكون ذلك ابداً . ليس والدك الذي أراد ، بل أنتِ التي آثرتِ ابن عمك عليَّ . كذبتِ في غرامكِ ، كما كذبتِ في عهودكِ . أمَّا أنا فلن اكذب في عزمي . آليتُ ألاَّ يسعد ابن عمكِ بك ، وأشقى أنا بدونك . الويل لي اذا كان المأتم غداً بدلاً من العرس ! ! » فؤاد

ثمَّ طرق رجال البوليس منزل فؤاد اليافي وقد اقتنع وكيل النيابة كلَّ الاقتناع بأنَّ فؤاداً هو الجاني لا غيره ، وبأن الذي دفعه الى ارتكاب الجريمة انما هو الغيرة والغرور . ومما ايَّدَ هذا الاقتناع أن فؤاداً لم يبت ليلتهُ كلها في منزلهِ ؛ فقد جاء في نحو الساعة السابعة مساء ، وخلا بنفسهِ في غرفتـهِ الخاصة دون ان يتناول طعام العشاء . ولما افتقدَه أهله في الصباح لم يجدوه ، ولكنهم وجدوا رسالة منهُ على مكتبهِ . فأمَرَ وكيل النيابة بها فاذا فيها ما يأتي :

الى والديَّ العزيزين

ليس في استطاعتي ان أشهد غداً عرس جارتنا ادماء لأن الغيرة تأكل قلبي لذلك أنا ذاهبٌ الساعةَ الى حيث لا أدري . ومتى شفيت نفسي من آلامها عدتُ اليكما . سامحا زلَّتي ، وترقَّبا أخباري فؤاد

ودقَّقتِ النيابة في استجلاء حقيقة العلاقات بين فؤاد وادماء ، فوقعت على رسائل كثيرة في حوزة الفتاة ازالت كلَّ شبهة عن غرام فؤادٍ وغيرته . واتصلت بها من شهودٍ كثيرين امور تافهة في حدّ ذاتها ، ولكنها اذا أضيفت الى مجمل القرائن

كانت دلائلَ قوية على ثبوت الجريمة على ذلك الشاب . ولما توافرت الأدلّة على هذا الشكل أمرت النيابة بتعقّب الجاني، وضيّقت عليهِ سُبُل الفرار من القطر المصري بما بثّتهُ من العيون والارصاد

وفي ذلك النهار نفسهِ ورد على نيابة مصر تلغراف من بوليس الاسكندرية يُفيد القاء القبض على المتهم وهو يتأهب للسفر الى أوروبّا على احدى البواخر . فجاء هذا دليلاً جديداً على أنّ فؤاداً هو الجاني ، لأنّ سفرَه الفجائي لم يكن الاّ بغيةَ الفرار من وجه القضاء والعدل

واتّصل خبرُ الجنـــاية بصحف العاصمة فنشرتهُ ، كعادتها في أمثاله ، مقتضباً ومذيّلاً بكلمات الثناء على مهارة النيابة العمومية ، وتيقّظ رجال البوليس . أما أنا ، وقد رأيتُ بعيني ، وسمعت بأذني ، فاني رويتُ الحادث في « الأيام » مسهباً في تفصيل وقائمهِ كلَّ الاسهاب . ثمَّ قلت في ختام كلامي : انّ على النيابة أن لا تغشى عينيها الأدلّةُ التي اعتبرتها مثبتةً للجريمة على فؤاد افندي البافي ، فقد يحتمل ان تكون تلك الأدلة من نحو الشذوذ في الاتفاق فيكون فؤاد بريئاً من التهمة التي ألصقها بهِ نكد الحظّ

لم أقل ذلك عفوَ الخاطر او من قبيل التفلسف في الامور ؛ وانما بنيت قولي على توافرِ عقائد في نفسي حسبتها براهين تجيزُ ليَ نفيَ التهمة عن فؤادٍ ، والقاءها على عاتق سواه . فعزمت على ان استكشفَ الحقيقة مهما اقتضتهُ من عناء ومال ، لأنّ الصحافي الماهر هو مَن بذل جهدهُ لمعرفة الحقائق ، ثم سبق الى نشرها ؛ وانمـــا بهذين اشتهرت « الأيّام » ومشت في طليعة الجرائدِ العربيّة الكبرى

أمّا شكوكي فبدأت حيث بدأ اقتناع النيابة العمومية . هي كانت ترى كلَّ شيء ايجاباً في حين كنت أراهُ أنا سلباً . فغيرة فؤاد وتهديدهُ ، وسهرهُ وقلقهُ ، ورسالتهُ الى والديهِ، وسفرهُ الى الاسكندرية ، وعزمهُ على مغادرة القطر ، كانت جميعهـا

دلائل وقرائن عليهِ في نظر مَن يأخذ الأمور بظواهرها . غير انَّ النيابة ذهب عن بالها ان تبحث ، في الدرجة الأولى ، عن الطريق التي سلكها فؤاد الى الغرفة النائمة فيها أدماء حتى تمكَّن من ارتكاب الجناية . أمَّا أنا فلم أغفل هذا الأمر قط ، فقد عرفتُ أنَّ الخواجه فرج الله أقفل بيدهِ باب المنزل قبل أن نام ، وترك المفتاح في ثقب الغال من الداخل . ثمَّ علمت انَّ الخادمة ، لمَّا أفاقت في الصباح ، وجدت الباب مفتوحاً فاستنكرت ذلك كما استنكرهُ سيّدهـا والخواجه سليم ايضاً . ولو تنبَّهَ رجال التحقيق الى انَّ الغال لا يمكن فتحهُ بمفتاحٍ من الخارج، ما دام انَّ المفتاح متروك في ثقبهِ من الداخل ، لأدركوا مثلي أنَّ الجاني إمَّا أن يكون غريباً ، وإمَّا أن يكون بعضَ أهل أدماء . فان كان الأوَّل اقتضى أن يكون لهُ شريك ممَّن في المنزل فمكَّنهُ من الدخول ؛ وإن كان الآخر وجب ان يكون أحد اثنين : إمَّا الخادمة ، وإمَّا الخواجه سليم . وأمَّا أن يكون الجاني قد دخل البيت من غير بابهِ فما لم يكن معقولاً قط لأن العلوَّ شاهق جدًّا ، والبيت مطلٌّ من جميع جهاتهِ على الشوارع المنارة حيث الخفراء والمارَّة لا يبرحون بين رواحٍ ومجيءٍ . أضِفْ الى هذا كلهِ انَّ البرد كان قارساً في تلك الليلة ، وأن النوافذ جميعها بقيت مقفلةً حتى الصباح

ولما تشبَّعت من هذهِ الحقائق بحثت عن سيرة الخادمة مُنقباً مستقصياً فعرفت أنها قديمة العهد في منزل الخواجه فرج الله ، وأنها اعتنت بادماء بعد وفاة والدتها ، وحنَت عليها كما لو كانت أمَّها الحقيقية ، وأحبَّتهـا باخلاصٍ شديد ، فكانت لها خادمةً وأمًّا وصديقةً معاً . أوَ بعد هذا ما يستوقف شبهاتي عليها ؟ ولكنني وقعت حينئذٍ في حيرةٍ شديدة : فلا ظنوني بواقفة عنـد الخواجه فرج الله ، ولا شكوكي بمنتقلةٍ الى الخواجه سليم . ذلك والدٌ وهذا خطيبٌ وابن عمّ

فمنِ الجاني اذاً ؟ أشيطانٌ من جهنم ، أم ملكٌ من السماء ؟ ؟

ولقد حاولت كثيراً أن أذهب مذهبَ النيابة العمومية في اتّهام فؤاد اليافي فلم

استطع . وزادني تشبثاً في رأيي هذا أنَّ فؤاداً لم ينكر الجريمة كلَّ الانكار فقط ، بل بكى بُكاءً مرًّا حين درى بها اشفاقاً منهُ وحناناً على ادماء . وقد جرَّب اقناع رجال التحقيق بأنَّ تهديدهُ لحبيبتهِ لم يكن الاَّ تهديداً كاذباً حاول ان يتعلَّق بهِ ، وهو آخر سلاح كان قد بقيَ لهُ ، كما يحاول الغريق التعلُّق بالطحلب في الماء ، وان عزمهُ على السفر لم يكن الاَّ يأساً وقنوطاً لأن نفسه لم تكن تطيق ان يرى أدماء لسواه . على انَّ كلَّ ذلك لم يفدهُ شيئاً ، بل أحالتهُ النيابة العمومية على محكمة الجنايات ليحاكم أمامها كقاتل متعمد . وراجعتُ نفسي مراراً في اتهام الخواجه سليم خوري فما ازددتُ الاَّ اعتقاداً بكونهِ الجاني الاثيم . فقد تبيّنتُ أموراً جديرةً بالاعتبار ، أغفل وكيل النيابة بعضها ، وحملَ بعضها الآخر على محامل شتى . من ذلك : أنَّ الخادمة عرفت السكّين التي طُعنت بها أدماء أنها سكّين مطبخها ، مما دلَّني على أنَّ اليد التي استعملتها وصلت الى مكانها بدون عناء . وهل يُعقل أنَّ قاتلاً متعمداً يجيء ليقتل ، تحت جنح الليل ، فيجيءُ بدون سلاح على نيَّةٍ أن يجد لهُ سلاحاً ما في المكان الذي نوى الجناية فيهِ ؟ ومن ذلك انَّ الجاني كان على يقين من ان ادماء لا تقفل بابها من الداخل في الليل . وانَّى لغريبٍ عن المنزل أن يكون على بيّنةٍ من هذا الأمر ؟ ومن ذلك أيضاً انَّ سليماً كان يحسَب الطعنة قاتلة ؛ فلما فاجأهُ الطبيب بقولهِ إنَّ ادماء حيَّة لم تمت ، أجفل في مكانهِ اجفال مؤملٍ بوغِتَ بضياع أملهِ . ومن ذلك أخيراً انَّ سليماً كان أشدّ الشهود رغبةً في القاء التهمة على فؤاد . وكانت هذهِ الرغبة تبدو عليهِ في أقوالهِ وحركاتهِ جميعها . فكلُّ ذلك قوَّى اعتقادي بأنَّ اليد التي جنت انما هي يدُ سليم دون سواه . ولكنَّ إقدامي على اتهام الرجل في « الأيام » كان محفوفاً بالخطر . فالبيّنات على خطورتها كان يمكن دحضها بمثلها . ولذلك عوَّلت بعد التفكير الطويل على كتمان شكوكي في نفسي ، مع مواصلة التحرّي الدقيق . وكان أوَّل خاطر خطر لي أن ابحث عن ماضي سليم وتاريخهِ في

الترنسفال . فأرسلت رسالة برقية الى زميلي صاحب جريدة « جوهنسبورج دايلي نيوز » في مدينة جوهنسبورج أطلعتهُ فيها على دخائل نفسي وطلبت اليهِ ، بما للزميل على الزميل من الحقوق ، أن يوقفني على حقيقة سليم ؛ فجاءني تلغراف منهُ بعد أيام قصيرة محتوياً على هذه الكلمات «شكوك في محلّها . التفصيل مع البريد »

وكانت ادماء في خلال هذه المدة قد تماثلت للشفاء ، وأخذت تعاودها العافية على مهل . اما شهادتها لدى وكيل النيابة العمومية فكانت قاصرةً على أنها بادلت فؤاداً المحبة ووعدتهُ بالزواج ، ولكنها أُكرهت على النكث بعهدهــا أمام ارادة والدها وإلحاحهِ الشديد وقد أطلعت خطيبهـا سليماً على علاقاتها السابقة بفؤاد ولم تكتمهُ شيئاً منها . ولما جاءتها رسالة التهديد لم تحفل بها كثيراً . ثم نامت ولم تدرِ ما جرى كيف جرى

وأقمتُ انتظر بريد الترنسفال وأنا على مثل الجمر حتى وردت عليَّ بعد مضيّ شهر الرسالة التي نبّئت بها تلغرافيًا ، فنشرتها في « الأيام » وعلّقتُ عليها خواطري وظنوني وخلاصة هذه الرسالة ما يأتي : انَّ الخواجه سليم خوري ، الحمويّ الأصل والنشأة ، هاجر الى الترنسفال منذ عشر سنوات لم يأتِ في خلالها عملاً نافعاً قط ، بل كان على العكس من ذلك فاسد السيرة ، سافل الأخلاق . وقد حكمت عليهِ محاكم جوهنسبورج ثلاث مرَّات لثلاث جرائم ارتكبها كانت خاتمتها سرقة قضى أربع سنوات محبوساً من أجلها ، ولما أُخرج من السجن علق بفتاةٍ روميةٍ مجهولة النسب فتزوَّجها . وكان يُحبُّها حبًّا عظيماً ورزق منها ابنتين وولداً ذكراً

هذا مجمل ما حوتهُ الرسالة . أمَّا النيابة العمومية فاستدعت سليماً اليها على أثر ما نشرتهُ « الأيام » ولم تزل بهِ حتى أقرَّ بأنهُ هو الذي ارتكب الجناية التي اتّهم بها فؤاد افندي اليافي . قال انهُ نكب في الترنسفال بالفقر المدقع ولم يكن يعلم انَّ عمّهُ يملك ثروة كبيرة في مصر . وقد كتب عمّهُ اليهِ في الزمن الأخير ملحًّا عليهِ بأن

يجيءُ القطر المصري فيزوّجهُ بابنتهِ الوحيدة فتحوَّل اليهِ ثروة طائلة . فحار في أمرهِ بين أن يأبى وأن يقبل فإنَّ زواجهُ السابق في جوهنسبورج يحول دون زواجهِ الآخر في مصر وانَّ حبَّهُ لزوجتهِ وأولادهِ يمنعهُ من التخلّي عنهم رغم ما كان يمكن ان يعقب تخليهِ من الحوادث والمشاكل . ورأى من جهة أخرى انهُ اذا لم يأتِ مصر حرم مالاً وفيراً كان في اشدّ الحاجة اليهِ . لذلك وجد انَّ الطريقة المثلى ان يحتال على ثروة عمّهِ بكلّ انواع الحيل فإن لم تسعده هذه ارتكب الجناية غير هيّاب ولا وجل . وساعده على تحقيق امانيّهِ وجودُ العلاقات الحبيَّة بين ادماء وفؤاد اليافي وتجاور بيتيهما . فأقام يترصد فرصة مناسبة لاغتيال الفتاة بدون ان يكون موضعاً للشبهات ولكنهُ احجم اكثر من مرَّة عن ارتكاب الجناية حتى كانت ليلة الزواج وقد اطلعتهُ ادماء على رسالة فؤاد التهديدية فلم يجد خيراً من تلك المناسبة ؛ فأشار على ابنة عمهِ بوجوب الاحتفاظ بالرسالة ، على نية ان يجعلها مرشداً لرجال التحقيق ، ودليلاً يصرف شبهاتهم عنه الى فؤاد ، وقد فتح الباب ليوهم دخول القاتل منهُ ، وهو يحسب ان رسالة التهديد وفتح الباب دليلان كافيان لاثبات التهمة

. . . .

واشتهر بين الناس فضلي باستكشاف حقيقة هذه الجناية فأكبر الجميع عملي ، واعلن ولاة الأمر شكرهم لي . اما انا فلم يسرَّني هذان الإكبار والشكر بقدر ما سرَّني زواج فؤاد افندي اليافي بادماء كريمة الخواجه فرج الله خوري . وكان ذلك على اثر صدور الحكم على سليم الجاني بالاشغال الشاقة

وسيم الريّان
صاحب جريدة الايام
ورئيس تحريرها

منشىء المجلة
انطون الجميل



المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السادس   اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٣   السنة الرابعة

ڤردي

رواية « عائدة » – الأوبرا الخديوية

نبغ فى ايطالية طائفة من رجال الفنون الجميلة شرّفوا اسم بلادهم، وأعلوا مقامها بين الأمم، فأولوها فخراً لم تنلهُ هي ولا غيرها بالحروب والفتوحاتِ الجسام. ولقد ينقلبُ وجهُ العالم السياسيّ فتبيد دولٌ وتُشاد دول، ويبقى لايطالية المجدُ المؤثّل والعزُّ الوطيد، ما دام للشعر والموسيقى والتصوير دولةٌ ورجال، ودولة هذه الفنون الجميلة دائمة ما دام للإنسان قلبٌ يخفق ونفسٌ تتعشّقُ الجمال

تحتفل تلك البلاد فى هذه السنة بعيد ڤردي أحد نوابغها المشهورين فى عالم الأنغام، بمناسبة مرور قرنٍ كامل على ولادتهِ، ولا تسلْ عن معالم الأفراح وحفلات التكريم التي تُقامُ فى هاتيك الربوع احتفاءً بذاك اليوم السعيد. وهكذا الأمم الحيَّة الراقية تكرم ذكرى رجالها النوابغ، فتبعثُ فى صدور أبنائها روح النشاط والهمة

ليس ڤردي بالرجل الغريب عنا حتى ندعَ عيدهُ يمرُّ دون أن تقول فيهِ كلمة، ونطرح على ضريحهِ باقةً من الزهر اسوةً بسائر الأمم التي هبت لتكريم ذكرهِ . فهو مؤلف « عائدة » وعائدة أول رواية ماجنةٍ ظهرت على مسرحنا الوطني الأكبر « الأوبرا الخديوية » وضعها بناءً على طلب خديوي مصر الأسبق، وجعل وقائعها في مصر، ومثلت لأول مرة في مصر، ولا تزال الأجواق الأوربية التي تجيء البلاد في كل شتاء تمثلها بنجاحٍ عظيم؛ لذلك رأينا أن تقول كلمةً في الرجل وأعمالهِ وروايتهِ وعلاقتهِ بنا

***

وُلد فرنسيس يوسف ڤردي في العاشر من شهر اكتوبر سنة ١٨١٣ في احدى قرى دوقيــة پارمه التي كانت تابعةً في ذلك العهد لإحدى مقاطعات فرنسة . وكان والداهُ يُديران فُندُقاً صغيرًا يُساعدهما دخلهُ على تربية أولادهما؛ فأظهر منذ حداثة سنهِ ميلاً الى علم الأنغام والتوقيع. فكان يقصدُ في كل صباح كنيسة القرية فيخدم القدَّاس ويتمرَّنُ مقابل ذلك على الضرب على أرغن قديم كان في الكنيسة . ولم يلبث أن أتقن كل الانغام الدينية والترانيم الطقسية فعُهد اليــهِ بادارة جوقة الكنيسة . وكان مستخدماً عند أحد باعة الخمور لقاء راتبٍ يمكّنهُ من القيام بحاجاتِ معيشتهِ . وظلَّ على هذه الحالة حتى الثامنة عشرة من عمره . وكان صاحب الحانة نفسهُ مولعاً بالموسيقى فرأى في الفتى استعداداً لهذا الفن الجميل، فوالاه بمساعداته حتى مهّد له السفر الى مدينة ميلانو والبقاء فيها ثلاث

سنوات كاملة يأخذ الفنَّ عن مشاهير أربابهِ . وقد اقترن فى غضون ذلك بابنة مساعدِهِ بائع الخمر ، فكانت له خير شريكة فى حياته

ولمَّا أنس ڤردي من نفسه الإستعدادَ اللازم ، أخذ يضع قطعاً موسيقية ، ويؤلِّف روايات ملحّنة من المعروفة عند الافرنج بالأوپرا . فلاقى نجاحاً يذكر ، وعُرِف اسمهُ بين كبار الموسيقيين . ولم تكن العقبات التي لاقاها لتُضعِف عزيمتهُ ، أو تخمد نار همته ؛ بل كان يواصل الدرس والعمل ليصلح من أسلوبهِ ، ويصقل أنغامه . فلحَّن فى خلال سبع عشرة سنة عشرين روايةً أشهرها : نبوكدنصَّر ، وأورشليم ، وهرناني ، ومكبث (عن شكسبير) ، وريجولِتُّو (عن رواية مضحك الملك لفكتور هوغو) وتراڤياتا (عن لادام أو كاميليا لدوماس)

وعظمت شهرتهُ على أثر تلحينه رواية « مكبث » ؛ فانهُ تمكّن من أن يبرز بالألحان والأنغام تلك العواطف المتنوّعة التي عبَّر عنها شكسبير ببيانهِ السحريّ . ففي الليالي الثلاث الأولى لتمثيلها كان المسرح مكتظّاً بالحاضرين ، وقد أخذ الطرب منهم كلَّ مأخذ ، فكانوا يطلبون المؤلف كل ليلةٍ فوق الثلاثين مرةً ، وأركان القاعة تكاد تتقوَّض من شدة التصفيق وهتاف الإعجاب . وكانوا فى ختام التمثيل يطوفون به المدينة ويرافقونه الى منزله مهللين مكبرين . ورأى مواطنوهُ وجوب تكريم عبقريتهِ فقدَّموا لهُ اكليلَ غارٍ من الذهب إشارةً الى تبوّئهِ عرش الموسيقى

ومن ثمَّ تجاوزت شهرة ڤردي حدود وطنه وعظُم اسمهُ فى أوربة ، فمُثِّلت رواياتهُ في اكثر العواصم والمدن الكبرى

وكما ان المصاعب التي لاقاها لم تقعد بهمته فكذلك لم يُسكرهُ نجاحهُ الباهر، بل ظلَّ عاملاً مجدًّا يرتقي من الحسن الى الأحسن . وهذا شأن النابغين

***

وكانت مملكة سردينيا فى ذلك العهد تسعى الى انشاء مملكة ايطالية الجديدة بخلع نير النمسة وتأليف الوحدة الوطنية الايطالية . فلعب ڤردي دوراً خطيراً فى تلك الحوادث السياسية ، وكان ينتمي الى الحزب الإستقلالي فجاهد فى سبيلهِ جهاداً مذكوراً . وكان الشعب يرى فى رواياته تلميحاً ظاهراً وإشارة بيّنة الى الأماني الوطنية التي كانت تشغل أفكار ذلك الجيل ؛ فساعد ذلك على بعد صيتهِ وانتشار شهرتهِ

وكان شعار حزب الاستقلال « فيكتور عمانوئيل ملك ايطالية Vittorio Emmanuele Re d'Italia. » ومن غرائب الاتفاق انك لو أخذت الحرفَ الأوّل من كل كلمة من هذه الكلمات لكان لديك اسم ڤردي V.E.R.D.I. وهكذا ظلَّ اسمهُ مدةً شعاراً لطلاب استقلال المملكة الإيطالية ، فكانوا ينادون به فى جميع الاحتفالات القومية والمظاهرات الشعبية

وعلى أثر تأليف مجلس النوّاب الإيطالي ، انتخب ڤردي عضواً فيه (سنة ١٨٦١) وفى نوفمبر سنة ١٨٧٤ انتخب عضواً فى مجلس أعيان المملكة . ولما احتفلت ايطالية سنة ١٨٨٩ بيوبيلهِ الماسي ، أرادت الحكومة أن تنعم عليهِ بلقب « مركيز » فأبى قبول هذا اللقب

وكانت وفاتهُ سنة ١٩٠١

***

ومن أشهر رواياتهِ رواية « عائدة » التي سبقت الاشارة اليها في صدر هذا المقال . وضعها بناءً على طلب المغفور له الخديوي الأسبق



اسماعيل باشا، وكانت أول روايةٍ مُثِّلت في الاوبرا الخديوية (دسمبر سنة ١٨٧١) ولا يزال الكثيرون في مصر يذكرون تلك الحفلة الشائقة. ولا تزال رواية عائدة عروس المسارح وموضوع اعجاب محبي الموسيقى، وقد ترجمها الى اللغة العربية المرحوم سليم نقاش، وهي من الروايات التي يمثلها الشيخ سلامه حجازي

أما موضوعها فنلخِّصهُ في ما يأتي :

وقعت « عائدة » ابنـة ملك الحبشة « أمونسرو » أسيرةً في يد فرعون مصر . فأهداها الى ابنتـهِ « أمنريس » لتكون من وصيفاتها . وكانت على جانبٍ عظيمٍ من الجمال والظرف فنالت حظوةً لدى مولاتها، وصارت في وقتٍ قصير صديقة حميمة لها بل أختاً محبوبة

ورآها « رادامِس » كبيرُ قوّادِ فرعون ، فأحبّها ؛ وأحبتهُ لبسالتهِ وكرم أخلاقه . فلم يلبثا أن تعاهدا على الود الدائم

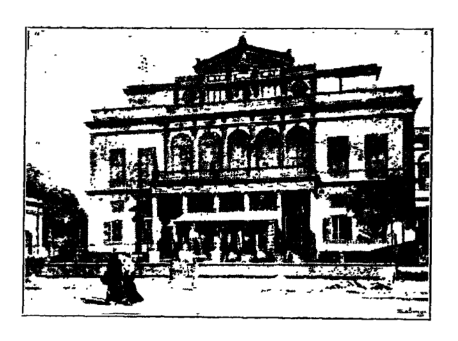
وكانت « امنريس » ابنـة فرعون تكتم في فؤادها لرادامِس حباً شديداً نخامرها ريبٌ في أمرهما وأخذت تُراقبهما سرًّا لتقف على دخيلة الأمر وقد آلت على نفسهـا أن تنتقم من « عائدة » اذا ما أيقنت من حبها لرادامِس

وفي تلك الأثناء زحف « أمونسرو »ملك الحبشة بجيوشه علىمصرَ، واستولى على « طيبة » فنهب وسبا ، فخرج عليه رادامِس من « مَنْف» بجيوشٍ جرّارة وهزمهُ شرَّ هزيمة ، ودخل « طيبة » منصوراً متقلاًبالغنائم ومعهُ عددٌ كبيرٌ من الأسرى . وكان بينهم ملك الحبشة نفسهُ متخفياً بلباس ضابط

ثمَّ عاد القائد الظافرُ الى « منف » حيث جرى له استقبالٌ باهر، ووضعت على رأسه أكاليلُ الغار ، وأقيمت الحفلات الدينية في الهياكل شكراً للآلهة . وسأل رادامس فرعونَ مصر أن يعفو عن الأسرى ، فأجابهُ الى سؤلهِ ، وأطلق سراحهم جميعاً ما عدا « أمونسرو » فانهُ أبقاهُ أسيرًا مع « عائدة » وكان قد عرف أنهُ أبوها

وأراد فرعون أن يجزل لرادامس المكافأة فعرض عليه أن يزوّجهُ ابنتهُ « أمنريس »

على أن القائد كان لا يزالُ أميناً على عهد « عائدة » وقد عقد النية على الاقتران بها كيف كان الحال . فأوعز اليها أن توافيهُ ليلاً الى مكان قرب هيكل « إيزيس »



الاوبرا الخديوية

وكان « أمونسرو » قد عرف في مدة اسره شغف قائد المصريين بابنته ، فرأى أن يستخدم هذا الحبّ للتغلُّب على مصر ، لا سيما وان الحبشان كانوا يتأهبون لاستئناف القتال . فكمن للحبيبين قرب الهيكل ، وهكذا تمكن من أن يسمعَ القائدَ المصريَّ يتفق مع عائدة على الهرب ويعين لها الطريق الذي سيسيران فيه لئلا يلتقيا بالجيوش المصرية الزاحفة لمقابلة الجيوش الحبشية . ولما ظهر من مخبإِهِ ذُعر رادامس وأدرك أنه خان

بلادهُ لأن عدوها اطلع على خطة الجيش

واتفق أن امنريس كانت في تلك الأثناء في هيكل إيزيس، وبينا هي خارجة مع الكاهن رأت المجتمعين وسمعت بعض حديثهم. فلم يرَ رادامس إلاّ أن يسلم نفسهُ كخائنٍ لوطنه، وفاز أمونسرو مع ابنته بالهرب

أما رادامس فحكم عليه بأن يدفن حياً، فعرضت عليه ابنة فرعون عفو أبيها إن هو أعرض عن «عائدة» فأبى؛ ولما أُنزل في القبر المعدّ له وجد أن عائدة قد سبقتهُ اليه : فدُفنا معاً

* * *

وقد وقفنا على العقد الذي وُضع بشأن رواية «عائدة» فأحببنا أن نطلعَ القراء عليه، والأصل محفوظٌ في سجلات الاوبرا الخديوية وهذه ترجمتهُ :

بين الموقعين أدناه :

مسيو أوغست ماربيت بك باسم وإذن سمو اسماعيل باشا خديوي مصر من جهةٍ، ومسيو جوزف ڤردي مؤلف موسيقيّ من جهة ثانية

تم الاتفاق على ما يلي :

يتعهد مسيو ڤردي بتأليف موسيقى رواية ملحنــة «أوبرا» مؤلفة من أربعة فصول عنوانها «عائدة» التي قبل بموضوعها (مع حفظ حق التعديلات التفصيلية التي قد يوافق إدخالها)

تُمثل هذه الأوبرا في تياترو الأوبرا الخديوية في القاهرة خلال شهر يناير سنة ١٨٧١

ينظم أشعارها الإيطالية شاعرٌ يختاره مسيو ڤردي

ولا يكلف مسيو ڤردي الحضور الى القاهرة لمراقبتها وحضور مراجعاتها ، بل يمكنهُ أن يرسل من قبله شخصاً يختارهُ لإدارة العمل وإعداده حسب رغائبه اذا وجد ذلك ضرورياً

بعد تمثيل عائدة في القاهرة يحقُّ لمسيو ج. ڤردي أن يمثلها في أوروبة على المسرح أو المسارح التي يختارها

يختار مسيو ڤردي في جوقة التمثيل الإيطالية الموجودة في القاهرة الممثلين الذين يقومون بأدوار الرواية

الموسيقى والكلام في رواية عائدة يكونان في مصر ملكاً تاماً لسموّ الخديوي

يحفظ مسيو ڤردي لنفسه ملكية الكلام والموسيقى في سائر أقطار العالم

يرسل مسيو ڤردي الى مصر ، أو يسلم في باريس في الوقت المناسب ، الى مندوب سمو الخديوي نسخة ملحنة من موسيقى « عائدة »

يتقاضى مسيو ڤردي مقابل هذا العمل مبلغ ١٥٠ الف فرنك

يُدفع هذا المبلغ على قسطين : خمسين الف فرنك يوم توقيع الاتفاق ، ومئة الف فرنك يوم يسلم مسيو ڤردي أو يرسل الى سمو الخديوي موسيقى عائدة

كتبت من هذا العقد نسختان في باريس في ٢٩ يوليو ١٨٧٠

مقرٌّ بما فيه

الامضاء : ا . ماريت

أقبل هذا العقد مع التعديلات الآتية :

اوّلا : الدفع يجب أن يكون ذهباً

ثانياً : اذا حدث حادث غير منتظر مهما كان ولا علاقة لي أنا بهِ أعني لغيرِ تقصيرٍ مني فلم تمثّل الأوبرا في القاهرة خلال شهر يناير من سنة ١٨٧١ ، يكون لي الحق في تمثيلها أينما شئت بعد مضيّ ستة أشهر (من ذلك التاريخ)　　　الامضاء : جوزبي فردي

الى القراء

كان في النية — كما وعدنا القرّاء — أن نخصّص هـذا الجزء من « الزهور » بأبحاث أدبية اجتماعية عن حالة « مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب » كما خصّصنا الجزأين ٦ و٧ من السنة الاولى لهذه المجلة بموضوع « مصر وسورية » وذلك رغبةً منّا في زيادة القراء معرفة بالأقطار العربية وأخبار نهضتها الفكرية . على أنهُ لم يتيسر لنا تهيئة جميع المعدات اللازمة بالنظر الى صعوبة الحصول على المعلومات التي يقتضيها الموضوع . فرأينا ، من أجل ذلك ، أن نؤجلَ إصدار الجزء الموعود بهِ ، ريثما تصلنا التفاصيل والمعلومات التي طلبناها من أنحاء مختلفة ، فتتوافر لدينا المعدّات اللازمة لجعل البحث مستوفياً يُرضي القراء ويفيدهم ؛ وسيتمُّ لنا ذلك عن قريب ، إن شاء الله

تجاه البحر

ذهبتُ الى الاسكندرية أصطاف . . . أستغفر الله : كبُرَتْ كلمة الاصطياف بواسع معناها على ما يمكنني من سوانح الفراغ

بل ذهبت لقضاء أيامٍ ألتمسُ فيها راحةً من عناء الأعمال . فلماّ بلغتُ النزْلَ كان أوّل مطلبٍ لي أن أرى البحر ؛ فتمشيت اليهِ، وحاذيت إفريزَهُ الجديد، متخطرًا على رَسلي ، حتى انتهيتْ الى حدّ الرصيفِ غرباً فعمدتْ الى صخرةٍ وثويتْ عليها

ثويتُ مفترجاً متخلّياً متروّحاً

غير أنني لم ألبث أن وجدتُني قد أُخِذْت

أُخِذْت بمحاسن ما أرى ، واغتربتُ عن نفسي ساعةً . فلماّ عدتُ من غربتي ، حسبتُني هيكلاً يتلهّب بين تلك البسطةِ المائيَّةِ التي تُحيطُ بي

لم يكن إلاّ أن رسوتُ بجسمي مطِلاً على ذلك الفضاء المتحشرج اللّين، المتضرّب المتلوّن ، حتى مضى نظري طافياً فوق اللجج ، طاوياً أبعادها ، ملماً بآفاقها . وتدافعت خواطري متخذةً من أشعة النظرِ أسباباً ترتقي عليها أو سفائن تستقلُّها

فارَقَتْ جسمي كما تفارقُ النحلُ الخليَّة ، وانصرَفتْ أشتاتاً بين السماء والماء

إنَّ للخواطر جنىً عذباً تجنيهِ من آيات الماء المِلحِ . . جنَى معهُ

التعب ، وتعبهُ هو الراحة ، على حدّ قول القائل [1]

إنما الراحــة تبديــــلٌ لنوع التعَبِ
والتــداوي نَصَبٌ يُشفى بهِ من نَصَبِ

ما صفةُ ذلك الجنى . . ؟

لا تكلّفوها شاعراً قديراً ، ولا كاتباً نحريراً ، ولا حكيماً خبيراً ؛ بل ليسأل كلٌّ منكم نفسهُ عمـا أحسَّ وتصوَّر حين جلسَ الى البحر مثل تلك الجلسَةِ

جنيت من تلك الرحلة الفكريةِ تعباً مُريحاً ، وأردت تدوينَ ما كسبهُ ذهني من محصولها ، فعجزت عن أقلّهِ ، ولم يسعني سوى أن أتنفس الصعداءَ بهذا النداء :

أيها البحرُ الشائقُ المهيب !

ماذا يبلغ علمُ إنسانٍ جاهلٍ ضعيف من أسرار جلالك وجمالك ؟

اذا طغَت الموجـةُ من أمواجك فاستجمَعَتْ خضراءَ ، وانحذفت رابيةً شماءَ ، تأخذ العنان بعفرتها البيضاء ، فأيّ فكرٍ يُكبرُها إكبارَها ، وإن هي منك إلاَّ أُلعوبة تتجدَّدُ كلَّ ثانيةٍ ، وأعجوبة بينا هي الأولى اذا هي الثانية

فاذا ملك النفسَ وملأَ الحسَّ إعظامُ تلك الآياتِ ، فما الذى تفعله الرَّوعةُ بالمتطلّع حين تهبطُ الرابيـة ، وتنفغر لها الهاوية ، فتقصف وهي متداعية ، حتى تَنِشَّ نشيشاً ، وقد تكسّرت الى ألوف أجزاءٍ من الماس

---

(١) هو نفس صاحب المقالة

المتشعّب واللؤلوء والمختلف النضار الساكب أو المتبسّط والجمان المصوغ أو المتناثر

فاذا التمس العقلُ مزيداً وتعمّق الى مضطرَبِ الذُرَيرات فما حيرتهُ ودهشتهُ لدى كل قطرةٍ ، وفي القطرة جزَيئاتٌ لا تُعَدُّ : هذه تبسِمُ وردية ، وتلك ترقص لازوردية ؛ إحداها تحجلُ محمرّة ، وأختها ترحفُ مخضرّة ؛ بعضها ينظرُ باللُجَين شزراً ، وبعضها يُضمِرُ النارَ ويصفو مفترًّا

أيها البحر الشائقُ الجميلُ !

تُجاهك لا يحسنُ إلاّ التعجُّبُ والسكوت؛ وانّ مع السرور برؤيتك لأسفاً دوياً من أنك أنت أيضاً حيٌّ وأنت أيضاً ستموت

خليل مطران

أين أقام في مصر

العلماء الذين صحبوا نابليون بونابرت

كان مسيو جورج لجران Georges Legrain قد قدّم الى المجمع العلمي المصري في شهر مارس سنة ١٩١٣ درساً عن منزلٍ في القاهرة عاش فيهِ فريقٌ من العلماء الذين رافقوا بونابرت الى مصر ، وهذا المنزل لا يزال محفوظاً الى اليوم وهو قرب ميدان الناصرية في شارع الكومي عند آخر حارة حسن كاشف الواقعة بين مدرسة الناصرية ومكتب البوستة . وكان في سنة ١٧٩٨ إبان الحملة الفرنسوية مُلكاً لابراهيم السناري الأسود ، وهو اليوم ملك الأوقاف . وقد تمنى مسيو لجران على المجمع العلمي المصري أن يتخذ الطرق اللازمة لحفظ هذا الأثر من الدمار . فأجيبت أمنيتهُ وعيَّنت لجنة « حفظ الآثار العربية » مبلغاً من المال للشروع

فى ترميم المنزل . وفى آخر أغسطس الماضي اجتمع في المنزل نفسهِ فريقٌ من الجالية الفرنسية يتقدمهم مسيو فوشه وكيل معتمد فرنسة ومسيو كرترون قنصلها في مصر فألقى عليهم مسيو ليجران خطاباً [١] نلخصهُ في ما يأتي :

هذا المنزلُ القديم الآن كان حديث البناء عندما فتح القائد بونابرت مصر سنة ١٧٩٨ . فان البنَّائين والرسَّامين كانوا قد أتموا تشييدهُ ونقشهُ منذ مدة يسيرة . وهـذه المِطفرة الناشفة الآن كانت تُلطّف الهواءَ ؛ والطنافس لثمينة تفرش هذا الرخام الأبيض ، والمقاعد حول هذه القاعة تنتظر سيّد المنزل ، وهو ابرهيم السنَّاري الأسود وكيل مراد بك الشهير الذى كان ينازع ابرهيم بك الكبير سيادة مصر في ذلك العهد

وكان ابرهيم السناري الأسود كما يدلُّ اسمهُ قاتم اللون أميَـل الى السواد منهُ الى السمرة . ويؤخذ من تاريخ الجبرتي أنهُ وُلد في دنقله حوالي سنة ١٧٧٠ ؛ فهجر بلاده وهو يافع، ونزل النيل حتى بلغ القاهرة. فلم يجد فيها سبيلاً لكسب معاشه ، فتابع السير حتى المنصورة حيث اضطر ان يكون بواباً فى أحد المنازل

على أن ابرهيم كان على جانبٍ من الذكاء فتعلم القراءة والكتابة ثمَّ التركية والحساب . وانصرف من ثَمَّ الى الفنون السحرية ، فأصبح أشهر من « قال البخت » أو أعدَّ الطلاسم والتعاويذ . ونال حظوةً في عيني المملوك الشابوري ، فاستصحبهُ الى الصعيد ، حيث توصل ابراهيم الى التقرُّب من مراد بك . فكان ذلك بداية افترار ثغر الدهر لهُ . ولم يلبث

---

(١) أهدى الينا صورة هذا الخطاب مسيو بول تريبيه صاحب مكتبة جيله :
Librairie Gillet, P. Tribier, Successeur

أن أصبح صديق سيده وموضع ثقتهِ ، فغمرهُ هذا بالهدايا والنعم . ولماَّ نزل مراد في الجيزة (فى السراي التي قامت محلها اليوم اصلاحية الاحداث على طريق الأهرام) عيَّنَ السناري وكيلاً له فى القاهرة . فكان ابراهيم يفاوض أمراءَ المماليك باسم مولاه ، وصار منذ ذلك العهد مسموع الكلمة بعيد النفوذ

وكان له في القاهرة أبنية عديدة عند ما صحّت عزيمتهُ على بناء هذا المنزل الذي نحن فيهِ، ولم يدّخر وسيلةً في توفير أسباب الهناء والرخاء في منزله الجديد، ويمكننا أن نتثبَّت ذلك بالعيان مماَّ بقي أمامنا من الآثار، وان كان قد ذهب معظمها ولعبت بهِ يدُ الدهر التي لا تُبقي ولا تَذَر .ولو قدرت هذا الجدران على الكلام لافادتنا أنهُ عند انتشار خبر وصول الفرنسيين الى القطر بقيادة الجنرال بوناپرت واستيلائهم على الاسكندرية ، ترك مراد بك مزاحِمَهُ ابراهيم بك يحشد رجاله بالقرب من بولاق ، وجمع هو جموعهُ وزحف لمقابلة الفاتح . وفى ١٤ يوليو١٧٩٨ تقابل الفريقان في شبراخيت، فولى المماليك الأدبار . وبعد ثمانية أيام نازلهم بوناپرت في انبابة حيث توجد الآن المحطة الحالية . وفي مساء ذلك اليوم نام بوناپرت في سراي مراد بك عدوّهِ المغلوب . أما مراد بك ففرَّ الى الصعيد؛ ولحق ابرهيم السناري بسيدهِ ولم يفارقهُ مدة الثلاث سنوات التي ظلّ يناوش الفرنسيين أثناءها . وهكذا ترك السناريّ المنزل الذي نحن فيهِ

وعهد بوناپرت بعد انتصاره هذا الى لجنة في أن تختار منزلاً له

ولأركان حربهِ . فوقع اختيارهـا على منزل محمد بك الألفي وكان قد تمَّ بناؤه منـذ ثلاثة أسابيع فقط، وكان هذا المنزل قائماً شمالي ميدان الأزبكية بين فندق شبرد والنادي الفرنسي الحاليين . ولا صحـة لما يُروى عن أن في القاهرة اليوم منازل عديدة قـد سكن فيها بونابرت . ولكن المرجح أن القائد الفرنسي ذهب الى الديوان الأكبر الذي لا يزال منهُ بعض حجر في شارع الرّويعي وشارع البواكي فوق محل سبيرو؛ وقد زار بونابرت أيضاً منزل الشيخ السادات والشيخ البكري ، ولكنني لم أجد قط ما يدلّ على أنهُ اتخذ لسكنه محلاً غير منزل الني بك

أمّا الحاشية العسكرية والملكية فقـد اتخذت لسكناها سرايات البكوات والمماليك حول الأزبكية ، وقد درست آثارها كلها

وكان مع الحملة العسكرية بعثة علمية مؤلفة من ١٣٥ عضواً ولم يكن بدٌّ من ايجاد منازل لهم وللمجمع العلميّ المصريّ الذي ألّفوه . فوقّع بونابرت أمراً صريحاً بهذا المعنى يقضي باسكانهم بقرب المعسكر العام بالأزبكية . ولا ندري ما الذي حال دون تنفيذ ذلك الأمر. على أن المقرّر أن « مونج » و « برتوله » و « كافارِلي » قصدوا الى السيدة زينب ؛ واحتلوا منازل عديدة كان قد تركها المماليك أنصار مراد بك

وكان أجمل هذه البنايات منزل حسن بك الكاشف الذي قامت على أنقاضهِ مدرسة الناصرية الحاليـة . وكان تجاه هذا المنزل قصرٌ فخم لقاسم بك حيث يوجد الآن مكتب البريد الجديد، ومن الجهة الثانية للشارع كانت حديقة متسعة الأطراف والى جانبها سراي لعلي بك وقد

محا معول الهادمين كل هذه الآثار، ولم يبقَ إلاَّ منزل ابراهيم السناري الذي نحن فيهِ الآن

هذه هي المنازل التي سكنها أعضاء لجنة العلوم والفنون التي رافقت الحملة الفرنسية . فاتخذ قصر حسن بك الكاشف مقرًّا للمجمع العلمي، وحوّلت حديقة قاسم بك الى معرض للتاريخ الطبيعي ، فجمع فيها العالم « جوفروى سانتهيلير » عدداً كبيرًا من الحيوانات ، واستنبت البذور التي قد استحضرها من فرنسة . وكان هناك أيضاً مكتبة عمومية يرتادها من يشاء ، ومعامل كيماوية كان يُجري فيها العالم برتوله تجاربهُ ويلقي دروسهُ ، فأمّها الكثيرون من الوطنيين وأخذوا يدرسون مدنية الغرب . وأقام « كونته » الى جانب المعامل ورشاً أخرجت للمستعمرة الجديدة كل ما تحتاجهُ من آلاتٍ وأدواتٍ ومعدّات . وكان قصر قاسم بك من نصيب المغني « ڤيلّوتو » الذي درس أصول الموسيقى العربية على أربابها ، وألّف فيها وصنّف

وسكن سائر علماء الحملة من فلكيين ومهندسين ومستشرقين وغيرهم حول تلك البقعة

أما منزل السنارى هذا فوضع تحت تصرُّف المصوّر « ريغو » لأن هذه القاعة الفسيحة كانت فى غاية الموافقة . وكان بوناپرت قد عهد الى ذلك المصوّر فى تصوير أعيان البلاد ووجهائها . وفى هذا المكان رُسمت صور الشيخ السادات والشيخ البكري وغيرهما من أعيان الديوان الكبير والديوان الصغير . وكان ناپوليون وهو منفيٌّ في جزيرة القديسة هيلانة

يذكر الرسوم البديعة التى زين بها المصوّر ريغو سراياه فى الأزبكية

وحدث لريغو فى هذا المنزل حوادث متنوّعة فكان السذّج ينظرون اليهِ كأنهُ ساحرٌ ويشيعون أن أعضاء بشرية معلقة الى حائط القاعة التى يسكنها مشيرين بذلك الى الصور العديدة التى كانت عنده . واتفق يوماً أنهُ أراد تصوير أحد النوبيين القادمين الى مصر ، فرضي النوبي بذلك ولما جلس المصوِّر أمامهُ ، ومزج الألوان ، وأخذ يرسم على القماش تقاطيع الرجل وهيئته ، قام هذا مذعوراً وخرج مستجيراً من شرّ ابليس

وكان جماعة العلماء يعيشون فى راحةٍ وصفاء منصرفين الى أبحاثهم ودروسهم ، الى أن حدثت فتنة القاهرة فى أواخر اكتوبر سنة ١٧٩٨ ، فوجدوا أنفسهم منفصلين عن المعسكر العام . وكان عندهم شيءٌ من السلاح للدفاع ، على أنهم كانوا قليلي الخبرة في استعماله ؛ ففكّروا هنيهة في أن يتركوا مقرَّهم ويلجأُوا الى الأزبكية ، ولكنهم خافوا على المكتبة والمجموعات العلمية من أن تذهب فريسة الثائرين ، فآثروا البقاء حيث كانوا وإن عرّضوا حياتهم للخطر ، وتحصّنوا في المنازل وأقاموا الخفراء عند مدخل شارع حسن كاشف وقرب سبيل السيدة زينب ، الى أن تمكّن الجنرال « لانّ » من نجدتهم واعادة المياه الى مجاريها

وبعد سكون الفتنة رجع العلماء الى أعمالهم حتى يناير سنة ١٨٠٠ فسافروا الى الاسكندرية على نية الرجوع الى فرنسة بموجب اتفاقية العريش . فحال دون ذلك نقض الاتفاقية . ثم حدثت موقعة المطرية ،

وثورة القاهرة الكبرى وعودة ابراهيم بك الى العاصمة فاضطراه الى مغادرتها لمعاودة القتال . وهكذا رجع العلماء ثانيةً الى المنازل المتقدّم ذكرها ، ولكنّ إقامتهم هذه المرة كانت أشبه شيء بالمنفى . وجاء الطاعون فزاد موقف الفرنسيين حرجاً . ولما غُلبَ القائد « مينو » وتقهقر الى الاسكندرية ، أصدر القائد « بليار » نائبه في القاهرة الأمر الى العلماء بأن يوافوه الى القلعة حيث يكونون بمأمنٍ من الطوارئ . فرفضوا بتاتاً لأنهم كانوا يشعرون بأنهم بين أصدقائهم الوطنيين في حرزٍ حريزٍ . ولم يذكر العلماء قطّ أنهم وجدوا بين المصريين رجلاً واحداً أساء اليهم أو لم يحسن معاملتهم . وظلوا كذلك الى أن جلت الحملة الفرنسية نهائياً عن الديار المصرية

أما ابرهيم السناري فانهُ عاد الى منزلهِ هذا ، ولكنهُ لم يذق فيهِ الراحة طويلاً ، لأن القائد العثماني لم يدّخر وسعاً في إبادة سلطة المماليك وتوطيد سلطة الباب العالي في مصر ، وقد روى لنا الجبرتي مقتل السناري في الاسكندرية. ولكان هذا الرجل اليوم نسياً منسياً لولا ان فريقاً من العلماء احتلوا منزله ، وهم الذين عرّفوا مصر القديمة الى العالم ، وذلك لخير العلم والإنسانية

سُئل اعرابيٌّ : هل لك في الزواج ؟
فقال : لو استطعتُ لطلقتُ نفسي

عظة الحسون

عشيَّةَ يوم وقد أخذت عين الشمس المحمرَّة تغمض وتذبل ، وقف الحسون على غصن صفصافةٍ قد تدلَّت أغصانها فوق جدول ماءٍ صافٍ ؛ حيث اصطفت على ضفتيهِ الطيور على تباين أشكالها واختلاف أجناسها

قال الحسون وقد سرَّهُ ائتلاف إخوانه الطيور حول ذاك الجدول ، تستقي من مائهِ ، ومن ثمَّ تتفيأُ بظلّ تلك الصفصافة دون أدنى حسد أو تنازُع :

« إخواني ، كنت ظننتُ أن تفاوت طبقاتكم وأجناسكم يحدث بينكم شيئاً من القلاقل والمشاغب ، ولكني والحمد لله رأيت خلاف ما ظننت ، فكأن تعدد مشاربكم ، وتشتت جماعاتكم ، وتباعد مساكنكم ، كل هذا لم يكن إلاَّ دافعاً لكم لتسلكوا سبيل الالفة والمحبة ، فضلاً عن أنكم سمحتم لمثلي أنا ابن الشعب الصغير فيكم بأن أعظكم كأني عظيمكم ، فالمولى يوفقكم وينميكم ويرزقكم بُرًّا وماءً

أما عظتي التي أعددتها لمثل هذا الاجتماع لتلقى على مسامعكم في أوَّل هذا الفصل فهي :

ترون ولا شك أن الربيع قد برز بحلته وظهر بحسن طلعته ؛ وأخذت أنفاسه المنعشة تمرُّ مقبّلةً مباسم الزهور ، وزهور الثغور . وأخذتم أيضاً تشعرون بالواجب عليكم ، وأنهُ يقتضي علينا أن نمزّق جماعاتنا المتحدة أفواجاً ونتفرَّق اثنين اثنين ؛ بحيث نتآلف أزواجاً « تصفيق أجنحة

وتغريد ألسنة » أرى أن السرور قد استفزَّكم وأنا أعذركم على هذا ، إذ ليس أشهى من قرب الأحباب ، ولا ألذّ من العزلة لعشيقين افترقا مدةً فذاقا الأمرّين

أجل ، إننا سنفترق الآن لنجتمع غداً . نفترق الآن اثنين اثنين ، لنعود أربعة وخمسة ؛ نفترق الآن لكي نعشش فنعتاض مما أفقدتنا تعديات البشر القساة ؛ نفترق لنعلّم الانسان كيف يجب عليهِ أن يسعى لأولاده ، ويجتهد بمساعدة زوجته . نفترق لنصير أزواجاً أصحاب عمل وأرباب بيوت فنكون أعضاء عاملين في محيطنا الأدبي والمادّي . نذهب الآن ليفتش كل عصفور منا على عصفورة تناسبهُ وتعجبهُ ، فيحبها وتحبهُ ، ويتعاونان على تربية أفراخهما الصغيرة

إياكم أن يعتدي أحدكم على عصفورة صاحبه ؛ لأن ذلك يؤدي الى الخصام والمقاتلة . وقد قال الحكيم « الغيرة قاسية كالموت والمحبة عميقة كالهاوية » . إياكم أن يبقى أحد منكم دون حليلة ، لأنهُ يكون عرضة للانتقاد وإلقاء الشبهات ، والويل لمن تقع الشكوك عن يده ، ويقود أخاه الى عمل الإثم . اخواني ان الزيجة واجبة لازمة لا سيما وانها لا تكلفنا شيئاً نحن جماعة الطيور : بيت من القش اليابس ، وحبة حنطة من الحقل وقطرة ماء من النهر — هذا كلّ ما تتكلفهُ ، فلا نحتاج القصور ، لأن قصورنا الجدران العالية والأشجار الباسقة ، ولا نطلب الرياش ، فكل ما في الطبيعة من تلك التي لم يلبس سليمان كواحدة منها هو لنا ، ولا نطمع بالحلى ، فان ملابسنا لا تتغير فهي ثابتة مثل قلوبنا

تناسلوا وتكاثروا ، وعيشوا اثنين اثنين طول هـذا الفصل بمحبة وأمانة ؛ وليرعَ بعضكم بعضاً ، وليكن كلٌّ منكم أميناً على عهـد زوجته ، لا تخونوا لأن الخيانة من طباع اللئام . أوصوا فراخكم بان يحبوا فراخ سواكم لأننا بدون محبة ووفاق لا يمكننا أن نعيش ونحفظ كياننا

قبل أن نفترق الى أعمالنا ألفت أنظاركم الى شيء مهم . وهو أنهُ غداً يأتي الأولاد ، فيخربون بيوتنا ويسرقون أفراخنا ويأكلونهم ؛ ولو كنت ممن يميلون الى فعـل الشرّ لقلت لـكم : افقأوا أعينهم ! ولـكن لا . فهذا يضرُّ بنا لأن ابن آدم حقود ، فتجنبوا البشر كثيراً ، لأنهم اذا كانوا يقتلون ويأكلون بعضهم بعضاً ، فكيف تكون حالهم معنـا ؟ . لا تتمثلوا بهم ، اذ يأتون اليكم وبينهم المسيحي والسنيّ واليهودي ، وكلهم قد اتفقوا على الشرّ والاعتداء عليكم . أقول لـكم اتحدوا ، ولـكن على الخير لا على الشرّ ، فكما انهم يتحدون على الشرّ دون الخير كذلك أنتم اتحدوا ولـكن على الخير لا على الشرّ

غداً يؤمُّنـا الصيادون . فلنهرب ! أتعرفون الى أين ؟ الى مكان لا تظنونهُ موافقاً وأميناً ولـكنـهُ على عكس ما تظنون . غداً بعد ما يتم نتاجنا ، ويجتمع شتيتنا ، وتلتئم أسرابنا ، نقصد بلاد البلقان هناك يلهو عنا الانسان بقتل أخيهِ الانسان　　　　مراد ابي نادر

ليس لكذوب مرؤة ، ولا لضجورٍ رياسة ، ولا لملولٍ وفاء ، ولا لبخيل صديق

الفضيلة

وجدتني يوماً من أيام هذه الحياة في عاصمةٍ من عواصم هذا العالم استفزتني فيها مشاهد متباينة أضحكنَ وابكينَ ؛ وظللتُ متجوّلاً في مشارعها وشوارعها ، وأنديتها وأوديتها ، كأني ناشد ضالةً وهل تنشد في ظلمات هذه المدنية الاّ الفضيلة الضائعة لا بل (الضالة) لأنها هبطت من المحل الأرفع وهوت من الفضاء الى ثرى الغبراء ، ومن عالم النور والسيّارات والشموس ، الى عالم الظلمة ظلمة الفضاء والعقول والنفوس ، ونزلت من السماء سماء الصمت والسكون والراحة الأبدية ، الى حضيض جلبة الانسان ، وعجيج الحيوان ، فضلّت هـذه الفضيلة وأضلّت . ضلّت حين لم تجد سكناً تأوي اليهِ في جديد مُستقرّ اختارته ، وعرفت انها التائت بحمأة الخطيّة ، وأضلّت لأنها تركت الفلاسفة والشعراء كحاطبين في الظلام . أضلّتهم لأنها ربة عَبَدها الناس، لا جميع الناس، ولكن عبدها الشاعر والفيلسوف ، وسجد لها الأديبون والأخلاقيون وهم لا يدرون أين يضعون لها شطر الوجوه ، فضلُّوا وأضلُّوا كما فعلت الآلهة من قبل . فيا لضلال العابد والمعبود !

ضائعة أنت أيتهـا الفضيلة وأنتم أيها الفلاسفة والشعراء واركان الحكمة والآداب كل منكم فضيلةٌ أرضية ضائعةٌ ضياع فضيلة السماء في الأرض ؛ كل منكم فضيلة ضائعة ولكن ليست بأرضيةٍ كما قيل ، لأنكم أرواح سماوية ، وجواهر مجرّدة ، هبطت مع الآلهة الى الأرض ، فضاعت

آلهتكم وضعتم معها أنتم في ثنيات القرون . حقيقة كشفتموها ومَثَلٌ ضربتموه هو ان الأرض الخبيثة لا ينبت فيها الطيِّب بل الخبيث

الأرض الخبيثة تبخلُ على الزهرة بشيء من قواها الحيوية فتخرجها ضعيفة القوام لا تقوى على الفواعل. تتأثر حتى من النسيم البليل ، وتحرقها حتى حرارة شمس الخريف المعتدلة ، ثم انها تُودّع الحياة غير شبعانةٍ من الأيام كأنها أمل في صدر الفتاة ما عتم القضاء ان رماه باليأس فأطفأ نوره

اما الأشواك فلها من التربة السوداء كل حياةٍ تجعلها راسخة الجذور رسوخ حب الأثرة في نفوس الجبَّارين ، وتبرزها محدَّدة الرؤوس كأَنها حراب الجنود المسخَّرة لتدمير الشعوب الضعيفة ، وتكوّنها جاثيةً على الرمال كأَنما هي رؤوس الأرواح الشريرة نافرةً من بطون الأَرضين على وجه البسيطة

الفضيلة تلك الزهرة الضعيفة القوام لا تلبث أشواك الاجتماع ان تقضي عليها ، لأن نفوس البشر تربة خبيثة لا تغذّي الازهار ولكنها تغذّي الأشواك السامة ، تبسطها على طريق المصلحين فتدمي أقدامهم ، وتملأُ بها سبيلْ التعساء فتزيد آلامهم ، فيا تعست تلك التربة الخبيثة وتعس من ورائها الجناة الآثمون !

الفضيلة زهرة عطرة لا تحبُّ أن تخرجها الأرض ، لا بل لا تحب هي ان تخرج من الأرض ، لأنها لا تُريد أن تتغذّى بعناصر أشقياء هذا العالم تدكّهم عروش الظالمين ، وتحشرهم في الأجداث المظلمة ، فتحلهم الطبيعة غذاءً لها ، فبئس غذاء الأشواك لا غذاء الورود ، وبئست تلك

الهياكل المحنَّطة التي أنفوا عليها حتى من فعل الطبيعة ، والتي تحبّ الكبرياء حتى وهي في أجداثها العميقة ، والتي أقامت من الأهرام دليلاً على الجبروت

الفضيلة زهرة لا تحبّ أن تستمد من هواء هذه الأرض لأن هذه أنفاس وتلك حسرات ممتزجة بجواهره الفردة . نفثات صدور وآلام ، وحسرات كرام، لا تحب أن تنمو عليها تلك الزهرة الطاهرة، لأنها لا تريد ان تجتذب من الهواء آلام البشر وحسرات الانسانية الشقية ، ولا تحب أن تعيش في محيط تلك الأمواج الاثيرية التي يبعثها أنين المظلومين ، وعجيج الفقراء ، وأصوات الحزانى

حقاً ان الزهرة قصيرة مدى الحياة لأنها شاعرة حسَّاسة ذات ضمير ووجدان لا يوجدان في ظواهر هذه النفوس البشرية ، فلذلك تتأثر وتتألم وتذبل فتموت . فسلام على الزهرة !

ما أشبه تلك الزهرة بالفضيلة ، ما أشبهها بتلك التي تخالج صدر الأديب وتعالج نفس الفيلسوف ، تريد أن تنمو لتكون فياَّضة الوجود على العالم بأسره ، فتمنعها الرذيلة فيموت حاملها وتموت هي قصيرة مدى الحياة بموته ، فيا لرزية الانسانية بفقدكِ أيتها الفضيلة !

(النجف) محمد رضا الشبيبي

في رياض الشعر

الى الأمير عمر باشا طوسون

تألفت في مصر جمعيتان لمدّ يد المساعدة للدولة العثمانية وتخفيف ويلات القتال في الحرب الطرابلسية والحرب البلقانية، وهما جمعية «إعانة الدولة» وجمعية «الهلال الاحمر» وقد ترأس الاولى دولة الأمير عمر باشا طوسون، والثانية دولة الأمير محمد علي باشا، فطاف الأميران البلاد مستنهضين الهمم، مستنديين الأكفّ، فبذل المصريون المال وكل أنواع المساعدة بكرمٍ وسخاء، فاستطاعت جمعية جمع الإعانات إمدادَ الدولة بما فرّج كربتها وسهّل عسرها، وتمكّنت جمعية الهلال الأحمر من تضميد جروح المقاتلين وإسعاف المنكوبين ومؤاساتهم، مما رفع قدر مصر في عين الإنسانية، وخلّد ذكر أمرائها الفخام وأبنائها الكرام، وجعلهم مضرب مثلٍ إذا ما ذُكر الكرم والمروءة

ولقد كان أبسط الجميع كفاً، واكرمهم يداً، وأبعدهم عزمةً دولة الأمير الخطير البرنس عمر باشا طوسون، فجاد بالمبالغ الطائلة من مالهِ الخاص، وبذل ما له من النفوذ البعيد وما عُرف بهِ من الهمة العلياء لجمع الإعانات للجيش العثماني، حتى أُعجب الجميع بسخائهِ وحميّتهِ، وإن كانوا قد عرفوا دولة الامير سبّاقاً الى كل مكرمة وتعوّدوا أن يروا له في كل مأثرةٍ يداً

وقد أعرب عن هذه العواطف كبير شعرائنا وأستاذهم — سعادة

اسماعيل صبري باشا — بأبياتٍ كالذهب الأبريز رونقاً وجلاءً، فسألناه أن نحليَ بها جيد «الزهور» اعترافاً بمآثر الأمير، وحفظاً لهذا الشعر الجميل، فأجاب ملتمسنا، وهذه هي الأبيات :

لك الإمارةُ، والاقوامُ ما برحت	بكلّ عالي الذرى في الكون تأتمرُ
لو لم تَرِثْها لما ألقت أعنّتها	الاَّ اليك خلالٌ كلها غررُ
يا ابنَ الأُلى لو أُطلّوا من مضاجعهم	يوماً عليك لقالوا : إيهِ يا عُمَرُ
أعدتَ أيامهم في مصرَ ثانيةً	حتى توهَّم قومٌ أنهم نُشروا
وسرتَ سيرتهم حتى كأنهمُ	اذا خطرتَ بأرضٍ مرَّةً خطروا
للهِ درُّكَ كم نبَّهت من هممٍ	تثني على أهلها الآصال والبكرُ
وكم تعهدتَ جرحى من أسودِ وغىً	ان يكسّرِ الدهرُ عن أحداثهِ كسّروا
مستنجداً من بني مصر أُلي شممٍ	اذا رأوا ثلمةً في حوضهم جبروا
مستهمياً هامياً والنيلُ في وجلٍ	من أن تجودَ بهِ أيمانكم حذِرُ
حتى تفاهمت الأرحامُ وادَّكرت	ما بينها الأهلُ والخلاَّنُ والأسرُ
وآذنَ البرُّ بالسقيا وما فتئت	منهم ومنكَ صنوفُ البرّ تنتظرُ
وحرَّكت كلَّ كفٍّ بالندى مِقةٌ	حتى تعجبتِ الأنهارُ والغدُرُ
والناسُ ان قام يستسقي الكريمُ لهم	سحائب الفضل، بشّرهم فقد مُطِروا
أبى علاءُ سعيدٍ أن يشابههُ	الاَّ ابنُ دوحتهِ ان قام يفتخرُ
ما زال يحمدهُ رائيكَ مُدَّكراً	والأصل بالفرعِ ان حاكاهُ يُدَّكرُ

اسماعيل صبري

﴿ رثاء ڤردي ﴾

نشرنا في صدر هذا الجزء كلمةً عن « ڤردي » وحياتهِ وروايتهِ « عائدة » ، ونتحف القرّاء الآن بأبيات غراء ، نظمها أمير الشعر والالهام في رثاء أمير الانغام ، قال :

فتى العقلِ والنغمةِ العاليه　مضى ومحاسنه باقيهْ
فلا سوقةٌ لم تكن أنسَهُ　ولا ملك لم تزِنْ ناديهْ
ولم تخلُ من طيبها بلدةٌ　ولم تخلُ من ذكرها ناحيه
يكاد اذا هو غنَّى الورى　بقافيةٍ يُنطقُ القافيه
يتيه على الماس بعضُ النحاس　اذا ضمَّ ألحانهُ الغاليه
وتحكم في النفس أوتارهُ　على العود ناطقةً حاكيه
وتبلغ موضعَ أوطارها　وتغشى سريرتَها الخافيه
وكم آيةٍ في الاغاني لهُ　هي الشمس ليسَ لها ثانيه
اذا ما تنادى بها العازفون　قل البرق والرعد من غاديه
فان همسوا بعد جهر بها　تخفق الحليّ على الغانيه
لقد شاب «ڤردي» وجاز المشيب　و « عَيدا » شبيبتها زاهيه
تمثّل مصرَ لهذا الزمان　كما هي في الأعصر الخاليه
ونذكر تلك الليالي بها　وننشد تلك الرؤى الساريه
ونبكي على عزّنا المنقضي　ونندب أيامنا الماضيه
فيا آل ڤردي نعزيكمُ　ونبكي مع الأسرة الباكيه
فقدنا بمفقودكم شاعراً　يقلُّ الزمانُ لهُ راويه

شوقي

﴿ شاعرة تهاجرُ شاعرا ﴾

عجباً أشاعرةٌ تهاجرُ شاعرا تُمسين ناسيةً وأُمسي ذاكرا
إن الملائكَ لا تكونُ هواجرا فهل الملائكُ كالحسانِ هواجرٌ
فلكم سعى فكري لدارِكِ زائرا ان كنتُ لا أسعى لدارِكِ زائراً
أضعافَ ما هو صانَ منهُ حاضرا وأخو الوفاء يصونُ منهُ غائباً

* * *

يا ليتني في الروض أصبحُ طائرا يُصبيكِ طيرُ الروض في ترجيعهِ
نفساً تظلُّ لها النفوسُ زوافرا ويهزُّ منكِ الزهرُ في زفراتهِ
وقضيتُ دهري بالمحاسن حائرا قد عشتِ دهرَكِ بالمحاسن صبَّةً
أبداً ترينَ من المشاهد ما أرى هذا اتحادٌ في الرغائبِ والهوى
لله ساحرةٌ تساجلُ ساحرا انَّا اقتسمنا السحرَ فيما بيننا

* * *

انَّ الهوى يهب الحياةَ نواظرا لا بدَّ في هذي الحياةِ من الهوى
فتُنيمُ ساهرةً وتتركُ ساهرا ولقد تهبُّ عليهِ يوماً سلوةٌ
يدعوه مؤنسهُ فيبقى نافرا يا ويحَ ذي قلبٍ يناجي مثلهُ
أو هاجرٌ ظلماً يعذّبُ صابرا قلبان : ذو صبرٍ يعاني هاجراً
كم جائرٍ في الحبِّ يشكو جائرا متوافقانِ على الشكايةِ في الهوى

* * *

فليُمسِ قلبكِ في التصبر عاذرا ان كان قلبي في التصبرِ مذنبا
ويصير هذا العهد أخضر ناضرا سيعود ذاك الودُّ أبيض ناصعاً

ولي الدين يكن

« الليالي الماضيات »

نشرنا في الجزء الأخير من السنة الماضية في معرض الكلام عن رئيس الجمهورية الفرنسية الجديد – مسيو ريمون پوانكاره – ترجمة أبياتٍ (صحيفة ٥٣٦) نظمها يوم انتقل من حضن الحياة العائلية الى ميدان الجهاد والعمل ؛ واقترحنا على شعرائنا ان ينظموها شعراً عربيًّا . فكان خير ما جاءنا من هذا القبيل الأبيات التالية وان كان ناظمها قد توسَّع في المعنى وتصرَّف بالأصل ، قال :

هي الأيامُ سلسلةُ الحياةِ   وماضي العيش منها غيرُ آتِ
وقد جعل المهيمن من قديم   مصيرَ العالمين الى المماتِ
وليس بخالدٍ للناس شيءٌ   سوى حسناتهم والسيئاتِ
وأعمالُ الفتى ان مات كانت   ممثِّلةً لهُ احدى الصفاتِ
يكرِّرُ ذكرها التاريخ دهراً   وترويها أحاديثُ الرواةِ
وخيرُ الناس من يحيا سعيداً   سليمَ العِرض من غمز العداةِ
رغيداً عيشهُ ما دام حيًّا   وأيُّ فتىً كذلك أو فتاةِ
اليكِ اليكِ يا دنياي عنّي   فإني قد سِئمْتُ من الحياةِ

***

وما أسفي على عيشٍ رغيدٍ   ولا وقتٍ صفا من حادثاتِ
ولا أسفي على كسلٍ مضرٍّ   يسمَّى راحةً عند الوُناةِ
ونفسي لم تكن ان غادرتني   دواعي البشر تأسى للفواتِ

***

ولكني أسفت على سماءٍ   صفت فى الصيف من كل الجهاتِ

ونارٍ أصطليها في شتاءٍ ودفءٍ في الليالي الباردات
واخوانٍ صفوا وأبٍ ودودٍ وخلٍّ ذي وعودٍ صادقاتِ
ذوائبَ أسرةٍ وسراة قومٍ وأخوة شدّةٍ وبني ثقاتِ
وأمٍ من ذوات العطف تحنو على طفلٍ حنوّ المرضعاتِ
تبيت الليل ساهرةً عليهِ ونام من العشيّ الى الغداةِ

* * *

وأيامي الجميلةُ قد تقضّت وولّت بالشبيبة مدبراتِ
على أنّ التأسّفَ ليس يُجْدي على تلك الليالي الماضياتِ

بغداد كاظم الدجيلي

﴿ استبداد واستبداد ﴾

يَكرُمُ المرءُ مستبدًّا بخصمٍ حيث لاقى كفوءاً لهُ فاستبدّا
فاذا ما استبدّ يوماً بخصمٍ غير كفوءٍ لهُ اعتدى وتعدّى

خليل مطران

﴿ تحت صورة شمسية ﴾

سرقتِ بحيلةٍ يا شمسُ رسمي فأشرقَ زاهياً غضّ الإهاب
اذا وافى المشيبُ أقولُ فيهِ : « على رُغمِ الزمانِ أرى شبابي ! »

حليم دموس

الصحافة

الصحافة صناعة الصحف . والصحف جمع صحيفة وهي قرطاس مكتوب . والصحافيون القوم ينتسبون اليها ويشتغلون فيها . والمراد الآن بالصحف أوراق مطبوعة تنشر الأنباء والعلوم على اختلاف مواضيعها بين الناس في أوقات معينة . فانَّ فيها من تواريخ الأُوَل وأخبار الدول وفكاهات الروايات وغرائب الاكتشافات وأسعار التجارة وفنون الصناعة وضروب الانتقاد وشؤون الاقتصاد وأخلاق الغرباء وعادات البعداء ما يغني عن التوجه الى بلادهم ومخالطة شعوبهم والوقوف على أحوالهم . ولذلك عوَّل الفضلاء على إنشاء الصحف ، بحيث أصبح سكان أقاصي المشرق يصل اليهم خبر أقاصي المغرب بأقرب حين ، بعد ان كانت الأنباء تتجاوز الأيام العديدة للوصول من مكان الى مكان آخر مجاور لهُ . فتأْتي مختلَفاً فيها لا يكاد الباحث عنها يعلم الحقيقة

وأوَّل من استعمل لفظة « الصحافة » بمعناها الحالي كان الشيخ نجيب الحداد منشئ جريدة « لسان العرب » في الاسكندرية وحفيد الشيخ ناصيف اليازجي . واليهِ يرجع الفضل في اختيارها ، فقلّدهُ سائر الصحافيين من بعده . وكانت تسمى الصحف في أول عهدها « الوقائع » ومنها جريدة « الوقائع المصرية » كما دعاها بهِ رفاعة بك الطهطاوي . وسُميت أيضاً « غزتة » نسبة الى قطعة من النقود بهذا الإسم كانت تباع الصحيفة بها فعُرّفت كذلك . وقيل أيضاً انَّ أول صحيفة ظهرت في

البندقية سنة ١٥٦٦ كانت تسمى « غزتة » فشملت هذه التسمية كل صحيفة بلا استثناء . ولما نشأت الصحافة العربية أُطلقت عليها لفظة غزتة لأنَّ هذه الصناعة كانت حديثة العهد عند الناطقين بالضاد ولا أثر لها لدى كتابهم الأقدمين

ولما أنشأ خليل الخوري سنة ١٨٥٨ « حديقة الأخبار » في بيروت أطلق عليها لفظة « جرنال » وهي كلمة فرنسية معناها « يومي » أي المنسوب الى اليوم للدلالة على الصحف اليومية بينا كانت جريدتهُ أسبوعية

وإليك ما كتبهُ أديب اسحق في نبذة لهُ عنوانها « مباحث في الجرائد » قال : « ولا مناسبة بين الجرنال وبين الجريدة إلاَّ أن يقال انهُ أُطلق أولاً على الصحائف اليومية من قبيل تسمية الشيء بما هو عليهِ ثمَّ عممهُ الإصطلاح فعرِفت بهِ الجرائد يومية كانت أو غير يومية »

ثمَّ رأى الكونت رُشَيد الدحداح اللبناني صاحب جريدة « برجيس باريس » الباريسية سدَّ هذه الثلمة فاختار لفظة « صحيفة » وجرى مجراه اكثر أرباب الصحف في ذاك العهد وبعده . فما كان من احمد فارس الشدياق اللبناني صاحب « الجوائب » في القسطنطينية ومناظر الكونت رُشَيد الدحداح في بعض المسائل اللغوية إلاَّ أنهُ عقد العزيمة على استعمال لفظة « جريدة » وهي « الصحف المكتوبة » كما ورد في معجمات اللغة. ومن ذاك الوقت شاع اسم الجريدة لدى جميع الصحافيين بمعناها العصري

ومنهم من استعمل غير ذلك من المسمياَت كالقس لويس صابونجي السرياني صاحب « النحلة » الذي اتخذ لفظة « نشرة » بمعنى جريدة أو

مجلة . وهكذا صنع المرسلون الأميركيون أصحاب « النشرة الشهرية » و « النشرة الأسبوعية » في بيروت وغيرهم . ومن تلك المسميات أيضاً « الورقة الخبرية » أو « الرسالة الخبرية » وقد استعملتهما جريدة المبشر مع اكثر الصحف الدورية في بلاد الجزائر المغربية التابعة لحكومة فرنسا ومنها « أوراق الحوادث » وهو الاسم الذي أطلقهُ للدلالة على صحف الأخبار نجيب صوايا منشئ مجلة « كوكب العلم » في القسطنطينية

وكان الصحفيون لا يفرّقون أولاً بين الجريدة (Journal) وبين المجلة (Revue) في الاستعمال . ومن المعلوم أن الافرنج أطلقوا اسم المجلة (Revue) على الصحف الدورية التي تصدر على شكل الكراسة

فلما تولى الشيخ ابرهيم اليازجي ادارة مجلة « الطبيب » البيروتية سنة ١٨٨٤ بالاشتراك مع الدكتورين بشاره زلزل وخليل بك سعاده أشار باستعمال لفظة « مجلة » وهي صحيفة علمية أو دينية أو أدبية أو انتقادية أو تاريخية أو ما شاكل تصدر تباعاً في أوقات معينة . فأثبتها بمعناها العصري وتابعته في هذا الإصطلاح جميع المجلات التي صدرت بعدها والتي كانت قبلها . ثم شاعت في جميع الأقطار العربية شيوعاً أجهز على المعنى الأصلي حتى صار مهجوراً بالمرّة . فلا يتبادر الآن الى ذهن المطالع لدى عثوره على لفظة « مجلة » إلاَّ الصحيفة الدورية دون سواها ولا يطلق أحد من كتاب العصر هذه التسمية على « صحيفة فيها الحكمة » إلاَّ اذا كانت تصدر تباعاً في آونةٍ معينة . ومع ذلك اذا طالعت المعاجم العصرية لا ترى فيها للفظة المذكورة معناها الحالي الشائع بل القديم

المهجور . هكذا توفق العرب المولدون الى وضع أسماء لمسميات الصحافة الحديثة . وهو مطلب غير بعيد على أهل هذه اللغة طلبوه بأسبابه ودخلوه من أبوابه

وتختلف مواضيع الصحف باختلاف غايات أصحابها ونزعاتهم ومشاربهم فتارة تكون دينية وطوراً سياسية وحيناً أدبية . وقس عليها العلمية والفنية والإنتقادية والروائية والهزلية والتهذيبية والاخبارية والعمرانية والقضائية والاخلاقية والتاريخية وغيرها . ولكل من هذه التقاسيم الكبرى فروع بل فروع فروع يطول بنا شرحها لكثرتها فنضرب عنها صفحاً . وقد أصاب الدكتور شبلي شميل فيما كتبهُ بهذا المعنى قال : « الصحف أنواع بقدر المواضيع التي تتناولها معارف البشر . وربما قصروها على فرع من علم بل على مبحث من فرع استيفاءً للبحث . وساعدهم على ذلك كثرة خاصتهم وحب عامتهم لرفع شأن العلم . . . بحيث لم تنقصهم في سبيلها النفقات التي هي لحياة الصحف كالغذاء لحياة الأبدان . فتكاثر عددها عندهم جدًّا حتى صارت فوائد العلم بها قريبة المنال عامة العرفان في كل مكان . اذ ليس للعلم وطن يؤثره على وطن »

ولما كانت الصحف تصدر في آجال معلومة فقد سماها الأفرنج «الصحف الدورية » أو «الصحف الموقوتة » أعني (Presse périodique) لأنها تنشر شهرية أو أسبوعية أو يومية . بل منها أيضاً ما يصدر مرتين في الشهر أو الأسبوع أو اليوم أو غير ذلك من المواعيد

فيليب دي طرازي

الحرب والسلم

افتتاح قصر السلام في مدينة « لاهاي »

لا يُنكر أحدٌ أنَّ الحربَ مجلبةُ الدَّمار والبوار، ومدعاةٌ لخراب العباد والبلاد، لما يتقدَّمها ويصحبها ويليها من بذل الاموال وسفك الدماء وتخريب الأمصار. فهي من بقايا الهمجيـة ومن آثار التوحش. لذلك هبَّ قومٌ من دُعاة الإنسانية يناهضون فكرة التسليح ويعملون على إبطال القتال بتعميم مبدإِ التحكيم العام والإِستناد اليهِ بدلاً من التعويل على السيف والمدفع. فسخر منهم الآخرون، وعدُّوا أمنيتهم من قبيل الأحلام، وإِن كانوا وإِياهم متفقين على ويلات الحرب وفظائعها. ذلك لانهم يرون الحرب دائمة ما دام الإِنسان ذا طمع، وقد يُدرج الانسان في كفنهِ، ولا يموت الطمع في صدره. والتاريخ شاهـد لا ترد شهادتهُ في هذا الموضوع. فان الحرب في نظرهم شرٌّ ولكنهُ شرٌّ متحتم الوقوع. على أن أنصار السلم لم يعبأُوا بهزءِ الهـازئين، ولا بتضييع الحوادث أحياناً لآمالهم بل ظلوا يكتبون ويخطبون ويسعون لنشر مباديهم، حتى أخذت فكرة التحكيم العام في المشاكل الدولية ترسخ شيئاً فشيئاً في الاذهان. ورأينا اكثر من مشكلة في هذه السنين تُحَلُّ عقدتها بالطرُق السلمية، بعد أن كانت مثيلاتها فى الماضى لا تُحل إِلاَّ بظبي الحراب وباشعال البارود

فكرة السلم العام خطرت لكثيرين من الفلاسفة والإِجتماعيين منذ

زمنٍ بعيد، ولكنها لم تبرز بشكل حسيّ إلاّ منذ نحو ربع قرن . وذلك أنّ فريقاً من كتّاب الإنكليز، وفي مقدمتهم مستر ستِد صاحب مجلة المجلات المشهورة، رأوا وجوب تعميم هذه الفكرة . وأوحي الى البعض أن اسكندر الثالث قيصر الروس يميلُ ميلاً اكيداً الى إيقاف التسليح في العالم . فما كاد هذا الإعتقاد يتجسم في رأس مستر ستِد، حتى نهض يعمل بجدٍّ واجتهاد لتحقيق تلك الأمنية . فكتب عريضة وقّعها من كل ذي مقام في بلاد الانكليز، وقدّمها الى حكومته ملتمساً منها فيها مخاطبة الدول في سبيل إيقاف التسليح وتحديده . فأرسلت وزارة الخارجية الانكليزية تلك العريضة الى القيصر

وبينما القيصر يتحفّزُ للعمل، نشبت الحرب بين الصين واليابان فكان من العبث محاولة إقناع الدول بايقاف التسليح، ودويُّ المدافع يقصف في بعض إنحاء العالم، فاضطر القيصر الى تأجيل العمل وحالت وفاته دون متابعة الأمر . غير أن القيصر الحالي الذي خلفه لم يكن أقلّ منهُ رغبةً في ذلك فدعا الأمم الى السلام، ولبّت الشعوبُ نداءهُ . وكانت نتيجة ذلك عقد المؤتمر الأول في « لاهاي » عاصمة هولندة سنة ١٨٩٩

ثم أراد أحد ملوك المال، مستر اندرو كارنجي، أن يشترك مع ملوك السياسة في هذا العمل المجيد، وأن يضع لمشروع السلام أثراً خالداً، فوضع سنة ١٩٠٣ تحت تصرُّف حكومة هولندة مبلغ مليون ونصف مليون من الريالات لاقامة البناء اللازم لمحكمة لاهاي وإنشاء مكتبة عمومية لمحكمة التحكيم المستديمة . فسرّ ذلك حكومة هولندة وزاد

افتخارها باختيار عاصمتها مركزاً مستديماً للسلام ، وكعبةً تحجُّ اليها الآمال، فأرادت أن تشترك في المشروع اشتراكاً فعلياً ، وتُظهر شكرها للمستر كارنجي على هبتهِ العظيمة، فقرّرت إنفاق مبلغ ٥٦ الف جنيه من خزانة الحكومة لابتياع خمسين الف متر مربع من حديقة كانت قسماً من المتنزه الملكي . فتم البيع في آخر يوليو سنة ١٩٠٥

* * *

وقد تمَّ البناء الآن ، وجرى الاحتفال الرسمي بافتتاح قصر السلام في الثامن والعشرين من شهر أغسطس الماضي بحضور مندوبي الدول

وقد جاء هذا البناء فخماً ، لطيف الشكل ، خلواً من كل ما يدلُّ على العظمة الوحشية أو الحربية التي امتازت بها الأبنية الكبيرة حتى الآن . وقد زيّنت واجهة الدور الثاني من القصر بعدّة تماثيل ترمز الى العلوم والمعارف العصرية والمزايا الإنسانية الراقية . وفي صدر البرج الكبير تمثال للتجارة، وآخر للصنائع ، وبين نافذتي الواجهة قامت تماثيل شتى من اليسار الى اليمين تمثّل « البلاغة » و « حسن الطوية » و « قوّة الإرادة » و« السلطة أو القدرة » و« الدرس والبحث » و « الحكمة » و« الإنسانية» و « الثبات » ونُصِب الى جانبي نافذة القاعة الكبرى تمثالان يمثّلان العدل والقانون كأنهما حارسان يحرسانها . ونُصِب فوق كل ذلك تمثال « ملكة السلام » بشكلها المعروف وقد جعلت يديها على قبضة سيف مسلول ، لفّت حوله خريطةً مكتوبة إشارة الى الشرائع السائدة . وتحت هذا التمثال فوق الرتاج أسدان فاغران فاهيهما ، يفصل بينهما برج

بحرسانه رمزاً الى أنهُ لم تبقَ ثمت حاجة الى القوّة الوحشيـة لحراسة الحصون وإنفاذ قرارات السلام

وهناك عدا هذه التماثيل الرمزية اربعـة تماثيل أخرى تمثل أربعة رجال عظام : أحدها تمثال هوجو جروتيوس أول مجاهد في سبيل الشرائع الدولية أهدته جمعيات السلام ؛ والثاني تمثال الملك ادورد السابع أهدتهُ جمعية السلام العام ؛ والثالث تمثال السر رندل كريمر الذي كان يعمل مع كارل ماركس ومازيني فى سبيل التحكيم الدولي ، أهدته لجنـة التحكيم الدولي ؛ والرابع تمثال المسترو ليم ستِد صاحب مجلة المجلات الانكليزية ، أهدته نقابة الصحافيين فى هولندة . فيكون أبطال السلام الذين نُصبت تماثيلهم فى القصر أربعة : قاضٍ وملكٌ دستوريٌّ وزعيمُ عمَّالٍ وصحافيٌّ .

أما داخل القصر فغاية في الاتقان والابداع ، وقد نُقشت الرسوم العديدة على زجاج نوافذهِ ، منها فى المدخل الخارجي ما يدلُّ على فظائع الحروب ونكباتها من سيوفٍ مخضبة بالدماء لا تعف حتى عن العجائز ، وأمهات مضطربات جزعاً على أولادهنَّ ، وقصور مهدَّمة ، وكنوز مبعثرة ، وجثث معفرة يظللها الموت

أما قاعة عقد المؤتمرات الكبرى فطولها نحو ٧٤ قدماً وعرضها ٤١ . وهي تسع نحو ٣٠٠ رجل ، أمام كلّ واحد منهم طاولة للكتابة . وفى صدر القاعة نافذة كبيرة ملوَّنة الزجاج ، وضع فى جانبٍ منها تمثال يمثل العدل ، والى يسار هذه النافذة مواضع للجلوس درجات بعضها فوق بعض

أما مكتبة القصر فكبيرة متسعة تشغل جانباً كبيراً منه ، وفيها أثمن

الكتب وأكثرها فائدة وألذها تلاوة . وقد علقت فى إحدى قاعات القصر صورة مكبرة بالزيت تمثل المستر اندروكارنجي الذي تبرع بنفقة هذا البناء الفخم

والهدايا التي فى القصر كثيرة لا تحصى أهدتها اليه حكومات العالم ومن جملتها سجادة ثمينة جاءته من الحكومة العثمانية وهي تملأ أرض قاعة الاجتماع الكبرى

***

فى سنة ١٩١٥ سينعقد مؤتمر السلم العام فى هـذا القصر الذى مرّ وصفهُ . وسيكون لدى المجتمعين أمورٌ خطيرة ومشاكل معضلة يتناولها البحث ، وأهمها زيادة التسليح فى العالم الى حدٍ كادت ترزح تحتهُ أغنى الحكومات . وقد يصدرُ فى ذلك القصر قرارٌ يقضي بابطال الحروب وتحريمها ، ويُناط أمرُ إنفاذهِ بحكومات العالم بأسرهِ ، فيتمّ ذلك الحلم الجميل وينصرف الإنسان عن قتال أخيـهِ الإنسان الى ما يُرقيّ شؤونهُ أدبياً ومادياً . وقد تكون أوربة فى حربٍ عمومية طاحنـة إبأن عقد المؤتمر ، وقصف المدافع يُصمّ الآذان ، فلا يسمع أحدٌ صوتَ خطباء السلام وأنصار التحكيم ، فيظلّ السلم العام حلماً من الأحلام ، ويبقى العدل نوراً ضئيلاً تحجبـهُ غياهب المطامع والغايات ، ولا ينفك الحقُّ متضعضع الأركان تقوّضهُ القوّة وتسحقهُ

افكار وآراء

لا يطيق التردّد الاّ النفوس الصغيرة، كما ان الشفق لا يسرُّ الاَّ الخفّاش

هيجو

الساقط من أعلى الشجرة لا يستنكف من أن يتمسك بأصغر الاغصان

هيجو

لا شيءَ يحقّر الصغير في عيني نفسه كوجوده بجانب العظيم

ارفنك

ما أعظم السرور الذي ينشره محبُّ الخير في دائرته، وما أصدق ما قيل : إن القلب الحنون نبع سرورٍ منعش يجلو الغمَّ عن النفوس

ارفنك

لا سلام بلا فضيلة . السلام كقوس قزَح ركنه فى الارض، وقوسه يتوارى في الزرقاء؛ تغسلهُ السماء بألوان النور ، ولا يظهر إلاَّ بين الغيوم والدموع؛ هو انعكاس الشمس الأبدية ، يعُرب عن وجود الأمن والطمأنينة، هو علامة ميثاقٍ بين الله والناس

لتون

نهر الحزن العميق يجري بهدوء وسكينة

لتون

لصيت الانسان وما يقال عنه تأثيرٌ فى مستقبله لا يقلُّ عن تأثير أعماله

هيجو

من لا يبتغي ارضاء الناس ، ولا يخشى سخطهم يتمتع بسلام تام

كبس

من ارتكب الرذيلة توصلا الى الفضيلة، أنزل الفضيلة فى سوق التجارة

حبّ الذات أصل لكل فضيلة وكل رذيلة . فأسمى الفضائل اساسها حبُّ الذات ، وأفظع الرذائل ناتجة عن الانانية ، ولذا قيل أحبب قريبك كنفسك

ما دام الداء مستتراً لا ينجع فيه دواء . أمهر الأطباء من كشف الداء قبل معالجته . أفظع العلل الرياء لأنه يستر كل داء

السعادة ككل فضيلة تتولد من ضدّين : القناعة والاجتهاد . أفضل سبيل للانسان ان يتخذ الوسط بين كل طرفين متضادين : كن كريماً لامسرفاً ولابخيلاً ؛ شجاعاً ، لاجباناً ولامتهوراً ؛ نزوعاً الى العلياء ، لا حسوداً طامعاً ولا مهملاً متقاعداً

فؤاد شطاره

من كل حديقة زهرة

* قالوا اميركا بلاد العجائب وقد أصابوا . فمن أمثلة ذلك ما تناقلته الصحف عن المستر بريان وزير الخارجية الاميركية الحالي . رأى هذا الوزير ان مرتبه البالغ خمسة وستين الفاً وخمسمئة فرنك لا يكفيه فعزم على القاء محاضرات « مأجورة » واتفق لهذه الغاية مع مدير جوق متنقل يتولى التمثيل في المدن المجاورة لواشنطن عاصمة الولايات المتحدة . ففي اثناء الفترات بين الالعاب البهلوانية والغناء يقف الوزير فيلقي محاضرته

وللوزير ٥٠ بالمئة من الدخل . فان قل الدخل ، فله المئتان والخمسون دولاراً الاولى من دخل كل ليلة

ويضطر الوزير ان ينام ويأكل فى القطار ليتسنى له أن يقوم بوظيفتيه مهام الوزارة في النهار والقاء المحاضرات في الليل

* أصدر الاستاذ ويلكوكس في جامعة كورنل (الولايات المتحدة) احصاء اثبت فيه أن الوفيات بين العازبين هي اكثر منها بين المتزوجين . فان المتوفين بين سن ٤٠ و٥٠ كانوا ٩ ونصف فى المئة من المتزوجين و ١٩ ونصف من العازبين

أما النساء فانهم لا يكسبن كثيراً بالزواج ولكنه مقرر ان النساء المتزوجات هن اطول عمراً من النساء اللواتي لا ازواج لهن

* قرأت احدى الانكليزيات في الجمعية العلمية الانكليزية مقالا عن عادة قتل الملوك في مصر القديمة . فقالت أن هناك أدلة كثيرة تثبت قتل القدماء لملوكهم تضحية كاليونان وأهل كريت وبابل وسورية والحبشة . وهذه البلاد اما مجاورة لمصر وإما لها علاقة شديدة بها . والفكرة الأساسية في قتل الملوك هي اعتقاد القوم بأن إله الخصب والزكاء مجسد فى الملك وأن خير البلاد ورفاهها متوقفان على وجوده متمتعاً بالصحة . فاذا كبر أو جاوز حدًّا معلوماً من السنين قتل ليتسنى للاله المقيم فيهِ أن ينتقل منهُ الى من هو أصغر منهُ سناً وأقوى بدناً فلا يدركه انحطاط أو هرم

* بعد فتح ترعة السويس خطر للفرنسيين نقض برزخ پناما وفتح ترعةٍ تصلُ بين الأوقيانوسين الهادي والاطلانطيكي، ثمّ اشترى الأميركيون هذا الامتياز، وقدروا النفقات اللازمة لانفاذ المشروع بمبلغ ٧٢٠ مليون فرنك . على أن ما أنفقوه حتى الآن يزيد على ١٥٠٠ مليون ، ولا يزال هناك قسم من العمل غير ناجزٍ ، وسيجري الاحتفال بترعة پناما فى السنة القادمة وقد دعت حكومة الولايات المتحدة حكومات أوربة للاشتراك فيهِ

ازهار وأشواك

أخبار الأدباء

عاد القرّاء وعدنا، بعد ما قضوا — ولم نقض — أياماً فى أعالي الجبال، أو على شواطئ البحر، فنهنئهم بسلامة العودة. أما بعد، فأول ما أنا محدّثهم به بعد هذه الغيبة هو بعض أخبارٍ عن أُدبائنا واعمالهم وتنقلاتهم، ومعظمهم من أصدقاء «الزهور» واصدقاء قرّائها:

كثيرون هم الادباء الذين تقلتهم الحكومة في هاتين السنتين من مقاعد التحرير الى كراسي الدواوين، وقد ذكرتهم في حينهم. وآخر من وضعت يدها عليه في هذا الصيف ولي الدين يكن، فقد ألحقته بنظارة الحقانية، فأصبح صاحب «الصحائف السود والمعلوم والمجهول» بقرب «صاحب النظرات»

وقد حدثت في هذا الصيف ايضاً حركة مباركة في ادارات صحفنا اليومية، فرأينا الاهرام والمقطم على ما هما عليه الآن من كبر الحجم وغزارة المادة وتوفر الاخبار البرقية والمحلية. وقد انضمَّ الى تحرير الاهرام سليم سركيس وهو الكاتب المعروف، وسليم عقّاد وهو آخر صحافي هجر سوريا الى وادي النيل. وعهدت رياسة تحرير «المحروسة» الى فرح انطون، ورياسة تحرير «الوطن» الى الشيخ يوسف الخازن بعد سفر اسكندر شاهين الى البرازيل، وترأس تحرير «مصر» توفيق حبيب

هذا أهم ما جرى في الدوائر الصحافية. أما في سائر دوائر الأدب

فان حافظ ابراهيم وخليل مطران قد هجرا سماء الخيال ، وقضيا صيفهما الى جانبي في مطبعة المعارف يشتغلان في ترجمة كتابٍ في علم الاقتصاد ، وقد أنجزا أربعة أجزاء منه ، وهما يُعدّان الآن الجزء الخامس . وقلّما قابلت الواحد منهما الاّ ورأيت حوله هالةً من الكتّاب ، هـذا يساعد على وضع لفظة عربية لترجمة بعض المصطلحات ، وذاك يُعيد النظر في البروفة قبل طبعها . . أما شوقي فقد اتصل بي انه سيتحف عالم الادب عن قريب بالجزء الثاني من الشوقيات

هذه جريدة اخبارنا الادبية دوّنتها بكل اختصار

توارد خواطر

كان المارشال دي لكسمبرج من أبسل قوّاد فرنسة وأشجعهم على عهد لويس الرابع عشر ، وقد أحرز من الانتصارات في الحروب ما رفع قدره في بلاده ، وألقى الرعب في قلوب أعدائه . وكان المارشال أحدب الظهر ، على انه لم يكن يرى في ذلك عيباً ، بل كأنه كان يتمثل بقول الشاعر العربي :

لا تظنّنَّ حـدبةَ الظهرِ عيباً ... فهي في الحسن من صفات الهلالِ
وكذاك القسيُّ محدَوْدباتٌ ... وهي أنكى من الظبـا والعوالي
كوَّنَ اللهُ حدبةً فيَّ ان شئتَ م ... من الفضـلِ او من الافضالِ
فأنت ربوةً على طودِ حربٍ ... واتتْ موجـةً ببحر نوالِ
ما رآهـا النساء الاّ تمنّت ... أن غدت حليـةً لـكلّ الرجالِ

واتصل يوماً بالمارشال أن أحد أعدائه قال : « ألا يمكنني أبداً أن

أغلبَ هذا الأحدب ؟ » فأجاب المارشال : « ومن أين عرف الاعداء أني أحدب ، وما ولّيتهم ظهري قطّ . . . ! » فاشتهر جوابهُ ، ودوّنه لنا التاريخ وعُدَّ آيةً في الفخر والدلالة على الشجاعة

ذكرني بالمارشال وجوابه ما روته لنا الجرائد عن الأسود جونسن الاميركي بطل « البوكس » المشهور وزعيم الملاكمين الذي لم يقوَ على صرعه أحدٌ حتى الآن . ذلك أنهُ كان يتنزّه في سيارته فصدمته سيارة أخرى ، فأصيب بجرح في ظهره ؛ وبينما كان الطبيب يضمد له الجرح قال جونسن : « نازلت أشدّ المصارعين وأُصبت بلكمات شديدة ، ولكن هذه هي المرة الوحيدة التي أُصبتُ فيها بظهري ! »

توارد خواطر لطيف بين القائد دي لكسمبورج الفرنسي ، والمصارع الاميركي .

تاريخ جديد

اعتاد الناس أن يؤرّخوا مراسلاتهم بتاريخ الشهر الافرنجي أو الهجري أو القبطي ، ولا أعرف في بلادنا تاريخاً متداولاً بين العامة والخاصة غير هذه التواريخ الثلاثة

لي صديق اديب – والحمد لله كل اصدقائي من الأدباء – موظف في إحدى النظارات ، يراسلني وأراسله مرّة في الاسبوع على الاقل ، لأنه يتعذر علينا الاجتماع دائماً لكثرة المشاغل ، فنعتاض بالمكاتبة – والمكاتبة نصف المشاهدة ؛ هذا فضلاً عما أجده في رسائله من الادب

الجمّ والمُلح المستظرفة . وما كان ليخطر لي ببال أن أذكره لقرّائي لولا الكتاب الأخير الذي جاءني منـه ، وقد أعجبتني طريقة تأريخه . صدّر كتابه في الخامس والعشرين من الشهر ، فلم يكتب التاريخ : في ٢٥ من شهر كذا ؛ ولم يقل كما كان يقول العرب : لخمسٍ بقين من شهر كذا ؛ بل كتب : لخمسٍ بقينَ لقبض ماهية الشهر . . . وفي هذه العبارة الموجزة بيانًا على حالة نفس الكاتب وحالة جيبه أوفى وأدلّ من الشكوى بقصيدة تعادل أبياتها تائيّة الفارض عدًّا . . .

للتفكهة

في قسم الحساب ، الأستاذ يسأل التلاميذ :

لنفرض أنّ لدى ثمانية منكم ٤٨ تفاحة ، و ٣٩ خوخة ، و ٥٦ برتقالة و ١٥ بطيخة و ١٤ شمّامة ، فماذا يصيب كلاً منكم ؟

أحد التلاميذ : وجع بطن . . .

***

— يجب أن تتزوج

— لم أجد حتى الان ما يوافقني

— ولـكن يمكنك أن تجد فتاةً عاقلة حكيمة محبة ظريفة كامرأتي

— إذن سأنتظر ان تترمل امرأتك . .

حاصد

ثمرات المطابع

* تاريخ مصر — عرف القرّاء مما نشرناه للسيدة هند اسكندر عمون فى مجلة « الزهور » من الابحاث الشائقة ان هذه الكاتبة الفاضلة لا تُعالج من المواضيع الاّ التى تقتضي بحثاً وتدقيقاً ، ولكل كاتب اسلوب وولع فى مواضيع خصوصية . ولقد رأت شدة احتياج المدارس الى كتاب يتضمن تاريخ مصر القديم والحديث ، بطريقة جامعةٍ سهلة المنال يقف الطالب فيها على الحوادث مع معرفة عللها ومعلولاتها دون أن يضيع فى التفاصيل ، فأقدمت على هذا العمل الشاق بهمةٍ ونشاط ، وجمعت المعلومات اللازمة من أوثق المصادر وأثبت الموارد ، ووُفقت الى وضع كتاب استوفت فيه شروط الكتابة شكلاً وموضوعاً ، فجمعت فى صفحاته الثلثمئة جميع أطوار التاريخ المصري منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا ، وضمنته نظرات صادقة فى أحوال البلاد ومدنيتها على عهد كل دولة من الدول التي تعاقبت فى حكمها ؛ كل ذلك بأسلوب فصيح رشيق خلو من الحشو والفضول . ولقد اطلعت اللجنة المناط بها فحص الكتب فى نظارة المعارف العمومية على هذا السفر النفيس ، فراقها العمل وقدرت الكتاب حق قدره ، فقررت تدريسه فى المدارس الاميرية كما قرّرته ادارة المدارس الاميريكية ومعظم مجالس المديريات ، فكان اجماع هذه الدوائر العلمية العالية على اقتناء هذا الكتاب خير شهادة على مقدرة المؤلفة وعلى فائدة تأليفها وأهميته

وقد تولّت نشر هذا الكتاب مطبعة المعارف الشهيرة ، فأخرجته بحلة جميلة شائقة ، وهو مزين برسوم وصورٍ عديدة ، مضبوطة أعلامه وكلماته الصعبة بالشكل التام

* تاريخ الصحافة العربية [١] — أشرنا الى الجزء الاول من هذا المؤلف النفيس الذي عني بوضعه حضرة الفيكونت فيليب ده طرّازي . وفى يدنا الآن الجزء الثاني منه وهو يقع فى ٣٣٦ صحيفة تناول البحث فيها الحقبة الثانية من تاريخ الصحافة العربيـة منذ افتتاح قناة السويس الى التذكار المئوي الرابع لاكتشاف العالم الجديد (١٨٦٩ — ١٨٩٢) . ويكفي تقليب صفحات هذا الكتاب للدلالة على ما بذله مؤلفـه الفاضل من السعي والاجتهاد لجمع هذه المعلومات المتفرقة عن موضوع متشعب الاطراف قليل المستندات . فقد استوعب فيه تاريخ الصحف والصحافيين فى بلاد الدولة والبلاد الاوربية ، مع ذكر منشإ كل صحيفة وبحثٍ فى اسلوبهـا وخطتها وتاريخ منشئيها ومحرريها ، وصور مشاهير الكتّاب وترجمة حياتهم مما يدلُّ على استقراء وتنقيب وحسن ذوقٍ فى التدبيج والترتيب ، فجاء هذا الكتاب حاوياً تاريخ الادب والنهضة العربيـة فى تلك الحقبة ، ناشراً ذكر رجال أفاضل وكتّاب مجيدين لم تكن الايام حافظةً عنهم للخلف شيئاً يذكر ، بل كانت آثارهم تكاد تُدرس لو لم يهتم حضرة الفيكونت بهذا العمل الجليل ، ولقد أحسن الياس افندي حنيكاتي الاديب البيروتي المعروف فى اقتراحه على الصحافيين والادباء تقديم هدية لناشر

(١) طبع في المطبعة الادبية فى بيروت ويطلب في مصر من مكتبة الهلال

تاريخ الصحافة العربية اقراراً بجميل خدمته الوطنية

وقد نشرنا فى غير هذا المكان من الجزء الحالى نبذةً من هذا الكتاب للدلالة على اسلوبه

* العراقيات [١] — فى العراق طائفة من الكتّاب والشعراء قلّ ما كان يعرفه عنهم أهل بلادنا ، ولقد عنيت «الزهور» بهذا الموضوع كثيراً فأثبتت تراجم البعض منهم ، ونشرت للبعض الآخر شيئاً غير يسير من المنظوم والمنثور . ولقد جاءنا أخيراً كتاب « العراقيات » لجامعيه الادباء « رضا وظاهر وزين » أثبتوا فيـهِ مختارات من شعر عشرة من مشاهير شعراء العراق وهم : السيد الحبّوبي والسيد الطباطبائي والسيد حيدر الحلي والشيخ جواد شبيب والشيخ كاظم الأزري والشيخ عباس النجفي والسيد جعفر الحلي والشيخ عبد الباقي الفاروقي والشيخ عبد المحسن الكاظمي والاخرس البغدادي . فاستحق ناشرو هـذا الكتاب كل ثناء من محبي الآداب العربية

* حقائق وعبر [٢] — مجموعة مقالات أدبيـة ومباحث اجتماعية للاديب اسكندر افندي الخوري البيتجالي، نشر بعضها فى مجلة «الزهور» فليس كاتبها إذن بالمجهول لدى قرّائنا ؛ يكتب بما يشعر وكما يشعر ، فيُسمع من خلال كلماته أنّاتٌ ، ويلمح بين سطوره دمعات ، فهو يتألم مما تتألم منه شبيبة العصر . وكتابه جديرٌ بالمطالعة

---

(١) مطبعة العرفان — صيدا — ثمنه فرنكان

(٢) مطبعة القبر المقدس في القدس الشريف وثمن النسخة ١٠ غروش

* آداب اللياقة[١] — هو كتيب يتضمن «قواعد فى الاداب الاجتماعية وأصولاً فى قوانين المعاشرة» استخلصها المؤلف مما أقرّته العادة ،وأجمعت عليه الاذواق ، وتوافرت على الاخذ به الطبقات المهذبة فى الامم الراقية. فموضوعه نافع مفيد ، بل هو لازم لمعرفة آداب السلوك فى المعيشة واللبس والأكل والشرب والحديث والتزاور والمجتمعات الخ . والمؤلف من كتّابنا المجيدين ، وهو محمد افندي مسعود ، الصحافى وصاحب جريدة «النظام» بالأمس والمحرّر الفني الآن فى نظارة الداخليـة . وقد خدم النشءَ بكتابه هذا خدمةً كبيرة ، ورأت نظارة المعارف ان تقرّر « آداب اللياقة » للمطالعة فى مدارسها بالنظر الى عظيم فائدته

* جزيرة الذهب[٢] — عنوان رواية ترجمتها عن الالمانيـة حضرة الفاضلة السيدة ماري قرينة الصحافى القدير ابراهيم افندي نجّار المعروفة لدى قرّاء الجرائد برسائلهـا الاخبارية وابحاثها المتنوعة . والرواية شائقة الحوادث جميلة المغزى طلية العبارة ستلاقي من محبي المطالعة اقبالاً واستحساناً

* أعذب ذكرى — مجموعة مقالات عربيـة وفرنسية وانكليزية فى مواضيع أدبية وأخلاقية مما ألقاه نجباء مدرسة الفرير فى بيروت فى حفلاتهم المدرسية ، وهي تنم عن استعداد منشئيها للكتابة وتدلُّ على عناية المدرسة بتثقيف عقول تلاميذها

(١) مطبعة التقدم في مصر
(٢) مطبعة جريدة الهدى في نيويرك

مسز لوتي

حادثة محزنة جرت في ضواحي الاسكندرية

بقلم أديب مصطافٍ في « كبوسيزاره »

عرف الدكتور لوتي ، طبيب الأسنان الأميركيُّ الطائر الصيت في الاسكندرية ، الفتاة آسين يزبك في بيروت منذ ثماني عشرة سنة أو أكثر مدبّرةً لمنزل طبيبٍ أميركيّ يحترفُ طبَّ الأسنان مثلهُ ، تعاونهُ آناً في مستوصفهِ ، وتعاون زوجتهُ آناً في تدبير منزلها . واتفق أنَّ ذلك الطبيب شاخ واغتنى من صنعتهِ ، فترك للدكتور لوتي مستوصفهُ ، وانتقل مع عائلتهِ الى الولايات المتحدة ، وانتقلت الفتاة آسين الى منزل والدتها ، وبعد أيامٍ أدرك لوتي قدر حاجتهِ اليها ، بالنظر الى حداثة عهدهِ في بيروت وجهلهِ بلغة البيروتيين ، فطلبها ، فأجابت والدتها :

— أنت أعزب ، وهذه بنتٌ ، وليس من عادات البنات في الشرقِ أن يعاشرنَ عزّاباً

قال : إني إذاً أخطبها ، وهذه يدي !

فمدّت الفتاةُ اليهِ يدها ، وصافحتهُ ، وأصبح لوتي وآسين من تلك الساعة خطيبين ، كلٌّ منهما مؤتنسٌ بالآخر وراضٍ عنهُ كلَّ الرضى

ثمَّ رأى لوتي ، بعد عقد الخطبة ، أنَّ بيروتَ أضيقُ من أن تسع مطامعهُ ، أو تُبلغهُ الشهرة التي تصبو اليها نفسهُ ، فقرَّر السفر الى الاسكندرية والاقامة فيها . وكاشف خطيبتهُ ووالدتها بعزمهِ ، واقترن قبل سفرهِ من بيروت بالآنسة آسين حتى لا يفصلها عنهُ عائق . ثمَّ ركب واياها البحر الى الاسكندرية ، وأصبحت آسين من تلك الساعة مسز لوتي

ولقد حققتِ الأيامُ للطبيب آمالهُ في الاسكندرية فطارت شهرتهُ ، وكثر الاقبالُ عليهِ من جميع احياءِ المدينة ، حتى ضاق مستوصفهُ بالوافدين اليهِ . وكانت آسين تعاونهُ في أعمالهِ ، كما كانت تعاونُ قبلهُ الطبيب الشيخ في بيروت ؛ وكانت المحبةُ تزدادُ بينهما على مرّ السنين حتى أصبحا مضرب المثل في ذلك بين جميع المعارف والاصدقاء

وولدت آسين خلال ذلك ولداً وثلاث بنات ، فازدادت بولادتهم روابط المحبة بين الزوجين ، وأصبح لوتي لا يترك مستوصفهُ إلاّ الى زوجهِ يباسطها ، وإلى أولاده يلاعبهم ويداعبهم . ومضى أربعة عشر عاماً وهذه حالها من الغبطة والهناء ، لم يتكدَّر صفوهما ، ولا تسرَّب الى قلبيهما همٌّ

وبينما هما يمرحان في بحبوحة الرغد إذا بوالدة لوتي قدمت من الولايات المتحدة لتزور ولدها فلما اجتمعت بهِ وبزوجهِ وأولادهما ، نفرت من الزوجة وانعطفت على الاولاد ، وانطلق لسانها في تعيير أمهم وتحقيرها فى أعينهم ، هازئة بها وبجنسيتها قائلة : « أنتم أميركيون ، يشرّفكم انتسابكم الى أبيكم ، ولا يحطّ من قدركم إلاّ أن يعرف الاميركيون أن أمكم آسين ! » وقد تمادت فى تنفيرهم منها ، بل حرَّضتهم على مقاطعتها والترفع عن ملازمتها ومصاحبتها فى الزيارات وأمام أعين الناس

* * *

كانت آسين ترى وتسمع ذلك كلهُ فتكتم الكمد وتظهر الصبرَ والجلد ؛ ولم تكاشف زوجها بشيء مما تعانيه ، ولا خاطبت حماتها بكلمة عتبٍ أو ملام ، الى أن اعتراها ذهولٌ شديد ذهب بلبّها وأفقدها صوابها . فحار زوجها فى علتها ونقلها بيديهِ الى المستشفى وأقام ساهراً عليها . وكأنما شعورها بعطفهِ وحنانهِ كشف عنها ذلك الذهول ، فلم يمضِ عليها أسبوعان حتى عاد اليها صوابها . وكأنّ ما أصابها خلق فى

نفسها قوَّةً لم تكن فيها من قبل فباحت لزوجها من جهةٍ ، وللقنصلية الاميركية من جهةٍ أخرى ، بما تفعله حماتها فى منزلها مما كان سبب علتها

على أثر ذلك ردّ الدكتور لوتي والدتهُ الى الولايات المتحدة ، وردّ غيابها اليهِ والى زوجهِ وأولادهما تلك العيشة الهنيئة التي كانوا فيها من قبل ، غير أنها لم تطل أكثر من أربعة أعوام اذ عادت أم لوتي ، وقد عقدت عزيمتهـا على السفر بولدها لوتي ، وأبنائهِ الاربعة دون أمهم الى الولايات المتحدة . وكان الولد قد بلغ السادسة عشرة من عمره ، و بلغت البنت الكبرى الثامنة عشرة ، والصغرى الرابعة عشرة . فاستأنفت سيرتهـا الاولى مع الام والاولاد ، وزادت عليها انها اغتنمت فرصة بلوغ البنات لتشويقهنَّ الى التزوُّج من بعض الاغنياء الاميركيين ، وتمكنت من استمالتهنّ اليها

ولم ترَ آسين من زوجها فى هذه المرَّة عطفاً فى شيء ، ولم تكشف له عن سريرتها لاعتقادها أنهُ لا تخفى عليهِ خافية من أمر أمهِ وأعمالها وأقوالها ، بل لزمت الصمت ، وتولتها الكآبة والحزن ، ودبَّ في فؤادها اليأس والجزع ، و باتت منغصة العيش تقضي الليالي سهداً و بكاء ، وتصبح حيرى يتنازعها عاملان بين أن تنتصف لنفسها من حماتها وتظهر سلطتها في منزلها وعلى اولادها ، وهو العامل الأول ، وان تضحي نفسها فدًى لفلذات كبدها ولوالدهم الذي أحبتهُ وأخلصت له الودّ ، وهو العامل الثانى . ومضت عليها أيام في هذه الحيرة حتى أخذ الجزعُ منهـا كلَّ مأخذ ونحل جسمها ووهنت قواها الى حدّ أنها عافت الطعام والشراب ، وعجزت ركبتاها عن حملها ، فارتمت في مخدعها خائرة العزم ، وقد غلب عليها العامل الثانى . ولو علمت في تلك الساعة بأنّ زوجها نسي حبها واشتغل قلبهُ عنها بحبّ أخرى من النساء لباحت بما تكتمهُ ، بل لربما كانت اختارت العامل الأول . الاّ أنهـا كانت تحبهُ حباًّ مفرطاً ، ولم يكن ليخطر في مخيلتها أنهُ يخونها في عهد أو ميثاق

***

وفي غسق الليل الذي عقدت عزيمتها فيهِ على الانتحار ، أخرجت من خزانة أثوابها قميصاً طرّزتهُ بيدها على أن تقدّمهُ في الصباح هديةً الى زوجها في عيد ميلادهِ وفتحت نافذة غرفتها في كبوسيزاره وهي بقميص النوم ، وكان القمر في أتمّ لمعانهِ يتلألأ ضوءهُ على صفحات البحر العجاج ، والامواج تتلاطم وتتكسرُ على الصخور فيسمع لها هديرٌ يطرق الاذن ، وترسل في النفس بعض الرعدة والخوف . غير أن آسين لم ترتعد فرائصها ولم تنثنِ عن عزمها ، بل تراجعت وقد وطنت النفس على اتخاذ رحب البحر قبراً ، وأمواجهُ كفنا . ثم اغلقت النافذة واستدعت اليها بنتها الكبرى ، وسلمت اليها حسابات المنزل وما معها من النقود وقالت لها :

— « اني مريضة يا ابنتي ، وقد بلغتِ انتِ من العمر حدًّا يلزمكِ فيهِ ان تعلمي تدبير المنزل ، فاستلمي الحسابات »

ثمَّ قبلتها ، واستدعت ولدها وأبنتيها الأخريين وقبلتهم قبلة الوداع الذي لا لقاء بعدهُ . . .

***

وعند الساعة الحادية عشرة من ذلك الليل عادت الى النافذة ، وكان أهل المنزل نياماً ؛ فألقت نظرةً ثانيةً على البحر وأمواجهِ ؛ ثمَّ أسرعت الى الباب ، ففتحتهُ وانسلّت منهُ الى الشاطئ حتى انتهت الى مكانٍ يشرف على غورٍ عميق ، فألقت بنفسها اليهِ

وكان زوجها قد سمع ، وهو في مخدعهِ ، رنة الجرس في باب المنزل عند خروجها منهُ ، فظنَّ انَّ شقيقهُ قد عاد الى المنزل في تلك الساعة . ولكن مضت بضع دقائق ولم يسمع حركةً تدلُّ على دخول قادم ، فنهض وتفقد الغرف ، فلم يرَ زوجتهُ في غرفتها ولا في غيرها فانطلق الى الشاطئ يبحثُ عنها ، فلم يرَ لها أثراً

***

عند فجر اليوم التالي نهض شقيقةُ « هرّي » مبكراً ، وهو يجهلُ ما حدث ، واطلّ بمنظارهِ على البحر ، فكان اوّلُ ما وقعت عينهُ عليهِ جثةً متنفخة ضاق عنها قميصها فتمزّق . فنادى شقيقةُ الطبيب ، فأقبل يتبعهُ اولادهُ الاربعة ، فما ابصروا الجثة تتقاذفها الامواج ، حتى صاح الرجل من اعماقِ قلبهِ :

هذه زوجتي . . !

وصاح الاولاد :

هذه أمنا . . !

وخنقتهم العبرات ثمّ تراكضوا واخرجوا الجثة وقد اقتضى استخراجها من البحر استخدام اربعة من الرجال ؛ فستروها ببعض الملابس وحملوها الى المستشفى ومنهُ نقلت الى المرقد الاخير . . .

***

هذه حكاية مسز آسين لوني التي روت الصحف خبر انتحارها في هذا الصيف، وفي قصتها عبرة وعظة

﴿ الثعلب والعوسجة ﴾

قيل انّ ثعلباً أراد مرّةً أن يصعد حائطاً ، فتعلّق بعوسجةٍ ، فعقرت يده ، فأقبل يلومها ؛ فقالت له :

يا هذا لقد أخطأتَ حتى تعلقت بي ، وأنا من عادتي أن أتعلق بكل شيءٍ

ابن حمدون

منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السابع نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٣ السنة الرابعة

نابوليون الاول

والمقابلة بينه وبين أعظم مشاهير الرجال

وهو فصل من كتاب تاريخ الأمبراطورية لموسيو تيارس الفرنسوي

بقلم حضرة الشيخ سليم خطار الدحداح

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

نبدأُ بترجمة المؤلف وقد اخذناها ملخصةً عن أشهر المعجمات التاريخية واحدثها عهداً :

هو المسيو لويس ادولف تيارس من أشهر الكَتَبةِ في جيل الفرنسيس لهذا العهد ، ومن أعلامِ ساستها العظام . وُلِدَ في مدينة مرسيليا في الخامس عشر من نيسان (ابريل) سنة ١٧٩٧ لابوين فقيرَين . وكان أبوه أحدَ فعلةِ إدارة المرفإِ في تلك المدينة . وكانت امهُ مولودة الشرق في بيتٍ فرنسوي التجار ولها صلة قربى مع عائلة « شينيه » التي نبغ منها في تلك المدة الشاعران المشهوران . ويظهر أنَّ والدَ الموسيو تيارس تُوفي وهو في حال الصغر ، فاخذتهُ عائلةُ امهِ وربتهُ عندهـا ، وكانت مع فقرها أحسنَ حالاً من أبي صاحب الترجمة . وكانت لا تخلو عن بعض علاقاتٍ مع أُلي الوجاهةِ والنفوذ في تلك المدينة ، فأُتيحَ لها نظم لويس في

عداد طلبة المدرسة الرسمية المسماة « ليسه ده مارساييل » بلا مُقابل ولا عوَض . فمكثَ فيها مدةً طويلةً ، حتى أتمَّ دروسه الثانويَّة ، وحاز قَصَبَ السبقِ في أكثر المراتب والحلقات المدرسية — وكثيراً ما يَقعُ مثلُ ذلك للتلاميذ الفقراء في بيوت العلم ، لما يُكثرون من الجدِّ والأجتهاد مُكبّين على التحصيل رجاء المصيرِ الى غايةٍ تترقىَّ بها حالتهمُ الوضيعة. وفي حالِ خروجهِ من المدرسةِ المذكورة دخل كلية مدينة « أكس[1] » حيثُ تلقّى فنَّ القوانين والحقوق . وحصل في سنـــة ١٨١٩ على شهادة المحاماة . وفي هذه المدرسة الكليّة تعرَّف بالموسيو « مينيه » ، واستمرَّا صديقين عزيزين الى آخر حياتهما . وقد ظهر تيارس، وهو تلميذٌ ، كما عُرِفَ في سائرِ حياتهِ مجتهداً محبًّا للعلوم والمعارف ، ميَّالاً الى عدم الاقتصار على اتّباع خطةٍ واحدةٍ ، شأنَ من طُبع على مساماةِ الأمور الجسام ، وتوقد الذهن والحماسة

وفي سنة ١٨٢١ قدِم تيارس مدينة پاريس ، وكانت حينئذٍ فرنسا في قبضةِ الملوك البوربونيين ، وجميع شعبها في اضطرابٍ بداعي تلاطمِ أمواج السياسة ،وادبار المملكة ، ومصيرها الى الهون ، بعد انكسارات نابوليون الأول وتقهقرِ الدولةِ بعد عظمتها ، ولشمول شدَّة القلقِ قلوبَ الشعبِ ، وتوزُّع خواطرِ الفرنسيس بين حبّ الملكيين و بغضهم، والميل الى الجمهوريةَ أو الأسف على الأمبراطورية . فجاء تيارس ملتجئاً الى « مانويل » ، وهو إذ ذاك أحـدُ نوَّاب مجلس الأمة المعاكسين للبوربون ، فمضى بهِ الى المثري « لافيت » ، وعرَّفهُ بهِ وقدَّمـهُ لهُ ، وكانا كلاهما من أصدقاء الدوق دورليان رئيس الفرع الآخر الملكي (وهو الذي ملك فيما بعد باسم لويس فيليب من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٨) وهكذا توصل تيارس دفعةً واحدة الى أعلى المراجع ، وتعرَّف بأشهرِ رجالِ الأمة وأخذ يجتهد و يسعى حتى أحرز ذكراً متشاهراً . وقد أُشرب في قلبهِ لأول وهلةٍ بغض الاسرة المالكة ، وجعل همَّهُ السعيَ لقلبها وإركاسها ؛ وأخذ يُساعـد في إنشاء جريدةٍ شهيرة مدعوة « كونستيتوسيونل » أي الدستوريّ واتّفق أن دخل صديقهُ مينيه في

(١) مدينة في جنوبي فرنسا وهي ومرسيليا في ولاية واحدة

تحرير جريدة « كوريه فرانسه » ، وشرع تيارس منذ سنة ١٨٢٣ في وضع «تاريخ الثورة الفرنسوية » فأكملهُ سنة ١٨٢٧ . فجاء تأليفاً كبيراً ذا عشرةِ أجزاء بحثَ فيها عن أسبابِ الثورة وحوادثها ونتائجها ، وأعمال دولة فرنسا في خلال السنوات العشر المنقضية بين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٧٩٩ ، منذ أُخذَت قلعةُ الباستيل الى ان استأثر بونابرت بالسلطة

ولكن يؤخذ على المؤلف في هذا التأليف فرطُ تشيُّعـهِ لدعوة أهل الثورة ، وشدَّة استسلامه للتقادير ، واضطرار الرجال والناس الى التسليم بهذا المعتقَد القدَريّ غير أن هذا التاريخ ، على علاّتهِ ، قد جعل لصاحبهِ منزلةً رفيعة بين أدباء فرنسا وأوربا بأسرها حتى صار يُحسَبُ من رجال الدنيا المعدودين

وفي غرَّة عام ١٨٣٠ أنشأ هو ومينيه وأرمان كارول جريدةً سياسيةً ، دعوها « الناسيونال » ، وكان لها شأنٌ كبير في هبوط شارل العاشر من علاه آخر تموز (يوليو) من تلك السنـة . ثم انَّ تيارس و بعضَ أصحابهِ هم الذين زيّنوا لويس فيليب للشعب ؛ وكان تزيينهم اياه أقوى سببٍ في صيرورته ملكاً على فرنسا . فأخذ هذا يقرّب اليهِ تيارس مكافأةً لهُ على خدمه . وكان من ثمرات تقرُّبهِ انهُ عاضد وزارة لافيت[1] . ثم لمّا انقلبت هذه الوزارة ، عمد تيارس الى تعزيز وزارة كزيمير برّيي الشهير . ومن بعد موت هـذا السياسي ، انتظم تيارس في سلك الوزراء إذ سُمّيَ ناظراً للداخليـة ، وذلك في ١١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٨٣٢ . وأشهر ما كان لهُ في عهـد وزارتهِ توصّلهُ الى القاء القبض على الدوقة دي برّي ، والدة الكونت دي شامبور ، التي كانت ساعيـةً لايقاظ راقدِ الفتنة ، وإيقاد نار الثورة ، مُطالبةً بحقوق مُلكِ ابنها الارثية على فرنسا ولكن يُؤخذ على وزيرنا الوسائط الغير الشريفة التي استعملها مع آلتهِ دوتز الاسرائيلي طلباً لهذه الدوقة الأسيرة

ومنذ ١١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٨٣٢ الى ٢٩ من تشرين الأول

(١) ان العادة قد غلبت على تسميـة الوزارة باسم رئيسها أو باسم أهم شخص من أعضائها

سنة ١٨٤٠ أي في مدة ثماني سنين كاملة تولى تيارس منصة الوزارة عدة مرار ، فكان تارةً في وزارة الخارجية وأخرى في الداخلية ، وأحياناً في وزارة المعارف ، وكثيراً ماتولى كلاً منها على حدةٍ ، أو احداها منضمةً الى رئاسة الوزراء وأظهر في جميعها قوّة جنانٍ ، ورباطة جأشٍ نادرتين غريبتين . واشتهر بمحافظتهِ على كل ما يؤولُ الى مجد فرنسا ، وبنزعته الى إضعاف سلطة الملك الذاتية . وهو الذي حدّد القوانين الدستورية بهذه الكلمات الشهيرة « المَلِكُ يملكُ ولا يحكم »

وفي ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٨٤٠ حدث ان اللورد بلمرستون السياسي الانكليزي تمكن من عقد محالفة اوربية دون إدخال فرنسا فيها ، قصدَ طردِ رجال حكومةِ مصر من سوريا والاناضول . فبلغ ذلك الموسيو تيارس ، وكان حينئذٍ رئيساً للوزارة وناظراً للخارجية ، وابتدر إنكار هذا العمل محتجًّا على صاحبهِ ، وحمل المَلِك على إظهار الاستياء ممّا كان ، وما زال بهِ حتى اضطرّهُ الى تحصين باريس ، وتعبئة جيوش فرنسا ، وتسليح صنف الرديف والجند الاحتياطي ، طلباً لشرف فرنسا . وتأهّبَ للحرب ولكنَّ الملكَ تخوّف من هذه الاستعدادات ، وأوجبَ على وزيرهِ أن يدَعَ المنصب مستقيلاً ففعــل . وكان تيارس في مدّةِ وزارتهِ قد حَصَلَ من لَدُن الانكليز على الرخصة بنقل رفات نابوليون الاول الى فرنسا

ثمَّ خلف تيارس على الوزارةِ مناظرهُ المؤرّخُ غيزو الشهير ، وكان جانحاً الى السلم ومُطاوَعةِ الملك . أمّا تيارس فانهُ بهذين العملين الاخيرين ، وهما نقلُ بقايا نابوليون واستعدادهُ لمحاربة أوربا ، قد استمالَ الشعبَ اليهِ وحصل على محبتهِ وثقتهِ ، واستمرَّ تيارس مدّةَ السنوات الثماني التي مضت على زوال وزارته وسقوطه من منزلته الى حين خلع الملك لويس فيليب ، رئيساً لجميع المناوئين الذين حاولوا اهباط غيزو . . .

وفي الـ ٢٤ من شباط (فبراير) سنة ١٨٤٨ خُلع لويس فيليب من تخت الملك ، فانحاز تيارس الى الجمهورية ، وكان قد شرع بتأليفِ تاريخ لحكومة نابوليون الاول سمّاهُ الحكومة القنصلية والامبراطوريّة Le Consulat et l'Empire

وفي عهد الجمهوريّة الثانية (من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٥٢) كان عضداً للجمهورية ونائباً في المجلس . ولما تولىّ لويس نابوليون رئاسة الجمهوريّة ، كان تيارس في عداد خصومهِ . وبالجملة فقد آل الامر بتيارس الى أخذهِ مع من سيقوا الى السجون بحادثة ثاني كانون الاول سنة ١٨٥١ ووضع في سجن قلعة مزاس بضعة ايام ثم أبعد عن فرنسا وفي شهر آب سنة ١٨٥٢ أذن له في الرجوع الى وطنهِ فعاش فيهِ مدة احدى عشرة سنة بعيداً عن السياسة والحكومة ملازماً الوحدة والانفراد منقطعاً الى التأليف فاكمل في سنة ١٨٥٧ كتاب الحكومة القنصلية والامبراطوريّة السابق الذكر فجاء تأليفاً نفيساً في عشرين جزءا لم يسبقهُ احد من المؤرخين الى ما وصل إليهِ فيهِ من الدقة والصدق وعلو طبقة الكتابة وخلوّها عن شوائب الكلفة . ومن سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٠ انتخب نائباً في مجلس الامة وكان من أعظم معاكسي نابوليون الثالث وقد اشتهرت خطبةُ سنة ١٨٧٠ مخالفة للرأي في شبوب الحرب على بروسيا . وبعد أن شبّت نارها واشتدّ اوارها ودارت على فرنسا الدوائر وأسر نابوليون الثالث كان تيارس في عداد الداعين الى تشييد الحكومة الجهوريّة وذهب من قبل الحكومة الجديدة معتمداً الى لندرة فڤيانا فبطرسبورج ففلورنسا سعياً وراء الحصول على مساعدة واحدة من انكلترة أو النمسا أو الروسية أو ايطالية ضد دولة بروسيا المنتصرة فلم يحل باقلّ نتيجة وقد اتمّ هذه الرحلة الشاسعة بمدة لا تزيد على عشرين يوماً على كثرة تقدُّمهِ في السن وفي الـ ٣٠ من تشرين الاول حصل بواسطة الروسية على الاذن بدخول باريس ليستجيز الحكومة في مخاطبة بروسيا عقداً للصلح

وبعد عقد الهدنة وتسليم باريس شرع الفرنساويون بتنظيم الحكومة وتجديد الانتخابات فانتخب تيارس نائباً من قبل ثلاثين ولاية فاختار النيابة عن ولاية السين على نيابات سائر الولايات وذلك في ٨ شباط سنة ١٨٧١ وفي ١٧ منهُ سمي رئيساً للحكومة الاجرائية ولمّا شبّت نار الثورة المعروفة بالكومونية أو الاشتراكية واستولى دُعاتها على باريس سلّم تيارس قيادة جيش الحكومة الى الماريشال دي مكماهون

ونال من بروسيا الاذن بزيادة عدد الجيش فافتتح مكماهون باريس بعد حرب شهر ونصف آخر وحصار اسبوع كامل . ثم ان مسيو تيارس تمكن بحكمتهِ وجدّه وتعويل الدول عليهِ من تجديد قوة ادبية لفرنسا على أثر حطمتهـا الهائلة وبعث المتموّلين على تأدية أموال الغرامة الباهظة

وفي ١٢ آب سنة ١٨٧١ انتخب رئيساً على الجمهورية وتأتّى لهُ بعد ذلك عقد مقاولات جديدة مع ألمانيا لتقريب آجال الغرامـة الحربية وخروج جنود ألمانيا من فرنسا وفي ٥ أذار سنة ١٨٧٣ أعلن للمجلس ، والناس يغبرون مهللين مصفقين بالأيدي ، أن خامس ايلول عامئذٍ هو موعد خروج آخر جندي ألماني من ارض الجمهورية

فقرَّرت ندوتا النواب والشيوخ ان الموسيو تيارس قد استحق معرفة جميل الوطن . . . بيدَ أنهُ لم يستطع طول المـكث والاستمرار في منصبه ، اذ كان معظم النواب ضد الجمهورية؛ و بدا له عندئذٍ ،فهوَّل على الهيئة النيابية بالاستقالة ، فأقيل في الـ ٢٣ من ايار سنة ١٨٧٣ ، وأديل منهُ الماريشال دي مكماهون رئيساً للجمهورية . فاعتزل تيارس مظاهر السياسة ، إلاّ أنهُ بقي رئيساً فخريًّا لحزب الجمهورية ولمناوئي حكومة الماريشال . وفي ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٧٦ انتخب عضواً لمجلس الشيوخ نائباً عن ولاية بلفور . وفيخلال سنة ١٨٧٧ توفي في مدينة سان جرمان وقد تجاوز الثمانين سنة من عمره فأقام له الفرنساويون مأتماً عظيماً يندر مثله . ومن آثاره الجليلة عدَّة تآليف نخص ّمنها بالذكر تاريخ لاس وأعماله المالية ، طُبع فيسنة ١٨٢٦ و ١٨٥٨ ، وحقوق التملك طبع في سنة ١٨٤٨ ومذهب الاشتراكيين سنة ١٨٤٩ والقديسة هيلانة سنة ١٨٦٢ (وهي جزيرة منفى نابوليون الأول) ، وواترلو (آخر مواقع نابوليون الأول) سنة ١٨٦٣

وأشهر مؤلفاتهِ كلها التأليفان اللذان ذكرناهما أولاً في سياق ترجمته ، وهما تاريخ الثورة ، وتاريخ الحكومة القنصلية والامبراطورية. وقد ختم الموسيو تيارس هذا التأليف الأخير بوضع مقابلة أو موازنة بين أعظم مشاهير الرجال – يريد بهم أشهر من جاء

ذكرهم في التواريخ الغربية من فاتحين وملوك وقوّاد – وهم بحسب تواريخ مجيئهم : الاسكندر المكدوني . وانيبال القرطجني . ويوليوس قيصر الروماني . وشارلمان الفرنكي أو الفرنساوي . وفريدريك الثاني الكبير البروسياني . ونابوليون الاوّل

ولما رأيت طول باع المؤلف المشار اليهِ في وضع هذه الموازنة وبيان منزلة كل واحد من هؤلاء الرجال الأعاظم خلوًّا عن ضلع أو تشيُّع أحببت نقلها الى اللغة العربية حبًّا بالافادة :

الاسكندر

هو الاسكندر المكدوني المعروف بالكبير الملقب عند العامة بذي القرنين . ولد سنة ٣٥٦ قبل المسيح وخلف أباه فيلبس على ملك مكدونية سنة ٣٣٦ اي في السنة العشرين من سنيه وتوفي سنة ٣٢٣ أي في السنة الثالثة عشرة من ملكه

نشأ الاسكندر على آداب اليونان، وتشرَّب اميالهم ونزعاتهم الى الزهو والخيلاء، وورث عن ابيهِ فيلبس جيشاً حسن الدربة والانتظام. فما لبث بعد استوائهِ على عرش الملك أن نهض للفتوح، فسطا على اسيا وداخها اذ لم يجد الاّ مملكة الفرس الهابطة الساقطة، ومضى قدماً في غزواتهِ حتى انتهى الى أقاصي حدود المعمور المعروفة وقتئذ . ولو لم تثبّطه جنودهُ عن مزيد اقدام في التوغل والاستقصاء، لداوم الزحف الى البحر المحيط الهندي . ولما اضطرَّ الى القفول لم يبقَ له الاّ امنيَّة واحدة وهي تجديد غاراته واستئناف غزواته . ولا تحسبنّ أيها القارئ اللبيب ان الاسكندر كان يقصد بالفتوح نفعاً أو خيراً لوطنهِ الذى لم يكن ليقوى على الاستئثار بتلك المظاهر، وانما كان أقصى مرادهِ بذلك تمهيد مهيع عظيم في وجه رائد مطامعه وأمانيه ؛ فغاية متمناه بُعدُ الصيت وطائر السمعة والابهة الخيالية وتحرّي مرضاة شعب اثينا

وقد ذكر المؤرّخون شهرته بالكرم والحلم والرحمة والعدل، الاّ انهُ أقدم على

قتل أشهر قوّاد عساكره برمنيون وفيلوتاس وصديقه كليتوس[1] لانهم أطالوا ألسنتهم تنقّصًا لاعماله المجدة

وهذه البغية واضرابها كانت ضالّته المنشودة في جميع آماله وأعماله – وما اخيبه قصداً وما اعقمها غايةً ، فهي أسفل غايات عظام الرجال، واخس شيء في مطامعهم — و بينا هو يلتمس لاخر مرة قسطاً من الراحة لجيشه، أملاً في استئناف زحفاته وحملاته مطبقاً بها الأرض من أقاصيها الى أقاصيها ، وقد تبسَّط ملاءةً بموارد الخير والترف والغبطة والهناء في اكناف آسيا، داهمته المنيَّة فقضى وهو على الارجوان مفرطاً في تعاطي الخمور والمسكرات ، منغمساً في المنكرات والملاهي والملاذ الدنوية . . . اجل ان الاسكندر قد بهر عقول كل الاجيال والشعوب ببسالتهِ وسطوته ، ولكن لا حياة في هذه الدنيا أعقم وأشأم وأبلغ في الاسراف وقلة الحيطة والصلاح من حياته ؛ فانهُ لم يجاوز بالتمدن اليوناني الى ما وراء ايونيا (وهي قسم برّ الاناضول المشتمل على ازمير الى حدود القسطنطينية) وسوريَّة ؛ وقد كانتا قبله على نحو من ذلك ؛ فذهب مغادراً جيل اليونان والديار التي داسها بالفتوح في حالة الفوضى شاغبة شاغرة برجلها، حتى كأنهُ أعدَّها وجعلها باطرافها عرضة لمستحوذة الرومان : وبالحق قد فضل الفيلسوف على هذه الاعمال الفارغة أعمالَ « فيلبومن » ذلك القائد الحكيم الذي توصل ، مع عدم اشتهاره بمثل هـذه الشهرة العظيمة ، الى أن أطال حياة بلاد اليونان واستقلالها مدة بضع سنوات　　　　(للكلام صلة)

---

(١) اعظم قوّاد فيلبس والاسكندر برمنيون وفيلوتاس ابنه قتلهما الاسكندر زاعماً ان لهما يداً في مؤامرة ومكيدة كانت قد دبرت عليه . والصحيح الثابت انه فعل ذلك بهما حسداً لهما وبغياً اذ كان واجداً عليهما ساخطاً لايثارهما اباه عليه « ٣٢٩ » — . اما كليتوس فهو ابن ظئر « مرضعة » الاسكندر شب معه رضيعي لبان كاخوين حقيقيين ، ثم عدا عليه الاسكندر في حال السكر وقتله لانه فضل اعمال أبيه على أعماله وأنبه على قتله برمنيون « ٣٢٦ » . — وكان كليتوس قد نجاه من رجل فارسي كان أوشك أن يفتك به في واقعة ايسوس

التدبير المنزلي

في مدارسنا ومعاهدنا العلميــة نهضةٌ حقيقية تناولتْ جميع فروع التعليم والتدريس . ولنظارة المعارف على هذه الحركة المباركة يدٌ تُذكَرُ مع الشكر الجزيل . وقد أصابت مدارسُ البنات قسطاً وافراً من هذه النهضة ، وأصبحت تتدرَّجُ شيئاً فشيئاً في مدارج الترقي والكمال . ومن الموادّ التي وجَّهت اليها النظارة اهتماماً خاصاً ، درس الاقتصاد المنزلي ، ولا يخفى على أحد ما في هذا العلم من الفوائد الجمّة

وقد أحببنا بهذه المناسبة ان تنقل هنا شيئاً عن مزاولة ذلك التعليم في بريطانية العظمى اطلعنا عليهِ حديثاً في احدى المجلات[1] لعل النظارة تجد فيهِ ما يقع لديها موقع الاستحسان

أعارت بريطانية العُظمى ولا سيما انكلترا تعليم تدبير المنزل اهتماماً عظيماً في السنوات الأخيرة ، فشادت عن سعــةٍ مدارس المعلّمات لهذا الغرض ، وأَنشأت في المدارس الابتدائيــة والثانوية فروعاً خاصَّــةً بتعليم الاقتصاد المنزلي . وازدرى فريق من الانكليز ذلك الفنَّ الجليل فانبرى أشهر خطبائهم وأعظم كتَّابهم لرفع شأنهِ ، وأعانهم ذَوو الأمر بنفوذهم الواسع ، وشدَّدت الحكومة على ربَّات المنازل في تدبير منازلهنَّ فمن ذلك مثلاً ، أنَّ إِحدى المحاكم الانكليزية أصدرت يوماً حكماً على

(١) Le Musée Social: L'enseignement ménager en Angleterre et en Ecosse, par Jeanne Morin.

سيدة بالسجن والغرامة وهذه بعض حيثيات الحكم :

حيث أن زوجة ب . كانت تقضي أكثر أوقاتها أمام وجهات المخازن الكبيرة ، تتأمل القبعات والثياب المعروضة فيها ، وماليتها لا تمكّنها من ابتياع مثل هذه الثياب ؛ وحيث أنّ جيرانها وبعض مفتشي البوليس رأوا رأيَ العين قذارة بيتها وسوء ترتيبه ، وحيث أنهم رأوا زوجها يكنس ويغسل بدلاً منها الخ . فقد حكمت عليها المحكمة بالسجن الخ .

وأصدرت محكمةٌ أُخرى حكماً على امرأة بالغرامة لأنها تحققت قذارة رأس ابنتها . ولم تكتفِ الحكومة بذلك وبما فاه بهِ الخطباء ، وخطّتهُ أقلام الكتّاب مما يرفعُ شأن التدبير المنزلي ، بل أشارت بوضع شهادة جديدة تُدعى « ليسانس الاقتصاد المنزلي » تعدل قيمة « الليسانس » في العلوم الأُخرى العالية . ولم يلبث أمرُ هذه الشهادة أن نال أهمية كبرى لدى طبقات الانكليز المختلفة . فصار أكثرهم يعتبرُها حلية المرأة ، والشرط المتمّم لتهذيبها ، مثريةً كانت أو فقيرة . وأصبح اليومَ الرأيُ العامّ يمتدح ما كان بالأمس يذمّ ، ويُعظّم ما كان يحتقر . وكانت بعض المدارس الثانوية قد أَبدت علناً عدم استحسانها لهذا المشروع ، ورأت وضعَ الطبخ في بروجرامها ازاءَ اللاتينية واليونانية مُحطاً من قدر العلم . فلم تلبث أيضاً أن انقادت الى الرأي العام ، إِماً لاعتقادها بصحتهِ ، وإِماً اضطراراً وخوفاً من إِعراض الطالبات عنها

ولم يقعد هذا الفوز الباهر ذوي النفوذ في انكلترا عن متابعة السعي في توفير الوسائل التي تحبّب الى الشابات تعلُّم تدبير المنزل والتي تحسّنهُ في

عيون الأفراد ، فأوعزت في « جلوسترشاير » مثلاً الى كلّ ممرّضة من ممرّضات المجلس البلدي أن تعود الفقراء ، وتمرّضهم مجاناً ، وأن تعلّمهم قواعد حفظ الصحة وتنظيف المسكن والملبس ، وأن تترك منزلها مفتوحاً أبداً ليدخلهُ مَن شاء رؤية حسن تدبيرها المنزلي . وقد روى بعض من زاروا تلك المنازل « أنها تلمع كالشمس نظافةً وبهجةً رغمَ بساطة أثاثها »

ولمَّا كان تعليم الشابة تدبير المنزل لا يكفي لجعلها ربَّة بيتٍ فاضلة ما لم تكن هي نفسها من متعشّقات المنزل ومعيشتهِ وواجباتهِ ، فقد رأت بريطانية أن تُرَبِّيَ حُبَّهُ في فؤادها منذ الصغر ، وأن تزرعَ في نفسها — وهي لا تزال خاليةً من كلّ زرع — ولعاً بالترتيب والتنظيف والاقتصاد لا تؤثّرُ فيهِ طوارئ الحياة وأدوارها ، فأفسحت لتعليم تدبير المنزل مجالاً واسعاً في بروجرام تعليم مدارس الأطفال والمدارس الابتدائيـة والثانوية وفي الجامعات الكبرى . فغدا بذلك أمر الاهتمام بشؤون المنزل يُرافق الفتاة كلَّ أيام دراستها ، كما يُرافقها سائرَ أيام حياتهـا بعد خروجها من المدرسة إذ تصبح ربَّة منزل

﴿ طرق تعليم تدبير المنزل ﴾ سبقت ألمانيـة وبلجيكة وأميريكة بريطانية العظمى الى هذا العلم ، وخبرته السنين الطوال ، ورأت بريطانية أن تستفيدَ من ذلك الاختبار ، لتتقي الوقوع فيما وقعت فيهِ تلك الدولُ من الخطإِ ، فوجَّه وزير المعارف الى تلك البلاد الإرساليات لدرس طريقة التعليم المثلى . ولم يلبث المرسلون أن عادوا اليهِ بتقاريرهم فعرضهـا على المدارس ، وأجاز لـكلّ مدرسةٍ ان تختارَ الطريقة التي تراها ملائمةً

لمركزها وظروفها ، عازماً على تقرير أوفاها بالغرض وأحسنها نتيجة في بروجرام المدارس . على ان كلّ هذه الطرق المتّبعة الآن ، وإن فَضُلَ بعضُها البعضَ الآخرَ قليلاً ، طرقٌ حسنةٌ سهلة ، تسير بالطالبة ، خطوةً خطوة ، من أوّل الطريق حتى آخره دون ان تكلّ أو تملّ

﴿ مدارس الأطفال ﴾ الغالب الآن في هذه المدارس الاقتصار على تعليم الصغيرات إزالة الغبار عن الأثاث ، وترتيب الأمتعة بخلاف هذه المدارس في المانية . فانها تعلمهنّ أيضاً مبادئَ غسل الثياب وطبخ الأطعمة

﴿ المدارس الابتدائية ﴾ تُعطى طالباتها في لندره ٦٠ أُمثولة في فنّ الطبخ يستغرق كلٌّ منها ٣ ساعات ، ولا تأتي التلميذة عليها إلاّ وتكون قد أَلمّت علماً بكلّ أصناف الطعام والحلوى وباصطناع الخبز ، وبطرق حفظ الفاكهة والبقول زمناً ، وبطبخ بعض المآكل للمرضى والأطفال

و ٤٠ أمثولة في غسل الثياب وكيّها على أَحدث الطرق بما فيها الثياب الصوفية والملوّنة ، وفي رتق البالية منها

و ٤٠ أمثولة في تدبير المنزل وتنظيفه ، وفي منع أضرار المراحيض والمداخن وتطهيرها ، ودروساً أُخرى في قواعد حفظ الصحة والعناية بالأطفال ، وفي علم الحيوان والنبات ، وفي طرق معالجة الأمراض والطوارئ الفجائية ، ريثما يحضر الطبيب ، وفي مضار الكحول ، ودروساً في علم الاقتصاد المنزلي ، وتنسيق الصرف على نسبة الدخل

غير أنّ هذا البروجرام يختلفُ قليلاً باختلاف المقاطعات ، ففي « جلوسترشاير » مثلاً تراجعُ الطالباتُ قبل الانتقال الى المدرسة

الثانوية في ١٠ دروس كلَّ ما تكون قد تعلمتهُ في المدرسة الابتدائية

وفي « لينستر » تبدأ الابنة دروسها ، وهي في السابعة من عمرها ، وتُعطى في السنة ٥٠ أمثولة في الطبخ ، يستغرق كلٌّ منها ساعة واحدة ، فإذا ما بلغت الحاديةَ عشرةَ ، تُعطى ٥٠ أُمثولة أُخرى في الغسل . فتبلغ بذلك ساعات درسها المئة سنوياً

وفي « ليفربول » تتعلم التلميذات بعض القواعد الصحية عن ظهر قلوبهنَّ ، كما يتعلمنَ هنا معاً بصوتٍ مرتفع الحروفَ الهجائية . فمن تلك القواعد التي يرددنها : « من يحفظ فمهُ نظيفاً لا تُؤلمه أَسنانهُ » و « حيث لا تدخل الشمسُ يدخل الطبيب » . وغيرها من نوعها . أمَّا فيما يختص بتعليمهنَّ العنايةَ بالأطفال ، فإن المعلِّمة تقودهنَّ فرقاً الى مهد الطفل عند أُمه ، حيث تُريهنَّ رأيَ العين كيفية الاعتناء بالطفل ، وملاعبته ولفّه وتقميطه الخ . وقد تمكنت إِحدى هؤلاء الطالبات بهذه الطريقة من الاعتناء بأخيها كلَّ الزمنِ الذي قضتهُ والدتها في المستشفى ، وكان عمرهُ عندما عُهد بهِ الى عنايتها ١٤ يوماً

﴿ المدارس المركزية ﴾ ورأت بعضُ المدارس تعذُّر وجود جميع الأدوات والمعدّات اللازمة لتعليم تدبير المنزل في كلّ واحدة منها ، فاتفقت على انشاء معهدٍ مركزي عمومي ، اشتركت في تأثيثهِ ، فتذهب اليه طالبات كل مدرسة منها في مواعيد معيَّنة ، حيث يتعلمنَ تدبير المنزل نظرياً وعملياً وفي هذه المدارس المركزية قسمٌ ليليٌّ لتعليم الشابات

﴿ التعليم في المنازل ﴾ ومتى تقدمتِ الطالبةُ قليلاً في هذا الفنِّ

تذهب مرّةً في الشهر الى منزل إحدى المعلّمات ، فتُدِيره بمعرفتها ليتسنى لها بذلك تطبيق القواعد العلمية المدرسية على العمل في بيتٍ منفردٍ

وفي « تشستر» و « ليفربول » يؤجّر المجلس البلدى لهذا الغرض بأجرٍ متهاودةٍ منزلاً مؤثثاً لمعلّمات المدينـة ، مشترطاً عليهنّ في مقابل ذلك أن يكلنَ ترتيبهُ الى تلميذات المدارس الابتدائية. وقد أبدت كثيرات من هؤلاءِ التلميذات مهارةً عظيمةً ونشاطاً وذكاءً في العمل ؛ وكثيراً ما توصل البعض منهنّ الى اصطناع أبدع أمتعة المنزل من أشياء قديمة بالية لا قيمة لها . فمن ذلك أنَّ إحداهنَّ أخذت مرّةً صندوقاً للشحن، وكستهُ قماشاً ظريفاً ، وزانتهُ برسوم جميلة ، فكانت منهُ مكتبة بديعة المنظر تليق بردهة استقبال . وحوّلت أُخرى جرابات صوف باليـة الى ثوب طفل يصلح للأعياد ، واصطنعت غيرُها من علب الحلوى اطاراً للصوَر متقناً جميلاً . ولا ريب في أنَّ مثل هؤلاءِ الطالبات يحوّلنَ منازلهنَّ الى جنّات غنّاء

ولا تُتِمُّ الابنةُ دروسها الابتدائية إلاَّ وتكون قد خاطت كلَّ جهازها من القميص حتى القبعة ، ومهرت كذلك في التمريض والعناية بالأطفال ، وفي الغسل والطبخ ، وفنون الاقتصاد ، واصطناع الأبسطـة ، وتنجيد المقاعد والكراسي ، والرسم والتصوير وسائر الأشغال اليدوية

﴿ الاقتصاد المنزلي في المدارس الثانوية ﴾ لم تُفسح هـذه المدارس لتدبير المنزل المجال الذي أفسحتهُ المدارس الابتدائية ومدارس الأطفال ، وذلك لأنَّ الطالبة تدخلها وقد أضحت من فضليات ربّات المنزل ، لا ينقصها الاَّ النزر القليل ، فتراجع فيها كلَّ ما تعلّمت قبلاً مع التطويل

والإسهاب . وقد أرادت بعضُ هذه المدارس أن تصبغَ علم تدبير المنزل بصبغةٍ علمية ، فضمّتهُ الى علمي الطبيعيات والكيمياء ، وزادت فيهِ تعليم الطالبات كيفية تطبيق المبادئ الكيماوية على الشؤون المنزلية ، فتوسّعت في درس المواد التي يتركب منها كلُّ نوعٍ من أنواع الأغذية وكيفية تحولها الكيماوي بالطبخ والاختمار ، وفحص المآكل بالمجهر ، وطريقة اصطناع المسكّرات والحلويات ، ودرس محلولات خاصة بتنظيف الأمتعة والأقمشة ، وغسلها من أصوافٍ وأجواخ وحرائر وجلد ورخام وزجاج وخشب ، وكذلك في علم الفسيولوجيا والعلوم الرياضية كالجبر والهندسة ، وعلم المثلّثات ، ومبادئ علم الآليات ، وبعض دروس مالية وتجارية ، كتسليف النقود والاسترهان ، وتحرير العقود والصكوك ، ومسك الدفاتر الى غير ذلك مما يطولُ شرحهُ

﴿ مدارس المعلّمات ﴾ أما المعلّمات المكلّفات بالتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية فيتعلمنَ في مدارس عالية خاصة بتحضيرهنَّ للتدريس تُعدّهنَّ للشهادات المنزلية العليا المقبولة من الحكومة ، وتؤهلهنَّ للتعليم برواتب تتراوح بين ٧٠ و ٣٠٠ جنيه سنوياً . ولا تقبل هذه المدارس إلاّ حاملات الشهادات الثانوية . ومن أشهرِها مدرسة « كلافام » في لندره ، ومدة التعليم فيها ٣ سنوات . ومما تتناوله دروسها علم الحياة ، وعلم الميكروبات ، والحقوق المدنية ، والاقتصاد ، ومسك الدفاتر

ومن هذه المدارس كلية تدبير المنزل في « ايدنبرج » وفيها ، عدا ما تقدّم ذكره في الكليّة السابقة ، أقسامٌ خاصّة بتعليم كلّ فرعٍ من

فروع تدبير المنزل على حدة ، فتقصده كلُّ فتاة تروم الاختصاص بفرع من هذه الفروع ، وتخرج منهُ بعد ٦ أشهرٍ بشهادة « مربية أولاد » أو « مدبّرة منزل » أو « طاهية » الخ

وتُلقي كلية ايدنبرج أيضاً في العاصمة والضواحي محاضراتٍ في حفظ الصحة والتمريض والعناية بالأطفال وما شابه ذلك

فنري أنَّ التعليم المنزلي في بريطانية قد كاد يبلغُ حدَّ الكمال وهو لا يزال في طورهِ الأوَّل ، فإِنهُ في حالتهِ الحاضرة يمكّن كلَّ انكليزية من اتقان شؤونها المنزلية ، ويعلّمها كيف تُؤَثث منزلها بنفسها ، فتصنع الأبسطة ، وتحبكُ قشَّ الكراسي ، وتُصلح الأقفال ، وتزين الجدران والأمتعة بالرسوم والنقوش ، وتتعهد بنفسها زرع أزهار حديقتها ، وتقي تلك الازهارَ في غرف المنزل من الذبول السريع ، وتختار الألوان التي تتفق مع بعضها بعض في تنسيق الأمتعة وترتيبهـا بذوقٍ يزيدها جمالاً ورونقاً ؛ فتجعلُ منزلها شعاعاً من نور نفسها ، ونسمةً من حياتها ، يُنير ويُحيي الأفئدة التي يضمُّها بين جدرانهِ . ولقد صدق الوزير الانكليزي الذي قال : إِنَّ إدارةَ المنزل جيداً تستدعي من المقدرة والبراعة والذكاء فوق ما تستدعيه ادارة مملكة واسعة »

ولا ريب في أن مثل هـذا التعليم في مصر ، يؤثر تأثيراً سعيداً في الحياة العائلية وفي أخلاق الأمة وصحة عقولها وأبدانها ، وفي سلامها ونجاحهـا ، ويصرف اهتمام شابَّاتنا عمَّا لا يجديهنَّ نفعاً الى ما يضمن سعادة أسرِهنَّ

هند اسكندر عمون

الضمير

الضميرُ قوّةٌ من قوى النفس، بها يُقابل الانسانُ أعمالهُ على الناموس الأدبي، ويشعر بالسرور أو الكدَر لمطابقة أعمالِهِ لذلك الناموس أو لمخالفتها . فالضمير يستحثُّ الانسان على إتمام الواجب، ويدفعهُ على عمل الخير، أو يبكّتهُ على ارتكاب المنكر . فهو بشير السعادة الأبدية، ونذير الهلاك الدائم

ليست أفعال الحيوان ناجمةً عن شعورٍ بوجوب قضائها، وتحتُّم إجرائها . بل هي ناتجةٌ إما عن خوفٍ واقع، وإما احتياج دافع . وليس الانسان كذلك، بل انَّ المبدع الحكيم خصَّهُ بطبيعةٍ أدبية، وصفاتٍ كمالية فطرية . فسنَّ له ناموس المحبة الكامل، وجعل له قائداً يُرشدهُ اليهِ، ودليلاً يدلهُ عليهِ، وما ذاك المرشد الدليل إلاَّ الضمير

إذا أردنا أن نحكم على أعمال الغير، نتصوَّر ما يبدو لنا من أعمالهم وما ينبئ عن أفعالهم . ونقابل ذلك على الناموس الأدبي، فيتّضح لنا ما ينطبقُ عليهِ، وما يشذُّ عنهُ، ومن ثَمَّ يكون حكمنا صحيحاً مبنياً على التحقيق، صادراً عن العقل الأدبي وليس عن الضمير، لذلك لا نشعر في هذا الحكم بخزه ولا بمدحه

وليس الضميرُ معلولَ الخوف، اذ انهُ موجودٌ في من تسنَّموا أسمى المراتب، واستلموا زمام الأمور، يديرونها كيفما شاؤوا وشاءَ الهوى، فخافهم الجميع ولم يخافوا أحداً

وليس الضمير أثراً لملكةٍ استحكمت في الأذهان بالتكرار، ورسخت في النفوس مع تمادي الأدهار، ولا مما تدعو اليهِ قوّة الوهم، أو صلاح المعيشة، أو حبُّ السلام، فان هذه عللٌ متباينة في ذاتها، فضلاً عن تفاوت الأشخاص، في الميل اليها، والاستعداد الفطري لقبولها، فمعلولاتها تكون مختلفة في الماهية ومتعدّدة، والضمير لا يتعدّد في الانسان، ولا تتفاوت ماهيته باختلاف الأحوال والأزمان

وقد خلط بعضهم الضمير مع البواعث الأدبية كالميل للرحمة، وايثار العدل، وحبّ الحقيقة . هذه البواعث هي غرائز أدبية، ضرورية لارشاد الانسان ولا سيا في حالته الأولى، حينما كان حجاب الجهل مسدولاً، وهي تظهر في هيئات خصوصية معدودة، وافعال محصورة محدودة، ولا تتضمن واجباً كالضمير، فضلاً عن أنها كثيرًا ما يعارض بعضُها بعضاً، فهي مفتقرة الى قانون يُنظّمها : تعطف الغنيَّ عواطفُ الشفقة على الفقراء وتدفعهُ لمساعدتهم، ولربَّما جنح بعضهم من جراء ذلك الى الخمول، فانقطع عن العمل، متربعاً على بساط الكسل، فتكون الرحمة لمثل هؤلاء ظلماً، والاحسان اليهم إساءةً وجرماً

وكثيرًا ما تكون الرحمة واجبة، حيث العقاب ضروري اقتضاءً للعدل؛ فان كان العدل مجرّداً، لا دخل للمحبة فيه، تعذّر وجود الرحمة . لذلك لا بدّ لهذه البواعث من شروطٍ تجب مراعاتها، ونظام تجري عليه، حتى الحقيقة فانها لا تقال في كل الأوقات

والضمير يشابه العقلَ فِي بعض أعماله : فانّ من أعمال العقل

إدراك الأوليّات ، نحو كل جسم موجود في مكان ، وكل تغير حادث في زمان ، وكل حادث له سبب وما أشبه من البديهيات التي لا تفتقر الى برهان ، ولا يختلف فيها اثنان

كذلك من أعمال الضمير ما هو بديهي لا يحتاجُ الى شروط ووسائط ، كالرغبة في الخير والابتعاد عن الشرّ ، تسديداً لمطالب الناموس الأدبي ، الآمر بعمل الخير ، واجتناب الضير . فمن آثر الشرَّ على الخير يسيء لنفسهِ أولاً ويضعف صوت ضميره ، لعدوله عن سبيل الحق المنير وتسكعه في ظلمات الغرور

وقد يحول بين الضمير والحقيقة حجابٌ من نسيج الجهل ، أو فاصل من مادة المآرب الشخصية ، أو غشاء من ظلمة التهوُّر في دنايا الدنيا فيجنح المرء الى الشرّ بدلاً من الخير ، ويشتري الضلالة بالهدى ، ويسقط من أوج الفضيلة ، الى أقصى دركاتِ الرذيلة ، وبئس المصير ، مصير المنافقين

أماَّ المستقيم في أعماله ، الصادق في أقواله ، المتحلي بحلى الفضائل السالك في منهج الكمال ، فله من راحة ضميره الحيّ سرورٌ لا يحيط بهِ الوصف ، ولا يقوى على تبيان محاسنه البيان . سرور لا يدانيه في التأثير جمال المناظر الطبيعية ، ولا عذوبة الانغام الموسيقية ، فلا غرو إن قيل : إن الضمير صوت الله في الانسان

جرجس عبد الملك

الشرق وأبناؤه

اعتاد دولة الامير الخطير ، « محمد علي باشا » ، شقيق الجناب العالي الخديوي أن يقوم في كل سنةٍ برحلةٍ في ناحيةٍ من انحاء العالم ، وأن يدوّن عند عودتِهِ آراءه وملاحظاتِهِ ووصفَ ما رأى وشاهد في كتابٍ ينشرُهُ ويهديه الى أصدقائِهِ تذكاراً لرحلته . وقد سافر في العام الماضي الى الولايات المتحدة ، وعرف القرآء من الصحف اليوميــة ضروب الحفاوة والإكرام التي قام بها السوريون في العالم الجديد ترحيباً بالأمير الشرقي المصري الكبير . فنشر دولته في كتابٍ تفصيل رحلتهِ هذه ، وذكر السوريين بكل اطراء ، واثنى على همتهم وإقدامهم ، واحتفاظهم بقوميتهم العربية في أقصى الاصقاع . ونحن اليومَ ناقلون عن هذا الكتاب الجليل صفحةً عن حالة الشرق ، عسى أن يكون فيها عبرةً وذكرى . قال الامير حفظه الله :

إنَّ الثلاثين سنة التي قضيتُ معظمها جائلاً في أنحاء أوربا ، والتي لا أُنـكر المزايا التي اكتسبتها فيهـا بمعاشرتي واختلاطي بكبراء رجالها المفكّرين والمصلحين ، قد زادت في قلبي حبَّ بلادي وتعلُّقي بالشرق والشرقيين . فبكلّ جوارحي أُنادي « فليعش الشرق وأبناؤه ! »

جديرٌ بنا أن نفتخرَ ببلادنا العزيزة ، مهبط الأنبياء ، ومنبع الأديان وأصل التاريخ ، ومصدر التمدين . فذكرُ مجد الشرق يُحزنني . فأين نحن الآن من عظمتنا الماضية ؟ أُلقوا معي نظرةً في تاريخ حياة أجدادنا . انهُ كان مجيداً : فـكم بلادٍ فتحوها بشفار سيوفهم ، وكم أمم أخضعوها بقوَّتهم وشدَّة بأسهم ! إنهم لم يتركوا وسيلةً لإعلاء شأنهم ، واظهار عظمتهم ،

ونشر سلطانهم ، الاَّ اتخذوها ، مُقْدِمين عليها بلا خوفٍ ولا وَجلٍ . ولم يدَعوا باباً يوصلهم الى غايتهم الشريفة ، الاَّ طرقوه بدون تردُّد أو تهاون . فالتاريخ يشهد اذاً بما كان لهم من صفات الفاتحين ، كالشهامة والإقدام ، ولا سيما التفاف بعضهم حول بعض ، وجمع شملهم ووحدة كلمتهم واخلاصهم وشدَّة حبهم لبلادهم

فبالله ماذا جرى لنا حتى أصبحنا في مؤخرة الأمم المتمدينة ؟ إنَّ بلادنا لم تتغير ، رجالها هم أبناء أولئك الأجداد وأحفاد أولئك الأبطال . فماذا دهانا حتى وصلنا الى هذه الدرجة التي لا تسرّ ؟ أظنُّ أننا تهاوناً في أمورنا ، فخلَتْ علينا المذلة والمسكنة ، وتركنا شؤوننا فغشيَنا من النعس ما غشيَنا »　　الامير محمد علي

الرقص المصري

قال العلاَّمة ويلكنسون المؤرّخ الانكليزي في كلامٍ لهُ عن الحضارة المصرية : « إنَّ نساء قدماء المصريين كنَّ يرقصنَ في الفرح والترح على السواء . وتوجد في المقابر المصرية ، في بني حسن بمديرية المنيا ، صورٌ عديدة تمثّل الراقصات وهنَّ يتمايلن طرباً وسروراً على نغمات الدفوف والعيدان . ولا يختلف رقص بعضهنَّ عن رقص البطن المعروف عند المصريين الآن . وأُضيفُ الى ذلك أنَّ لباسَ الرقص عند بعضهنَّ كانَ عبارةً عن نسيجٍ رفيع من القطن مفصَّل بشكل الجسم ، ومنهُ يُرى

النحر والبطن والساقان . وكان بعضهنَّ يرقصنَ بهيئةٍ قبيحة ، وفي أيديهنَّ الدفوف والصاجات »

وروى بعضُ المؤرخين أن المصريين تعلموا رقصَ البطن من الفرس، عندما أتوا الى مصر فاتحين . فأتقنتهُ نساؤهم ، وبرعنَ في حركاتهِ وسكناتهِ ، ولبثت الراقصاتُ موضعاً لاحترام العامَّة والخاصَّة ، حتى فتح المسلمونَ مصر ، فدالت دولة الرقص . كما قضي على غيرها من فنون قدماء المصريين وعاداتهم

ثم دبّت روح الحياة في مصر في منتصف القرن الماضي . ووجد من سعى الى ترقية الآداب والفنون . فنهضت الموسيقى ، وارتقى الغناء ، وترعرع النثر والنظم . أما الرقص فبقيَ مهملاً ، لأن أبناءَ البلاد منعتهم أحكام الدين والعرف والعادات عن أن يقتبسوا عن الأفرنج الرقص الذي يشترك فيهِ الجنسان اللطيف والنشيط معاً . بل كانوا يرون أنَّ مجرَّد النظر الى راقصةٍ أمرٌ لا تجيزهُ الآداب . وكاد فن الرقص يُصبح نسياً منسياً لولا نسوةٌ من أهالي الصعيد أتقنَّهُ بعض الاتقان ، ولكنهنَّ لم يكنَّ يرقصن جهراً في الأندية أو المراسح خوفاً من الحكومة

وكان بعض التراجمة والأدلاَّء يقودون السائحين الى بعض مواخير في القاهرة ، فترقصُ النسوةُ أمامهم بتهتُّك شائنٍ ، وحركاتٍ معيبة ؛ بل كان بعضهنَّ يرقصنَ عارياتٍ ، فيخرج السائحون ساخطين على مصر ورقصها ، ويكتبون عن الرقص المصريّ قادحين ، بناءً على ما شاهدوا بعيونهم من الأمور التي لا ترضاها أحطُّ طبقات الأمم المتوحشة ، وكانت

كتابة هؤلاء السائحين من اكبر البواعث لحمل المصريين على مشاهدة هذا الرقص . فكانوا يبذلون العشرات من الجنيهات للتمتع سرًّا برؤية راقصة وهي تشتغل بصناعتها الشائنة

ثمَّ أخذ الرقصُ المصريُّ ينتشر شيئاً فشيئاً في الموالد التي تقام في الوجه القبلي . وقد تعلمتهُ النسوة هناك من فريق من النسوة المبتذلات اللائي أمرت الحكومة بنفيهنَّ من العاصمة وبعض جهات الوجه البحري الى مدينة أخميم

وعرفتُ منذ نحو ٣٥ سنة راقصة تدعى « بنت أبو شنب » كان يحضر رقصها الألوف . ومتى بدأت في العمل صمت الحاضرون كأنهم في معبد . فاذا انتهت طافت بهم « لجمع النقطة » فلا يقلّ ما تجمعهُ في الجلسة الواحدة عن مئتي جنيه ! !

ومن الغريب أنهُ بينما كان الرقص المصري منحطاً في مصر لا يُرى اليهِ إلاَّ بعين الإِزدراء ، كان بالغاً أعلى درجات الرقي في اكثر بلاد الشرق والمغرب الأقصى . وجرى حديث في هذا المعنى منذ نحو ٢٥ سنة بين المسيو مانولي يوانيدس «صاحب قهوة ألف ليلة وليلة » ورجل من المغاربة فذكر المغربي أنهُ توجد في تونس نسوة يُجِدْن الرقص المصري بلا تهتُّكٍ ولا تبذُّل . فاتفق المسيو يوانيدس مع مُحَدِّثهِ على أن يُحضِرَ بعض هؤلاء النسوة للرقص في مصر. فلبَّى الطلب . وفُتِحت أوَّل قهوة للرقص البلدي في شارع كلوت بك خلف قهوة « اللوفر » في سنة ١٨٨٧

وكانت أُجرة الدخول الى هذه القهوة عشرة غروش صاغاً للدرجة

الأولى ، وخمسة قروش للدرجة الثانية. ومع أنَّ المسيو يوانيدس كان يدفع لهذه الجوقة التونسية ستة جنيهات في الليلة ، فإن مكاسبه كانت عظيمة لإقبال المصريين على قهوته واعجابهم برقص أولئك التونسيات . ورأى جماعةٌ من اليونانيين أن يقتدوا بالمسيو يوانيدس فأنشأوا في العاصمة والاسكندرية وبعض مدن الأقاليم قهواتٍ عدَّةٍ للرقص البلدي . وتعلَّمت المصريَّات الصناعة ، وأحكمنَ الملابس اللازمة لها . ووضع لهنَّ مشهورو الملحّنين أدواراً يرقصنَ على أنغامها . وساعدَهنَّ على إتقانها فريقٌ من مشهوري الطبَّالين . ووضع النظام المتبع في القهوات الراقصة ، وهو أن يغني المغنون دورهم ، ثم تتبعهم الراقصة ، فتخرج الى المرسح ملتفةً بعباءة ولا تلبث أن تبدأ بالرقص على نغماتِ العود والقانون والدربكَّة ، وهي تمايل في كسائها المعروف ، وهو قميص من الشاش ، وفوقه صدرةٌ حريرية مزركشة تستر الثديين ، وتنُّورة مفوَّفة بالأشرطة المذهبة . ومتى أتمَّتْ دورها يعود المغنُّون ، فالرقص وهكذا

وبلغ عدد قهوات الرقص البلدي في العاصمة منذ عشر سنوات ١٩ قهوة . ثمَّ فترت حرارة المصريين في الإقبال على هذه القهوات ، فانحطَّ عددُها الى ستّ قهواتٍ ، منها ثلاث مهدَّدةٌ بالإفلاس

وكانت هذه القهوات عامرةً بعددٍ يُذكر من شهيرات الراقصات ، بين مصريات وسوريات وفارسيات ومغربيات ، ومنهنَّ مَن حازت مادليات من اكبر معارض أوربا وأميركا إعجاباً بصناعتهنَّ . وبلغت أُجور الشهيرات منهنَّ نحو ٦٠ جنيهاً في الشهر

ولكن هؤلاء البارعاتِ المتفنّنات قد تعب بعضهنّ وملّ ، وشاخ البعض ، واكتفى البعض بما جمعنَ من مال وعقار . فأهملنَ الصناعة . ولم يبقَ في القهوات الاّ راقصات مقلّدَات لايزيد راتب اكبرهنّ عن عشرين جنيهاً في الشهر . ويكتفي بعضهنّ بأخذ ثلثي قيمة ما يفتحهُ لهنَّ الزبائن من زجاجات البيرة، ويختلف ثمن الزجاجة من عشرة قروش الى ثلاثين قرشاً

وقرن بعضهنّ الرقص بالغناء . وقد اشتدَّت المزاحمة يوماً بين اثنين من أصحاب القهوات على غانيةٍ مصريةٍ تجيد الفنّين ، فبلغت أُجرتها ١٥٠ جنيهاً في الشهر عدا نصيبها في ثمن ما يُفتح لها من زجاجات البيرة والشمبانيا

ولبثت الحكومة زمناً ، وهي متأثّرة بأقوال أعداء الرقص المصري فصادرتهُ، وأمرت باقفال بعض مراسحهِ . فقاضاها أصحاب هذه المراسح أمام المحاكم المختلطة ، فأصدرت محكمة الاستئناف حكماً قالت فيهِ « إنّ الرقص المصري فنٌّ من الفنون الجميلة ، وليس فيهِ شيء مخالف للآداب بالمرّة »

ولكن هـذا الحكم لم يقنع الكثيرين من أدباء المصريين ، فحمل الأديب الكبير محمد بك المويلحي على الرقص وأنديته حملةً شعواء في كتابهِ « حديث عيسى بن هشام »

وزار المستر رودي الكاتب الانكليزي قهوة « النوفرة » عند ما كان يرأس تحرير جريدة الاجبشن ستندرد أحد ألسنة الحزب الوطني ، فأعجب بها ، وأعلن اعجابه في مقالة نشرها في تلك الجَريدة ، فقامت قيامة الصحف المصرية عليهِ ، واتّهم صاحب « المؤيد » المرحوم مصطفى كامل

منشئ الاجبشن ستندرد بأنهُ يدعو المصريين الى الدّعارة والفجور

ثم أخذ بعض الناقدين وأهل الرأي والمدركين حقيقة الفنون الجميلة يخفّفون من انتقادهم على الرقص البلدي ، ولا سيما بعد أن شاهدوا في أوربا وأمريكا ومصر من الرقص الافرنجي المعيب والتهتك الذي لا زيادة بعده لمستزيد

وقد حدث منذ شهرين أنَّ راقصة انكليزية أرادت السفر الى الهند فقامت الصحف الانكليزية مناديةً بالويل والثبور ، وطلبت من الحكومة منعها عن عزمها بدعوى أن الهنود لا ينظرون الى حركات هذه الراقصة بالعين التي يرى بها اليها أدباء الانكليز

وهكذا شأن القوم معنا ، فمهما تحشّمت الراقصة المصرية ، عدُّوا رقصها تهتكاً وابتذالاً . ومهما تهتكت الراقصة الأجنبية ورقّ الشفوف فأعلن ما استتر وجوباً وجوازاً من أعضائها ، عدُّوا عملها نهاية الرقي العقلي والأدبي . وسبحان مقسم العقول والأرزاق

مصر　　　　**توفيق حبيب**

— الأملُ هو الخبز الذي تتغذى منهُ النفس كلّ يوم

— اذا افتكرتَ بمصائب أمس الدابر ، هانت عليك مصائب اليوم الحاضر

— الابتسامة في ثغر بعض الناس تشبهُ وخز السنان

— أنشد مغنٍّ بين يدَي المأمون هذا البيت :

وإني لمشتاقٌ الى ظلِّ صاحبٍ　　يروقُ ويصفو ان كدرتُ عليهِ

فصاح بهِ الخليفة : ويحك ! جئني بهذا الصديق وخذ نصف المملكة

متاحف الآثار

في مصر

ألقى المسيو ماسبرو مدير مصلحة الآثار المصرية خطبةً فى الجمعية العلميــة الفرنسية في باريس ، تكلم فيها عن أعمال الحفر والآثار في مصر ، جاء فيهــا عن المتاحف قولهُ :

انَّ انشاء متاحف المديريات في نظري أمرٌ لا بدَّ منهُ . وكنت من أول وصولي الى مصر (١٨٨١ — ١٨٨٦) قد رأيت أنَّ متحفَ بولاق يضيق عن استيعاب كل ما تُخرِجهُ أرض مصر من الآثار ، وانهُ لا بدَّ من انشاء متحفٍ في الاسكندرية ، تُعرض فيـهِ آثار العهدِ اليوناني الروماني . لكنَّ الحوادثَ السياسية التي جرت في ذلك الحين حالت دون تحقيق هذة الأمنية

ولما رجعت سنة ١٨٩٩ وجدتُ الآثارَ المجموعة في الجيزة مكدَّسةً بعضها فوق بعض فصممت النية على أنــ أُنشيء في جهاتٍ مختلفة متاحفَ محليةً تُعرَض فيهــا الآثار المختصة بكل مديريةٍ ، الدالة على تاريخها وحياتهــا القديمة . أماَّ الآثار التي تتعلَّق بالتاريخ المصري العام فتوضع في متحف القاهرة

وبما ان ميزانية المصلحة لم تكن تقدرُ على القيام بالنفقات الطائلة التي يتطلبها المشروع ، رأينا ان نشركَ الأفراد ، أو بالأحرى الدوائر المحلية ، في الأمر . فبدأنا نحو سنة ١٩٠١ بالاقصر ، لكننا لم ننجح في سعينا . وفي

سنة ١٩٠٥ عاودنا الكرّةَ ثانيةً ، وفاوضنا شركة ترعة السويس ، فلم نفُز بالنتيجة التي كنّا نرجوها بفضل مساعدة البرنس دارنبرغ ، مع أنهُ كان في الاسماعيلية في ذلك العهد شبهُ متحفٍ جُمعت فيهِ الآثارُ التي كان قد وجدها المسيو كليدا في حفر الترعة

ولم يكن الأمر كما تقدّم في أسيوط وأسوان . فان مساعيّ هناك كُلِّلَتْ بالنجاح التام . والفضل في انشاء متحف اسوان عائد الى مصلحة الرّي التي تنازلت لنا في أواخر سنة ١٩١١ عن البناية التي كانت قد شيدتها لمهندسيها في جزيرة « أنس الوجود » . وقد جمعنا في المتحف المذكور الآثار التي وجدها في بلاد النوبة بين ١٩٠٨ و ١٩١١ الخواجات ريستر وفيرث ، وفتحنا أبواب المتحف للعموم في أول سنة ١٩١٢ وأرصدت لنا نظارة المالية سبعة آلاف فرنك للانفاق عليهِ . فهو والحالة هذه متحف الحكومة المصرية

والفضل في انشاء متحف اسيوط عائد لسيد بك خشبه الذي كان قد نال رخصةً باجراء حفريات في المديرية . وكان يتاجر بالنصف الذي هو حصتهُ من الآثار المكتشفة . لكن أحمد بك كمال المتولي مراقبة الحفر من لَدُن مصلحة الآثار تمكّن من اقناعهِ بأن الواجب الوطني يقضي عليهِ بأن ينشيء على نفقتهِ في مسقط رأسهِ متحفاً يجمع فيه على الأقلّ قسماً من النصف الذي يخصهُ فأنشأ المتحف وتسلمناه هذا العام

وقد نحا هذا النحو مجلسان آخران ويمكننا القول أن المشروع سائر في أحسن السبل

في رياض الشعر

﴿ المراسلات السامية ﴾

كنا قد نشرنا في السنتين الأولى والثانية « للزهور » شيئاً من المراسلة الشعرية التي دارت بين الشاعرين الكبيرين المرحوم محمود باشا سامي البارودي والأمير شكيب أرسلان ، فلاقى ذلك الشعرُ النفيسُ استحساناً لدى الجميع . وها نحن ننشر اليومَ قصيدةً أرسلها الأمير شكيب ، وهو في طبرية ، الى المرحوم محمود سامي باشا يتشوَّق اليهِ ويعزّيه بفقد كريمةٍ له :

أيُّ ريٍّ بالصُّحْف والأقلامِ　　لفؤادٍ الى لقائك ظامِ
وتناجي الأرواحِ بُعداً وفي القر　　بِ تَلاقي الأرواحِ والأجسامِ
كلما شئتُ شدَّ رحلي إلى مصـ　　ـر نَبتَ بي عوائقُ الأيّامِ
تعتفي سَيْرَتي وبيني وبين　　النيل لم يبقَ غيرُ سهمٍ لِرامِ
ولقــد طالما تمثّلتُ ذاك المــــاء يجري وكنتُ في الأوهـامِ
كم أراني الخيالُ لقياً وهذا　　غيرُ ما جاد طيفكم من لمامِ
وجذبنا من الحديث غُصوناً　　وسهرنا الى نحولِ الظلامِ
وروينا من القريضِ الذي تسـ　　ـكر منهُ العقولُ من دون جامِ
وَنَجَزْنا الى القلوب عهوداً　　قد تمادت كذاك شأنُ الذِمامِ
سيقولُ الأميرُ ماذا الذي عا　　قَ وماذا يحولُ دون المرامِ
ما نأت دارُ من تُحبُّ وعيبٌ　　نقصُ ذي قدرةٍ على الإتمامِ
بيننا ليلتــانِ لـكن مع الغيـ　　ـبِ سواءٌ يومانِ أو ألفُ عامِ
وعزيزُ اللقــاء والإلفُ لم تشـــحط بهِ الدارُ زائدٌ في الهيامِ

ليس ما بيننا سوى البحرِ يومَـ　نِ ولكن سواهُ بحرٌ طامِ
دون مصرٍ بحران منهُ ومن آ　خرَ بحرُ الوشاة والنُّمَّامِ
ذاك بحرٌ تسيرُ فيهِ سَفينٌ　من حظوظ اللئام كالأعلامِ
وكلامٌ يدرونَهُ أنَّهُ الإفـ　كُ ولكن يبغون صيدَ الحُطامِ
ومَقالٌ إنّا من العصبة الفتـ　يانِ والطاعنين في الأحكامِ
أنا أرجو في مصرَ لقيا عظامٍ　ودُّهم بات سارياً في عظامي
صلةُ الإلِّ بيننا وأرى الآ　داب أقوى فينا من الأرحامِ
وحنيني الى الذي طالما اشتقـ　تُ بعيداً فكيفَ وهوَ أمامي
الأميرُ المحمود بالاسمِ والفعـ　ـل وكم خالفَ الفعالُ الأسامي
سيدٌ إن تحجَّ كعبةَ علياهُ　تجِدْ ما نسيت منهُ المَوامي
باهرُ القدرِ إن تزِنْهُ مع الأقوا　مِ في الفضلِ مال بالأقوامِ
مُفردٌ خافهُ الزمان فناوا　هُ كذاك العِظامُ حربُ العِظامِ
جدَّ في حصرِ بأسهِ وهوَ لو جا　لَ لقيدوا طرًّا بغير خزامِ
كحسامٍ خبا سناهُ بغمدٍ　وسواهُ غَمدٌ بغير حُسامِ
ولع الدهرُ بالغرائب والبخـ　ـتُ أحلَّ الليوثَ تحت النعامِ
أيُّها السيِّدُ الهُمامُ ومن يكفـ　يهِ ان قيل فيهِ « محمود سامي »
لك ذكرٌ قد طار في الشرق والغر　بِ وفضلٌ أدناهُ فوق الهامِ
هل تراهم أخفوا علاك وهل تخـ　ـفى فِعالُ الليوث في الآجامِ
ولعمري ذكاك مثلُ ذُكاءٍ　هل تغيب الشموسُ طيَّ الغمامِ
ولأنتَ الذي نشرتَ بذا العصـ　ـرِ قريضاً طوى أبا تمَّامِ
من رواهُ ولم يخَلْ ربَّهُ قد　عاصر الوحيَ والتقى بالتهامي
أدَبٌ حزتَهُ وليس كذا القسـ　ـم من الحظّ سائرُ الأقسامِ

ولعمري مع ذاك أيُّ علاءٍ　　لم تكن منهُ في الذّرى والسنام
أخرَّ الدهرُ منك شهماً تسامى　　أن ينال الجوزاء بالابهامِ
ولئن جزتَ عن وزارةِ أمرٍ　　لم تزل صدرَ دولةِ الأفهامِ
إن صلاك الزمانُ حرباً عواناً　　فقديمٌ عدوانهُ للكرامِ
ولعمري الذي دهاك اخيراً　　كان وقعَ السهام فوق السهامِ
لا تَخَلْ كنتَ في الفجيعةِ فرداً　　كلُّ قلبٍ لجرح قلبك دامِ
قد سكبنا نظيرَ شعرك دمعاً　　في نواحٍ كنوح وُرق الحمامِ
إن بكينا فقد بكينا على حز　　نك والثُّكلُ أعظم الآلامِ
والذي راح فليهنّأ على فر　　قة دارٍ ليست بدار مُقامِ
هـذه سنَّةُ الليالي فأدعو　　ك الى الصبر سنّةِ الاسلامِ

شكيب ارسلان

الشاعر والليل والطيف

اللهَ في وجـدي وفي مأملِ　　من لي بعود الزمنِ الأوَّلِ
قد كنتُ أشكو عذّلي في الهوى　　فصرت مشتاقاً الى عذّلي
مللْتُ عذبَ اللوم جهلاً بهِ　　لو كنت أدري الحبَّ لم أملل
ما أولعَ القلبَ بما يجتني　　وأفتنَ العينَ بما تجتـلي
أهفو لسهدي . ليتَ لي مثلَهُ　　وليتني في ليليَ الأليـلِ
إذْ أترك الأنجم في أفقها　　شوقاً الى نبراسيَ المُشعَـلِ
وأُحكم الكوَّةَ دون الصَّبا　　وأوصـدُ البابَ على الشَّمألِ
وأعتلي كرسيَّ مستكبراً　　كالمَلْكِ فوق العرشِ إذ يعتلي
سيجـارتي مشعلة في فمي　　ثم يراعي من على أنملي

وقهوتي إبريقُها مُترَعٌ　　اذا أنا أفرغتــهُ يمتلي
في حجرةٍ كالقلب في ضيقهــا　　لو حُمّلَتْ غيري لم تحملِ
تَسمعُ مني في سكون الدُّجى　　ما يسمع الروضُ من البلبلِ
لهُ يطيبُ اللّبْثُ في عشه　　ولي يطيب اللبث في منزلي
إنّا اقتسمنا الليــلَ ما بيننا　　لهُ الكرى في الليل والسهد لي
كتبي تناجيني فتمشي بهــا　　عيناي من شكل الى مشكل
ما بين أوراقٍ بهــا غضةٍ　　وبين أوراقــ بها ذبَّل

⁂

يا خلواتِ الوحي في تيهــه　　ملأتِ قلبَ الشاعر المختلي
سوانحي منكِ وفيكِ انجلت　　فأنزلي الآياتِ لي أنزلي

⁂

يا طيفهــا لا ترجعنْ معجلاً　　لا تُقنعُ الزورةُ من معجل
إني وحدي . حجرتي مأمَنٌ　　فأنسْ الى صبك . لا تُجْفِلِ
أُدنُ قليلاً . قد أطلت النوى　　جُـدْ مرةً . بالله لا تبخل
لو لم تكن تشتاقني نفسهــا　　يا طيفها ما كنتَ بالمقبل
عينــاك عيناها كذا كانتا　　والوجـه ذاك الوجهُ . لم يبدل
أعرف لحظيهــا برغم النوى　　فكم أصابا قبــل ذا مقتلي

⁂

جسمي بهذا الكفِ صدري ترَي　　ما فيهِ من نار جوى موغل
أظلّني همٌّ فلم أنتبـهْ　　الا وقـد أوغلتُ في المجهل
إن كان هذا ما دعوه الهوى　　فمثـل هذا الليل لا ينجلي
يا مهجتي . يا جلدي . يا صبا　　إن لم أمت وجداً فلا بد لي

ولي الديمه يكمه

﴿ من زوايا الذاكرة ﴾

وناضرةٍ خفّ فيها النسيمُ … فخفّ الى قصدِها محملي
هواءٌ أرقُّ من العاطفاتِ وماءٌ ألذُّ من السلسلِ
تذكرتُ عاطفةَ المغرَمينَ … فجاورتُ منعطفَ الجدولِ
وآلمني مُجتَلَى وَردةٍ … تكادُ تذيبُ حشا المجتلي
وذابلةٍ من بناتِ الحقولِ … ولولا الظما قطُّ لم تَذبلِ
أبخلُ الطبيعةِ أودى بها … وحاشا الطبيعةَ لم تبخلِ
ستقطفُها بعد إهمالها … يدُ الموتِ كالولدِ المُهْمَلِ

* * *

حسدتُ الزهورَ لأن الزهورَ كالخوانِ جامعةٍ مثّلِ
وممّا يجدِّدُ ذِكرى الهوى … هوا بين أغصانها الميّلِ
فهذا يقولُ لذاك: اعتنقْ … وذاكَ يُشيرُ لذا: قبّلِ
فما لبني جنسنا الأكرمين … قد افترقوا كالمهى الجفّلِ
يُبيدُ القويُّ حياة الضعيفِ ويودي المسلّحُ بالأعزلِ
فأين، وداؤكم الاختلافُ، أطباءُ دائكمُ المعضلِ
فمرتفعونَ لأوجِ السماءِ … وهاوون للدَرَكِ الأسفلِ
وأجبنُ من ضافرٍ في الحياةِ … وأضرى من الأسَدِ المُشبلِ
ومظلمةٍ ساد منها السكونُ بليلٍ بعيدِ المدى أليلِ
بصرتُ بها تحتَ جنحِ الظلامِ بأشباحِ ضامرة هزّلِ
رمت بهم لمهاوي الشقاءِ … يدُ الزمَنِ القلّبِ الحوّلِ
فهم يُنشدون نشيداً عليهِ ملامحُ حالهمِ المجملِ
فكم نظرَ الناس من تحتهم … وهم ينظرون لنا من علِ

محمد رضا الشبيبي

(٤٧)

التداوي بالثمار

﴿ العنب ﴾ العنبُ ثمرٌ لذيذٌ ومفيد للصحة إفادة عظيمة ، لانهُ يحوي كثيراً من الاملاح المعدنية كالبوتاس والكلس والمنيزيا والحديد . وعلى ذلك يكون العنب عبارة عن مزيج مياه معدنية مفيدة . ويُعَدُّ العنبُ من الاغذية المهمة ، فهو يقوي العضلات و يسهل الهضم ويكثر الدم ويُنقّيه . ويستَعملُ العنب في اوروبا علاجاً لمن يُصابُ بسوء الهضم وتلبُّكٍ في المعدة أو احتراق في الامعاء ، كما يستَعملُ بنوعٍ خاصّ ضدّ المغص والإسهال والباسور ، وغير ذلك

وقد قال بعض الاطباء الفرنسويين : إنّ العنب يُستعملُ كدواء لالتهابِ الحصيتين ، ولافراز السموم ، حتى ان الفُرْسَ الى اليوم يصفونهُ للمسموم كعلاج نافع ، كما يستعمله للغاية نفسها بعضُ أقوام الهندِ الصينية

ويقسم العنب الى قسمين : العنب الابيض ، والعنب الاسود (وينضم اليهِ العنب الأحمر) وتكثر الموادُّ المعدنية في العنب الاحمر والاسود ، كما ان هذا الاخير يُنبّهُ الاعصاب اكثر من الابيض ، ولذلك يُوصَفُ لمن أُصيب بفقر الدم وضعف القوى العضلية ، في طورِ النقَه ، و يستعمَلُ العنبُ الابيض لتسهيلِ الهضم والادوار

أمّا التداوي بالعنب فمدّتهُ لا تقلُّ عن ثلاثة أيامٍ ، ولا تزيد عن ستة : ففي اليوم الاولَ يؤكل مقدارُ كيلو منه ، ثم تزادُ هذه الكميّةُ بالتدريج يومياً ، الى أن يكونَ مقدار التناول في اليوم الاخير خمسة كيلو غرامات . ويجبُ إجراء الرياضة البدنية في هذه المدة بواسطةِ المشي لا أقلَّ من ساعة في الفلوات والحدائق لاستنشاق الهواء النقي الذي يكسب الصحة جودة

والمهم في هذا أن يكونَ العنب جديداً ، كما يُشترَطُ أن يُغسَلَ جيداً حذراً ممّا يعلق بهِ من الغبار والاوساخ التي لا تخلو منها حوانيت البائعين ، فضلاً عن أن

قشر العنب قابلٌ لتخمّرِ الميكروبات المتنوعة . ويجبُ طرح بزوره وقشوره عند الاكل . أمّا اذا كان جديداً نظيفاً فلا حاجة لتقشيره الا اذا كان القصد من تناوله تسهيل الهضم ؛ فحينئذٍ يؤكل ببزوره وتطرح قشوره . واكثر البلاد تعويلاً على المعالجة بالعنب ، بلاد المانيا المشهورة بترقي فن الطب . ويُقال إنّ اليونانَ والرومان الاقدمين استعملوا العنب علاجاً . وفي سويسرا واوستريا اليوم مستشفيات خصوصية للمداواة بالعنب ويزداد عددُ المرضى الذين يَفِدون كلَّ سنةٍ اليها

ويجب ألاَّ ننسى أنَّ الفائدَةَ المطلوبةَ من التداوي بالعنب لا تتمُّ ولا تكمل الابالتنزّه واستنشاقِ الهواء النقي

ويقول بعض الأطباء إن لعصيرِ العنب أو شرابه في مداواة العلل هذا التأثيرَ عينهُ . ويجب شرب هذا الشراب قبل تناول القهوة بقليل . ويقولون إنّ تناولَ قدَحٍ من شراب العنبِ يعدل أكل ٢٠٠ – ٤٠٠ غرام منهُ

ويجب حفظ هذا الشراب في آنية نظيفة تحفظ في أماكنَ خاليةٍ من الرطوبة ويرتئي بعضُ الأطباء ان يُسخَّنَ هذا الشرابُ في (حمام مريم) قبل شربهِ ، فيكون تأثيرهُ أشدَّ وأعظم . وقد تم استعمال هذا الدواء في اوروبا كلها ، والكثيرون يستعملونه علاجاً شافياً لكثير من الامراض المزمنة

﴿ حب التوت الشامي ﴾ اكتشف الاطباء مؤخراً علاجاً دعاهُ الاوروبيون أعظم علاج وجد من الثمار وهو « حب التوت الشامي » وقد جرَّبهُ مكتشفه لمداواة المسلولين ، فكان النجاحُ اليفه . وهو يقول : إنّ لشرابِ التوت هذا التأثيرَ نفسه . وقد بيَّنَ ذلك المسيو « بورت » والمسيو « رمولن » الكيماويان الشهيران بتحليلهما حب التوت تحليلا كماوياً ، فوجدا أن في هذا الثمر المفيد قليلاً من حمض الساليسيلك الذي يجعلُ لهُ رائحةً لطيفةً عند نضجه . ويفيد حبُّ التوت لمداواة الامراض الروماتيزمية ؛ ويُستعمَلُ أيضاً في أوروبا نوع من حبّ التوت يأتي من

جبال « سافوى » لمن أصيبوا بهذا الداء . والسببُ في انتخابهِ من تلك الجبال أنّ التوتَ هنالك يحوي كثيراً من حمض الساليسيليك بدليل جودة رائحتهِ ولذة طعمهِ

ويؤكدُ كثير من الاطباء أنّ حبَّ التوتِ يُفيدُ النزلة الصدرية كما يشفي المصابين بالسلّ الرئوي على ما المعنا سابقاً . وما السلُّ الرئويُّ إلاّ نزلةٌ صدرية تفاقم أمرها . وقد شهد أمهرُ الاطباء في هذا العصر بفائدةِ هذا الثمر ومثل هذه الامراض ، وقالوا إنهُ الترياقُ الشافي

وقد نقل لنا التاريخ عن المحقق « فونتل » أنّهُ كان يُحبُّ حَبَّ التوتِ كثيراً فكان لا يمرُّ بهِ يومٌ دون أن يتناولَ بقدرِ ما يتيسَّرُ لهُ . وقد قيل إنّهُ كان مريضاً ذاتَ يومٍ ، فزارهُ بعضُ أصدقائه ، وسأله أحدهم قائلاً : كيف صحتك اليوم يافونتل ؟

فأجابهُ هذا على الفور : ليست جيدة ياعزيزي . ان آلام الأمراضِ انهكت قواي ولكن آه ! لو كنّا الآن في فصل الصيف ، ووجد لي قليل من حب التوت لكنتَ ترى كيف تكون صحتي . انني اكون أقوى الناس

ويقال إنّهُ توفي من جراءِ تلك الأمراض قبْل حلول أوان الصيف ومجيء موسم حب التوت . وكان يعتقد أن حب التوت سبب تعافيه وطول حياتهِ

اما التداوي بحب التوت فهو يُشبه التداوي ببقية الثمار . ويُشترَطُ في أكلهِ أن يكونَ ، والمِعدَةُ فارغةٌ ، لئلاّ يضرَّ ويُسبّبَ سوء هضم لبرودته . ووقت الصباح أحسن الأوقات لتناوله لأن المعدة تكونُ فارغةً . وهو لا يُغسل بالماءِ لئلاّ تذهب رائحتهُ اللطيفة ، غير أنهُ يجبُ الاعتناء بقطفه وان يكون نظيفاً ويترك بعقبه . أما المصابون بالأمراض الجلدية كالجرب والزهري الخ فليتجنبوا حبَّ التوت كلَّ التجنُّبِ ، لأنّهُ يزيدُ الداءَ شدةً بتكثيره المادة الدموية في الجلد

﴿ الليمون الحامض ﴾ وما قلناه عن حبّ التوت نقولُهُ عن الليمون ، فهو يُفيد في أمراض الحلق والنوبات العصبية الخفيفة والإغماء . والليمونُ اكبرُ مضادّ لتعفُّنِ

الامعاء، كما أنهُ يُفيدُ المصابين بالهيضة (الكوليرا) والصفراء والبلغم وأمراض الكَبِد

وقد شهد طبيبٌ شهيرٌ أنَّ الليمونَ علاجٌ مفيدٌ للمُصابِ بعلة هي من نوع علل «الروماتيزم» وانتشر استعمال الليمون علاجاً لهذه الأمراض في ألمانيا وسويسرا، ونتج عن استعمالهِ نتائج مفيدة نافعة. واقتصر المُصاب على تناول ١٧٥ — ٢٠٠ ليمونة بكل المدة. والتداوي بالليمون يجري على طريقة التداوي بالعنب، أي أن يُؤخذَ في اليوم الأَول مقدارٌ قليل، فيزداد يوماً فيوماً؛ ثم متى حصل الشفاء التامُّ يتناقص رويداً رويداً

ولقائل أن يقولَ: ألا يحصل ضررٌ من اكل مقدار كثير كهذا من الليمون الحامض، فتتلبّك المعدة وتختلّ وظائفها الهضمية؟ أو ليس من بأسٍ على الأَسنان من ذلك؟

فالجواب أنهُ ليس من بأسٍ يُذكَرُ، ولا حذر من جرَّاء ذلك. لأَن الليمونَ لا يؤثّر في الهضمِ إلا تأثيراً خفيفاً نافعاً وأما تأثيره في الأَسنانِ فقليلٌ جدًّا لا يُعتَدُّ بهِ، فضلاً عن أنَّ الوسائط اللازمة في ذاك الوقت تمنع كل ضرر

اما طريقة المداواة فاليك بيانها:

يأ كل المصاب في اليوم الأَول ليمونةً واحدةً، ويشرب في اليوم الثاني عصيرَ ليمونتين، وفي اليوم الثالث اربع ليمونات، وفي الرابع ست، وفي الخامس ثماني، وفي السادس احدى عشرة، وهلم جراً حتى اليوم العاشر فيشرب عصير خمس وعشرين ليمونة على دفعات متوالية، ثم تنقص الكمية كما تزايدت، ولا بأس من مزج عصيره بقليل من السكر لتسهيل تناوله

وسنعودُ في فرصة قريبة ان شاء الله الى ذكر فوائد غير ما تقدم من الاثمار

(انطاكية)　نقولا كي عبد المسيح شكري

في حدائق العرب

ظهر في الشهر الغابر كتابٌ عنوانه « حديقة الزهر » وضعهُ باللغــة الفرنسية حضرة الاديب واصف بك بطرس غالي، ضمنهُ بحثاً شائقاً في الشعر العربي وأنواعهِ وأساليبهِ، مع ترجمة مقطوعاتٍ شعرية منهُ . فقابل الفرنجُ هذا الكتاب بالارتياح لأنهُ عرَّفهم بشاعرية قوم لهم في عالم الخيال المقام الارفع . ومن جملة ما ترجمهُ واصف بك الحادثة الآتية نرويها لقرّائنا في أصلها العربي، لما فيها من بلاغة الوصف وجمال الأسلوب:

بشر بن أبي عوانة والأسد

كان بشر بن أبي عوانة العبــدي صعلوكاً . فأغار على ركب فيهم امرأةٌ جميلة، فتزوَّج بها، وقال : ما رأيتُ كاليوم . فقالت :

أعجب بشراً حَوَرٌ في عيني   وساعــدٌ أبيضُ كاللجينِ
ودونهُ مسرحُ طرف العينِ   خمصانةٌ ترفلُ في حجلينِ
أحسن من يمشي على رجلينِ   لو ضمَّ بشرٌ بينها وبيني
أطال هجري وأدام بيني   ولو يقيس زينهــا بزيني
لأسفر الصبحُ لذي عينينِ

قال بشر : ويحكِ من عنيت ؟ فقالت : بنت عمك فاطمة . فقال : أهي من الحسن بحيث وصفتِ ؟ قالت : واكثر وأزيد ، فأنشأ يقول :

ويحك يا ذات الثنايا البيضِ   ما خلتني عنك بمستعيضِ
فالآن إذ لوَّحتِ بالتعريضِ   خلوتِ جوًّا فاصفري وبيضي
لا ضُمَّ جفناي على تغميضِ   إن لم أشل عرضي من الحضيضِ

ثم أرسل الى عمّه يخطب ابنته ، ومنعهُ العمُّ أمنيته ، فآلى ألاَّ يرعي على أحدٍ منهم ، إِن لم يزوّجه ابنته . ثم كثرت مضرَّاته فيهم ، واتصلت مضرَّاته اليهم . فاجتمع رجال الحيّ الى عمه وقالوا : كفَّ عنا مجنونك . فقال : لا تلبسوني عاراً ، وأمهلوني حتى أُهلكه ببعض الحِيَل . فقالوا : أنت وذاك . ثم قال له عمه : اني آليت أن لا أزوّجَ ابنتي هذه إِلاَّ ممن يسوق اليها الف ناقةٍ مَهراً ، ولا أرضاها إِلاَّ من نوق خزاعة . وغرض العم كان أن يسلك « بشر » الطريقَ بينهُ و بين خزاعه ، فيفترسهُ الأسد. لأنَّ العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق ؛ وكان فيه أسدٌ يسمَّى داذاً ، وحية تدعى شجاعاً ، يقول فيهما قائلهم :

افتكُ من داذٍ ومن شجاعِ ان يكُ داذٌ سيدَ السباعِ
فانها سيّدةُ الافاعي

ثم إِنَّ بشراً سلك ذلك الطريق ، فما نصّفه ، حتى لقي الأسد. وقص مهره ، فنزل وعقره . ثم اخترط سيفهُ الى الأسد ، واعترضه وقطَّهُ ، ثم كتب بدم الأسد على قميصهِ الى ابنة عمه قصيدته المشهورة التي مطلعها

أفاطِمَ ، لو شهدتِ ببطن خبتٍ وقد لاقى الهزبرُ أخاك بشرا

فلماَّ بلغت الأبياتُ عمَّهُ ، ندم على ما منعهُ من تزويجها ، وخشيَ أن تغتالَهُ الحيةُ ، فقام في أثره وبلغه وقد ملكتهُ سورة الحية . فلماَّ رأى عمه ، أخذتهُ حمية الجاهلية ، فجعل يدَهُ في فم الحية ، وحكّم سيفه فيها فقال :

بشرالى المجد بعيدهمهُ لما رآه بالعراء عمهُ
قد ثكلته نفسهُ وامه جاشت بهِ جائشةٌ تهمهُ

قام الى ابنٍ للفلا يؤمه	فغاب فيهِ يدهُ وكفهُ

ونفسه نفسي وسمي سمهُ

فلما قتل الحية، قال عمه : اني عرَّضتك طمعاً في أمرٍ ثنى الله عناني عنهُ، فارجع لازوّجك ابنتي . فلما رجع جعل بشر يملأ فمه فخراً، حتى طلعَ أمرد كشقّ القمر على فرسه مدجّجاً في سلاحه . فقال بشر : ياعمّ اني اسمع حسّ صيد . وخرج فاذا بغلامٍ على قيدٍ فقال : ثكلتك أُمك يا بشر، إِن قتلت دودة وبهيمةً تملأ ماضغيك فخراً ؟ أنت في أمان ان سلَّمت عمك . فقال بشر : من أنت لا أم لك ؟ قال : اليوم الاسود، والموت الأحمر . فقال بشر : ثكلتك من سلحتك « قذفت بك من بطنها » فقال : يا بشر ومن سلحتك أيضاً . وكرَّ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه، فلم يتمكن بشرٌ منهُ وأمكن الغلام عشرين طعنةً في كلية بشر، كلما مسَّهُ شبا السنان حماه عن بدنه ابقاءً عليهِ . ثم قال : يا بشر كيف ترى أليس لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرمح ؟

ثم القى رمحه واستلَّ سيفهُ فضرب بشراً عشرين ضربة بعرض السيف، ولم يتمكَّن بشرٌ من واحدة . ثم قال : يا بشر سلّم عمَّك واذهب في أمان . قال : نعم ولكن بشريطة أن تقولَ لي من أنت . قال : أنا ابنك . فقال : يا سبحان الله ما قارنتُ عقيلةً قط، فانّى لي هذه المنحة ؟ فقال : أنا ابنُ المرأة التي دلَّتك على ابنة عمك . فقال بشر :

تلك العصا من هذه العصية	هل تلد الحيةَ غيرُ الحيه

وحلف لاركب حِصاناً ولا تزوَّج حَصاناً، ثم زوج ابنة عمه لابنه

أبو العلاء المعري [1]

ثِقةَ الدهورِ وحجَّةَ الأزمانِ　　خذْ من بيانِكَ ذمّةً لبياني
أُعيي القريضَ فانْ بلغتكَ خانني　　قلبي وعيٌّ عن المقالِ لساني
رعتَ القياصرَ والملوكَ وراعني　　ما فيك وحدَكَ من جلالِ الشانِ
لكَ في الملوكِ الخالدين على البلى　　أسمى العروشِ وأثمنُ التيجانِ
تهوي الأسرَّةُ والممالكُ تنقضي　　وسريرُ ملكِكَ راسخُ الأركانِ
مُلكٌ عليهِ من الخلودِ سرادقٌ　　فخمٌ يهابُ جلالَهُ الملوانِ
تهوي جبابرةُ الخطوبِ حيالَهُ　　صرعى منكّسةً على الأذقانِ
وترى الدهورَ اذا مررنَ بساحهِ　　فوضى الخُطى يعثرنَ بالحدَثانِ
يدلفنَ من كبرٍ وفرطِ كهولةٍ　　وشبابُ مجدكَ دائمُ الرَّيعانِ
تبني العقولُ وترفعُ الأيدي وما　　يسطيعُ شأوَكَ رافعٌ أو بانِ
صدعَ الزلازلَ ما بنيتَ وهدَّها　　ما للزلازلِ بالبروجِ يدانِ
أدركتَ أسرارَ الوجودِ وجُزتَها　　ترتادُ أسرارَ الوجودِ الثاني
تدنو فتبعدُ والمخاوفُ جمَّةٌ　　والحجبُ شتّى والحتوفُ دوانِ
تهتاجُ ان ومضتْ فان هيَ أمسكتْ　　زادتكَ أشجاناً على أشجانِ
صانعتَ شاردَها فقلنا عاشقٌ　　طربٌ يصانعُ شاردَ الغزلانِ
وشكوتَ هاجرَها فقالوا كاشحٌ　　ظلموكَ ! تلكَ سجيةُ الولهانِ

(١) هو الشاعر الشهير أبو العلاء احمد بن عبدالله القضاعي المعرّي التنوخي ولد سنة ٩٧٣ م في معرّة النعمان بالقرب من حماة في بلاد الشام ، وأصيب بالجدري فعمي ، وعاش في حلب وبغداد مدةً طويلةً ثمّ رجع الى بلدته المعرّة . وتوفي سنة ١٠٥٧ م . جمع ما قاله من الشعر في شبابه في ديوان سماه « سقط الزند » وشرحه وسمى الشرح « ضوء السقط » وله ديوان آخر كبير سماه « اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم » وكتاب « الأيك والغصون » وهو المعروف بالهمزة والردف ، ولأبي العلاء آراء فلسفية ونظرات اجتماعية مشهورة

جهلوا مرادَك ، والعقولُ مراتب والناسُ بالألباب والأذهانِ

* * *

اكبرت رزء العقلِ حينَ رأيتهُ رهنَ العمى وغضبت للانسانِ
تجري الأُمورُ وليسَ يعلمُ كنهها وهو المراد بهذهِ الأكوانِ
ويقالُ أعمى في الحياةِ وبعدَها ، والدينُ والدنيا لهُ عينانِ
كلٌّ له ذكرى وكلٌّ عبرةٌ تجلو اليقينَ وصادقَ الايمانِ
فلئن حجبت عن الغيوبِ فانها للهِ ذي الجبروتِ والسلطانِ
أعلى لكَ الغرُفاتِ يومَ لقيتَهُ وحباكَ ما تبغي من الرضوانِ
فرأيتَ منزلَهُ العظيمَ وأجرهُ وحمدت عقبى العلم والعرفانِ

* * *

شغفتْ بكَ الدنيا تُريدك دامقاً وشغفت بالإعراضِ والهجرانِ
تجلو زخارفَها فتُغمضُ دونها عينَ الحكيم وتنثني بأمانِ
فتنت محاسنُها العقولَ ولم تزل في حيرةٍ من عقلكَ الفتانِ
صارمتَها وكشفتَ عن سوآتها ليُفيقَ مختبلٌ ويقصرُ عانِ
وصددت عن صلفِ الملوكِ وكبرهم متعالياً عن ذلّةٍ وهوانِ
أغناكَ عن آلائهم وهباتهم أنَفُ الشريفِ وعفّةُ المتغاني
ورضيتَ بيتَكَ هازئاً بقصورهم وجليلِ ما رفعوا من البُنيانِ
بيتٌ أناف على الكواكبِ رفعةً فدنا يمسّحُ ركنَهُ القمرانِ
لم يحكهِ كيوانُ في عليائهِ ! بيتُ الحكيمِ أجلُّ من كيوانِ
لو رُدَّ كسرى أو تأخرَ عصرُهُ ، فأذنتَ ، حجَّ اليكَ بالايوانِ
لو كنتما مني بحيثُ أراكما لَلَثمتُ تربَكما اذاً فشفاني
لحمدتما في الظالمينَ ضراعتي ورفعتما في الخالدينَ مكاني

خيرُ المناسك حلَّ حيث حللتما للناسكين وأنتما الحرَمانِ

* * *

أوتيتَ من أخلاقِ ربِّكَ رحمةً لم يُؤْتِها بشرٌ وفرطَ حنانِ
أشفقتَ من وطءِ التراب على الأُلى غالَ الترابُ وكلُّ حيٍ فانِ
يمشي الفتى يختالُ فوقَ رفاتِهم جذلانَ فعلَ الشاربِ النشوانِ
الجوُّ أرواحٌ تفيضُ وأنفسٌ والأرضُ من رمَمٍ ومن أكفانِ (١)

* * *

عفتَ الأذى ونهيتَ عن مكروههِ وأمرتَ بالمعروفِ والاحسانِ
ورحمتَ حتى الوحشَ في فلواتِها وحميتَ حتى الطيرَ في الأوكانِ
ورثيتَ للشاكين من بلوائِهم فحملتَ ما حملوا من الأحزانِ
ومسحتَ دمعَ النائحاتِ معزياً فكففنَ عن نوحٍ وعن إرنانِ
ونسينَ من هولِ الفجائعِ ما مضى وسلَونَ بعد تعذُّرِ السلوانِ
شرعٌ بعثتَ بهِ ودينٌ لم تقمْ فيهِ لغيرِ الواحدِ الديّانِ

* * *

بوركتَ في دينِ المسيحِ وأحمدٍ ومُدحتَ في الانجيلِ والقرآنِ
الشرقُ معتزٌّ بفضلكَ معجَبٌ والغربُ مغتبطٌ بذكرك هاني
إملأْ بحكمتكَ المسامعَ والنُهى واحكمْ فما شيءٌ سوى الاذعانِ
ما زلتَ من قبلِ المماتِ وبعدِهِ شيخَ النُهى وحكيمَ كلِّ زمانِ
الأرضُ حافلةٌ كعهدِكَ بالأذى والناسُ فوضى والحياةُ أماني

احمد محرم

(١) في هذه الأبيات اشارة الى قوله المعرّي :
ربّ لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الاضداد
خفف الوطئ ما أظن أديم الأرض الا من هذه الاجساد

ضرب زيدٌ عمراً

مسكين زيدٌ وعمروٌ فإنهما ما زالا منذ عهد سيبوَيْه يتضاربان « ويترافسان » اكراماً لساداتنا النحاة . فتارةً يكون زيد ضارباً وطوراً يكون مضروباً

لي صديق من العلماء المستشرقين أنفق السنين الطوال في درس اللغة العربيــة والاطلاع على شواردها وضوابطها . دخلتُ عليهِ ذات يوم فرأيتُ وجهه يطفح بشراً وهو يقول : « الحمد لله ! الحمد لله ! »

فقلت : « ما الخبر ؟ »

فقال : « لقد أخذ عمروٌ بثأره »

فقلت : « وكيف ذلك ؟ »

فأجاب : « لقد أنفقتُ عشرين عاماً وأنا أدرس كتب النحاة وأطالع مؤلَّفات الأئِمَّة فلم أجد مثالاً للفاعل والمفعول إلاَّ قولهم « ضرَب زيدٌ عمراً » وقد عثرتُ الآن على مَثلٍ جديد وهو قولهم « ضرب عمروٌ زيداً » فالحمد لله لأن عمراً أخذ بثاره من زيد فضربهُ ولو مرَّة واحدة في الحياة »

في كلام هذا العالِم حكمةٌ سامية. فان الشرقيين يتقاتلون ويتضاربون كتضارب زيدٍ وعمروٍ في كتب النحاة . وما ذلك المثال الا دليل على الطباع والأخلاق

يبدأ الاوربي أجروميته بتصريف فعل « أحبَّ » . ويبدأ الشرقي

أجروميته بتصريف فعل « ضرب » أو « قتل » . ذلك يمرّن على الحب وهذا يمرّن على الضرب والقتل . فيحق للأوربي والحالة هذه اذا أراد أن يتعلّم الصرف العربي أن يتقلّدَ سيفه وترسه اتقاءً لشرّ المضاربات بين زيد وعمرو

رحم الله سيبويه ! ما ضرَّهُ لو أنهُ أَبدل فعل « ضرب » بفعل « أحبَّ » أو غيره من الأفعال التي لا تضطرّ القارىء أن يحمل دروعه وأسلحته ؟ ألم يكن في قاموس اللغة غير ذلك المثل المشؤوم ؟

حقاً لو أراد عمروٌ أن يتقاضى زيداً أمام المحاكم لظلّ القضاة ينظرون في دعواه أعواماً عديدة . ولو عرض كلاهما نفسه على حكيم الصحة لأمر لهما بمعالجة أربعين عاماً . ولو عددنا الجروح التي في رأس كل منهما لاحتجنا الى جيش من الكتبة والحاسبين . ولو استشهدنا سيبويه ونفطوَيه لشهدا على كلٍّ منهما بالاعتداء على رفيقـهِ . أفما كان الأجدر بقاضي الصلح أن « يصلح بينهما » ويعيد الأمن الى نصابه بين عائلتيهما حفظاً للراحة العمومية ؟

*
* *

في كتب النحو أمثلة أخرى تدل على طباعنا . من ذلك قولهم « مات زيد » وهو وايم الله لا يزال حياً يُرْزق يضرب عمراً من جديد . وقد أُزْرَقَّ عنقُ عمروٍ وعقِر ظهره من شدَّة الضربات والرفسات . وزاد الطين بلَّةً ان جمعية الاسعاف أهملتهُ ولم تشفق عليهِ . فوارحمتاه على عمرو ! انهُ لن يخلص من ضربات زيد ولو مات زيدٌ عشرين مرَّةً في كتب النحاة .

اذ لا تكاد تسمع نعيَّه حتى يعود الى الحياة ويستأنف ضرب عمرٍو. فهو كالسنّور له سبعة أرواح

***

ومن أمثلة النحاة أيضاً — أو بالحري علماء الصرف — قولهم: «أحوَل» و «أعوَر» و «أعرج» و «أقطع» الى غير ذلك من الامثلة التي لم تكن تبرح من فكر سيبويه. ولو جمعنا جميع أصحاب العاهات الذين أحيا النحاة ذكرهم لضاقت بهم الأرض والسماء. ولعلّهم أُصيبوا بعاهاتهم من جرَّاء ضرب زيدٍ لعمرو وغيره

ومن البليَّة أيضاً قول ساداتنا النحاة إن أمثال الأحوَل والأعوَر والأعرج لا «ينصرفون». فسيظلون يلازموننا الى أن يقوم رجل أشدّ بطشاً من زيد، فيبطش بهم كما بطش هذا بعمرٍو، ويُريح تلاميذ المدارس منهم

سامحك الله يا سيبويه!

ومن البليَّة أيضاً أنّ «النصب» عند النحاة حالة من حالات الاعراب. ومثلها «الخفض» أيضاً. وقد «يرفعون» من لا يستحق أن يُصفع بالأحذية. فاذا قُلنا «سرق زيدٌ مال عمرو» قالوا يجب «رفع» زيد، لانهُ ارتكب جناية فعل السرقة. ويجب «خفض» عمرو، لأنهُ الشخص المسروق منهُ

ما شاء الله كان! . . .

أيُرفَعَ زيدٌ ويُعْلَى شأنهُ لأنهُ سَرق، ويُخْفَض عمرو وتُدَاس حقوقه

لأن زيداً سرَق منهُ ؟ فيالله من هذا الظلم والاستبداد ! ألم يكن في وسع النحاة أن ينصفوا عمرواً ولو مرة واحدة في الحياة ؟

***

حاشية — بمزيد السرور وعظيم الابتهاج ننعي الى طلبة الصرف والنحو حضرة الشيخ عمرو ، عدوّ زيد . وجار بكر ، ونسيب نفطويه . انتقل من الديار الفانية بعد عمر قضاه في احتمال الضربات من عدوّه زيد وقد أسلم الروح فراح شهيد النحاة على أثر الجروح المميتة التي أُصيب بها على أُمّ رأسه . « فانصرف » مع أنهُ كان أعوَر . والتمست جمعية الشفقة على الحيوانات من عدوّه زيد أن لا يلحق به الى دار الخلود . وسيُحتفل بتشييع جنازته من دار نفطوَيه الى قبر سيبوَيه ليُدفَنَ معــهُ وتستريح عظامه المرضوضة

وسيُنْقَش على ضريحهِ : « ضرب زيدٌ عمرواً . . . »

سليم عبد الاحد

حِكَم للإمام علي

من وَضَعَ نَفْسَهُ مواضِعَ ٱلتُّهمَــة فَلاَ يلومَنَّ مَنْ أساءَ بهِ ٱلظنَّ

النَّاس أعدَاء ما جَهلُوا

آلَةُ ٱلرِّئاسةِ سَعَةُ ٱلصَّدْرِ

ما ٱخْتَلَفَتْ دَعْوَتَان إلاَّ كانَتْ احْدَاهمَا ضَلاَلَة

مَنْ لَمْ يُنَجِّهِ ٱلصبرُ أهلَــكهُ ٱلجَزَعُ

فكاهة

كان رجلٌ يكثرُ الطعامَ على العشاء ، فاذا نام غطّ غطيطاً هائلاً ، وشخر شخيرًا متواصلاً ، فيقلق زوجتهُ ، فتوقظهُ ليُغيّر ضجعتهُ ويريحها من غطيطه ، فكان يغضب ويجادلها قائلاً : « ما أنا غططتُ وشخرتُ ، بل أنتِ » فتصمتُ ، وتصبرُ على مصيبتها حتى عيل صبرها وفارقها جلدها . فعمدت أخيرًا الى حيلةٍ تحجُّهُ بها ، وتقنعهُ عساهُ أن يُقلّلَ من نهمتهِ ، ولا يغطّ في نومهِ . فجاءتهُ ذاتَ يومٍ ، وبيدها الفونوغراف ، وأدارتهُ وقالت : أتعلم ما هذا الصوت ؟

فقال : هديرُ البعير ، بل نهيقُ الحمير ، لا بل قباعُ الخنزير ، بل مواءِ السنانير ، بل طنين الزنابير

وكان كلما أدارت مرّةً ، غيَّر حكمهُ في ألصوت ؛ وهي تقول « لا » حتى ضاق صدره . فقال : قولي لي ما هو ، وأريحيني ، من هذه الأصوات المنكرة التي تملأُ الجسمَ رعدةً وقشعريرة

قالت : هذه أصواتُ شخيركَ التي صبرتُ عليها الأعوامَ ، ولم تصبر عليها أنتَ لحظةً من الزمان . فقد وضعتُ الفونوغراف فوق رأسك وأنتَ نائمٌ ، فدوّنَ ما أنتَ سامع . فإذا أيقظتُكَ بعد الآن ، فاترك الحِجاجَ والجدال ، وارثِ لحالتي ، واطلبْ الى اللهِ أن يُصبّرني على مصيبتي . فسكتَ خجلاً ، ثمَّ أطرقَ هُنيهةً وقال : « اثنان لا بُدَّ من تركهما : النهمةُ على العشاء ، ومجادلة النساء »

ازهار وأشواك

اللغة والأسرة والحكومة

في مصرَ اليومَ مسائل ثلاث تشغلُ الرأيَ العام : اللغةُ ، والأُسرةُ ، والحكومة . لا يحسُنُ بي أن أدَعها تمرُّ دون أن أقول فيها كلمتي . سأضطرُّ الى الايجاز ، ولن أُحاول استيعابَ الموضوع ، لأن كلَّ مسألة من هذه المسائل تُعَدُّ من العُقَدِ الاجتماعية التي لا يسهلُ حلُّها :

باتَتْ لغتنا في حاجةٍ قصوى الى الاصلاح ، ولم يبقَ بالامكان الجمود بها على ما كانت عليـهِ حيال النهضة الحديثة التي بدَت طوالعُها . ولقد تنبهت الخواطرُ الى هذا الأمرِ على أثر المنشورات التي أصدرتها نظارةُ المعارف ، فتراجع صداها في صحفنا اليومية ، وتناولتها أقلام الكتّاب بين منتقدٍ ومقرّظٍ . دار البحث أوّلاً على مسألة الكتب المدرسية ووجوب ضبطها بالشكل لكي يعتادَ التلاميذ منـذ حداثة سنّهم ، تقويمَ لسانهم وفصاحة نطقهم . ولا يخفى ما للشكل في اللغة العربية من الأهمية ليستقيم المعنى ويتمَّ المقصود ؛ وكم من مرَّةً تقرأُ الجملةَ على صورةٍ معيَّنةٍ حتى إذا ما وصلنا الى آخرها وأحطنا بها ، نجدُ أننا أسأنا تلاوتها على نحو ما تلوناها أوّلاً . فنردّد حينئذٍ ما كان يقول المرحوم قاسم أمين « كلُّ لغةٍ تُقرَأُ لتُفهَم ، إلاّ اللغة العربيـة ، فإنها تُفهَم لتُقرأُ » أُوردُ مثلاً على ذلك جملةً قرأتُها في إحدى المقالات التي كُتِبَتْ في هذا الموضوع ، وهي « حسن

صرف المال في وجوه الخير » فيمكنك أن تقرأها على وجوه مختلفةٍ لتجرُّدها من الحركات فتقول :

١ً — حَسَنٌ صَرْفُ المالِ في سبيلِ الخير ، أي محمود
٢ً — حَسُنَ صَرْفُ المالِ في سبيلِ الخير ، أى جَمُلَ
٣ً — حُسْنُ صَرْفِ المالِ في سبيل الخير ، أي جمالُ
٤ً — حَسِّنْ صَرْفَ المالِ في سبيل الخير ، بمعنى الأمر
٥ً — حَسَنٌ صَرَفَ المالَ في سبيل الخير ، أي « سي حسن » هو الذي صرف المال
٦ً — حَسَنُ ! صَرِّفِ المالَ في سبيل الخير ، اذا ناديتَ حسناً وأمرتهُ
٧ً — حَسَنُ ! صُرِفَ المالُ في سبيل الخير ، اذا ناديت حسناً وأخبرتهُ عن صرْف المال

وفي هذا كفاية على أهمية الشكل فى اللغة

* * *

اما المسألةُ الثانيةُ فهي مسألة الأُسرة ، دار عليها البحث بمناسبةِ الحربِ القلمية التي أثارها إنشاء جمعيةٍ في مصر لتحرير المرأة ، وخوض الكتّاب في مسألة الحجاب والسفور . قال فريقٌ « لا سبيل الى اصلاح الأمّة الاّ باصلاح الأسرةِ ، ولا تصلحُ الأسرة الاّ بصلاح المرأةِ ، ولا تصلح المرأة الاّ اذا رفعت الحجاب واشتركت مع الرجل في الحياة ورافقتهُ في نزهاتهِ ورياضاتهِ بدلاً من أن يرتادَ الأندية العمومية فيجالس اساتذة السهر وفلاسفة اللهو والملذّات »

وقام فريقٌ ثانٍ ينادي بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، ويستنزل اللعنات على دُعاة السفور ، صارخاً بهم «يا لثارات الدين والقومية ! مكانكم ايها السفهاء ! فوالله ما دعا دعاةٌ الى شرٍّ مما دعوتم ، ولا تحركت الألسن باسوإٍ مما تحرَّكت بهِ ألسنتكم ، ولا جرت الأقلام بأضرّ مما جرت بهِ أقلامكم ، فليت ألسنتكم عقِدَت ، واقلامكم قُصِفَتْ »

هذا بعض ما اتحفتنا بهِ الجرائد فيهذا الموضوع . والغريب العجيب ان سيداتِنا — وهنَّ موقداتُ نار هذه الحرب — لم يُبدينَ رأياً ، ولا رفعنَ صوتاً ، ساعة نرى اخواتهنَّ الغربيات في هـذهِ الآونة يُزَاحمنَ الرجال ، ويطالبنهم بما يريد الرجال ان يُريحوهنَّ من متاعب هذه الحياة

أمَّا المسألةُ الثالثةُ التي شغلت صحافتنـا وكانت موضوع أحاديثنا ، فهي مباشرة الانتخابات للجمعية التشريعية التي حلّت محلّ مجلس شورى القوانين . لستُ أُريدُ الخوضَ في ما إذا كان هذا التغيير يُعَدُّ تدرُّجاً نحو السلطة النيابية ، فليس ذلك من شأني . وقد عرف القراء من جهةٍ ثانية نتيجة الانتخابات الأوليـة ، وقرأوا البروجرامات السياسية التي عرضها المرشَّحون على الرأي العام ، وسنعرف عن قريبٍ أسماء الذين يقرُّ قرارُ الامة على انتخابهم لتمثيلها . إنما الأمرُ الذي أسفنا لهُ ، هو إغضاء الكثيرين عن الانتفاع بحقهم في الانتخاب . قرأَ الغيرُ ، كما قرأتُ ، خبرَ ملكِ ايطاليا وكيف أنهُ اشترك في الانتخاب الذي جرى لمجلس النواب في بلادهِ منذ شهرٍ ، فانهُ ذهب بنفسهِ الى دائرة الانتخاب التابع لهـا ورمى ورقتهُ في الصندوق كأحد أفراد رعيّتهِ . في هذا مثالٌ جميل ، وقدوةٌ حسنة

مَنْ كَتَبَ سَوفَ يَكتبُ

يقولُ الأفرنج في أمثالهم « من شَرِبَ سوفَ يشرب » إشارة الى أن مُدْمِنَ الخمرة لن يُقلعَ عنها . ويصحُّ إن تقولَ « من كتبَ سوف يكتب » بمعنى أنَّ « مُدمِنَ » الكتابةِ لن يكسرَ قَلَمهُ . والصحافة هي « إدمانُ الكتابة » فمن زاولها مدَّةً ، وذاقَ حلوها ومُرَّها لن يعرف أن يعيش بعيداً عنها . والأمثلة على ذلك كثيرة . علِمَ القرَّاء أن اسكندر افندي شاهين الصحافي المعروف قد ودَّع الصحافةَ يوم غادر الديارَ المصرية قاصداً البلاد البرازيلية لتعَاطي التجارة فيها ، بعد أن خدم القلَمَ بأمانةٍ وإخلاص مدَّةَ ربع قرن . وقد أقام لهُ يومئذٍ زملاؤهُ حفلة لتوديعهِ ، وتمنى عليهِ الكثيرون ألاَّ يهجر الكتابة هجراً تاماً ، لأنَّ لهُ في ميادينها جولاتٍ صادقة ، وكنت بين المشتركين في الحفلة ، فتبسَّمتُ لدى سماعي التعبير عن هذه الأمنية ، لأنَّهُ كان قد بلغني أن الصديق اسكندر قد وَضَعَ فى حقيبةِ سفرهِ « كليشه » حفرها في مصر باسم جريدةٍ قد يُصدرها فى البرازيل . ولم تلبث الأيام أن جعلت الظنَّ حقيقةً ، فقد حمل الينا البريد منذ أسبوعين رزمةً من أميركا الجنوبية ، ففضضتها ، واذا فيها جريدةٌ يومية بثماني صفحات عنوانها « أميركا » وأبحاثها متنوّعة لذيذة ، وعبارتها منسجمة طليّة ، وهي لصاحبها ومحرّرها اسكندر شاهين . فأيقنتُ أنَّ « من كتبَ سوف يكتب » وتمنّيتُ « لأميركا » نجاحاً وخيرًا كثيرًا

ماصر

ثمرات المطابع

* مصر الجديدة — لم يبقَ أحدٌ في مصر لم يسمع باسم رواية «مصر الجديدة» أو لم يقرأ عنها شيئاً في الصحف اليومية، إذا لم يكن قد توفّق الى حضورها . وهي الرواية التمثيلية التي وضعها الكاتب المعروف فرح افندي انطون منشئ الجامعة ورئيس تحرير جريدة المحروسة الغراء، وقد مثّلها جوق أبيض في الاوبرا خلال الشتاء الماضي، فكان الإقبالُ عليها عظيماً

جاءتنا هذه الرواية مطبوعةً فطالعناها بلذةٍ لا تقلُّ عن لذّة مشاهدتها على المسرح لما تضمنتهُ من الآراء الاجتماعية والعظات البليغة والأبحاث النفيسة في أحوال الشرقِ عموماً، وحالة مصر على الخصوص، بقالبٍ روائي لطيف

* الأمراض المعدية[1] — للدكتور العالم الفاضل عزتلو محمد عبد الحميد بك طبيب مستشفى قليوب فضل لا ينكر على اللغة العربية؛ فقد وضع بها اكثر من أربعة عشر مؤلفاً في الطبّ كانت خلواً منها؛ وأتحفها اليوم بكتابٍ نفيس في الأمراض المعدية فجاء حلقة جديدة في السلسلة الذهبية التي صاغها من قبل . وفي هذا المؤلف ابحاث مفيدة جدّاً في الأمراض التي تنتقل من المريض الى السليم بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات أو الطعام أو الشراب أو الملامسة وفي طرق الوقاية منها مما يحسن بكل

(١) طبع بمطبعة المعارف ويطلب منها ومن المؤلف وثمنه ١٠ قروش

قارىءٍ أن يقف عليهِ ويستفيد منهُ . انما نتمنى أن يكون في كلّ بيت مكتبة وأن تزدان كلّ مكتبة بمؤلفات هذا النطاسي الفاضل

* تقويم البشير[١] — هو أوفى تقويمٍ يصدرُ باللغة العربية من حيث الاتقان ودقة المعلومات وتنوّع الابحاث وضعهُ حضرة العالم الفاضل الأب لويس معلوف مدير جريدة « البشير » وصاحب قاموس « المُنجِد » وضمَّنهُ كلّ ما يُقال عن تواريخ السنة مع فوائد كثيرة في الجغرافية والتاريخ والمالية والفلك والصحة وآداب اللغة . ويزيد هذا التقويم اتقاناً سنةً فسنةً ، حتى يصحّ أن يُقال إنهُ يتدرّجُ شيئاً فشيئاً ليكون في اللغة العربية كتقويم هاشيت في اللغة الفرنسوية

* النظرات[٢] — هو مجموع المقالاتِ الشائقة ، والنبذ المستملحة التي نسج بردها ، ووشى طرازها الأديبُ المشهور السيد مصطفى لطفي المنفلوطي وقد نشرنا رأينا في الكتاب وصاحبهِ (الزهور مجلّد ١ ص ٨٠) ، وفي يدِنا الآن الطبعة الثانية من هذا السفر النفيس . فنهنئ المؤلّف برواج كتابهِ وإقبال الجمهور عليهِ

* ملخص التاريخ القديم[٣] — كتيّبٌ صغير جمع في صفحاته ملخّص تاريخ المصريين والفينيقيين واليونان والرومانيين والقرطاجنيين والفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية والدولة التركية ، كل ذلك بعبارةٍ رشيقة وأسلوبٍ جميل يدلُّ على براعةِ المؤلّف المتستّر

---

(١) مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت
(٢) طبع بمطبعة الجمالية في مصر وثمنه عشرون غرشا
(٣) مطبعة المعارف في مصر

* تاريخ حربَي البلقان[1] — للكاتب السياسي البليغ يوسف افندي البستاني نظرات دقيقة في السياسة وقد أكسبهُ طول عهده بالصحافة اطلاعاً واسعاً ، وخبرةً تامة . فلما شبَّت الحرب البلقانية شرع يتتبَّع حوادثها ، ويستقصي أخبارها من أصدق الموارد ويدرس باعتناءٍ كلَّ ما يقولهُ كتَّاب اوروبا فيها حتى وقف على دقائقها وتفهَّم أسرارها . فأخذ حينئذٍ بكتابة تاريخ لها جامعٍ لأسبابها ووقائعها ونتائجها ، فجاءَ كتابهُ في اكثر من ثلاثمائة صفحة حافلة بكل الفوائد التي تقتضيها كتابة التواريخ ومحتوية على خريطتين ونحو أربعين رسماً. فنلفت الأنظار الى هذا الكتاب المفيد . ولعلَّنا ان نعودَ الى الكلام عنهُ في جزء قادم لإيفائهِ حقَّهُ

* كيف ينهض العَرَب[2] — عنوان رسالةٍ وضعها الأديب عمر افندي الفاخوري ضمَّنها شذرةً تاريخية في عوامل نهوض العرب وأسباب سقوطهم ، ودعا قومه الى شدّ أواصر العنصرية العربية واعتناق هذا المذهب السياسي دون نظرٍ الى مِعتقدهم الديني ، وقد بيَّن أن العَرَب لا ينهضون « إلاَّ اذا أصبحت العربية ، أو المبدأُ العربي ، ديانةً لهم يغارون عليها كما يَغارُ المسلمون على قرآنِ النبي الكريم ، والمسيحيّون على انجيل المسيحِ الرحيم الخ » هذه الفكرة يسعى الى تعميمها فريقٌ من أنصار الاصلاح في البلاد العثمانية ، وقد بدأ بصيصُ نورِها يلمَعُ من أنحاء مختلفة

(١) يطلب من مكتبة المعارف ومن المؤلف وثمنه ١٥ قرشاً صاغا

(٢) طبع في المطبعة الأهلية في بيروت . ويطلب في مصر من مكتبة المنار وثمنه غرشان

* بين اليمن والشام — عنوان قصيدةٍ غرّاء من نوع الشعر القصصي نظم عقدها حضرة الشاعر الكبير شبلي بك ملاَّط مندوب أُدباء سوريا في حفلة تكريم خليل افندي مطران . وهي قصةّ غرام حدثت وقائعها في عهد الخلفاء الأمويين فسبكها حضرتُهُ بقالبٍ سهل المأخذ رصين التركيب وطبعتها جريدة المراقب الغراء في بيروت

* مفكّرة المعارف — صدرت هذه المفكرة الشهيرة لسنة ١٩١٤ وهي صغيرة الحجم كبيرة الفائدة وتمتاز عن غيرها بما أُضيف اليها من الآيات والأمثال الحكمية في ذيل كل صفحة وتاريخ أشهرَ الاختراعات والاكتشافات وضبط الأعياد الدينية والمدنية . وهي مطبوعة على ورق جيّد ومجلَّدَة تجليداً متقناً وثمنها أربعة غروش صاغ وتُطلَبُ من جميع المكتبات في مصر

* مجلة فرعون — توفيق افندي حبيب من أعرفِ الكتَّاب بشؤون مصر وحوادثها الخصوصية ، يعرف منها كثيراً ويروي ما يعرف بأسلوبٍ خفيف يلذّ القارئ ويُسلّي المطالع . وقد أعاد في هذ الآونة إِصادر مجلتهِ « فرعون » التي وقفها على البحث في أحوال الطائفة القبطية وشؤونها الاجتماعية . فنتمنى لها رواجاً ومكاناً رفيعاً في عالم الأدب

منشىء المجلة
انطون الجميّل
الزهور
المدير المسؤول
امين تقي الدين
الجزء الثامن ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٣ السنة الرابعة

الاوقاف في القطر المصري

تاريخها ونظامها وناظرها الجديد[1]

أُنشئَ ديوان الأوقاف لأوَّل مرَّةٍ على عهد المغفور لهُ محمد علي باشا الكبير جدّ الاسرة الخديوية بموجب الأمر الصادر سنة ١٢٥١هـ=١٨٣٥م. وما لبث أن صدر أمرٌ بالغائهِ بعد ثلاث سنوات . ثمَّ أُلِّفَ للمرَّة الثانية فى ١١ رجب سنة ١٢٦٧ هـ = ١٨٥١ م بناءً على قرار المجلس الخصوصي الذي صدر بأمر المرحوم عباس باشا الأوَّل . وكان هذا القرار يشتمل على عشر موادّ ، خلاصتُها :

« أن يُطلبَ من نظَّار الأوقاف الخيرية بيانٌ عن أعيان الأوقاف الجارية في نظارتهم وما يتجمَّعُ من إيرادها ووجوه إنفاقها ، وما يفضلُ بعد ذلك منها لمراجعتها . وأُطلِقَ على ذلك اسم « المحاسبات » ؛ وأن يكونَ النظَّارُ مسؤولين عما يحدثُ من العجزِ في الأعيان ، وأن يُحالَ

(١) اعتمدنا في المعلومات والارقام التي نوردها في هذا المقال كتب الاحصاء الرسمية وتقويم الحكومة المصرية وتقرير ديوان الأوقاف ·

أمرُ من يُخالِفُ منهم شرطَ الواقفِ الى المحكمة الشرعية ، حتى إذا ثبتَ للقاضي اختلاسهُ ، عزلهُ وولىّ بدلاً منهُ ؛ وأن تتكفَّل الحكومةُ بنفقات الديوان من ماهيَّات المستخدمين وغيرها ، لأنَّ شرطَ الواقفين يقضي بأن لا يُنفَقَ شيءٌ في أي وجهٍ كان ممَّا لم يُعيِّنْهُ الواقفُ »

واستمرَّ الديوانُ في مراجعة المحاسبات الواردة من نظَّار الأوقاف لغاية سنة ١٢٧٥ هـ = ١٨٥٨ م إذ أحيل اليهِ بعضُ أوقافٍ ذات إيراد فقضت الحاجةُ حينذاك بإنشاء خزانةٍ خاصَّةٍ بهِ

وفي السنة التالية صدَر قرارٌ آخرُ على عهد المرحوم محمد سعيد باشا يقضي بأن يُنفَقَ من خزانة الأوقاف ماهيَّات المستخدمين مباشرةً ، وأن تُسدِّدَ المالية للديوان قيمة ما يُنفقهُ في هذا الباب

وفي سنة ١٢٧٧ هـ = ١٨٦٠ م صدرَ أمرٌ عالٍ جاء فيهِ : أنَّ نفقاتِ الديوان تبلغ ٤٧٧٠٢ قرشاً يؤدّي ديوانُ الأوقاف منها ١٩٢٣٤ قرشاً ونصف قرش مما يخصصه على ايرادات الأوقاف التي يبلغ ايرادها ٩٨٨٩٦ قرشاً ، وتدفع خزانة الحكومة الباقي

ثمَّ صدر قرارٌ ثالث سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٣ م على عهد المرحوم اسماعيل باشا خديوي مصر الأسبق متوَّجاً بأمرٍ عالٍ يقضي بأن يُنفِقَ الديوانُ في ماهيَّات مستخدميهِ مبلغ ٢٠٤٧٠ قرشاً ، وأن تُنفِقَ الحكومةُ مبلغ ٢٠٣٥٠ قرشاً . وباشر الديوان صرف الماهيَّات من خزانتهِ ، ووضعها ضمن النفقات التي خصَّصها على ايرادات الأوقاف

ومن هذا العهد أخذ ديوان الأوقاف ينمو ويزداد في الارتقاء ، لأن

أوقافاً كثيرة من مصر والأقاليم أُحيلت اليهِ ، وذلك بعد صدور الفتوى الشرعيــة بأنّ كلّ ناظرِ وقفٍ يموتُ أو يختلسُ يُحال ما تحتَ يدِهِ من الوقف الى الديوان . وأول ما اتّصل بهِ من هذا القبيل ما كان من الوقف تحت إدارة ذنون آغا دار السعادة بأمرٍ من الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٢٨٠ هـ = ١٨٦٨ م . وفي السنة نفسها أُضيفت الى الديوان أوقاف الحرَمين بعــد أن كان لها ديوانٌ خاصّ تحت نظارة المرحوم ابرهيم أدهم باشا . وما زالت الأوقافُ تُحال الى الديوان وقفاً بعد وقف حتى أربت على المئة وقفٍ في سنة ١٢٨٩ هـ = ١٨٧٣ م

وفي تلك السنة صَدَرَ أمرٌ عالٍ بانتخاب خمسين شخصاً من نجباء الطلبةِ ، من سنّ العشرين الى الثلاثين ، بعــد امتحانهم ليكونوا معلّمين للّغة العربية والتركية في المدارس الأهلية ، وأن يُدرَّسوا هم في دار العلوم الملحقة بالكتبخانة ما يلزم لإتمام دروسهم ، وأن يُعيَّنَ لـكلّ منهم مدّة التعليم مئةُ قرشٍ شهرياً . وكان ذلك أولَ ما درج بهِ ديوانُ الأوقاف من الأعمالِ الخيريةِ في المنفعةِ العامّـةِ

ولما اتسعت دائرة أعمالِ الديوان ، وأصبح مصلحةً مهمّـةً ذات أقلامٍ عديدة رأى أُلو الأمر أَن يحوّلوهُ الى نظارةٍ سنة ١٢٩٦ هـ = ١٨٧٩ م ، وعيِّن محمود سامي باشا البارودي المشهور ناظراً للأوقاف في وزارة رياض باشا . وهكذا جُعِل ديوان الأوقاف لأوّل مرّة نظارةً من نظارات الحـكومة كما جُعِل الآن

ثمّ صدر أمرٌ عالٍ في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٤ باعادة نظارة الأوقاف

مصلحةً قائمةً بنفسها . ومفادُ ذلك الأمر أنهُ من الواجب أن تكونَ الأحكام المختصَّة بمسائل الأوقاف مطابقةً للأحكام الشرعية ، فلا ارتباطَ لها بالنظارات الموكول اليها النظر في الأمور الإدارية والسياسية ؛ ولذلك اقتضت الإرادة جعلها إدارةً قائمةً بذاتها وأن تكون الأوامر التي تصدرُ بشأنها من الجناب العالي مباشرةً

وفي سنة ١٨٩٥ وُضِعت لديوانِ الأوقافِ لائحةٌ يجري عليها ويرتبطُ بقيودها ، وقضت تلك اللائحةِ بوضعِ ميزانية منتظمة على الطريقة التي تسير عليها الحكومة في ميزانيتها

ولمَّا أخذت المالية في مباشرة هذا الأمر وجدت أمامها عقبةً حائلةً دون الوصولِ الى الغرَضِ ، وهي أنهُ كان في ديوان الأوقافِ حسابٌ خاصٌّ بكل وقفٍ ، فكانت الطريقة الحسابية عبارةً عن حساباتٍ متعدِّدةٍ بقدر عدد الأوقاف التي تحت إدارتهِ ، وكان لا يستطيعُ وفاءَ ما يظهرُ من العجزِ في إيرادات الأوقافِ الفقيرة بأخذهِ عن زيادةِ إيرادات الأوقاف الغنية . فصدر أمرُ مجلس النظَّار بتعيين لجنةٍ من العلماءِ لدرس المسألة وتوحيد الحسابات . وصدرت الإرادة السنية سنة ١٨٩٦ باتّباع الطريقة التي أفتى بها العلماء ، وهي أنَّ الأوقافَ الخيريةَ تنقسمُ أقساماً بحسب وجوهِ إنفاقها ، وأنَّ ما يزيدُ في إيرادات تلك الأقسام عن نفقاتها بعد وفاء ما يظهرُ من العجزِ في أيّ قسمٍ من أقسامها يتكوَّن منهُ مالٌ احتياطي لا يمكن التصرُّف فيهِ إلاَّ بأمرٍ عالٍ يصدرُ بناءً على طلب مدير الأوقاف بعد أخذ رأي مجلس الإدارة أو المجلس الأعلى حسب الحال .

وقد استثنيت من ذلك أوقاف الحرَمين

وبناءً على المادّة ٥٧ من اللائحة ، انتدبت نظارة المالية حضرة جورج بك طلاماس لمراجعة حسابات الديوان، فوُضعت نماذج الدفاتر والاستمارات للأعمال الحسابية بالاتفاق بين المندوب ورجال الديوان

وقد نصّت اللائحة الصادر بها الأمر العالي المؤرَّخ في ١٣ يوليو سنة ١٨٩٥ على اختصاص الديوان بما يأتي :

١ً — إدارة الأوقاف التي تؤول الى الخيرات وليس النظر مشروطاً فيها لأحد

٢ً — إدارة الأوقاف التي لا يُعلَمُ لها جهة استحقاق

٣ً — إدارة الأوقاف التي ترى المحاكم الشرعية وجوب إحالتها الى الديوان موقتاً بضمّ مديرهِ ناظراً مع ناظر الوقف

٤ً — إدارة الأوقاف التي يُقامُ الديوان حارساً قضائياً عليها

٥ً — ادارة الأوقاف التي يَرغبُ نظّارها ومستحقوها في إحالتها الى الديوان من تلقاء أنفسهم

أمّا الوظيفة الدينية والأدبية التي يُؤدّيها ديوان الأوقاف فإنّهُ يُقيم الشعائر الدينية في المساجد، ويُنفّذُ شروطَ الواقفين في وجوهِ البرّ التي عيّنوها ، ويبذلُ المساعدةَ على نشر التعليم بالمدارس والكتاتيب والمعاهد العلمية ، ويُديرُ ملاجئ أُنشئت للعجزةِ والبائسين ، ومستشفيات وعيادات طبية مفتوحة للفقراء مجاناً ، ويمدُّ بالمرتبات السنوية عدّةَ جمعياتٍ خيرية ومدارس صناعية ، ويتولّى بالصدقات الشهرية مؤاساة كثيرين

من أهل البيوت ذوي الخصاصةِ ممن أخنى عليهم الدهرُ بصروفهِ ، ويتصدَّقُ أيضاً على الفقراءِ وابناء السبيل في أيام المواسم والأعياد

أمَّا إيراداتُ الأوقاف فقد بلغت في سنة ١٩٠٢ — ٢٤٦٠٠٠ جنيه مصري ، وبلغت في العام الماضي ٥١١،١٠٠ جنيه ، فتكون الزيادة في مدة عشر سنوات ٢٦٥،١٠٠ جنيه

وقد زادت أيضاً النفقات تبعاً لنموِّ الإيرادات ، فإنها كانت منذ عشر سنوات ٢٠٩،٣٦٢ جنيهاً فبلغت في العام الغابر ٤٨٠،٨٠٥ جنيهات

ويُدير ديوانُ الأوقاف ١٤٣٥ مسجداً في القطر المصري ، منها ٥٣٠ مسجداً في مدينة القاهرة وحدها . ويبلغ عدد خَدَمَةِ هذه المساجد ٨٠٤٧ بين مشايخ ومدرّسين وأئمة وخطباء ومؤذّنين وميقاتيين وقرَّاء وملاحظين

أمَّا المعاهد العلمية الدينيـة التي يُنفق عليها الديوان فهي الجامع الأزهر(١) ومشيخة علماء الاسكندرية(٢) ومشيخـة الجامع الأحمدي(٣) ومشيخة الجامع الدسوقي ومشيخة علماء دمياط(٤) ، فيها ٦٤٠ عالماً ونحو ٢٠،٥٠٠ طالب

(١) انشئ الجامع الازهر بأمر جوهر القائد عامل الخليفة الامام المعز لدين الله رابع خلفاء الفاطميين وكان الفراغ من بنائه سنة ٣٦١ هـ = ٩٧٢ م

(٢) في ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٣ صدرت ارادة سنية من الجناب العالي الخديوي عباس باشا حلمي الثاني انشاء معهد علمي في الاسكندرية يكون التدريس فيه ملحقاً بنظام التدريس في الجامع الازهر

(٣) انشأ هذا المسجد الشيخ عبد المتعال بعد وفاة شيخه العارف بالله السيد احمد البدوي سنة ٦٧٥ هـ وجدّد بناءه علي بك الكبير احد ولاة مصر سنة ١١٨٣ هـ

(٤) أسس هذا المعهد في ثغر دمياط الملك الأشرف السلطان قايتباي حوالى سنة ٨٨٠ هـ

ويتبع ديوان الأوقاف ١٥١ مكتباً محالة ادارتها الى نظارة المعارف العمومية مقابل مبلغ ٢٤,٦٧٧ جنيهاً يدفعهُ الديوان للنظارة . ويصرف أيضاً مبلغ ١٥٠٠ جنيه بصفة اعانات لمدارس يُراقب إدارتها ، هذا عدا الاعانات المخصَّصة لبعض المدارس الأهلية

وللأوقاف ١١ مستشفى وعيادةً طبية يُنفق عليها في السنة نحواً من ١٧٠٠٠ جنيه ، وهي مستشفى الجذام ومستشفى الأزهر ومستشفى قلاون ، وعيادات المنشية ومصر القديمة وبولاق وطنطا والاسكندرية والبعثة الطبية الحجازية ومخزن الأدوية العمومي والمستشفى العبأسي

ويُدير الديوان من التكايا والملاجئ : تكية المدينة المنوَّرة ، ومكة المكرّمة ، وطره في مصر ، وتكية النساء في مصر أيضاً ، والقباري في الاسكندرية ، وملجأ الأطفال في مصر ، ويبلغ ما يُنفقهُ عليها في السنة ٢٢٠٠٠ جنيه تقريباً ، وعدد الفقراء والمعوزين الذين يقيمون فيها أو تُصرف لهم الأغذية منها ٧٢٤٥

وتبلغ الإعانات التي يمنحها في السنة للمدارس والجمعيات الخيرية حوالي ١٣٥٠٠ جنيه ، منها ٥٠٠٠ جنيه للجامعة المصرية ، و١٠٠٠ لجمعية رعاية الأطفال ، و٢٠٠٠ لملجإِ الأيتام بالاسكندرية ، و١٠٠٠ لمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية ، و٥٠٠ للكتبخانة و٥٠ لجمعية الرفق بالحيوان . الخ

ويُدير ديوان الأوقاف ، غير الأوقاف الخيرية وأوقاف الحرَمين الشريفين ، أوقافاً أهلية تُحال اليهِ ، بعد تقريرهِ في النظر عليها من قِبل القضاة الشرعيين . وتبلغ هذه الأوقاف ٤٦٥ وقفاً ، يأخذُ الديوان من

مواردها ١٠ في المئة رسم إدارة بموجب لائحة الإجراءات ويُديرها كما يدير الأوقاف الخيرية سواء بسواء

***

هذا ما يسمحُ المقام بذكرهِ عن ديوان الأوقاف الذي صدرت الإرادة السنية في الشهر الغابر بتحويلهِ الى نظارةٍ من نظارات الحكومة يرأسها الوزيرُ الهمام المدبّر أحمد حشمت باشا ناظر المعارف السابق . ويرى القارئ مما تقدّم أنّ المجالَ واسعٌ لرجلٍ كحشمت باشا أن يسير بالأوقاف على المنهاج الذي سار بهِ في المعارف، فانهُ بعث اثناء السنوات القلائل التي قضاها في تلك النظارة روحاً جديدة في اللغة العربية بتنشيطهِ التأليف في هذه اللغة ، وتوسيع التعليم بها ، وبتقريبهِ كتّابها وأُدباءها وشملهم برعايتهِ وتزويدهم بارشاداته ونصائحه ، فرأينا نهضةً حقيقيةً للتأليف في فروع العلوم والآداب كافةً ، ولا شكَّ في أن تاريخ النهضة الحديثة في الآداب العربية سوف لا ينفكُّ مقروناً باسم حشمت باشا . والآمال معقودة الآن على همة هذا الوزير العامل بأنهُ سينهض بالأوقاف ويزيدُ في نموّها ومنفعتها إدارياً وأدبياً ، فنرى لهُ فيها من المآثر ما رأينا لهُ في المعارف، فلا يُلاقي غداً إلاّ ما لاقاهُ بالأمس من الثناء على همتهِ البعيدة ، وإطراء إدارته الرشيدة

رحلة صيف[1]

ذهبتُ الى الاسكندرية، وفي تقديري أن أقضيَ ثمَّتَ يومين، وفي تقدير الله أن أقضيَ شهرين. فما هو إلاَّ أن خلَتْ ليلةٌ حتى باغتني داءٌ، فضربَ وأثقل، ثم تمكَّن فأعضل، ثم أناخَ بكلكل. فلمَّا صحوتُ بعد أيام من سكرتهِ، ونجوتُ من مضطرَب غمرتهِ، نهضتُ ببقية الجسم الباقية، كما تُلبس الخرقة البالية، وعرضتُ نفسي على الباخرة، فالباخرةُ تحملني إمَّا الى الشرق وإما الى الغرب. فقيل: مكانَك يا هذا الخيال! إنَّ الباخرةَ لا تستقلُّ بك في زمن وباءٍ، وقد تستقلُّ بأشباه الجبال

قال الطبيب: فعليك بالمكس! حَسُنَ هواؤها، وجلَّ رواؤها. فقصدتُ المكس وما ادراك ما هي الآن

هي إحدى ضواحي الاسكندرية، قليلةُ المساكن حقيرتها، تمتدُّ سلسلة أبنيتها مستطيلةً بين شاطىءِ البحر والرمل. الهواء فيها جافٌّ نقيٌّ عاصف، والبحرُ شديد الخفوق لا يملُّ من مداعبة الصخور بمثل خشونة الضواري في تداعُبها. والمنظر على الجملة بديعٌ في مطلع الشمس وفي مغربها؛ وللشمس فيها تجلّياتٌ باهرةٌ خلالَ الغمام، وللغمام تشكُّلٌ وتلوُّن فاتنان، وللأفق تأنُّقٌ عجيبٌ في ترتيبٍ قدر المنطقة التي يتحزَّم بها وابرازها في ابدع زينـةٍ بين الورديّ فالبنفسجيّ فالفستقيّ فالزمرديّ فاللازورديّ

(١) كتبت هذه المقالة في نوفبر ١٩٠٢

فالسنجابيّ ، فما بينها من الالوان التي تُلطف اجتماعها وتزيدها بهاءً على التنويع

ومن محاسنِ المكس أنَّ الحكومةَ مهملتُها ، فهي من أجل هذا لم تزل قطعةً من الطبيعة يعيشُ فيها الانسان ، كما يُحبُّ أن يعيش المتمتع طالبُ الراحةِ . فاذا مرَّ في طريق ، فالطريقُ غيرُ ممهَّدَة ولا مستقيمة ولا محفوفةٍ بصفَّين من الشجر يحجبان النظرَ ، كما تُحجبُ عيون الخيل التي تجرُّ المركبات ؛ بل هي ضيِّقةٌ فواسعة ، صاعدةٌ فمنحدرة ، رملية فحجرية ممتدَّةٌ فمنعطفة ، فيها للسائرِ ما لا يألفهُ فيستجدُّهُ كلَّ آنٍ . وفيما حولها من المسافات المفتوحة ما ينطلق معهُ النظرُ على مدى البحر الفسيح تارةً ، وعلى مدى الرملةِ الوعساء طوراً

رأيتُ في خلال إقامتي بالمكس بعضَ الأشياء التي تجدرُ بالذكر

رأيتُ الملاَّحاتِ وعلمتُ للمرَّةِ الاولى علمَ الشهادةِ والتحقيق كيف يُصنَعُ هذا « المصلح » الذى يُصلِح غذاءَنا ، وينزلُ من حاجيَّات حياتِنا في المنزلة الأُولى ، حتى أن الأمصارَ التي لا يُوجد فيها وتستوردُهُ من بعيد على ظهور الدواب تتداول قطَعَهُ تداولَ النقود

واني لاستحي أن أصف بالدقة كيف يُصنع الملحُ ، لأنَّ أجهلَ الناسِ يتصوَّرُهُ . ولكنني لا أخاف القولَ إنَّ البلادةَ مستحكمةٌ في قلوبنا ، نحن الشرقيين ، متمكنةٌ من لحمنا ودمنا الى حدّ أنَّنا لا نتكلَّفُ الرؤيةَ ولو عن كَثَبَ ، لنعلمَ مِن دقائق الأمر ما لم يُلمَّ بهِ تصوُّرُنا إلماماً تاماً من مجرَّد الأخبار

رأيتُ أيضاً مصطنعَ الحجارةِ الضخمة المربَّعةِ التي تُعَدُّ لإتمامِ جدارِ الرصيف الشرقي بالاسكندرية، وقد تمَّ منها ألوفٌ يجدُها الناظرُ معروضةً على خَطٍّ مُستطيل، وهي تُحمَلُ على ظهورِ البواخرِ بواسطةِ مرفعةٍ بخاريةٍ منصوبة على رأس صخرة متقدِّمة في البحر

رأيتُ حيث ينتهي النظر من المكس شبه قريةٍ ذات خضرةٍ تدعى « العجمي » عاقني عن تفقُّدها ضعفُ الجسم؛ فسألتُ أحد ساكنيها، فقال إنَّها لا مزيَّةَ لها عن سائر القرى المجاورة الَّا بشيءٍ: وهو أن البحرَ يمدُّ هناك ذراعاً، ثمَّ يعطفهُ عطفة الضمّ والتطويق، فينزع قطعةً من الأرض عن أمِّها، ويُحدث منها جزيرة. وفي الجزيرة مقامٌ لوليٍّ يُعرف بالعجمي، وهذا المقامُ غاصٌّ بالمراكب الصغيرة المُهداةِ اليهِ نذوراً، والنواتي يعتقدون أنهُ شفيعُهم، وأنهُ ببركة هذه النذور يرقُّ لهم ويُنقذهم من أخطار البحر

ما أحوجَ الانسانَ الى الإيمان!

هذا كلُّ ما رأيتهُ من جانب؛ أمَّا من الجانب الآخر، وهو الذي ينتهي اليهِ « الترام » قادماً من الاسكندرية، فالذى استلفتني أمران:

أحدهما وجودُ حمَّام هناك واسع متقن، ومنتديَين للشرب، هذا من خشبٍ قائم فوق الحمَّام، وذاك مبنيٌّ من الحجر على شكل سرادق رحيب، بينهُ وبين الحمَّام خطواتٌ. وفي كل مساءٍ يستقدم أصحاب هذين المنتديَين جوقتي موسيقى لإطراب الحضور، الواحدة منهما أرمنية تضرب ألحاناً شرقية وألحاناً غربيـة، والأُخرى إفرنجية تضربُ ألحاناً افرنجية

مختارة باتقان لا تبلغهُ الأولى. ولكنَّ الحانة الأولى التي فوق الحمَّام يزدحم الناس فيها ألوفاً كلَّ يوم ، بخلاف الأخرى التي بجانبها ، فلا يجتمع فيها الاَّ أفرادٌ . ولو شئتُ أن أُفصّل أسباباً لنجاح هذه وفشل تلك ، لفعلت؛ ولكنَّ مذهبي أن السبب الذي ترجع اليه تلك الأسبابُ بجملتها هو نفس السبب الذي تشقى به أحياناً أمةٌ صالحةٌ وأرضٌ خصبة وعملٌ متقَن ، وتسعد بهِ أمةٌ فاسقةٌ وأرض قحلةٌ وعمل ناقصٌ . فسمِّهِ ماشئت

ويذكرني نجاحُ قهوةِ الحمَّام قهوة أخرى أنشئت في المنازل منذ تسع سنين ، اي حينما مُدَّ الخطُّ الحديديُّ الى المكس ، فكناَّ إذا شئنا التنزُّهُ ركبنا القطارَ الى المنازل ، ووجدنا الناسَ مزدحمين وقوفاً وجلوساً ، والمكاسبُ تتدفقُ على صاحب المكان من كلّ صوب . فلما افتقدتها هذه المرَّة وجدتُ خربةً ساكنة يتحرَّك في بعض جوانبها آناً بعد آن فاعلٌ يحمل تراباً أو صانعٌ يضربُ قطعة خشب ، كما تتحرَّك الجرذانُ الجسيمة في بعض الخرائب العتيقة

ذلك أنَّ وجود«الترام»قتلها ، لأ نهُ عطَّل الخط الحديدي، فأبطلهُ ، و « الترام » لا يمتدُّ اليها ، بل هو بعيدٌ عنها .فأيُّ سببٍ نردّ اليه أمثال هذه الانقلابات التي تكون في عالم الغيب ثم تفاجئ من حيث لا تظن

أما الأمر الثاني الذي استوقفني وشجاني ، فهو ما رأيتهُ على كثيبٍ ممتدٍ شبه القتَبْ بين البحر وبين طريق « الترام » من المدافع القديمة ادوات الدفاع عن مدخل الثغر

تدلُّ مراكزُ هذه المدافع على انها كانت منصوبةً وراء القتَب ، كما

تُنَسِّقُ الإِبَرُ في ورَقَتِها، وكلُّها من الطراز الضخم ، اذا اقبل عليها الناظرُ من بعيد ظنَّها بعض الوحوش الضارية من اسدٍ ونمرٍ وفهدٍ ،فاذا دنا منها لم تزُلْ مهابتها من قلبه ، ولكنه رأى الموت قد مدَّ عليها كفناً من اشعّة النهار وانداءِ الليل،ثم طبع عليها اصابعَهُ،فهي منقَّطة بنقط صفراءنحاسية، وخضراء طحلبيّة ، على قشر عاتم صادئ ، ومنها ما انكسرت له ساق ، فانقلب على جانبهِ، ومنها ما اصابتهُ ضربة في شفتهِ ، فانشقَّت والتوَت ، ومنها ما أدلى بعنقهِ الطويل الى التراب كأنه يعضُّهُ في احشائهِ

منظرُ موتٍ وخراب وعار .

دنوت من هذه الاشياء وانا اسيفٌ أُرسل النظرة الى الغيب ،فأرى بها أُمم الشرق كلَّهامجتمعة تدبُّ دبيب الحشرات لاصقةَ الجباه بالارض من الضعف والجبن ودناءة المطالب ، وأطلق الزفرة من صدري ، فأؤبن بها مجداً عظيما ملأ العالم زمناً ، ثم دفنهُ ذووه في بعض زوايا التَّرك والاهمال ، ووكلوا الى الذين اُبتلوا بهِ قديماً أمر البحث عنهُ وجلاءِ آثاره التي غالهـا الصدأُ وغشيهَا نبات النسيان ، حتى نخرها الى الصميم، واذرفُ العبرة فأبكي سماءً اُنطوت طيَّ الجلباب ، ونجوماً غارت في التراب ، ومعالم عامرة صارت الى تباب

ثم وضعتُ رجلي على عنق الكبير من تلك الضواري الجامدة ، وأثقلتُ وطأتها عليهِ وقلتُ : يا ايها الأسد جُعِلْتَ للزئير فاستنبحوك ، وللافتراس فكمّوك ، وللوثب فقيّدوك؛ فلينسجِ العارُ عليهم مثل ما نسج على جلدك .فاذا نهشتك الايامُ نهش الكلاب الشلوَ ، فليشهد عليهم كلُّ

أثر في البلاد من بعدك . فانهم خفضوا رايةً ، واضاعوا جيشَ بَرٍّ ، وأغرقوا اساطيل بحر ، وأذلوا أمة ، وأضاعوا وطناً

هذا كل ما في المكس من قديم وحديث وهو قليل ؛ غير ان مناظر الطبيعة فيها غاية ما يُتمنَّى ؛ ونقاوة الهواء وصفاء الطبع وسلامةُ المعيشة من المصطلحات المزعجة المتعبة افضلُ وسائل التعافي والسرور ونشاط النفس

خليل مطران

***

الزهور — في « ديوان الخليل » بضعُ صَفَحاتٍ شعريّةٍ عنوانُها « حكاية عاشقَين » بدأت في سنة ١٨٩٧ وانتهت في سنة ١٩٠٣ . والمقالةُ التي نشرناها في الصّفحاتِ السابقة انّما كتبها « خليلٌ » في أوخر عهدِهِ بتلك الحكايةِ يومَ ذهبَ الى رَملِ الاسكندرية مستشفياً من داءٍ كانا قد ألمّا بهِ ووصفَهما وصفاً بديعاً ملئهُ عواطفُ نفسٍ حزينةٍ يائسةٍ في قصائدَ من أجود الشعر نختارُ الأبياتَ التالية من إحداها ؛ قال :

إنّي أقمتُ على التعلّةِ بالمُنى	في غُربَةٍ قالوا تكونُ دوائي
إن يَشفِ هذا الجسمَ طيبُ هوائِها	أيُلطِّفُ النّيرانَ طيبُ هَواءِ
عَبَثٌ طوافي في البلادِ وعلّةٌ	في علّةٍ مَنفايَ لاستشفاءِ
متفرّدٌ بصبابتي متفرّدٌ	بكآبتي متفرّدٌ بعنائي
شاكٍ إلى البحرِ اضطرابَ خواطري	فيُجيبني برياحِهِ الهوجاءِ
ثاوٍ على صخرٍ أصمَّ وليتَ لي	قلباً كهذي الصخرةِ الصمّاءِ
يَنتابُها مَوجٌ كمَوجِ مكارهي	ويَفتُّها كالسُّقم في أعضائي
والبحرُ خفّاقُ الجوانبِ ضائقٌ	كَمَداً كصدري ساعةَ الإمساءِ

تغشى البريّةَ كدرَةٌ وكأنّها صعِدتْ الى عينيَّ مِن أحشائي
والأُفقُ مُعتَكِرٌ قَرِيحٌ جفنُهُ يُغضي على الغَمرَاتِ والإقذاءِ

* * *

ولقد ذكرتُكِ والنّهارُ مُودِّعٌ والقلبُ بينَ مَهابةٍ ورَجاءِ
وخواطري تبدو تجاهَ نواظري كَلْمى كداميةِ السَّحابِ إزائي
والدَّمعُ من جفني يَسيلُ مشعشَعاً بسنى الشعاعِ الغاربِ المترائي
والشمسُ في شفَقٍ يَسيلُ نُضارُهُ فوقَ العَقيقِ على ذُرًى سوداءِ
مرّت خلالَ غمامَتينِ تحدُّراً وتقطّرتْ كالدَّمعةِ الحَمراءِ
فكأنَّ آخِرَ دَمعةٍ للكونِ قد مُزِجَتَ بآخرِ أدمعي لرِثائي
وكأنني آنستُ يَوميَ زائلاً فرأيتُ في المرآةِ كيفَ مسائي

الإنتقاد

بينَ نَقْدِ المؤلّفات هنا، ونقدِها هناك فرقَان : أحدُهُما يتعلّق بالنّاقِدِ والآخر يتعلّق بأثر النقد في الأذهان . أمّا الأوّل فهو أن الناقد هناك ينتقد الكتاب من حيث ذاتِهِ؛ فلو لم يكن للكتاب صَاحِبٌ لا تنقدَهُ، وهنا ينتقدهُ باعتبار شخص مؤلفِهِ . أي أنهُ ينتقِدُ الكتاب بل صَاحبَ الكتاب في كتابه . وأمّا الثاني، وهو أثرٌ طبيعي للأوّل، فهو أنَّ للانتقاد هناكَ أثراً ظاهراً في الكتاب من حيث رواجه وكساده، وشهرتِهِ وخمولِهِ . فكما يقول المنتقد يقول الناس بقولِهِ . وهنا يمرُّ الانتقاد بالاذهان مرًّا فلا يبقى من آثارهِ فيها إلاّ أثرٌ واحد وهو أن الكتاب جليل القدر سني القيمة ! !

مصطفى لطفى المنفلوطى

انيبال (١)

هو قائد من أهل قرطجنة ولد فيها سنة ٢٤٧ قبل المسيح ومات سنة ١٨٣

يجدرُ بنا أن نعرضَ عن الكلام في حياة الاسكندر المكدوني الذاهبة على غير طائلٍ وجدوى ، ونأخذَ في ذكر حياةٍ لا يفضلها حياةٌ نبالةً وحماسةً : ألا وهي حياة القائد انيبال فنقول :

هو الرجلُ الذي أتاهُ اللهُ جميعَ مواهبِ العقلِ ، وجودةِ الطبع ، وزيّنهُ بأفضلِ ضروب الاستعداد التام لإتيان أشرفِ المساعي ، وأسمى الاعمال الخطيرة

وُلدَ في بيت قادةٍ اشتهروا بالذود والدّفاع عن استقلال مدينتهم ، حتى الممات . وكانت روحهُ كأنها نوعٌ من المعدن قد صيغَ في وسط اتون البغض والحقد المتّقد حول رومة بجزلِ مطامعها . واذ بلغ التاسعةَ من عمره فارقَ قرطجنة وصحب أباهُ الى حيث كان مثوى اجداده قصدَ ان يحيا و يموتَ في محاربة الرومان . فدلَّ ذلك ان الأعمال الحربية كانت مرتاد أمانيهِ ومرمى همهِ . فاعتاد منذ صغره الرُّقادَ في ساحات الوغى ومواطن القتال ليكفى بهذا الاعتياد الوجعَ في عُنُقهِ من تعادي خَشنِ الوساد ، وفي سائر جسمه التبرُّم من الاضطجاع على مثل شوك القتاد وليأمن مظانَّ المخاوف ، ويتمرَّنَ لبُّهُ على تدبُّر الأعمال الحربية بحيث يكونُ ، في أعظم الأهوال وأشدّ الحروب ، أفضلَ من غيرهِ في أصفى الأحوال والأوقات . ثم بعدَ وفاةِ أبيـهِ « أميلكار » العظيم ، وصهرهِ « أسد روبال » اللذين قضيا نحبهما قتيلين في حومات الوغى ، انتخبه الجيشُ القرطجني قائداً عاما ، مع أنَّ سنيهِ لم تتجاوزِ الست والعشرينَ اذ ذاك ، خلافاً لرأي مجلس الملاء القرطجنى ، لأنهُ كان ينفسُ على بيت بركا — بيت انيبال — عظمَ مكانتهِ وشهرتهِ

ولما استولى انيبال على قيادة الجيش جعلَهُ مثلهُ ممتلئاً حقـداً وحنقاً على الرومانيين ، ومُحرزاً إقداماً وثباتاً بليغين . ثم زحف بهِ في أكباد اوروبا ، وكانت

(١) تابع المقابلة بين نابوليون ومشاهير الرجال

حينئذ مجهولةَ المسالك، كأواسط أفريقية الآن ، واجتازَ جبالَ « البيرينه » وجبال « الالب » في ثمانينَ ألفَ جنديّ ، وقد فقد منهم أكثرَ من خمسين ألفاً في مسيره الشاقّ الشاسع الخارق العادة ؛ واستمرَّ سائراً لا تصدُّهُ الصعابُ والعقباتُ المتنوعة اعتقادَ وجوبِ محاربةِ رومة في بلادها ، للتمكن من الاستحواذ عليها ، الى أن دخل ايطالية ، مشيراً على رومة أتباعها ورعاياها . فوثب على القواد الرومانيين واضطرَّهم الى مزايلة مراكزهم ومعسكراتهم الحصينة ومنازلتِهِ، بتظاهره باستصغار شأن بعض القوَّاد ، والاستخفاف بقلة شجاعتهم ، وبما زيَّن لكبرياء وخيلاء قوم آخرين منهم ؛ وما زال بهم حتى ظهر عليهم شيئاً فشيئاً وكاد يكبتهم ويقهرُهم كافةً ، لولا أن تصدَّى له قِرْنٌ مكافئ له في الشدّةِ والبأس ، وهو «فابيوس» الذي أشار بأنَّ من الواجب أن يُقاومَ هذا الجبارُ ليس بقوَّةِ السلاح في وقائع حرب لا يطمع منها بالغلبة عليهِ ، بل بفضل الثبات الذي هو من فضائل رومة الحقيقية

ولما رأى انيبال غلطةَ بانكالهِ على « الغالبين » لعدم ثباتهم ، وتحقق عدمَ إمكانهِ أخذ رومة ذهب الى جنوب ايطاليا ، وكانت البلادُ ثمَّةَ متمدّنة وحكوماتها متألفةً من مجالسِ أشرافٍ مستبدَّةٍ برعاع الشعب ، فخضد شوكةَ الشرفاء مع كونه شريفاً ، وسلّم مقاليدَ الحكومة الى الشعب ، وجعل مدينة « كابو » عاصمة حكومتهِ ، متباعداً نزيهاً عن الملاهي والملاذّ خلافاً لما توهم أو أوهم كثيرٌ من المؤرّخين ، اذ أنهُ لم يكنْ يعرفُ مواردَ الترَفِ والتلذّذ ، ولم يذُقْ طعمها في كل حياتهِ . ثم جدَّد نشأةَ جيشهِ وأغناهُ بمسلوبات فتوحِ البلدان . وما منعه خذلانُ أهل وطنهِ اياهُ ان استدعى اليهِ بشعوب الأرض وشبَّ الحربَ في اليونان وآسيا مستثيراً سكانَ الدنيا قاطبةً لمقاومة الرومان . وما زال مدَّةَ اثنتي عشرة سنة فاتكاً بكلّ جيشٍ روماني يخرُج لقتالهِ ، ولهُ من نفسهِ ناصرٌ معين ، وهو رابط الجاش ، رسوخ القدم في ايطاليا ، حتى أنَّ الرومانيين باتوا قانطين من جلائه عن بلاد ايطاليا

ولكن أتى يومٌ نقلوا فيهِ مراكزَ القتالِ ومواقفهُ الى أفريقية ، تحت أسوار قرطجنة ، فاستغاثت بهِ مدينتــه ، فخرج يقاتلُ العدو بجيشهِ المتضعضع جيشاً منظماً

جديداً ، فنكص جدُّهُ الباسق ونقص حظّه السابق ، فلم يجد بدًّا من ان يدين « لسيبيون » الجديد الطالع نزولا على حكم الدهر وتقلبات الأيام ، فعاد متحسراً متقطعاً الى وطنهِ ، وجعل يسعى في لمّ شعثهِ وإصلاح أحواله ، ليصيرَ قادراً على نزال الرومانيين كرةً ثانيةً . ثم وشى بهِ مواطنوه المتلبسون بالجور والاستبداد (تشيعاً للرومانيين) ، ففرَّ الى المشرق لائذاً بحمى « انطويوخوس » الكبير ملك سوريا . ثمَّ لجأ الى بلاط « بروز ياس » ملك بيثينيا ؛ فجدَّ في طلبهِ جماعةٌ من الرومان مناوئيه الى أن آيس من مداومةِ القتالِ ، فتناول سمًّا وقضى بهذا السبب . وهو آخرُ بطل من أبطال عشيرته لأنهم بأجمعهم ماتوا ميتةً أحراراً في سبيل هذا القصد المقدَّس ، وهو مدافعة التسلُّطِ الاجنبي ومقاومته

ومن الممتنع ايجادُ مظهرِ ضعفٍ في تضاعيف حياة هـذا الرجل العجيب المتحلي بكل مزايا المروءة والعقل والإقدام . أجل لا يستطاع التماسُ مثلِ هذا الضعف او هذه النقيصة . ونحن نحاول فيـه وجود ميل ذاتي كحبّ المال او الملذَّات او الطمع او غيره ولكن لا نجـدُ في الرجل الاّ ميلاً واحداً وهو بغضهُ اعداء وطنه . قد نسب اليهِ « تيت ليف » المؤرخ الروماني البخلَ والقسوة ولكن تهمتهُ هذه في غير محلها . نعم ان انيبال قد جمع أموالاً طائلةً ، ولكنه لم يستعملها قط لأغراض ذاتية ، وانما كان يخصصها لدفع رواتب جيشهِ

قلنا إنَّ أهلَ وطنـه كانوا قد تركوا نصرتهُ ، والجيش المذكور لم يعصَ قط اوامر قائده انيبال ، لما له من السطوة والهيبـة والحكمة خلافاً لأمثاله من الجيوش المؤلفة من جنود غرباء وعصابات بربرية [1] مختلفة الجنسية والوطن واللغة . وقد

(١) ان معنى لفظة « بربري » في الاصل متوحش او غير متمدن ، فاسم البربر يطلق على كل الشعوب الهمجية الغير الداخلة في الهيئة الاجتماعية . وكان اليونان في سالف الزمن يدّعون التمدن لأنفسهم فقط ، ويطلقون لفظة برابرة على سائر الشعوب . اما الرومان فلما كانوا قد اخذوا التمدن عن اليونان فقد اطلقوا لفظة متمدن على انفسهم وعلى اليونانيين ، ولفظة برابرة على غيرهم من الشعوب — وتطلق الان لفظة برابرة او مغاربـة على سكان تونس ومراكش والجزائر وطرابلس الغرب في شمالي افريقيـة ولكن ليس من رابط معنوي بين الاسم الاول واسم هؤلاء الشعوب الاخيرين

أرسل انيبال الى قرطجنة عدَّة امداد ممتلئة بالخواتم والفتخ الذهبية التي اخذها اسلاباً من قتلى اشراف الرومانيين ولكن لم نجدُ لهُ في تضاعيف التاريخ ذكرَ مُنكر أتاه، ولم يسفكْ دمَ انسانٍ بلا حرب . فينتج من كلامنا انّ شهادةَ المؤرخ الروماني تعودُ على قائدنا هذا بالفخر والشرف

وبالاختصار فان أقوالَ التواريخ والازمنة التي توالت بعد هذا البطل سيردّدها جميعُ الأمم والأجيال الى منقضى العالم . وذلك أنَّ مظهرَ حياةِ هذا القائد المجيد ، لهو أشرفُ مظاهر الحياة البشرية في هذه الدنيا لدلالتهِ على همةٍ عالية ، ومدارك سامية يندرُ وجودُها ، خصوصاً حياته خلت عن كل أرَبٍ شخصي ، واثرة ذاتية ، لم يلابسها الاّ هوى فرد ، ألا وهو حبُّ الوطن حتى انهُ قضى أخيراً شهيد محبته لوطنه

يوليوس قيصر

قائد روماني ولد سنة ١٠٠ قبل المسيح وتوفى سنة ٤٤ ق. م.

ها انّا موردون ترجمة شهيد آخر لم يتفانَ في حبّ وطنهِ ، ولكن ذهب قتيل الطمعِ — نريد بهِ هذا الرجل العجيب المنقطع النظير، الذي لم يكن يخلو عن ضربٍ من ضروب النقائص والرذائل، وكانت حياتهُ كلها عبارةً عن سلسلة تعدّياتٍ على وطنهِ

وبالجملة فانَّ هذا الرجلَ هو « قيصر » ثالثُ الرجال العظام المشاهير في في الاقدمين . وُلدَ ونشأ وشبَّ متحلياً بصنوف الصفات، فانهُ كان شجاعاً فصيحاً لطيفاً كريماً جواداً مفرطاً في السخاء؛ بيدَ انهُ كان يؤثرُ السذاجةَ في اعماله ؛ ولكن لم يكن عندَه اقلُّ همّ في ان يفرق بين الخير والشرّ ، لا في العمل ولا المبدأ . وكان قصارى همهِ ومبدأ جميع أعماله طلب الغاية التي قصّر عن بلوغها

« ماريوس » و « سيلاّ » [١] نريد بها التسلط على وطنِهِ . كان قصد الاسكندر الاستيلاء على جميع العالم المعروف وقتئذٍ ؛ ووقف انيبال حياتهُ كلهـا على وقاية وطنهِ من النشوب في عبوديةِ الأعداء . أما قيصر فكانت غايتهُ القصوى أن يملك رومة التي تفرَّدت بالاستيلاء على كلّ الدنيا تقريباً . ونراهُ قد اتخذ كلَّ الوسائل إدراكاً لهذه الغاية ، غيرَ متذمّم من الاسفاف الى الذرائع السافلة ، بيدَ أنهُ لم يَرِدْ مواردَ الجور والجنَف تفادياً من الارتطام باغلاط « ماريوس » و سيلاّ » . وقد تدرَّج في الخطط والمراتب من وظيفة إديل [٢] الى وظيفة بريتور [٣] ثم الى رتبة رئيس أحبار العاصمة ؛ وعقد ديوناً رابيةً ليرشوَ المنتخبين ، لأنَّ كلَّ هذه الوظائف كانت تُنال بالانتخاب ، واستغوى الرجال والنساء ، مستفسداً المتزوّجين وغيرهم استفسادَهُ عامة الشعب . وما كفاهُ ما أتاه من ضروب الفساد حتى عمد الى استعمال الوسائط الأدبية ، فأصبح أعظمَ خطيبٍ في رومة بعد شيشرون . وما زال حتى صار علّة عدة كثيرين من بوادر الفرَح والريب في رومة ؛ فأعيتهُ الاقامةُ بهـا فاتفق مع كراسّوس البخيل ، وبمبيوس المتكبر [٤] ، واختصَّ نفسهُ بحكومة ولاياتِ غاليا قصدَ تدويخ هذه البلاد الواسعة ، لا ليزيدَ مجدَ رومة ، بل ليحشدَ عساكرَ قاهرةً ، ويجمع أموالاً وافرةً ، فيقضي ديونهُ وديونَ أشياعهِ

فأقام مدة ثماني سنين في غاليا يحاربُ أيامَ الصيف ، ويعودُ آونة الشتاء الى دسّ الدسائس ، ويدبّرُ من معسكرهِ في ميلانو مجرى عجرفة بمبيوس وبخل

---

(١) ماريوس وسيلا قائدان رومانيان شهيران بانتصاراتهما على اعداء رومة ولاسيما بشدة تعاديهما . ولد الاول سنة ١٥٧ وتوفي سنة ٨٥ ، والثاني ولد سنة ١٣٧ وتوفي سنة ٧٨ وقد استبدّا برومة على التعاقب

(٢) اديل Edile مأمور اخص وظائفه النظر في بنايات المدينة وتولي الالعاب

(٣) بريتور Préteur اي كبير قضاة رومة ، ومن كان في الولايات متقلداً مثل هـذه الوظيفة يدعى حاكماً أيضا

(٤) كراسوس كان أغنى اهل عصره وبمبيوس الكبير كان اعظم الرومانيين بعد قيصر وهما قائدان رومانيان قد شاركا يوليوس قيصر في انشاء ما هو معروف تاريخاً بحكومة الثلاثة الرجال الاولى Premier triumvirat

كراسوس . وبذلك تسلّط مدة عشر سنين على مجرى الأحوال الرومانية . ثم لما توفيَ كراسوس في آسيا ، ولم يبقَ بينهُ وبين بمبيوس رجلٌ ثالث يمنع تماديهما في الطمع والبغي ، عمد أولاً الى استعمال الحيل لإرجاء القتال بينهما ، اذ كان قد شعر بسوء عاقبتهِ ، حتى انهُ لما تعذَّر عليهِ مجانبةُ القتال ، اجتاز نهر روبيكون[1] وسار لمساورة بمبيوس ، وعسا كرهُ اذ ذاك في اسبانيا ، فالجأهُ الى الفرار من ايطاليا الى بلاد ابيروس ، وهناك ترك كما قال مدلاً بسطوته ، قائداً بلا جيش ، وذهب الى اسبانيا فشتت جحافل بمبيوس التي كانت بأمرة افرانيوس . ثم غادر اسبانيا ، واجتاز ايطاليا مسرعاً شاخصاً الى ابيروس إدراكاً لعدوّهِ . فصادف بمبيوس نفسه وجعل يقاتله الكرَّةَ بعد الكرة ، وكانت الوقعة الفاصلة لتلك الحرب الشهيرة سهول « فرسال » فتغلَّبَ عليهِ ، واستأثر بالسلطة المطلقة ، فلاذ بمبيوس بالهرب منهُ خوفاً الى ان لاقى اجله قتيلاً في مصر

ثم إنَّ قيصر جعلَ يتعقبُ بقايا حزب بمبيوس في افريقية واسبانيا ، وقهرهم كافةً ، وفتح شمالي آسيا . ثمَّ عاد الى رومية ليتلذَّذ بثمار انتصاراتهِ على جميع اعدائهِ ومناوئيهِ . ثم اسَّس فيها ما يعبَّرُ عنهُ بالامبراطوريَّة الرومانية ، ولكنهُ ذهب قتيلاً بفتكةِ الجمهوريين ، لأنهُ اراد الإسراعَ في وضعِ الاسم للمسمَّى ، بعد ان ملك العالم مدة تزيد على اربع سنوات[2]

فما سبق ايرادهُ من اخبار هذه الحياة يرى ان كل الوسائلِ والتدابيرِ المذكورة كانت سيئة كالغاية التي سعى اليهـا قيصر . ولكن ينبغي ان يعترَف لهُ بالفضل من جهةٍ واحدة وهي انهُ قصد ان يحوّل هيئة الحكومة من كونها جمهوريَّة الى كونها امبراطوريّة . ليس بأنواع القتل وسفك الدماء ، كما فعل ماريوس وسيلاّ ،

(١) روبيكون نهر صغير في شمالي ايطاليا قد قضى مجلس النبلاء « الشيوخ » برومة ان كل ما يعبره مسلحاً يحسب عدواً للرومانيين

(٢) يراد بالقول « وضع الاسم للمسمى » أنه أسس الامبراطورية اي سلطة شخص واحد ولكنه لم يستطع تغيير اسم الحكومة فبقي اسمها جمهورية رومانية وحين اراد المناداة بالملك قتلوه وذلك سنة ٤٤ قبل المسيح

ولكن بتعطيل الآداب الملائمة اخلاق الرومان ، وبحسب قوّةِ العقل المناسبة لسموّ مداركهِ . وبالجملة فانَّ هذا الرجلَ الغريب الذي كان من اعظم ارباب السياسةِ ، وخطيباً شهيراً وبطلاً صنديداً ، وعاتقاً في الارض فاسدَ الاخلاق ، يظلم بلا رحمةٍ ، ويرحم بغير حدّ ولا قياس ، لهُ مزيةٌ خاصة بهِ دون سواه . وهي انهُ خُلق عجيب يخبر عنهُ آخر الدهر بكونهِ اكمل انسان وجد على الارض[1]

(للكلام صلة)

الاناشيد الوطنية

قال أحَدُ مشاهيرِ كتّابِ الانكليز « إنَّ الذي يضعُ لحناً وطنياً لقومهِ يضعُ لهم قوانينَ جديدةً » . وهو قول لا مبالغةَ فيهِ . إذ أنَّ الاناشيدَ الوطنيَّةَ هي التي شحذَت السيوفَ ، وحرَّرتِ الأرقاءَ ، وكوَّنتِ الأُممَ ، ورفعتِ الممالك ، ووحَّدَت قلوبَ أهل البلد الواحد

وهي التي تُذكي نارَ الوطنيَّة ، وتجلو صدأها ؛ يتوكأ عليها قوَّادُ الأُمم اذا أجهدَهم السيرُ ، ويهشّونَ بها على اتباعهم اذا حادُوا عن الطريق

ينشدُها الغريبُ فيذكر قومهُ ، ويرفعُ بها المنفي عقيرتَهُ فيتذكَّرُ وطنهُ . فهي روحُ الوطنية ، والوطنيةُ قوامُ البلاد ؛ وهي رسولُ الشُّعور ، والشعورُ منبتُ الوطنية . وهي الصلةُ بين القلوب ؛ والقلوب منشأُ الشعور

وأفعلُ الأناشيدِ الوطنيةِ في الأفئدةِ وأشدُّها تأثيراً على النفوس ما وافقَ لحنُهُ الموسيقيّ الفاظَهُ فامتزجا بمخيِّلةِ « الشاعر الملحّن » قبل أن

(١) يراد باكمل انسان وجد على الارض أنه جمع في شخصه أصناف الصفات والخلال من حسنة وقبيحة مما لا يستجمع في غيره من الناس

يظهرَ لحيّز الوجود . حتى اذا أدّى كلٌّ من القلب والرأس ما يطلبهُ هذا النشيدُ منهما برزَ فكان قوّةً حيّةً تدفعُ القوم لخدمة وطنهم ، والذّود عن حياضِهِ ، والعملِ لرفعة شأنه

سألَ أحدُهم شاعراً من كبار الشعراء أن يُعلّمَهُ الأوزانَ فأجابهُ : « اذا لم يُوحِ قلبُكَ اليك الشعرَ فما تنظمُهُ لا يكونُ شعراً هكذا الأناشيدُ الوطنيَّـة . فانها لا تفعلُ فعلها في النفوسِ إلاّ اذا كان منشأها القلبُ

ولا أعرفُ نشيداً وطنياً تطيرَ لهُ القلوب ، وتثب الأفئدة ، ويجري الدم حارًّا في العروق عنـد سماعه ، مثل المرسليز Marseillaise نشيدِ فرنسا الوطني

لم يوضع ليكونَ نشيدَ الثورةِ الأفرنسية ، ولكنهُ هيأَ النفوسَ لها . وُضِعَ عندما كان لويسُ السادسُ عشرَ الآمرَ الناهي . فلما أعلنَ الحربَ على النمسا عام ١٧٩٢ اقترح محافظُ مدينة ستراسبرج وضعَ نشيدٍ يستفزُّ بهِ هِمم الشبّانِ للدّفاعِ عن بلدِهم . فلبّى طلبَـهُ يوزباشي اسمهُ « روجيه دي ليل » . جادت عليه الطبيعةُ بإبداعِ الشاعرِ وابتكارِ الملحّن . فنظمَ النشيد ولحنَـهُ بين مساءٍ وصباح . وقد كانَ من تأثيرهِ على النفوسِ أن تطوّعَ في الحاميةِ المدافعةِ تسعمائة شابٍّ في يوم واحد

ولم يكن أحدٌ يحلمُ ، ولا لويسُ السادسُ عشرَ نفسهُ ، بما سيكونُ من الأهميَّـةِ للمرسيز الذي كان يُسمَّى « نشيد جيش الرين » حتى مشى أهلُ مرسيليا لباريز يترنّمونَ بهِ طولَ الطريق فنُسِبَ اليهم

ولا يقلُّ نشيدُ غريبالدي عن المارسيز . ويكفي أن تقولَ في

تأثيرَهُ إنَّهُ وحَّدَ ايطاليا المبعثرة ، ونفَخ فيها روحاً صيَّرتها كما نراها الآن بعد أن كانت نهباً مقسَّماً

وأيُّ إنسانٍ لا يتحرَّكُ للعملِ عند ما يسمعُ جارَهُ يُنشدُ « انهضوا يا اخواني ، واطردوا من بلادكم عدوَّها الغريبَ بالسيفِ ، وانشروا أعلامكم ، ولتفرح قلوبُكم التي تقدِّمونها بفخرٍ فِداءَ وطنِكم »

أمَّا الولاياتُ المتحدةُ الأمريكية فلها من الأناشيدِ الوطنيَّةِ حظٌّ وافر . غيرَ أنَّ نشيدَها الرسميَّ « منكِ يا بلادي My Country 'Tis of Thee ليسَ بالنشيدِ الذي يترنَّم بهِ الجمهور . واذا سألتَ أبناءَ الولايات المتَّحدة أن يختاروا من أناشيدِهم واحداً لاختاروا بين (١) ينكي دودل Yankee Doodle و(٢) العَلَم المرصَّع بالنجوم The Star spangled Banner و(٣) جسم جون براون John Brown's Body و (٤) السير في جورجيا Marching through Georgia و (٥) ارض دكسي Dixie Land لأنَّ كلَّ هذه الأناشيد وُضِعَتْ إمَّا إبَّانَ الحربِ أو في أيام الثورة . فالنشيدان الأوَّل والثاني كانَ أوَّلُ العهد بهما في الثورةِ الأمريكيـة التي فقدت انكلترا فيها أغلى ماسةٍ في تاجها . والثالث هو الذي حرَّر عبيدَ أمريكا ، وأدار رحى الحرب الأهلية بين الولايات الشماليةِ والولاياتِ الجنوبيةِ . والرابع والخامس كانا نشيدَيْ هذهِ الولايات في تلك الحرب

ولقد لحَّنَ أحَدُ اخواننا السوريين نشيداً عنوانهُ « لأجلك يا أمريكا » ووضَعَهُ بين أيدي رجال الولايات المتحدةِ للنظرِ في إحلالهِ محلَّ النشيدِ الرسميِّ الحالي

ولم يحفظ التاريخ بين صفحاته ، خلافَ المرسيز وغريبالدي ، عن نشيدٍ وطنيّ أنَّهُ أثر في النفوسِ مثلَ « ربّنا أحفظ الملك » God save the King عام ١٨٩٦ عند ما كانت تستعدُّ انكلترا لمحاربة امريكا . فانه أظهرَ ما خفي في صدرِ « جون بل » من العواطف الكامنة . وما زال منذ ذلك الوقتِ الى يومنا هذا يُنشدُهُ البريطانيّون في انتصارهم فيملأُهم فرحاً وسروراً ، وفي خذلانهم فيوليهم شجاعةً وإقداماً . أمّا تاريخُهُ فيرجع الى سنة ١٧٦٦ اذ كان يُنشَدُ باللاتينية في عهد جيمس الثاني

الا أنه يوجد في انكلترا نفسها من يعارضُ في جعلهِ نشيداً رسمياً . والمعارضون قسمان : الأول يقول إنه لا يجوزُ دينياً ان نطلب من اللهِ سحقَ أعدائنا . فهم ينشدون بدَلهُ « باركْ يا رب وطننا » God bless our native وفيهِ يرجونَ اللهَ حفظَ بلادِهم وحمايتها وانتشارَ السلامِ في العالم حتى يُصبحَ عدوُّهم صديقاً

والقسمُ الثاني يَضعُ الشعبَ في المقامِ الأوّل ، ويرى أن يُهتَفَ باسمهِ لا باسمِ الملوكِ . فوضَعَ لنفسه « متى تنجّي الشعبَ يا ربّنا » When wil't thou save the people ومطلعُهُ (متى تنجّي الشعب يا ربّنا . يا إله الرحمة لا الملوك فقط بل الشعوبَ ، لا التيجانَ ، ولكن بني الإنسان

ولا يزالُ في انكلترا من يظنُّ أنَّ « هذا في صحة الملك » Here's a health unto His Majesty هو أحقُّ بجعلهِ نشيداً وطنياً من « ربّنا أحفظِ الملكَ » إلاّ أنهُ لا يتّفقُ مع الذّوق تحيّةُ ملكٍ من بيتِ هانوفر بنشيدٍ وُضِعَ للتأثيرِ على نُفوسِ الشعبِ لاستردادِ سلالةِ ستوارت

مثـل « بني دندي » Bonniee Dunde و « الملك على سطح الماء »
The King over the water

وفي اللغةِ الانكليزية عددٌ غيرُ قليلٍ من الأناشيدِ الوطنيةِ للشعراء: « بيرنز وتمسون ومور وكمبل » تُحمّس الجبان ، وتحيي ميّتَ الإحساسِ مثل « احكمي يا بريطانيا » Rule Britania

وكثيراً ما نرى انَّ النشيدَ الذي تنتخبهُ الحكومة لا يتَّفقُ مع ذوق الجمهور فيتركهُ كما في الولايات المتحدة . كذلك في المانيا ؛ فانك في اغلب الاحايين لا تسمعُ الشعبَ يترنمُ بالنشيد الرسمي . بل تجدُهُ يُنشدُ اليوم بحماسٍ « المراقبة على الرين » Wacht am Rhein لا يقلُّ عن حماس آبائهم يومَ كانوا ينشدونه قبلَ أخذِ الالزاس واللورين

غيرَ انَّ لنشيدِ « مارتين لوتر » اوكما سمّاه الشاعرُ هنريك هين « مرسييز الاصلاح » رنّةٌ لطيفة ، وذكرٌ جميل ، وتاريخٌ سارٌّ . فهو لايزالُ يُسمعَ اليوم بالمانيا كما سُمع في معركةِ « لوتزن » وفي حرب فرنسا . بل كلّما جدَّ حادثٌ جَلَل

ولقد عناهُ « الفيكونت دي فوج » احد كبار كتّابِ فرنسا في انتقادهِ روايةِ « السقوط » Débacle لاميل زولا حيث قال (إنَّ من سمع الاصوات التي ملأت وادى « الميوز » ليلةَ اوّل سبتمبر سنة ١٨٧٠ يعرف كيف غُلِبَتْ فرنسا على أمرِها)

ولا يجهلُ احدُنا ما كان من التأثير الشديد لنشيدِ الدستور العثماني عام ١٩٠٨ فالعهدُ ليسَ ببعيد . فقد أشعل نارَ الوطنية في قلوب العثمانيين ،

وعلّمهم أن الحرية حقٌّ ، والعدلَ واجبٌ ، والمساواة طبيعية . فاصبحوا لا يرضونَ بالذُّل ، ولا يرضخون للاستبداد . وما زال كالكهرباء يغلي الدّم في عروقهم ، ويثيرُ الشعورَ في قلوبهم ، حتى كان منهُ أن خلَع عبد الحميد

امَّا نشيدُ الجمهورية الصينية فاشهرُ من أن نشيرَ اليهِ . وهو اكبر برهانٍ على أنَّ الاناشيدَ الوطنيةهي التي ترفعُ الامم من وهدة الانحطاط . وهل كان يجول بفكرٍ أحدِنا أنّ الصين تصيرُ يوماً ما جمهورية ؟ ؟

نظرة الى مصر بعد كل ما مرَّ بنا

لا يوجدُ في هذا القطرِ ما يُطلقُ عليه نشيدٌ وطني سوى سلام الخديو « هذا الخديو له الفخار » وهو ليس مما يدفع القومَ لبذل النفس والنفيس فى سبيل بلادهم . وما عداهُ فاناشيدُ يترنم بها اطفال المدارس في الاحتفالات . وجلُّها بل كلها من نظم شاعرِ الامير « احمد شوقي بك » وهي مماَّ يشكرُ عليها . الاَّ أنها ليسَ لها الوقع الذي لغيرها من الاناشيد الوطنية . والسبب على ما اظنُّ كونُ شوقي بك شاعراً غير ملحّنٍ

وقد اقترحَ بعضهم في (الجريدة) منذُ ثلاثة اعوام وضع جائزة لمن ينظم احسن نشيدٍ وطني . ولا ارى لذلك فائدة . اذ أَن النشيد الذي يجب ان يكون نشيد مصر الوطنيّ لا يكون الباعث عليهِ حبُّ المال . واليوم الذي تجتمع فيهِ الوطنية الحقة والشعر والموسيقى في قلب احد أبناء النيل هو اليوم الذي نسمع فيهِ نشيدنا المنتظر ؟

(اتبره — السودان)　　عز الدين صالح

في رياض الشعر

﴿ البستاني الشاعر والبستاني الوزير ﴾

بين الاستاذ عبد الله افندي البستاني العالم اللغوي الشهير وسليمان افندي البستاني ناظر التجارة والزراعة صلة وداد متينة عدا ما بينهما من صلات القرابة والأدب . فلما ألقيت الى البستاني الوزير مقاليد الوزارة ، كتب اليه البستاني الشاعر بالقصيدة العصماء التي نحن ناشروها هنا . ثم دارت بينهما ، على أثر ذلك ، مراسلة نتوقع الفوز بها لننشرها في الزهور

أما الأستاذ عبد الله فأشهر من أن نعرفه الى القراء وهو أستاذ معظم ادباء سوريا ، وزعيم العلماء اللغويين فيها ، وكبير الشعراء المجيدين في ربوعها . ولقد تلطف حضرته فوعد « الزهور » بأن ينشر فيها سلسلة مقالات لغوية انتقادية تكون تكملة لتلك المباحث اللغوية الشائقة التي كان ينشرها المرحوم اليازجي في الضياء . ولعلنا أن نبدأ بها منذ الجزء القادم

كتب اليه أوّلاً بالتاريخ الآتي :

لي مع سليمانَ قلب لا يُزايلهُ　　خوفَ الرقيبِ ففيهِ كلُّ أسراري

إن نآبني بعدَهُ شوقٌ يؤرّخهُ　　فإنّني مستعيرٌ قلب خطّارِ (١)

١٩١٣

ثمَّ كتبَ اليهِ :

ترَحّلْ الى مولاكَ يا قلبُ عَجلانا　　وأبقِ لصدري بعدَ بُعْدِكَ نيرانا

كأنّكَ في دارِ الشقاءِ معذّبٌ　　تحنُّ الى « دار السعادةِ » ولْهانا

فما أنتَ ذا يا قلبُ تهجرُ أضلُعاً　　عليكَ آنحنتْ لا تبتغي منك هُجرانا

وأنت الذي أدمنتَ إيقاظَ أعيُني　　وأسأمتَ نجمَ الليـلِ تخفقُ يقظانا

فكم سكِرتْ بالدمعِ إذ كنتَ خافقاً　　ولـكن بصهباءِ الهوى كنت سَكرانا

ولولاكَ ما آسودَّت لياليَّ إنمـا　　سيُسفِرْنَ بيضاً ، أن قفوتُكَ ، غرّانا

(١) يريد به المرحوم خطار البستاني والد سليمان افندي

أتشكو عذاباً في الضلوعِ وأنتَ قد ... جعلتَ بجرّ النار صدريَ حرّانا
جرى الدمعُ غازيًا عليها فزادَها ... سعيراً ولمّا هجتَ خلتُكَ بركانا
وساءكَ أن تنتابَها سِنةُ الكَرى ... وسرّكَ أن أرعى السوافرَ سهرانا
عهدتكَ ذا رفقٍ بها صائناً لَها ... فلا تكُ في عهدٍ لمولاكَ صوّانا
ألم يكُ إنساناً لها ابتهجت بهِ ... ولم تكُ تهوى غيرَهُ قطُّ إنسانا
أتتركها قَرحَى ومولاك ناظرٌ ... يعزُّ عليهِ أن تُقرّحَ أجفانا
كم التمستْ منك الهُجوعَ لأن ترى ... دموعاً بنحرِ الطيفِ تُعقدُ مَرجانا
فمِمَّنْ تعلّمتَ الجفاءَ ولم تكُنْ ... ترى غيرَ مولاكَ الأنيسَ الى الآنا
تُنفّذ أمرَ الدهرِ فيَّ وما عنا ... أبيٌّ لذي حيفٍ لهُ انقاد مِذعانا
أما أنت تدري أنَّ مولاكَ مَوئلي ... اذا بانَ للعينينِ أو عنهما بانا
وقامَ بنصري منذُ عهدِ صبائهِ ... وما خانَ عهدي قَط بل غيرُهُ خانا
ولستُ أرى غيرَ ابن عمّي اخي ولا ... أرى أبداً أبناءَ آدمَ إخوانا
فما اكثرَ الإخوانَ في مَذهبِ الهوى ... وليسوا اذا نالوا هوى النفسِ خُلاّنا
ومَن عجمَ الأخلاقَ لم يكُ سائلي ... على مَنحِ قلبي لابن عمّيَ برهانا
ولم يُلههِ عَنّي نعيمٌ عنَا لَهُ ... وصَعْبُ شقاءي ان فكّرتُ بهِ هانا
وهانَ عليهِ أن أحلّ بأرضهِ ... كما حلَّ اسرائيلُ في أرض كنعانا
فموسى من المَنّانِ قد نالَ منّه ... ولقياهُ مَنٌّ ما بهِ كان منّانا
فيا قلبُ سِرْ واسكنْ اليهِ فأنتَ ما ... فُطرتَ لترضى غَيره فيك سكّانا
بحرمةِ أشواقي اليه توقَّ أن ... يرى فيك ناراً لوَّعتنيَ أزمانا
فدَعها بصدري خوفَ لذعِ أناملٍ ... على الطرس قد خطّت بياناً وتبيانا
وإلاَّ فكن كالبدرِ بالشمسِ مزهراً ... وما فيهِ نارٌ بل بأنوارها ازدانا
أحبُّ اليهِ أن يراها كما رأى ... بحوريبَ موسى النارَ مرتفعاً شانا

وإياكَ ذِكرى لوعتي بفراقهِ　　مخافة أن تلقـاه يلتاعُ أحزانا
وناسمهُ عني بالسلام يظنّهُ　　اذا اشتمَّ ريّاهُ تجسّم ريحانا
فيا قلبُ لم يقنعْ برؤيةِ طيفهِ　　فقـد شاقك الجثمان تخفق لهفانا
فكن بارحاً مثواكَ مرتحلاً إلى　　فروقَ وطب واشهد لمولاك جثمانا
وفي كلِّ نادٍ بالجلالِ مؤرَّخٍ　　تجلّدْ ولا تخفق بنادي سليمانا
١٩١٣

عبد الله البستاني

﴿ المشيب ﴾

يا شَيبُ عَجلّتَ على لِمّتي　　ظُلماً فيا ٱبنَ النُّورِ ما أظلَمَكْ
بدّلتَ بالكافورِ مسكي وَما　　أضواهُ في عيني وما أعتَمَكْ
مَنْ يقبلُ الفاضحَ في سَاترٍ　　فهاتِ ليلايَ وخُذْ مريَمَكْ
غرَّكَ أنَّ الشَّيبَ عند الورى　　يُكرَمُ ، هل في الغيد من اكرَمَكْ
نَفّرْتَ عني غانياتِ الطلى　　ويحك قد أسقيتَني عَلقَمَكْ
دعونَي الشيخَ وكنتُ الفتى　　اخَّرَني الدَّهرُ الذي قـدَّمَكْ
ونالَ من حولي ومن قوّتي　　جَورُ زمانٍ فيَّ قد حكَّمَكْ
سرعانَ ما أذبلتَ من صبوتي　　بنارِكَ البيضا فما أضرَمَكْ
وشدَّ ما لاقَتْ عيوني فلو　　ينطقُ لي جفنٌ إذَنْ كلَّمَكْ
ورُبَّ لميـاء منيعِ اللّمى　　تقولُ ما أسقيـهِ الاَّ فمَكْ
تخاطِبُ البـدرَ على تمّهِ　　جلَّ الذي من غرَّتي جسَّمَكْ
كنتُ مع العفّةِ أحيا بها　　وهل بلا ماء يَعيشُ السمَكْ
فرَّتْ كمثلِ الخشفِ مذعورةً　　لما رأت في مفرِقي مخذَمَكْ

وصارتِ النظرةُ لي حسرةً تقولُ للطرفِ أفضْ عندَمكْ
وما كفى يا شيبُ حتى لقدْ فضحتَ أسرارَ مَنِ آستكتَمكْ
أيُّ خضابٍ لم يكن ناصلاً عنكَ ولو بالليلِ قد عمَّمَكْ
فليتَ أيامَ شبابي التي أرقتَها غدراً أراقتْ دَمكْ
وأنتَ يا ظَبيَ النقا ما الذي أغراكَ بالهجرِ ومَنْ عَلَّمَكْ
ما لبياضِ الرأسِ حكمٌ هنا لكن سوادُ الحظِ قد ألزَمكْ
لو لم يُغِرْ هذا على لونِ ذا لم تجفُ ذا الشيخَ وما آستخصمَكْ
ما خلتُ أن ترضى بنقضِ الوفا والله بالحسنِ لقد تمَّمَكْ
يا ربِّ ما طالَ زمانُ الصبى كأنهُ طيفٌ سرى وانهمَكْ
وهكذا الأيامُ تطوى بنا سُبحانَك اللهمَّ ما أعظمَكْ
رضيتُ يا ربي بما ترتضي فلا تخيّبْ مُذنباً يمَّمَكْ
وأنتَ يا شيبيَ خُذْ بي الى التقوى عسى الرحمنُ أن يرحَمكْ

عبد الحميد الرافعي

﴿ هل أنت في مصر ؟ ﴾

اذا كنتَ في مصرٍ ولم تكُ ساكناً على نيلِها الجاري فما أنتَ في مصرِ
وان كنتَ في مصرٍ بشاطىء نيلها وما لكَ من شيء فما أنتَ في مصرِ
وان كنتَ ذا شيء ولم تكُ صاحباً لإِلفٍ له لطفٌ فما أنتَ في مصرِ
وان كنتَ ذا إلفٍ ولم تكُ مالكاً لكيسٍ حوى ألفاً فما أنتَ في مصرِ
وان حزتَ ما قُلنا ولم تكُ هائماً بِمَيلٍ لمن تهوى فما أنتَ في مصرِ

﴿ في قينة تُنشد ﴾

يا مَن بكى الرَّبعَ أفنى في معَاهدِهِ　　شبابَهُ وَبكى الأيَّام والسَّكنَا
تعالَ أُسْمِعكَ شَدْواً يستعيدُ بهِ　　فؤادُك الرَّبعَ والأحبابَ والزمنا

خليل مطران

﴿ أنتِ والدَّهرُ ﴾

أسيدتي . لا الدَّهرُ يُسعِفُ مطلبي　　ولا أنتِ . إنّي حِرْتُ بينكما جدَّا
اذا رُمتُ شيئاً جئتماني بِضِدِّهِ　　لقد صِرْتِ لي ضِدًّا وقد صار لي ضدَّا
سألتُكِ ودًّا فاستَطبتِ لي الجفا　　وأمَّلْتُ قرباً فارتضى الدَّهرُ لي البعدا
تشابهتما جَوْراً وغدراً وقوَّةً　　فصيَّرتهِ ندًّا ولم تقبلي ندَّا
فلا تحرماني لذةً من تألّمٍ　　ولا تسلباني الوجدَ لن أسلوَ الوجدا
خذا جسدي والروحَ فاقتسماهما　　ولكن دعا لي وحدَه ذلك الكبدا
حفظتُ بهِ عهداً واخشى ضياعهُ　　واني لأبقي الكبد كي أُبقيَ العهدا

ولي الدين يكن

﴿ يا آسيَ الحيّ ﴾

يا آسيَ الحيّ هلْ فتّشتَ في كَبِدِي　　وهلْ تبيّنتَ داءً في زواياها
اوَّاهُ من حُرُقٍ اودتْ بمعظَمِها　　ولم تزَلْ تتمشّى في بقاياها
يا شوقُ رِفقاً بأضلاعٍ عصفتَ بها　　فالقلبُ يخفُقُ ذُعراً في حناياها

اسماعيل صبري

اللينوتيب العربية

اللينوتيب آلة جديدة لجمع حروف الطباعة سطوراً كاملة لم يتوفق اللغويون حتى الساعة لتعريب اسمها. وصفوة ما توصف بهِ انها آلة مؤلفة من جملة قطع تدار بقوة الكهرباء. ويستخدمها عامل واحد، يجلس تلقاءها على كرسيّهِ . ويضغط على ازرار مبسوطة امامهُ، كتب على كل زرٍّ حرف من حروف الهجاء على مثال الآلة الكاتبة. ومتى ضغط على الزر سقطت امامهُ قطعة نحاسية محفور عليها الحرف المطلوب في مصفٍّ خاص وهكذا حتى يتم جمع سطر كامل، فيقرأه ويصحح ما يكون قد وقع فيهِ من الخطأ برفع الاحرف المغلوطة، ويضبطهُ بوضع الاسداس وغيرها من اصول صناعة التنضيد . ثم يدير لولباً آخر فينزل على السطر المحفور المصفوف صفاً افقياً جزء من الرصاص المصهور لا يلبث ان يجمد ويتحول الى سطر من احرف مجموعة جمعاً لا شائبة فيهِ الا الخطأ الذي قل ان يسلم منهُ منضدهُ

ويتم الجمع والسبك بهذه الطريقة في مدة لا تتجاوز ثلث المدة اللازمة للجمع باليد . وان كان في الجمع باللينوتيب عيب واحد هو عيب التصحيح فانه اذا وقع خطأ في حرف واحد في السطر وجب تغيير السطر باكمله

وقد انتشرت اللينوتيب في مشارق الارض ومغاربها من باكين الى طنجة . وتنضد بها الحروف في جرائد فرنسا اليومية عدا ستاً، منها الجريدة الرسمية

وكان الكثيرون من اهل الصناعة يظنون انه يصعب ايجاد لينوتيب عربية . ولكن بعض المتفننين من عمال المطابع ذلل هـذه الصعوبة . وسبق الكاتب الفاضل نعوم افندي المكرزل ، صاحب جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويرك ، غيره من اصحاب الصحف العربيـة في استخدام اللينوتيب لصف حروف جريدتهِ . واقام يوم بدأ بالعمل بها — وكان ذلك منذ سنتين ونصف على ما اذكر — احتفالاً شائقاً حضرهُ جمهور كبير من رجال الاقلام والمشتغلين بالصحف من سوريين وامريكيين

وتأتينا جريدتهُ يومياً في ثماني صحف كبيرة مصورة لا تنقص ترتيباً ودقة في صناعتها عن صحف اميركا اليومية. ولا شك في ان الفضل في بلوغ هذه الصحيفة مبلغها من الترقي عائد الى البيئة التي تصدر فيها والى ما هو معروف عن صاحبها من المقدرة في صناعتهِ

*
* *

وكان ينتظر ان يعم استعمال اللينوتيب مطـابع الصحف اليومية في الاستانة لاسباب عدة منها وفرة عدد ما يطبع من كل واحدة من هذه الصحف ، ومهارة صفافي الحروف الاتراك وجمال خط كتابهم ، وتعويلهم على الطريقة الافرنجيـة من وجهة قسمتهم الكلمة التي تقع في آخر السطر قسمين اذا دعت الحالة الى ذلك فلا يحتاجون الى مراجعة السطور وزيادة عدد الاسداس بين الكلمات كما يعمل صفافو الاحرف العربية لايقاع نهاية الكلمة في آخر السطر . وقد سألتُ احد ادباء الاتراك عن سبب امتناع الصحف التركية الكبرى عن استخدام اللينوتيب فما احار جواباً

وكذلك لم تستخدم اللينوتيب في مطابع القاهرة وبيروت، وهما مركزا النهضة الادبية العربية، ويوجد في كل منهما دور للطباعة لا تنقص اهمية عن دور الطباعة الكبرى في لندن وبرلين وباريس . بل سبقنا اخواننا المراكشيون فى طبع مطبوعاتهم الرسمية والشبيهة لها باللينوتيب . فقد نشرت مجلة Linotype Notes في عددها الصادر في شهر نوفمبر الماضي رسالة وردت اليها من مكاتبها فى طنجة يؤخذ منها انهُ انشئت فى رباط الفتح وفى الدار البيضاء مطبعتان كبيرتان جهّزتا بعدد من اللينوتيبات — على حد قولك اسطرلابات — من بينها لينوتيب عربية وضعت فى مطبعة رباط وتصف بها الآن احرف الجريدة الرسمية لحكومة المغرب الاقصى وجريدة « السعادة » الشبيهة بالرسمية. وزينت المجلة رسالة مكاتبها بصورة اللينوتيب العربية والصحيفة الاولى من الجريدة الرسمية المغربية

وجريدة السعادة المشار اليها جريدة نصف اسبوعية يحررها الأديب اللبناني وديع افندي كرم . وقد عرفتهُ قبل ذهابه الى المغرب الاقصى إذ كان يشتغل في الجرائد اليومية بالقاهرة . وقد مرَّ بنا منذ خمس سنوات قاصداً لبنان فجرى بيني وبينه حديث عن جريدته واقبال المغاربة على مطالعتها فقال لي : إن القوم هناك يعتقدون أن الصحف بدعة يحرّمها الدين . ولم نتمكن من إقناعهم بخطإهم إلاَّ بأن أتينا بشيخين من علمائهم وأجلسناهما في مكتب التحرير كما توضع التماثيل في مخازن تجار الملابس، وأبحنا زيارتنا لكل قاصد من الأُدباء وأهل الفضل . وكلما وفد علينا واحد منهم نشير الى شيخ من الشيخين فيبدأ في شرح الصحافة وفوائدها وعدم

مخالفتها للدين . ولكن هذه العمليـة لم تكن لتقنع الكثيرين بأن الدين لا يحرّم مطالعة صحف الأخبار !!

فذكّرتني هذه الحادثة بما جرى بيني وبين الشيخ الكتاني ، وهو أحد أئمة الدين في المغرب الأقصى . وكان قد حضر الى القاهرة في أواخر سنة ١٩٠٣ وأقام بيننا أسبوعين ترددت عليهِ خلالهما غير مرّة . وتحادثنا في عدة شؤون خاصة وعامة . فأتى يوماً ذكر الوراقة والطباعة فقال الأُستاذ (رضي الله عنهُ) : أنا لا أحب السير في أسواق الورّاقين . قلت ولمَ يا مولاي ؟ قال : لأنهم يبيعون فيها الورق الأبيض وربما أُخذ شيء منه وكتب عليهِ ما يخالف القرآن

ولا شبهة في أنهُ عنـد انتشار اللينوتيب في المغرب الأقصى تبدد بقوّة مطبوعاتها أوهام الشيخ الكتاني وأمثاله وتجدد فرنسا بقوّة الكهرباء ما درستهُ أيدي الظلم من علوم المغرب وآداب أهله الزاهرة

***

ومن المصادفات الغريبـة أنهُ في الشهر الذي طبعت فيهِ الجريدة الرسمية « للدولة المغربية الشريفة المحمية » باللينوتيب وزّع بعضُهم رسالة مصوّرة على أصحاب المطابع والمشتغلين بالصحف في القاهرة والاسكندرية قال فيها إِنه أنشأ في العاصمة مستودعاً كبيرًا للينوتيب العربية

وقد طبعت هذه الرسالة طبعاً متقناً على اللينوتيب . وضمنها ناشرها بحثاً فنياً في فضل صف الأحرف باللينوتيب على تنضيدها باليد . ثم أخذ تدحض براهين القائلين بصعوبة تصحيح أحرف اللينوتيب . ومما جاء في

هذه الرسالة أن استعمال اللينوتيب ينشأ عنها أمور ثلاثة وهي : زيادة كمية العمل ، وتقليل النفقات، وفتح ابواب جديدة للرزق . ولا يقتصر النفع على اتمام الجمع بسرعة بحروف نظيفة جديدة على الدوام بل ان ترتيب الصحائف يوفر وقتاً كبيراً بدون خوف من وقوع الخطأ

وليس هذا فقط بل إنَّ بعضَهم انشأ في القاهرة مدرسة خاصة يديرها مهندس ميكانيكي اختصاصي باللينوتيب . ولكل من يشتري واحدة او اكثر من عدد اللينوتيب ان يدخل من اراد في تلك المدرسة ليتعلم ادارة اللينوتيب بالمجان

ولكن هذه البيانات والتسهيلات لم تقنع اصحاب المطابع العربية وتدعوهم الى صفّ ابطال الحروف باليد والاستعاضة عنها باللينوتيب . ولهم في ذلك حجج بعضها مالي وبعضها صناعي . وليس هنا مجال تأييد احد الرأيين او تفنيده . وكل ما ارجوه ان يتوفق كتابنا الى تحسين خطّهم ويمتنعوا عن التغيير والتبديل في المسودّات. وحينذاك لا يكون هناك حائل يحول دون استخدام اللينوتيب بشرط ان يزداد عدد ما يطبع سواء من الكتب والمجلات والجرائد فيقوم بنفقات هذه الآلة المدهشة واجور العاملين فيها وما يلزمها من كهرباء ورصاص ثمَّ ان لا ينسى من يؤَرخ الصحافة العربية والطباعة ان الفضل في تعميم اللينوتيب عائد كغيره من محسنات الطبع الى الغرب ومخترعيه م؟

القاهرة توفيق حبيب

افضل الوسائل

لانهاض السلطنة [١]

خطرَ لنا عند الفراغ من تأليفِ هذا الكتاب ، أن نستطلع آراء نخبة من أكابرِ العلماء وفحول الكتّاب ، عن أفضل وسيلة تنهضُ بالسلطنة بعد كبوتها ،وتزيدُ في يقظةِ الأمّة بعد غفوتها ؛ فسألنا من أسعدنا الحظ بالوصول اليه ، قُبَيل صدورِ هذا المؤلف ، أن يصوغ لنا فكرتهُ الأساسية في أسطر قليلة فتكرّموا بتلبية الطلب ، أدامهم الله زهراً نضيراً في بستان العلم والأدب . واليك آراءهم مرتبة حسب تواريخ ورودها :

قال سعادة فتحي باشا زغلول :

أقرئك السلام وبعد فسؤلك هامٌ ومطلبك أهمّ

الدولةُ العليّةُ ، رعاكَ الله ، مجموعٌ يحتاجُ في سياستهِ وانهاضهِ الى حكمةٍ عاليةٍ وبصرٍ بالأمور كبير . فاذا غلبَ الرأيُ الهوى ، وبطلَ التفاضلُ بين العناصر ، وأقيم وزن العدل،وتساوى الناس جميعاً في الحقوق وفي الواجبات ؛ واذا خلصت نيأت اهل الزعامة ، وصدقت عزائم ذوي الرئاسة ، ففضّلوا مصالحَ الامة على المنافع الفردية ، وجدّ الكلُّ في طلب الاصلاح فنشروا التعليمَ ، وعنوا بالأمور الاقتصادية فاستبقوا لانفسهم مرافقَ البلاد وكنوزها ، وذلّلوا السبُلَ وأمّنوا السابلة ، وقرّبوا المسافات ثم ازدرعوا واحترفوا واتجروا فأحرفوا ؛ واذا احكموا نظامَ الجندِ وهذّبوه لا

(١) كتاب تاريخ الحربين البلقانيتين للكاتب السياسي المجيد يوسف افندي البستاني

شك أنَّ الدولةَ ناهضةٌ من سقطتها، وأنَّ الأمّةَ ناشطةٌ من عقالها، وأنها نائلةٌ من الحضارة والمناعة مكانا عليّا ؟

وقال الدكتور فارس افندي نمر :

حضرة الفاضل؛ ان كان المقصودُ من « السلطنة » في سؤالِكم « الحكومة والأمّةُ » في حالتهما الحاضرة أي الدستورية فوسائط إنهاضها متعدّدةٌ : منها ماديٌّ ومنها أدبي . ولكلّ واسطةٍ منها قوّة لا يُستغنى عنها وخصوصاً وسائط العلم والمال . على أنَّ في الحكومة وفي الأُمةِ رجالاً من ذوي العلم وذوي المال فلا يعوزهم إدراكٌ ولا يسار؛ ولكن الذي ينقصُنا هو تربيةُ الحكومة على الاخلاقِ القويمة والصفاتِ المنظّمة والمرقّيةِ لشؤونِ الهيئة الاجتماعية حتى نستطيعَ الاتحادَ والتعاونَ على تدبير أمورنا وانجاحِ أعمالِنا ، ونحنُ جماعات ، كما يستطيع كثيرون منا اليوم تدبيرَ أمورهم وانجاح أعمالهم ، وهم أفراد ؟

وقال الدكتور شبلي شميل :

الدولة لا تنهض إلاَّ بثلاثة: رجالٌ ومالٌ ووقتٌ ؛ والرجالُ بالعلم والتربيـة ، والمال بالموارِد . فهل ذلك متوفر، ولا سيما الوقتَ وحالنا في الاجتماعِ كما هي من قلّةِ التكافؤ مع ما هو عليهِ اليوم من شدّةِ التنازع ؟ والجواب على ذلك يدل على المصير ؟

وقال السيد رشيد رضا :

الدولة كائن حي يحفظ وجودُها بالسنّة التي تُحفظ بها حياة سائر الأحياء : وهي سلامةُ مزاجها في نفسها ووقايتهُ مما يعدو عليهِ من الخارج

فأمَّاسلامةُ مزاجِ دولتنا العثمانية في نفسهِ فإنما يكون باقامةِ الشرعِ العادلِ في القضيهِ ، والمساواةِ في الحقوق بين الرعية ، وبناء إدارة المملكة على أساسِ اللامركزية ، وجعلِ السلطة العليا شقَّ الابلمة بين العنصرين الكبيرَين فيها — العربِ والتركِ — بحيثُ يكونانِ منها كالعنصرَين اللّذينِ يتكوَّن منهما الماء والهواء . وأما وقايتُها مما يعدو عليها من الخارج فهو الآنَ منوطٌ بدولِ أوربةَ الكبرى فهنّ أصحابُ المطامع فيها ومطامعهُنَّ متعارضة . وما دامت كذلك كانت الدولة آمنةً على نفسِها من اقتسامهنّ اياها بالقوَّة ؛ فيجب أن نتقي استيلاءهنَّ على البلادِ بقوّة المال والسياسةِ أي بالفتح السلمي ، وأن نقوّي مزاج الأُمّةِ بالمالِ والعلم واعدادِهاللدفاع عن نفسها . فاذا هي فرَّطت في مرافقِها وأملاكِها فباعتها للأوربيّينَ وبقيت على تبذيرها وتوهّمها انها تستطيعُ أن تحميَ نفسَها منهنَّ بقوَّتي الدولة : البريةِ والبحريةِ الرسميتين ، ولم تجعل كلَّ اعتمادِها على الأُمة، فالخطرُ عليها من الفتح السلمي أقربُ وأقوى من خطرِ الفتح الحربي ؟

وقال داود افندي بركات :

رأيي في اصلاحِ السلطنة العثمانية ان تُقسَم مناطقَ ، وأن تكونَ كل منطقة مؤلفةً من العناصر المتفقـة في التقاليد والعادات واللغةِ ،

فتُعطى الاستقلالَ الاداريَّ تبتُّ من أموره كلّ ما لا يتناول منطقةً أخرى أو أكثرَ من منطقة . ويُعيَّنَ لكل منقطة مندوبٌ سام يعاونهُ مجلس ادارة يؤلف من الفنّيين في الامور الماليّة والاداريةِ والقضائيةِ والعسكرية ، ويؤخذ للمركز العام جزءٌ معينٌ من دخل كل منطقةٍ ، وتُلغى الضرائب العشرية ، وتقرَّر ضرائبُ ثابتة معينة على الاملاك ، وتوضع قوانين للشركات على أختلاف أنواعها ، ويوحّدَ القضاء فلا يكون من اختصاص رجالِ الدين الاَّ الامورُ الشخصيّة . فتكون الدولة مؤلفة من ولايات متحدة او مناطق متحدة

ذلك رأيي في انهاض السلطنة بسرعة ؟

وقال جرجي بك زيدان :

العلَّة الحقيقيةُ في حالة الدولة العثمانية اليوم فَقرُ المملكة واضطرابُ الحكومة . والحكومة الدستورية في أيدي الامة والأمة العثمانية ضعيفة الاخلاق ، عريقةٌ في الانقسام بسبب ما توالى عليها من أعصرِ الفساد

أما المملكة ونعني الولاياتِ الباقيةَ منها في آسيا فليس فقرُها أصلياً فيها ؛ وكل ولاية منها كانت في بعض الازمان مملكة قائمة بنفسها : فالعراقُ كانت وحدَها مملكة البابليّين والاشوريين وبها اعتزّ العباسيّون في ابَّان دولتهم وكانت جبايتها ثلثَ جباية مملكتهم الواسعة الممتدّة من حدود الهند الى شواطىء الاتلانتيكي . وسوريا كانت مؤلفةً من عدَّة دُوَل ثم

اعتزَّ بها السلوقيّون اجيالاً ؛ وكذلك آسيا الصغرى وظلّت مدة هي أعظم أركان الدولة العثمانية

فهذه الولاياتُ اذا أُحسنت سياستُها وادارتها صارت غنية . وهذا لا يتمُّ والأمة كما تقدَّم . فالوسيلةالمثلى للنهوضِ بالدولةِ العثمانيةِ أنما هي ترقية الشعب وهو لا يقدرُ ان يرقّي نفسهُ رغم استعدادهِ الطبيعي للرقي . وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل ؛ أنما يشترط ان يكون مستبدًّا وهذا لا يتيسّر والحكومة دستورية . فلا بدَّ من الاستعانة بالاجانب . وأسلمُ الطرُق أن تحالف الدولة العثمانية مع دولة تثقُ بصداقتها فتستعين برجالها على اصلاح حكومتها وترقية شعبها وصيانتها من مطامع الدول الاخرى بشرط أن لا يكون لهذه الدولة مطمع في الاستعمار . فاذا وُفّقت الى ذلك في أثناء أربعين سنة نهضت واسترجعت رونقها ؟

وقال سامي افندي قصيري

لما كانت الدّولةُ العثمانيةُ فيما مضى دولةً استبداديةً قائمةً على حكومة الفرد كانت تقوى بقوّة ذلك الفرد ، وتضعف بضعفهِ ، وتسعدُ بسعدهِ ، وتشقى بشقائهِ . أما الآن وقد أُعلن فيها الحكمُ الدستوري مراعاةً لاحوال الزمان والمكان، وتبدَّلت حكومةالفرد بحكومة الأمة ، فصلاحُ الحكومةِ قائمٌ بصلاح الامّة . ولا يكون ذلك في رأيي الاَّ بنشرِ التعليم الحرّ بين طبقاتها ، والفصل بين دُنياها ودينها ، والتأليفِ بين عناصرِها وطوائفها حتى تُصبحَ جميعها كتلةً واحدةً يحرِّكُها من أعلاها الى أسفلِها عاملٌ

واحدٌ هو عاملُ الوطنيةِ ، وتجمعُها من اقصاها الى أدناها جامعةٌ واحدةً هي الجامعة العثمانية ؟

وقال اسكندر بك عمون

أصلَحُ نظامٍ للدولة ، على ما بينَ العناصرِ والولاياتِ العثمانيّة من التباُينِ في الحاجاتِ والاخلاقِ والعاداتِ والتقاليدِ ، وعلى ما بينَ أهليها من التفاوُتِ في الحضارة ، أن تُجعَلَ ممالكَ أو ولاياتٍ مستقلّةً في جميعِ شؤونها الخاصةِ استقلالاً تاماً حتى في قوانينها وفي شكلِ حكومتها مع ارتباطِها جميعاً في الشؤونِ العموميّةِ على نحو نظامِ الولايات المتَّحدةِ الأميركانية ، أو الممالكِ الجرمانية ، فتُسمَّى حينئذٍ الولاياتِ أو الممالكَ العثمانيَّةَ المتحدة

ولهذا النظام مزيّةٌ على كل نظامٍ آخر وهي : أنهُ النظامُ الوحيدُ الذي يمكنهُ أن يجمعَ بين الولاياتِ والإماراتِ العربيّةِ في جزيرة العربِ وسائر الولايات الأخرى الممتازة وغير الممتازة ؟

وقال امين افندي البستاني

سألتني رأيَ في الدولةِ ومصيرها : جازَ بالدولة في هذا العام عِبرةٌ كبرى اذا لم تعتبر بهـا نالها ما هو شرٌّ منها . وللدولةِ الآن بقيّةُ مُلْكٍ هو أبعدُ مدًى ، وامنعُ حمًى ، وأطيبُ بقعةً من جلّ الممالك الأوربيةِ . فهل لها أن تعدِلَ الباقي من هذا المُلْكِ وتمنعَهُ حادثاتِ الدهر ؟ الله أعلم

على أنَّ الدولةَ لا تجهلُ أشراطَ المُلْكِ على المالكِ وما هو مُبقٍ لهُ، وما هو ذاهبٌ بهِ حتى لقد أصبحت الدلالةُ على وجوهِ الإصلاحِ المنشودِ من مبتذلاتِ الكلامِ، وملوكاتِ الأفواه والأقلام. فهلْ للدولةِ أن تعملَ بما علَّمها الدهرُ على حينَ لم يبقَ لها من ناصرٍ إلاّ ما تسعى اليهِ من ترميم هذا المُلْكِ العزيز؛ وإلاّ فقد قضى الله بما لا دافع له ولا مانعَ منهُ، وحسبُكم الإشارة يا ألبَّاء هذه الدولة. فاعدلوا بين ضروبِ الرعيَّةِ لأنَّ دولتَكم مستمدَّةٌ من جملتِها لا من أبعاضِها، وقدِّموا الكفوءَ على غيرهِ مهما كانت نبعتُـهُ ومنبتُ اسلتهِ، واستعملوا الأجنبيَّ في تدبيرِ ما أنتم ضعافٌ عن تدبيرهِ، واسلكوا القصدَ في عملِكم من غير سرف ولا تفريطٍ، وخذوا بالجديدِ الصالحِ، واخلعوا القديمَ المبتذلَ ثم أعدّوا للمُلْكِ عدَّتَهُ من رجالٍ ومال؛ والله الواقي في هذا الباقي ؟

وكتب اليَّ عالِمٌ كبيرٌ لم يشأ أن يُنْشَر اسمهُ قال: « إن الأمر عويصٌ جدًّا لأن في السلطنة فواعل كثيرة متناقضةً وبعضها خفي. ولقد سمعتُ مرَّة المرحوم نوبار باشا رئيسَ الوزارة المصرية الأسبق يقول: إن لورد دربي ألقى عليهِ سؤالاً مثل سؤالك وطلب منه أن يرتاءي رأياً، أو يضعَ مشروعاً نافعاً للسلطنة العثمانية؛ قال نوبار: فأخذتُ القلم وكتبتُ « أن يُنشأَ في السلطنة محكمةٌ مختلطةٌ مستقلّةٌ تُرفعُ اليهـا الشكاوى من المأمورين فتحاكمهم وتنفذَ الحكومة ما تحكم بهِ عليهم »

فما أدقَّ هذا الانتقادَ، وما أرقَّ هذا التهكُّم! . .

الممرضة

وضع حضرة الدكتور سروبيان طبيب مستشفى لادي كرومر وملجأ الأطفال كتباً في علم الصحة وقدمها الى نظارة المعارف العمومية لتعليمها في مدارسها ، وقد تناول فيها ما ينبغي على الطلبة معرفته في هذا الفن فكتبه بعبارة واضحة وزين الكتب بالصور والرسوم ، فجاء عمله متمماً وافياً بالغرض منه . وقد نقلنا من احد الفصول الكلمة التالية في وصف الممرضة . قال :

قد يُصابُ عزيزٌ لنا بمرض عُضال فيكون على المرأة وحدَها أن تمرّضهُ وتعتني بهِ . أوَ ليست الرشاقة والرقّة والحنان من الصفات التي تغلب في النساء ويقتضيها فنُّ التَمريض ؟ غير أن هذه المزايا الجميلة لا تكفي وحدَها بل يجب أن تقترنَ بالخبرة والمعرفة ، وترافقها على الخصوص زلاقةٌ في العمل والحديث . ولئن كان العطفُ شرطاً في معاملة المرضى، فان اللطف من مستلزمات هذا الفنّ الدقيق

لطفٌ في العمل ، وعذوبة في اللسان ؛ كلاهما لا غِنًى عنهُ !

أيتها الممرّضة ، ما للمريض غِنًى عن عذوبتكِ . كلّميهِ بوداعةٍ كما تكلّمين الطفل الصغير . وليكن ملءَ صوتك دِعةٌ ورزانةٌ، وعلى شفتَيكِ شبهُ ابتسام

ما للمريض غنى عن لطفكِ ورفقكِ . لِتَمَسَّهُ يدُكِ مساً لا تقسُ عليهِ قساوة . لَمسٌ دون لَهوجةٍ ، ورشاقة دون تسرُّعٍ ، ولطفٌ دون برودةٍ !!

لا تغضبي ولا تنفري . قد تسمعين منهُ سوءًا ، وقد تُلاقين فظاظةً ؛ فلا تُسئكِ إساءتهُ ، ولا ترُعكِ فظاظتهُ ؛ وقد ينفرُ منكِ ، ويتطلّبُ بديلاً

عنكِ فلا تنفري منهُ ولا تقابليهِ بغير التسامح واللين

لا تثقل عليكِ شكواهُ وكثرةُ مشتهياتهِ ، فان الممرّضةَ المخلصةَ تجدُ دائماً وسائلَ لتعزية المريض وتلطيف همومه . نفسُها الفاضلة توحي لها ، وقلبُها الشفوق يملي عليها

هي مرآة مريضها . يرى في وجهها صورة ما يحسُّ بهِ في نفسهِ ، ويُبصر في عينيها سيماءَ ما في فؤاده . تشكو لشكواه وترضى لرضاه . فإن حدَّثها عن نفسهِ أصغتْ اليه واعيةً أمرَهُ مهتمَّةً لشؤونهِ ؛ الهدوء في حركاتها ، والرَّزانة في سكناتها . وأمَّا الإخلاص والحنان فملء عملها الشريف

هذه هي الممرضة الفاضلة وتلك هي صفاتها الجميلة ومزاياها الغرَّاء !

ومن جملة واجبات الممرّضة أن توصدَ باب مريضها دون عائديهِ ، ولا سيَّما متى كان داؤهُ عُضالاً ، وحالهُ خطرة . فيُستقبل العائدون في حجرة أُخرى . وحينئذٍ فان السكينةَ لا بدَّ منها لأن المريض لا يقوى على تحمُّلِ الجلبة

وإذا أَعضل الداء وأَشفى المريض فمن المحتَّم على أهلهِ وممرّضيهِ أن يتحاشوا قدَّامهُ كلَّ علامات القلق والخوف فلا يقرأ على وجوههم نبأ انقطاع الرَّجاء ، ويرى في عيونهم نذيرَ الشرّ ودُنوّ الأجل . لأن المريض ، في تلك الحال ، كثيرُ الشكوك ، كثيرُ المخاوف ؛ يحاول أن يسترقَ نظرة يفهم منها حقيقة أمرهِ ، أو يختلسُ إشارة يعلمُ بها ما يخفى عليهِ من حالهِ الصائرِ اليها

إِنَّ أفضلَ ما يؤَاسى به مريضٌ على شفا الموت اعتقادٌ مستمرٌّ في نفسه بزوال الداء وقرب الشفاء

وقال من جملة كلام عن العناية بالطفل :

أما في البيت فلا يُترَك الطفل طول يومهِ في مهده ، بل يُحمل من حينٍ الى حينٍ على الذراع ويُتَمَشَّى به . ومتى بلغ الشهر السادس أو السابع من عمره يوضع كلَّ يوم ، مدَّة من الزمن ، على حصيرٍ أو سجَّادةٍ أو بساطٍ حيث يمكنهُ أن يلهوَ ويلعبَ . فتتقوَّى كُلاَه ، وتشتدُّ رجلاهُ ، وهو يحاول القعود وحده ، ثمَّ الانتقال من مكانه فيحبو ، ثمَّ يدبُّ مستنداً الى يديه وركبتيه . ثم يحاول بعد مدةٍ أن ينهض منتصباً فيستعين بالكراسى أو بما يلاقيهِ قدَّامهُ ، فيتعلَّم بذلك الوقوف على قدميهِ . ثمَّ يأخذ بأن يباعد بين ركبتيه ، ويخطو خطواتهِ الأولى ممسكاً بالمقاعدِ ؛ ومتى أَنِسَ من نفسهِ القوَّة الكافية يترك كلَّ مسند ويمشي وحده



بعد ان يدبَّ الطفل في أول أمره ، يأخذ يتمسك بالكراسى ليقف منتصباً ، ثم يحاول أن يخطو خطواته الاولى

والصغيرُ الذى يتعلم المشيَ على هذه الصورة ينشأُ ثابتَ القدمين مستقيم الفخذين

أما محاولة تمشية الطفل قبل الأوان فلا تفيد شيئاً بل قد تعودُ عليه بالضرر . فاذا أُرغمَ على الوقوف على رجليه مثلاً قبل أن تقويا على حمل جسمه ، تقوّست رِجلاه ونشأ مشوّهاً لأن عظمهُ لم يكن قد تصلّبَ بعد

الدكتور سرو بيان

﴿ العذول والخيال ﴾

ابيات تُغنّى في (بَشرَف)

عاذلي فى هَوى الحبيبْ جاءني في دُجَى الظّلامْ
قُلتُ فرّقتَ يارقيبْ بين جفنيَّ والمَنامْ

* * *

حسبُك السعيُ في النّهارْ بينَ خِلٍّ وخِلّهِ
ساهدٌ فاقِدُ القرارْ أعفُ عنهُ وخَلّهِ

* * *

قال ياعاشِقَ الجمالْ انّما العاذِلُ الغيورْ
كيفَ تخلو مع الخيالْ في خفاء ولا أزورْ

خليل مطران

في اي شهر وُلدت ؟

كنا قد نشرنا في بعض أجزاء «الزهور» على سبيل الفكاهة شيئاً مما توصل اليه المفرمون بدرس طوالع الناس من تأثير الشهور والايام في اخلاق المواليد . وقرأنا في جريدة « الشعب » اللبنانية خلاصة لتلك الملاحظات مترجمة عن كتاب « شيرو » فرأينا ان ننشرها في مطلع العام الجديد

ان الذين يولدون في شهر يناير (كانون الثاني) يُولدون أصحابَ أفكارٍ واسعة وعقولٍ راجحة وصبرٍ وثبات أمام المصائب وميلٍ للاشتغال بما هو مفيدٌ للبشر . ولهم افتتانٌ في الحبّ والواجب العمومي ، ولهذا كثيراً ما ينظرُ أصحابهم وخلاّنهم الى أعمالهم بعين الاستغراب

وأخلاق مواليد شهر فبراير (شباط) قريبةٌ من أخلاق مواليد شهر يناير المذكور . ولكن مولود فبراير يمتازُ عن مولود شهر يناير بنجاحهِ في أعمالهِ وبافادتهِ الغير اكثر مماً يُفيد نفسهُ وبطولِ قامتهِ ومزاجهِ الحادّ وسرعة تأثُّرهِ لأقلّ الأمور

ومواليد شهر مارس (أذار) يتطلعون الى الغد بتشوُّق ، لا لأجل شيء غير معرفتهم كيفية مركزهم ، وماذا يُضمرلهم المستقبل في الغد . وقد لاحظ « شيرو » أنّ أفكارهم هذه ناتجةٌ بالاكثر عن التشوُّق ليعرفوا أرؤساءَ سيكونون في المستقبل أم مرؤوسين . وأكثر أصحاب الفنون من موسيقيين وشعراء وعلماء وُلدوا في مارس ، ولكن هؤلاء في الغالب يفتقرون للتشجيع قليلاً

وأما مواليد شهر (ابريل ونيسان) فهم متصلبو الرأي ، ذوو إرادةٍ قوّية عشاّق للحروب والمخاصمات ، ويمتازون على غيرهم بمقدرتهم على حسن إدارة الأعمال ، ولكنهم في الغالب يكونون محرومين من

السعادة في الزواج وبالنادر يتزوَّجون بمن يحبون

ومواليد شهر مايو (أيار) من خصائص طباعهم وأخلاقهم الإخلاص والمودَّة . فهم اذا أحبوا يُحبُّون حبَّ الكرام ، لا يستعظمون التضحيات الكبيرة في إرضاء من يُحبُّون . وإذا جاهروا بالعداوة يُقاتلون أعداءهم بصلابةٍ حتى الموت ، ولا يتكتَّمُون في المقاتلة ، لأنهم يُبغضُون الخداعَ والمداهنة والغشَّ . وقد لاحظ « شيرو » أنَّ مولود مايو لا يتزوَّج باكراً وإذا كان خلاف ذلك فإنما يكون نادراً وشاذاً

وأمَّا مواليد شهر يونيو (حزيران) فمتقلّبون لا يستقرُّون على حالٍ تتناوب نشاطهم الحرارة والبرودة في وقتٍ واحد . ومن ميولهم الولَع بالتمثيل والمحاماة والخطابة . وأشهرُ الخطباءِ والمحامين والممثلين وُلدوا في يونيو . ولو كان مواليد هذا الشهر ممن يخصّصون أنفسهم بشيءٍ لبرَّزوا في أي حلبة اطَّلبوها في هذه الحياة

ومواليد شهر يوليو (تموز) ميَّالون الى الأسفار ، ولهم ولعٌ بالمقامرة والربح السريع ، ولكنهم متقلّبون أيضاً كمواليد شهر يونيو وقلَّما يشرعون في عمل ويتمّونهُ

ومواليد شهر أغسطس (آب) غالباً ما يكونون من عُشَّاق الثوب العسكري وقيادة الجيوش والاشتغال بالأمور العمومية ، ومن صفاتهم عزَّة النفس والحرّية الفكرية والاستقامة ورقَّة الشعور والسماح ، وكثيراً ما خُدِعَ مواليد أغسطس بأمورٍ مهمَّةٍ ، وانقلبَ سماحهم الى قسوةِ قلبٍ شديدة بغضتهم الى الناس

وأما مواليد شهر سبتمبر (ايلول) فقد اشتهروا بالانتقاد العلمي وسرعة الخاطر وذرابة اللسان وقوّة الذاكرة وإدراك خطإ الغير لأوّل لمحة؛ ولكنهم قبل كل شيء يصرفون جلّ اهتمامهم الى أُمورهم الخصوصية

وفي شهر اكتوبر (تشرين الأول) وُلد أشهرُ المقامرين وأكثر المبذّرين الذين لا يكترثون كثيراً للمال . وقد لاحظ « شيرو » ان اكثر مواليد هذا الشهر يميلون الى درس الحقوق ويشتهرون في المحاماة والقضاء والفقه؛ وأما في زواجهم فنادراً ما يكونون سعداء لأنهم يُعظّمون أقلّ الأمور ويهتمون لها اهتماماً شديداً

وأما مواليد شهر نوفمبر (تشرين الثاني) فقد اختصوا بأخلاق تقضي بالعجب . فان الفضيلة ونقاوة الفكر تلازمانهم قبل بلوغ العشرين من عمرهم . ولكنَّهم في الغالب يكونون ضعفاء الارادة سلِسُو القيادة يميلون كيف تميل بهم الشهوة دون ما اكتراث للنقاوة والأدب . واكثر مواليد هذا الشهر ممن اختصُّوا بقوّةٍ جاذبة يستميلون بها عشراءهم ، ولكن اكثرهم يكون من ذوي النفوس الصغيرة التي تتضاءل عند شدّ النوازل والأمور

وفي شهر دسمبر (كانون الأول) وُلد اكثر العمال النشيطين الذين أدركهم الموت قبل ان يُدركهم الكلال والفتور . ولكن « شيرو » لاحظ انَّهم ينتقلون من حرفةٍ الى أُخرى بسرعة . فبينما يكونون أساتذة ، فاذا بهم كهنة أو تجار أو صيارف . ولكنهم في الغالب لو أُطلقت يدهم في كل عمل يميلون اليهِ لأحرزوا بهِ القدح المعلَّى وما جاراهم فيهِ مجارٍ

ثمرات المطابع

ديوان المازني — عنيَت « الزُّهور » منذ نشأتها بنشر المختار من الشعر العصري فلم يصدر جزءٌ من أجزائها قط الاَّ وفيهِ بضعُ صفحاتٍ جامعة لأجوَد ما نظمهُ في حينهِ كبار شعراء مصر وسوريا والعراق . وكان هؤلاء الأفاضل ، وما برحوا الى اليوم ، يختصُّون هـذه المجلَّة بنفثاتِ قرائحهم حتى حققَّوا غايتها التي انما أُنشئت لها وهي أن تكون صلة تعارفٍ بين أدباء اللغة العربية في كل قطرٍ. على أننا نأسف أن يكون بين شعراء مصر المجيدين شاعر لم توفَّق « الزهور » بعدُ الى عرض شعرهِ الطيّب على على قرَّائها المتشتتين في الأقطار العربية والأميركية وهو ابراهيم عبد القادر افندي المازني ؛ فان هذا الشاعر العصري كاد أن يكون مجهولاً منَّا ونحن مقيمون في مصر وحضرتهُ من أبنائها الأفاضل ، فكيف بزملائهِ الأدباء في سوريا والعراق وغيرهما . وليس حظ سائر الصحف والمجلاَّت المصرية بأجمل من حظّ الزهور في هـذا المعنى . لذلك يحقّ لنا أن نقول إنَّ ديوانهُ فاجأنا مفاجأةً في خلال هذا الشهر، ولكن مفاجئة الحَسَن السارّ

قلّبنا هذا الديوان صفحةً صفحةً فما وقعتِ العين فيـهِ على موضوعٍ مبتذل قط . فليس هناك مديح أو رثاء أو تهنئة أو عزاء ؛ بل الديوان في مجملهِ مجموعة عواطف جاشت بها النفس فنظمها الفكر شعراً، والشعرَ ماصدرَ عن النفس وأرسلهُ الخاطر عفواً ؛ فالمازني بحكم هذه القاعدة المأثورة شاعر مطبوع لا ينظم إلاَّ خطراتِ خاطرهِ ، ولا يترجم بمنظومـهِ إلاَّ

عواطف نفسه . واذا صحّ رأينا فيهِ، ونحن لا نعرفهُ ، كانت نفسهُ أميلَ الى الحزن واليأس منها الى الفرحِ والرجاء . فاننا ما قرأنا لهُ قصيدةً خاليةً من وصف همومـهِ ومتاعبهِ وشكاياتهِ أو من إشارة الى ذلك على الأقل . فكنا نتخيلهُ من خلال معانيهِ عبوس الوجه معقّد الجبين ليس على شفتيه ابتسام، ولا في ظواهر وجههِ ما ينمّ عن رضًى في نفسه

وفي يقيننا أن نارَهُ التي لم تطفأ منـذ استهلّ ديوانه في الصفحة الأولى بأبيات « الاهداء » حتى ختمهُ في الصفحةِ الأخيرة بالخاتمة « الى صديق » هي التي أحرقت ألفاظهُ وذهبت برونقها ، وملأت ديوانهُ عواصف وزوابع ، وهموماً وأشجاناً ، وآلاماً وأوجاعاً ، ويأساً ودموعاً حتى اشتبه علينا قول شوقي : خُلِقَ الشاعرُ سمحاً طرباً

ولقد كنّا نودُّ لو كان المجال أوسعَ فننشر للقراء شيئاً من قصائدهِ يزيدهم معرفةً بهِ ولكننا نجتزئ بالمقتطفات التالية للدلالة على الاسلوب الذي يسير عليهِ والمعاني التي يتناولها في شعره :

قال بعنوان : فتًى في سياق الموت

نعدُّ أنفاسَهُ ونحسبُهـا والليلُ فيـهِ الظلامُ يلتطمُ
اذا خروجُ الحياةِ أجهَدَهُ تساقطت عن جبينِهِ الدِّيَمُ
صدرٌ كصدرِ الخضمّ مضطربٌ جحافلُ الموتِ فيهِ تزدَحِمُ
ان قام ملنـا لهُ بمسمَعِنا أو نام خفَّت بوطئِنا القدَمُ
كأنمـا الخوفُ من تردُّدِهِ خَيلٌ لها من رجائِنا لُجُمُ
خلناهُ قد ماتَ وهو في سنةٍ ونائمَ الجفنِ وهو محتَرمُ
قـد قلَّصت ثغرَه منيتُهُ كأنهُ للحِمامِ يبتسِمُ

وقال بعنوان : حالة ثورة النفس في سكونها

فؤادي من الآمال في العيش مجدبُ وجوّيَ مسودّ الحواشي مقطّبُ
تمرُّ بيَ الأيّامُ وهي كأنها صحائفُ بيضٌ للعيونِ تقلّبُ
كأنْ لم يخطَّ الدهرُ فيهنَّ أسطراً يبيتُ لها الانسانُ يطفو ويرسبُ
شغلتُ بماضي العيشِ عن كل حاضرٍ كأنيَ أدركتُ الذي كنتُ أطلبُ
وما كلّتِ الأيّامُ من فرطِ عَدْوِها ولا عطّل الأفلاكَ خطبٌ عصبصبٌ
لقد كان للدنيا بنفسي حلاوةٌ فأضجرني منها الأذى والتقلُّبُ
وقد كان يُصبيني النسيمُ اذا هفا ويعجبني سجعُ الحمامِ ويُطربُ
ويفتنني نومُ الضياءِ عشيّةً على صفحةِ الغدران وهي تُسبسبُ
فما لي سقى اللهُ الشبابَ وجهلَهُ أراني كأني من دمائيَ أشربُ
ومالي كأني ظلّلتني سحابة لها من محفوفاتِ الأساودِ هيدَبُ
سأصرخُ إمّا هاجتِ الرّيحُ صرخةً تقولُ لها الموتى ألا أين نهربُ

وقال بعنوان : الملل من الحياة

أكلّما عشتُ يوماً أحسستُ أنيَ مُتُّهْ
وكلّما خلتُ أني وجدتُ خِلصاً فقدتُهْ
لا أعرفُ الإمن عمري كأنني قد رُزِئتُهْ
ما تأخذُ العينُ إلاّ ما ملّني ومللتُهْ
كأنّ عينيَ مدلو لةٌ على ما كرهتُهْ
تُضيئني الشمسُ لكن لاجتلي ما أجمتُهْ
ثوبُ الحياةِ بغيضٌ يا ليتني ما لبستُهْ

تاريخ الحرب البلقانية المصوَّر[1] — أهدى الينا حضرة الكاتب البارع سليم افندي العقاد الجزء الثانى من كتابه « تاريخ الحرب البلقانية المصوَّر » وهو يقع فى ١٥٠ صفحة ويحتوى تاريخ المواقع منذ شهر الجبل الأسود الحرب على الدولة العثمانية حتى ختام هذه المأساة على أبواب الاستانة . والكتاب مصدَّر برسوم الملوك والقوَّاد ورجال السياسة الذين كانَ لهم شأن في هذه الحرب . وإنَّ ما يُعرفُ بصاحب هذا التأريخ من العلم والأدب يضمن لكتابه الانتشار التام ولا سيما أن الجزء الأول منهُ قد تداولتهُ الأيدي ، ولقيَ كلَّ ارتياح من جمهور الأدباء

السلوى[2] — اشتهرت المطبعة الأدبية في بيروت بكل عملٍ حسنٍ ومأثرة غراء . ومن مآثرها الأخيرة إصدارها مجلةً قصصية أسبوعية سمَّتها « السلوى » ، أودعت فيها أجمل القصص ، وأطيب الفكاهات ، فجاءت سلوَى للشيخ في زاويتهِ ، وتفكهةً للفتاة في خدرها ، وأُنساً للشاب فى أوقات فراغه . وهي مكتوبة بلغةٍ سليمةٍ رشيقةٍ ، ومطبوعة طبعاً جيداً أمَّا اشتراكها السنوي فخمسة فرنكات في بيروت وستة في الخارج

فتاة لبنان والرزنامة السليمة — أهدت الينا حضرة الفاضلة الأديبة سليمة أبى راشد نسخةً من روزنامة جميلة وضعتها لمعرفة التواريخ في مدة القرن العشرين ، وهي لطيفة الوضع جميلة الحفر تدلُّ على براعةٍ وحسن ذوق . وبهذه المناسبة نذكر أن حضرة الآنسة المشار اليها قد عزمت على إصدار مجلةٍ أدبية باسم « فتاة لبنان » فنتمنى لها النجاح التام

(١) تطلب من المطبعة الادبية فى بيروت
(٢) يطلب من صاحبه بجريدة الاهرام ومن المكتبات الشهيرة وثمنه ٤ قروش

دفع الهجنة [1] — هذا كتابٌ وضعهُ معروف افندي الرصافي الأديب العراقي وقد ضمَّنهُ « عدَّة كلماتٍ وألفاظ عربيةٍ جمعها من اللغة العثمانية » ليتدبَّرها كلُّ أديبٍ عربيّ فتكون « واقيةً لهُ من العجمة ، وحاميةً من اللكنة » وقد وصف هذه الألفاظ المجموعة بقولهِ « انَّ منها ما استعمله أهل العثماني في غير معناه العربي ، ومنها ما لم يكن منها عربياً وهم يحسبونهُ عربياً ، وقد أخذها العرب منهم فاستعملوها استعمالهم وهم لا يشعرون » . فوضع حضرتهُ هذه الرسالة وقد سمَّاها « دفع الهجنة في انتضاح اللكنة » ليفرق بين معاني تلك الألفاظ العربية ومعانيها العثمانية ونشرها أوَّلاً في مجلة « لسان العرب » الغراء ثم طبعتها هذه على حدةٍ ، فاستحقَّ الواضع والناشر الثناء الطيّب

الزمان — تُعَدُّ جريدة « الزمان » الصادرة في بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية الأميركية من أرقى جرائد السوريين المهاجرين ، وأجلّها فائدةً . فما برحت منذ ثماني سنين تخدم الجالية السورية الخدمات الحسنة وتوفر لها الوقوف على أخبار السياسة وحوادث الوطن ، وتنشر المقالات الشائقة في كلّ موضوعٍ نافع . وقد دخلت منذ حينٍ في عامها التاسع ، فأصدرت لتلك المناسبة عدداً خاصاً منها مزداناً بالرسوم، مشبعاً بالمقالات الغراء ، فلصاحبها الفاضل ، ومديرَيها الأديبين ورئيس تحريرها الكاتب البارع كلُّ ثناءٍ على أدبهم الجمّ ، وسعيهم المبارك في الخدمة العامة

---

(١) يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر وثمنه ٤ قروش

